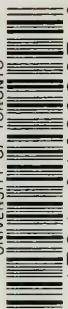
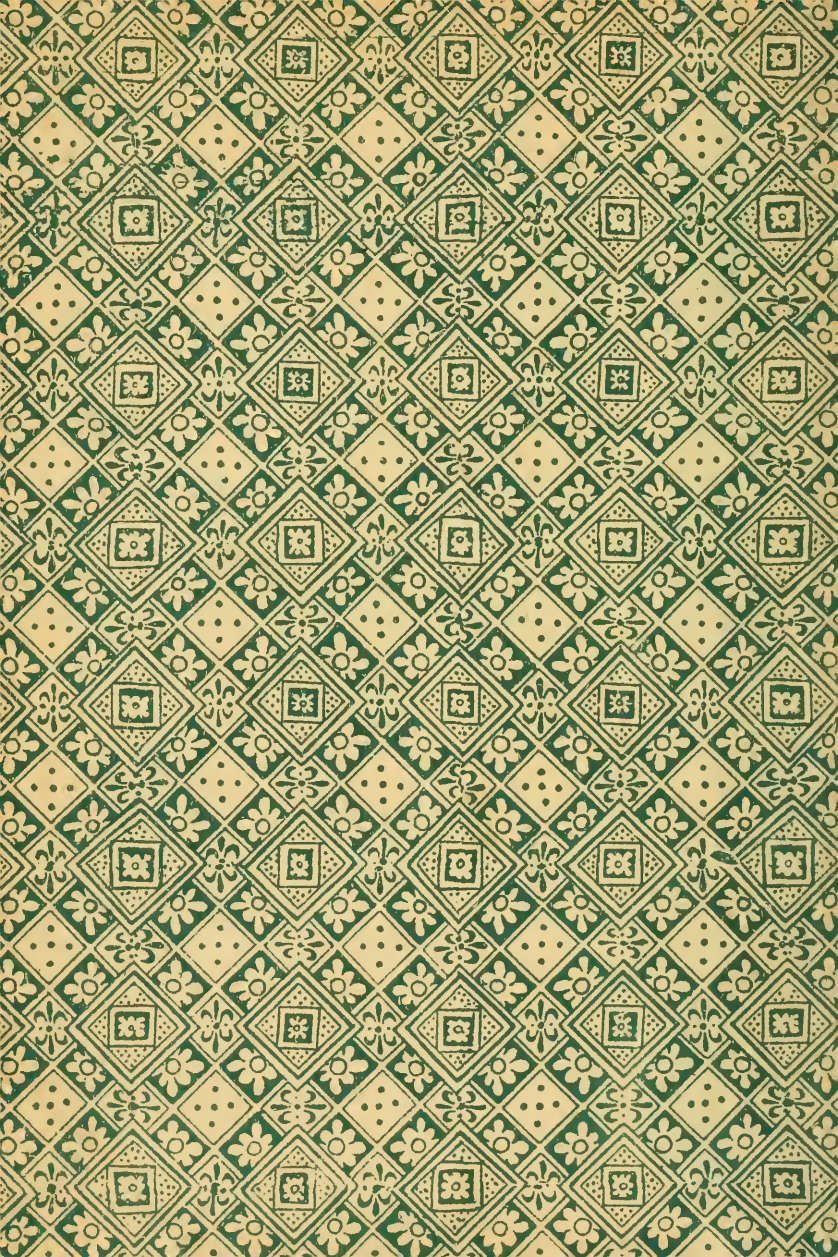


UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 01436237 0







المظلومين منهم لانهم متضامنون في الخير والشر يصيبهم ما
يصيب ابناء جلدتهم من رخاء وشقاء. ويعتقدون ان السكوت
على مظلمة فرد واحد يدعو الى مظلمة الامة كلها

فالسبيل الذي نبلغ به الامل ونحقق الاملاني هو سبيل
تربية ابناء مصر على الاتحاد والاتفاق والثقة من انفسهم
والاعتماد على بعضهم دون غيرهم. والتضامن فيما بينهم تضامناً
تاماً. بذلك نكون امة لها شأن وبغير ذلك نبقى ابد الدهر
عييداً للاجانب اذلاء

وان زمننا تعمل فيه الامم المتقدمة نفسها لبلوغ غاية
الرقى ومبتهى الكمال لعار علينا ان يكون موقفنا فيه موقف
المتفرج الكئيب الذي لا يعمل في حياته عملاً نافعاً بل فقد
ثروة ابائه واجداده واضاع مجد المتقدمين وامسى خادماً لمن
كان يخدمه من قبل

(مصطفى كامل)

واكبر نتيجة لعدم اعتمادنا على انفسنا هو اننا اعتمدنا دائماً على الاجنبي وانتظرنا منه الخير لبلادنا. مع انه من المستحيل ان يجيء الخير على ايدي رجال ليسوا من ديننا ولا من وطننا. والتاريخ يرشدنا بشواهد الجمة الى ان الوطن لا يحيا الا ببنائه والبلاد لا تسمو الا باهلها

ألا ترى ان عدم اعتماد المصريين على بعضهم أدى الى فقدان التضامن بينهم فصار كل انسان لا يهتم الا بنفسه واذا نزلت مصيبة بفريق من الامة لا يتألم لها الفريق الآخر. فسهل على الحكام ان يتصرفوا في اموال هذه الامة الاسيفة ومصالحها بدون ان يجدوا من احد من بنيتها معارضة او مقاومة

ألا ترى ان المصريين يجندون ويستخدمون في مصالح بريطانيا ولا يرتفع منا صوت يحتج على هذا العمل المخالف للوطنية الحقيقية. ألا ترى اننا اذا ترقى شعورنا وتألمنا لمصائب فئة منا لا نتألم الا تألماً مغنوباً بخلاف الحال في الامم الحية. فان ابناء الامة الواحدة يقومون كرجل واحد لانصاف

لعمري ان ساعة العمل قد آذنت ولم يبق عذر لاحد في
التقصير عن خدمة الوطن العزيز . وقد علم الخاص والعام
أن خير سبيل للقيام بالواجب الوطني هو نشر أنوار العرفان
بين أبناء البلاد وتربيتهم على أساس متين . فنحن نشأنا وآباؤنا
يسمعون كل يوم في الاحاديث التي تدور بينهم « أن المصري
لا يفلح » . و « أن المصريين أمة ميتة » و « اتفق المصريون
على ألا يتفقوا » وغير ذلك من الاقوال المفرقة للكلمة
المشبطة لهم المقعدة للعزائم المميتة للنفوس . فنشأنا نعتقد في
أنفسنا عيوباً يعلم الله انها لا وجود لها وامتلات قلوبنا من
الصغر يأساً وقنوطاً بينما نشأ غيرنا في محبة امته والوثوق
بها والاعتقاد بحسن حالها وما لها

فعدم اعتماد المصري على نفسه وعلى أخيه هو الداء
العضال الذي تنتهي اليه الادواء . فهو سبب الشقاق والافتراق
واصل هذا الموت المعنوي الذي اصبحتنا لابسين لثيابه
مرتدين بجلبابه ومصدر هذا الخمول التبيح الذي قضى علينا
ان نكون في آخر مصاف الأمم ونعيش فريسة للطامعين

في احياء مجده ورد ثروته الى ابناءه

نعم . انك لو طفت حول البلاد لوجدت أهلها مجمعين على
كراهة المحتلين شغفين بخلاص مصر من يرمهم الثقيل
ورأيت أفراداً يمتازون عن غيرهم بالحمية الوطنية والغيرة المالية
ولكن لماذا هؤلاء الافراد منقرضون ؟ ولماذا لا نراهم مجتمعين
حول لواء واحد لخدمة غرض واحد عاملين باتفاق لتحقيق
آمالهم الطاهرة الشريفة موجهين قوتهم الى غرض مشترك ؟
نحن نعرف جميعاً أدواء مصر ومم تشكي هذه الام
الخنون التعسة . فكيف يكون الدواء في أيدينا ولا نعمل
لشفائها من هذه الآلام القاسية والاستقام الشديدة ؟ انا
نرى مصر ووطننا المقدس تهان كل يوم الف اهانة . فكيف
نصبر على هذه الاهانات ولا نرى العار منتهى العار في
السكوت عنها ؟ نحن نعلم أن الخالق جل وعلا وهبنا أجل
الايوان وأغني البلدان وفرض علينا التفاني في خدمة هذه
الديار وصرف العمر في العمل لاسعادها واءلاء شأنها . فكيف
نخالف أوامر الرحمن ونقابل نعمته علينا بالكفران ؟



وكتب في لواء ١٦ فبراير سنة ١٩٠٠ مانصه :

﴿ كيف نبليغ الآمال ﴾

يشعر كل مصرى بأن بلاده متأخرة عن سائر البلدان
وانها ليست في المكانة التي خلقت لأن تنالها بين الممالك
والاوطان . ويحس كل واحد منا بان هذا الوطن المصرى
الغني الكثير الخيرات لو كان لنا دون غيرنا لكننا أسعد
الأمم وأحسن الشعوب ويود لو رآه كذلك ورأى أبناء جنسه
سادة فى بلادهم أعزاء فى ديارهم محترمين فى البلاد الاجنبية
مبجلين حيث يذهبون . اذا عرف الاجني انهم أبناء مصر
انحنى لهم تعظيما واجلالا لشرف البلاد التي ينتسبون اليها
وعظمة المملكة التي هم أبناءها

ولكن هذه الآمال وتلك الامانى التي تحتلج ضمائر
المصريين وتتر على نفوسهم آنا بعد آن لا تستقر عندهم ولا
تجد منهم رجالا يعملون لتحقيقها وخداما للوطن أمناء يشرعون

السياسة بالدين هذا الارتباط المكين يستطيع أحد أن ينكر
علينا وجود هذا الارتباط ؟

واذا كانت الدول الأوروبية على اختلاف مصالحها وتباين
منافعها وعظمتها وقوة سلطانها تتحد فيما بينها وتنسى كل
شقاق وكل افتراق عند ما يهم المسيحية أمر فلماذا لا نتحد
معاصر المسلمين وقد احتل الشقاء بلادنا وخيم الجهل والذل
على ديارنا وقوضت المصائب أركان استقلالنا وسلبتنا النوائب
عظمتنا وقوتنا وسعادتنا ؟ ألسنا أشد من الأوروبيين حاجة
الى هذا الاجتماع وهذا الاتفاق ؟ واذا كنا نعتقد بالدلائل
التاريخية ان الاسلام دين الفضائل والمدنية الصحيحة وان
الابتعاد عن مبادئه سبب التأخر والانحطاط والتمسك به داعية
السمو والترقي فلماذا لا نعمل باوامره ونجتنب نواهيه ؟ واذا كنا
نرى كل يوم شاهداً جديداً ودليلاً قوياً على ان أوروبا لم تقم الا
بالدين فلماذا نهمل ديننا ونحن أحوج الى التمسك به من أوروبا
والأوروبيين ؟ اللهم انا نسألك أن تهدينا بفضلك كما هديت
آباءنا من قبل انك سميع مجيب مصطفى كامل »

« أصبح المتوحشون ينظرون بعين الاندهاش الى هذه الحرب الدموية القائمة بين المسيحيين وبعضهم وينتظرون النتيجة ليعرفوا من الظافر: مسيحيو أوروبا أم مسيحيو افريقية وقد ارتفع صراخ حزن وحداد في أوروبا ليس ضد التركي في هذه المرة ولكنه ضد الدولة التي كانت تفتخر في الزمن الماضي بحببتها الشديدة الطبيعية للعدل والانصاف. أفليس هذا المنظر محزنا للغاية؟ وهل بهذا يقف سير التقدم الى الامام؟ وهل سنرجع القهقري في هذا القرن الذي أصبح على وشك الابتداء؟ »

فقل لى بالله عليك أيها القارئ الكريم ما شأن التركي في هذه الحرب؟ أليس غرض السكاتب من قوله « التركي » المسلمين عموماً لان الدولة التركية تمثل الاسلام والمسلمين. فهل لا يرى القارئ من عبارة هذا النائب الهولاندي ان أوروبا تود لو كانت هذه الحرب قائمة بين المسلمين والمسيحيين وكان النصر فيها لاء بناء دينها؟ وهل بعد اعلان كتاب أوروبا وخطبائها وساستها لا فكارهم بشأن ارتباط

تحاربها الا بسبب الدين ولم تتدخل في شؤونها الداخلية الا بدعوى نصرة الدين ولم تعادها الا لانها دولة اسلامية . وكأن الدول الاوربية علمت اننا اذا تمسكنا بالدين استرجعنا قوتنا وعظمتنا فتراها تعمل ما في وسعها لابعادنا عن مبادئه القويمة وتجتهد في نشر مبادئ الجحود والفلسفة الكاذبة بيننا . وصنائع أوروبا في الشرق لا يكرهون شيئاً مثل قيام خطباء الاسلام وكتابه بدعوة المسلمين الى التمسك بدينهم الكريم والعمل لاحياء مبادئه الشريفة الطاهرة التي قبرناها بجهلنا واستسلمنا للاجانب والاعداء

واني كلما طالعت كتب الاوربيين وجرائدهم ازداد يقيناً على يقين بشأن مسألة ارتباط الدين بالسياسة والسياسة بالدين . وقد جاءني العدد الاخير من « مجلة العالمين » وفي صدره مقالة على حرب الترنسمال للدكتور (كوير) أحد مشاهير نواب هولندا فتلوتها ولم أكن قبل تلوتها أظن أن فيها شيئاً دينياً ولكني ما بدأتها حتى وجدت الكاتب يقول ما ترجمته بالحرف الواحد :

أباطيل المبطلين المفرطين

كتب رحمه الله رداً على الذين خطأوه فيما قال غير معترفين بأن السياسة الحقيقية في الرجوع الى أصول الدين والعمل بمنطوقها ومفهومها . هذا نصه :

﴿ الدين والسياسة ﴾

أوضحنا في مقالات متعددة أن الدين والسياسة توأمان لا يفترقان وأثبتنا بالبراهين المحسوسة والدلائل القوية أن الدول الأوروبية لم تنل من المدنية والمجد والسلطة ما نالت إلا باعتمادها على مبادئ الدين في سياستها حتى صح أن تسمى السياسة الأوروبية بالسياسة المسيحية لكونها ترمى دائماً الى رفع شأن الدين المسيحي على غيره من الأديان وتجعل رجاله آلة قوية في الشرق الأدنى والاقصى لبلوغ غاياتها السياسية وما ربهها المختلفة

ومن يتصفح تاريخ الدولة العلية ويعمن النظر في أحوالها من أول يوم وضع فيه أساسها الى هذا اليوم يجد أن أوربا لم

ما يطمع اليه الانسان وتتطلع اليه النفس البشرية
(مصطفى كامل)

*
* *

كان كلما وجد المترجم الفرصة مناسبة لتأييد روح الدين
وادخالها تارة في الوطنية وأخري في السياسة خدمها الخدمة
اللائقة بوطنى عظيم مثله والبسها الحلة التى تعجب الناظرين
وهيأها للقراء فى اجمال رواء غبر حاسب لخصوم البلاد او
المنافقين ممن يدعون باطلا الاتساب اليها حسابا . شأن الذى
رسم لنفسه خطة مبنها الاخلاص ومعناها الحياة فلا التهديد
يردعه ولا الأرعاد يثنيه

من ذلك أنه كان يرى السياسة فرعا من فروع الدين
بل أصلا من أصوله وأنه اذا سأل الناس اتحادا ليقووا من
ضعف او علما ليستضيئوا من جهل الى غيرهما من ضروب
السياسة الفعالة المنتجة كان غالبا يرجع الى سند الدين ضاربا
الامثال بأبنائه العاديين العاملين بآياته وسننه متخذا غير ذلك
اساليب كتاب المسيحيين فى تأييد حجته وظهور حقه على

فكيف يحجف بحقوقهم وكيف يهانون ؟ ألا ترى ان العظماء
انما هم كذلك لأن أفراد الشعب يحملونهم فوق رؤوسهم
ويطيعون أوامرهم . والا فلو تحول تيار الشعب ضدهم فماذا
يفعلون ؟ هل يستطيعون مقاومة أو يقدرّون على الوقوف
أمامه ؟ كلا ثم كلا . ان الشعب هو القوة الوحيدة الحقيقية
وهو السلطان الذي يخضع لارادته أكبر العظماء وأعظم الاقوياء .
كان أردتم يارجال الحرية في مصر وخدمة هذا الوطن المحبوب
أن تسعدوا بلادكم وترفعوا شأن دياركم فارشدوا شعبكم
المصري ، العزيز الى حقوقه وواجباته وعلموه اننا جميعا سواء
امام الوطن يستوى في ذلك الحتمي والرفيع والفقير والغني .
وان رجال الحكومة ليسوا الا وكلاء عنه وخداما له ان
خانوه وجب عليه عزلهم وتولية غيرهم وان صدقوا في خدمته
وجبت عليه مكافأتهم

وان يوما يري فيه المصري أفراد أمته يدافعون عن
شرفهم وحقوقهم وحكومة بلاده تجلهم وتطيع رغائبهم لهو
يوم تتم له فيه السعادة الدنيوية ويكون قد بلغ في حياته أكبر

ودستورها غريبا عن السلطة والاحكام أصبح هو الذى يغير
الدستور كما تشاء أهواؤه ويلعب بالسلطة لعباً . وهذا الشعب
الكبير الذى يجب ان يكون كله عاملاً لخدمة الوطن ومشيداً
لبنائه الفخم أصبح منتسماً على نفسه منشقاً على بعضه متغافلاً
عن واجباته . وهذه الامة التى يجب ان تكون سيدة البلاد
وصاحبة السلطة والكلمة فيها أصبحت بلا حق في بلادها .
بل سلمها الاجنبى حقوقها وتمتع بخيراتها وبات يسخر منها
على اننا لو تأملنا قليلاً الى ما أقيم في هذه البلاد من
عظام الاعمال لوجدنا ان الشعب هو المنشئ له والموجد
لكيانه . فهؤلاء الافراد الصغار الذين لا يعاب بهم الكبراء
والعظماء في الحقيقة قوام مصر ومصدر نعمتها ولولاهم
ما عرفنا العيش أبداً . فمن المؤلف للجيش ؟ أفراد الشعب !
ومن المكون للشرطة وحفظه النظام ؟ أفراد الشعب ! ومن
الموجد لمحاولات مصر وخيراتها ؟ أفراد الشعب ! ومن
يعيش العظماء والكبراء والامراء ؟ بأفراد الشعب ! فهم
دون غيرهم قوام الوطن ومصدر خيرته ومجده وسعادته .

جسم الأمة ودعامة من دعائم الوطن . وتراد إذا حلت ببلاده
مصيبة يحزن أشد الحزن وتتولاه الكتابة ولا يطيب له عيش
لأنه يجد في قوله « بلادي » كل معاني الوطنية والروابط
الجنسية ويحس بأن لا معنى للحياة إذا كان الوطن شقياً وإن
أقدس واجب على الإنسان في الوجود هو خدمة الوطن والعمل
على إعلاء شأنه ورفع مكانته

أما في بلادنا التعسة فالشعب لا يعرف لنفسه شيئاً من
الحقوق ولا يدرك ما عليه نحو الوطن من الواجبات ولذلك
كنا في آخر مصاف الأمم وتمكنت منّا الادواء الكبار
وتولى الاجنبي قيادة أمورنا وزمام أعمالنا واعتبرنا الغير قصراً
صغاراً عاجزين عن ان نتصرف في أموالنا وبلادنا تصرفاً
حسناً محتاجين لوصى يرشدنا ويدبر مصالحنا . ولعمري انها
أكبر سبة لشعب من الشعوب وأعظم اهانة في تاريخ أمة
من الأمم . فهذا المصري الذي يجب ان يكون في بلاده
سيداً محترماً مبجلاً عزيزاً أصبح فيها عبداً محتقراً مهاناً ذليلاً .
وهذا الاجنبي الذي يجب أن يكون خاضعاً لتوانين البلاد

في اخلاقهم . ولما كانت الامة في حاجة الى من يدرأ هذه
الحازي عنها ويبين لها حقوقها وسلطانها كإهتمام المرحوم بهذا
الامر عظيماً فقد كتب مقالة نشره اللواء في ١٠ فبراير هذا نصه :

﴿ حقوق الشعب وواجباته ﴾

لكل شعب في وطنه حقوق مقدسة لا يمكن لاحد
الاعتداء عليها أو المساس بها وواجبات نحو الوطن اذا قصر
في تأديتها سلبت منه هذه الحقوق وقلت سعادته وانحط مقامه .
فبقدر ما يخدم الشعب وطنه ويؤدي من الواجبات نحوه
ينال من الحقوق فيه ويتمتع من الرفعة والسؤدد في نواحيه
ولذلك كانت الشعوب الأوربية عزيزة في ديارها ممتعة
بكل حقوقها لأنها تخدم أوطانها بما يجب عليها وتدافع عن
شرفها ومقامها بكل ماتملك من مال ورجال . فترى ثمة
العامل الصغير يشغل بأمور بلاده وسياسة حكومته وينتخب
النائب عنه في مجلس النواب بمحض حريته وإرادته . وبالجملة
يعد نفسه جزءاً من ذلك المجموع العظيم وعضواً حياً من

ذميم وان حب الوطن شيء والتمسك بالدين شيء آخر؟ واذا كان الكتاب الفرنسي لم يذكر غير البوير والالمان فهل نسي المسلمون ان سبب انتصاراتهم القديمة وبقاء دولتهم العلية في أمن من كل خطر هو التمسك بالدين تمسكاً صحيحاً صادقاً؟ وهل نسوا ان اقوى سلاح للجندى التركى هو الاعتقاد الدينى الذي يدفعه الى الاتيان باعظم الاعمال العسكرية ويجعله فى صدر الرجال شهامة واقداماً؟

اذا لم نكن نسينا ذلك كله فلماذا نتساهل فى امور ديننا ونهمل واجباتنا ونقصر اقبح التقصير فى القيام بما فرضه الخالق علينا ! اللهم هبنا من لدنك رشداً واهدنا بنورك الى الصراط المستقيم (مصطفى كامل)



قالت احدى جرائد الاحتلال أن المصريين استناموا لحكم الاجنبى من زمن بعيد وما عرفنا منهم حاكماً ذكره التاريخ الى غير ذلك من منكرات السخائم التى طامس خطتها أقلام من لا وطن لهم ولا ذمة فى ضمائرهم ولا أدب

والبرنس بسمارك الذى لم يكن شاعراً يحب الخيال هو
القائل لهذه الجملة الشهيرة « اذا نزعتم العقيدة من فؤادى
نزعتم محبة الوطن معها » دلالة على أن الدين والوطن
مرتبطان ارتباطاً لا انفصام له . وامبراطور المانيا الحالى
لا يكتفى باعطاء جنوده الاسلحة الجيدة والمدافع الحديثة
الطراز بل يعطيهم قبل كل شىء السلاح المعنوى الفعال .
فهو يكلمهم عن الخالق ويرشدكم الى أن قوتهم مستمدة منه
جلّ وعلا وأنهم بالاعتماد عليه ينتصرون دائماً . ولا يترك
فرصة تمر دون أن يذكر القدرة فى خطبه . وهو يعرف
كسائر فلاسفتنا وعلمائنا الاختراعات الحديثة والتقدم
العصرى ولكنه يخاطب جنوده بنفس اللسان الذى كان
يخاطب به (شارلمان) عساكره لانه يعلم أن الانسان فى عهد
الامبراطور القديم هو انسان اليوم وان السر الذى أوتى
به الاقدمون النصر والظفر هو بعينه سر الانتصار فى هذه
الازمان »

فمن يستطيع بعد ذلك الادعاء ان المناداة بالدين تعصب

في نفس المقاتل قوة دونها كل قوة . والذين يذهبون الى القتال
وليس لهم اعتماد الا على قوة دولهم لا يقاسون بمن يعتمدون
على حول الله وقوته

واذا كانت الحكومات الاوربية تريد ادراك « سر
انتصار » البوير فلترسل الى الترنسفال علماء النفوس وفلاسفة
الارواح وقراء الضمائر واخبر الخبيرين بحرارة تلك الافئدة
المتوقدة الذكية الطاهرة . عندئذ نفقه ان صراخنا « لتحي
الجمهورية ! لتحي الجمهورية ! » لا يكون منا الا محافظين
ومديرين . وأما النداء باسم الخالق وبمعونة الرحمن فانه يوجد
بين أفراد الامة آسداً يدافعون عنها بقلوب لا تيأس ولا
تلين . فما أسعد الابم التي تعتمد على مبدع الوجود ! وما
أسعد الجنود الذين يعتمدون على قوة الاله ويسيطرون بروح
من لدنه !

وان لنا في تاريخ فرنسا مثايل عظيمين وهما مثل
چينيفيف وچان دارك فان هاتين المرأتين انقذتا فرنسا
باعتمادهما على خالق الارض والسما

بل ربما وجدوا الجندي الترنسفالى غير لابس للملابس جميلة
وغير مسلح تسليحاً جيداً. ولكن اذا أراد الضباط الاوريون
ان يتقفوا على (سر الانتصار) فليبحثوا عما فى أفئدة هؤلاء
الجنود. فان فى أفئدتهم شيئاً لا يهتم به الاحصاء ولا تبحث
عنه الجواسيس ولا تصنعه العامل مع أنه سبب الظفر والنصر
وأصل النجاح والفلاح. ألا وهو الاعتقاد بالخالق القادر
العظيم

فتد افتكر الرئيس (كروجر) فى حاجة النفوس
والأرواح قبل ان يفكر فى حوائج الاجسام ومعدات القتال
وآلاته الحديدية. لذلك ربما نقص جنود البوير أشياء كثيرة
من الملابس والمعدات ولكن لا ينقصهم شيء من القوى
الروحية. بل ان نفوس الترنسفاليين متشبعة من الاعتقاد
الدينى المتين. ذلك الاعتقاد الذى اظهر ويظهر المعجزات
ومن قرأ منشورات (كروجر) يراها كلها مبتدئة
ومختتمة باسم الخالق الذى عليه اعتماده. ومهما قال بعض
ادعياء الفلاسفة الحديثة فان هذا الاعتقاد وهذا الاعتماد يولدان

نفسها بل هي مفتقرة الى قوة عالية تهبط عليهما من لدن خالق السموات والارض وتهديها سواء السبيل

لذلك رأينا وزرى أصحاب العقائد السليمة والايمان الحى لا يخافون في الحياة شيئاً ولا يعرفون لليأس معنى بل يقضون العمر فى أشرف الاطوار ويجاهدون فى معارك الوجود بقلب قوى وعزم شديد

ولطالما ضربنا الامثال بالامم الحية التى عرنت أسرار الحياة وأدركت معنى العمران فأست مجدها على دعائم الدين وقامت بالدين . واننا كلما ذكرنا كلمتى الدين والعقيدة سمعنا بعض المارقين والمفسدين يقولون « هذا تعصب ذميم » . فما قولكم أيها المعتضون الضالون فيما كتبه المسيو (جان راهو) فى جريدة (الجلولا) الباريسية انصادرة فى ٢٠ يناير الجارى تحت عنوان (سر الانتصار) حيث قال مامؤداه :

« ان الضباط الذين أرسلتهم دول أوربا لمشاهدة حركات البوير وتقديم التقارير الوافية عن مهارتهم الحربية لا يرون شيئاً خطيراً أو أمراً استثنائياً فى أعمال الترنسفالين العسكرية



عاد أعداء البلاد الى مهاجمة المرحوم بآتهامه بالتعصب
لينفروا منه الاوربيين عموما ومسيحي مصر خصوصا وقد
استندوا في آتهامهم على ما يحض الناس عليه من اتباع أوامر
الدين الخفيف والتخلي عن غواية الشيطان الى غير ذلك من
وسائل النصح والزجر . فكتب مقالا ردا على هؤلاء الذين
آلوا على أنفسهم أن يحاربوا الفضيلة أينما وجدوها وقد نشره
اللواع في ٣١ يناير وهذا نصه :

﴿ الدين والوطنية ﴾

(عند الامم الحية)

كتبنا أكثر من مرة ان الدين هو الاساس الذي يبنى
عليه الاستقلال الصحيح والمجد الابدي وان الوطنية لا تكون
صادقة قوية شديدة الا اذا كانت ثمرة من ثمار التمسك بالدين
ونتيجة من نتائجه . لان النفس البشرية مهما ارتفعت وسمت
قاصرة عن أن تستمد كل القوة التي يحتاجها الانسان من

والذى أقترحه الآن على أبناء الوطن العزيز هو انشاء
مدرسة كبرى في ضواحي العاصمة يكون بها قسم ابتدائى
وقسم تجهيزى وقسم عال وقسم خاص بالفنون والصنائع .
وتكون كلها داخلية حتى يسير انتعلمون فيها على نظام واحد
ويتخرجوا على مبادئ واحدة بمعنى انها تكون على طراز
المدارس الكبرى في أوروبا

وقد قدرنا لتنفيذ هذه الفكرة مبلغا لا يقل عن عشرين
الف جنيه تجعل أسهماً وتوزع على الفضلاء والاغنياء من بنى
مصر . ومتى تم توزيعها وجمع المبلغ تحت يد رجل أمين ينتخب
المساهمون لجنة ادارية للمدرسة لتضع الخطة التى تجرى عليها
وتتفق مع أشهر المهندسين الوطنيين على بناء محلها بناء صحيحاً
فعمل كهذا يخدم به المصريون أنفسهم خدمات جليلة
ويهيئون به للمستقبل رجالاً أشداء يعرفون معنى الوطن
والوطنية ويبرهنون به على انهم قادرون على القيام بـعظام
الاعمال وانهم أهل لنيل الحرية والاستقلال

(مصطفى كامل)

والوطنية الحقيقية ولا تكتسب هذه الصفات العالية الا
بالتربية والتعليم

فالخدمة الصحيحة التي يجب علينا معاشر المصريين أن
نؤديها لوطننا العزيز وديننا الكريم هي انشاء المدارس الاهلية
ووضع نظمات مخصوصة لها وتغيير طريقة التعليم المتبعة
في مدارس الحكومة بمعنى ان اللغة العربية تكون هي الاساس
الاول لهذه المدارس الاهلية

نعم ان المصريين نهضوا في العام الماضي نهضة شريفة
وأسس الكثيرون من أبناء الشعب الغيورين عليه مدارس
أهلية سبقت مدارس الحكومة بمراحل في طريق التعليم
السليم والتربية القويمة . ولكننا لانزال في حاجة شديدة الى
مدارس أخرى . ولسنا أرى كغيري أن تنشأ من الآن
ادارة معارف أهلية لان ذلك المشروع يحتاج الى نفقات
هائلة واتعاب جسيمة ومتى تأسست مدارس أهلية مستقلة
ونمت وتقدمت يسهل بعدئذ ضمها تحت ادارة واحدة
وتوحيد طرق التدريس فيها

ليكونوا عبيداً لبريطانيا وخداماً لها طائعين وعمالاً خددينهم
الكريم ووطنهم الشريف عاملين
على ان امر تربية أبنائنا بانفسنا أمر هين لا يحتاج الى
تعب كبير ونصب عظيم . فآباء التلاميذ لو اجتمعوا واتحدوا
يستطيعون أن ينشئوا مدارس مستقلة تربي أبناءهم على مبادئ
الاسلام الطاهرة وأصوله الصحيحة وتعلمهم محبة الوطن
والتفاني في خدمته واعلاء شأنه وتعرفهم معنى هذه الحياة
وحقيقة المطالب التي يجب على الانسان أن يتطلبها منها
وترشدهم الى انه « خير للانسان أن يكون بلا حياة من أن
يكون بلا وطن »

ومما لا يختلف فيه أئنان أن المسئلة المصرية الحقيقية
ليست مسئلة الاحتلال البريطاني بل هي مسئلة تأخر الشعب
المصري وعدم شعوره بحقوقه الشرعية . فانه لو بقي متأخراً
جاهلاً وترك الانكليز مصر طوعاً او كرهاً لا يزول الخطر
المهدد لحياته بالمرة . لان الاسلحة التي تربيها الشعوب
هجمات الاعداء واعتداء الاجانب هي الاتحاد والشهامة

الحكومة تبذل الجهد الجهد في إيقاف تيار العلم والعرفان
وتبنى كل يوم بناء محكمًا لسد بحار المعارف وتحويل مجراها
عن مصر والمصريين . وكل يوم نسمع خبراً حديثاً وحديثاً
جديداً عن أعمال الانكليز في مدارس الحكومة وتنشئ
القائمين بأمر التعليم في أساليب منع أنوار العلوم عن المتعلمين
ولم يبق مصرى الا وعلم علم اليقين ان العقائد الدينية نفسها
أصبحت مهددة في مدارس الحكومة بفضل ابناء التاميز
وان علم التاريخ الذى يجب ان يكون دروس وطنية حقيقية
وفضائل صحيحة أصبح آلة سياسية في ايديهم يغرسون به في
نفوس الناشئين حب بريطانيا وكرهه الدولة العلية واحتقار
الوطن والوطنيين . فالى متى يرضى المصريون بهذه الحال
السيئة والى متى يسلمون اولادهم واعز الناس لديهم في الحياة
الى ايدي أعدائهم ؟ والى متى انصرف الاموال الباهظة في
خدمة بريطانيا ضد مصلحة وطننا العزيز ؟ لان ما يصرفه
المصريون على أبنائهم في مدارس الحكومة لا يصرف في
الحقيقة لمنفعتهم بل لريبتهم على المبادئ الانكليزية

عليها فلا خوف عليها ولا خطر على وجودها واستقلالها لانها ان وليت حاكماً عادلاً عاملاً على اعلاء شأنها سارت وراءه بكل جهدها واستجمعت كل قواها للنهوض نهضة كبرى . وان وليت حاكماً جهولاً محباً للفساد والمفاسد أسقطته من عرشه وسلمت زمامها الى من يحسن التصرف في أمورها

ولا ريب ان الشعب المصرى لا يبلغ ما بلغته شعوب الغرب من التقدم والارتقاء ولا يأخذ من الحياة الحقيقية نصيباً وفيراً الا اذا قام بنفسه ونهض بمحض ارادته وبقوة مجهوداته . يومئذ تدوم له الرفعة والسعادة ويدوم له المجد والاستقلال . والا فانه اذا اعتمد على الحكومة فى كل شىء وطالبها بتحقيق أمانيه فشقاؤه يكون أبدياً وذله يبقى سرمدياً وان السلم الذى يصعد به الشعب الى أعلى درجات المعالى ويدرك به أقصى مراتب السعادة الدنيوية هو العلم والتربية . فبهما تهى الأمة رجالاً يغارون عليها ويدافعون عن حقوقها ويثبتون فى خدمتها ويموتون فى سبيل مجدها . وانا نرى

أنى شئت ونسيء اليه ما استطاعت وهو لا يقدر معارضة أو
حرًا كآلانه اعتقد ورسخ في أذهان بنييه أنه آله في يد أفراد
يتصرفون فيه وفي مصالحه كما ترمى أهواؤهم وأنه ما خلق إلا
لأرءاء هؤلاء الافراد . وبقدر ما اشتهر المصريون بالباهة
الطبيعية والذكاء الفطري اشتهروا بالخضوع للحاكم وعدم
مخالفة الحكومة . فارتقاؤهم لا يكون إلا آية من آيات أمير
كبير على الهمة قوى الإرادة وتأخرهم إنما يكون نتيجة مظالم
حكم غشوم جائر ولذلك لم يق تجدد مصر القديم أثر لانه
زال مع الموجد له وقبر مع صاحبه . وهكذا حدثنا التاريخ
عن مصر في النصف الاول من هذا القرن فلما كانت قوية
خمة ترهب الدول وتباهى الامم ونراها اليوم تعمة شقية
ذليلة يرن صدى أبنائها في آذان الناس أجمعين

فهي تتقدم في سبيل الحضارة والاستقلال بطريق المصادفة
وتنزل من على مجدها الى حضيض ذلها بطريق المصادفة
ايضاً . وحياتها كلها تجري على هذا المنوال . أما الشعوب
التي عرفت حقوقها وأدركت سر وجودها وعلمت مالها وما

ما فيها من كد في العلم ورغبة في استطلاع خفايا التاريخ. وعلى أثر هذه الزيارة نصح الامة بمقال نشره اللواء في ٢٥ يناير سنة ١٩٠٠ هذا نصه :

— حياة الشعب بالشعب —

من الشعوب من يسلم زمام أموره الى حكومته ويجرى طوع ارادتها ومنها من يجعل للحكومة حداً محدوداً في السلطة والنفوذ ويراقبها مراقبة شديدة ان أحسنت كافأها وان أساءت قضى عليها . فشعوب الشرق من النوع الاول وشعوب الغرب من النوع الثاني . ولذلك كان الشرق في تأخر وانحطاط وكان الغرب في تقدم وارتقاء . لان الشعب هو في الحقيقة صاحب البلاد وسيدها وحارس الوطن من كل الأخطار وما الحكومة الا وكيل عنه تختار من نخبة أبنائه ومن أشدهم حرصاً على مصالحه

وقد قضى تاريخ مصر ان تنقلب الأوضاع فيها ويصير الشعب عبداً للحكومة وخادماً تسخره كيف تشاء وترسل به

الحكومة لاستخراج البترول— وطلبت شراء هذه الالات
فاشترتها بثمن بخس وسافرت الى جهة البرانيس وأخذت
تبحث عن البترول بكل أمان واطمئنان جاعلة مساكنها
المنازل التي شيدت فيها على نفقة الحكومة المصرية الكريمة
(وقد عاد الانكليز في السنة الماضية الى نفس العمل)

فهل بعد ذلك دليل على أن الانكليز في مصر يستخدمون
كل شيء لمصالحهم وأن مصالحنا تداس بالاقدام ؟ وهل يلام
المصري الوطني اذا تحسر وتألم واستنفض همم أبناء وطنه
ودعاهم للمطالبة بحقوقهم المقدسة وسألهم القيام بالواجب نحو
هذا الوطن الاسيف ؟

الهمم هبنا أفئدة حساسة وقلوباً صادقة وعقولا مدركة
وهما عالية ماضية لننقذ هذه البلاد العزيزة التي خلقتها جنة
الارض وبهجة العالمين (مصطفى كامل)



زار رحمه الله مع بعض أصدقائه كبار الساسة الوافدين
من أوروبا على مصر مدرسته في يوم الاربعاء ٢٤ يناير فاعجبهم

ان الحكومة — بايعاز السادة الانكليز — قررت من بضع سنين ارسال لجنة للبحث في جهة (البرانيس) على شاطئ البحر الاحمر عن البترول واستحضرت لذلك الآلات اللازمة من أوروبا وصرفت نحو الثلاثين الف جنيه لهذا الغرض وسافر المهندسون والباحثون — من الانكليز طبعاً — وشيدوا هنالك لهم منازل واقاموا نحو سنتين يوالون البحث والتنقيب ثم عادوا ومعهم البترول فظنت الحكومة انها وجدت كنزاً لا ينفى وانها أرشدت بفضل المحتلين الى مصدر الخير والسعادة ولسكنها نسيت أن الانكليز في مصر يعملون لانفسهم لا لها ولا بناء جلدتهم لا للمصريين . فان هؤلاء المهندسين الذين توصلوا الى ايجاد البترول قالوا يومئذ ان الكمية الموجودة منه في جهة البرانيس لا تعادل النفقات اللازمة للحصول عليه فبدلت الحكومة — اطاعة لشارتهم — عن استخراجهم ومضت الايام والسنون وهى لاهية عن الآلات النفيسة الثمينة التى اشترتها من انكلترا حتى جاءت شركة انكليزية — وأغلب أعضائها ممن كانوا أرسلوا على نفقة

الدفاع عنها والذود عن مصالحها وحقوقها الشرعية
(مصطفى كامل)

*
* *

وقد ثنى رحمه الله بمقال آخر في هذا الموضوع نشره
الأواء في ٢٤ يناير سنة ١٩٠٠ هذا نصه :

﴿ لمن يعمل الانكليز في مصر ﴾

كتبنا في عدد أمس فصلا تحت هذا العنوان أوضحنا
فيه حقيقة أغراض الانكليز من احتلال مصر واستسلام
الحكومة لهم استسلاما لا يرجي معه فائدة للامة المصرية
ونادينا ذوى الغرائم الصادقة من أبناء الوطن العزيز أن
يؤلفوا منهم لجنة تطالب بحقوق المجموع وتسمع صوتها
للعالمين

وقد ذكرنا أحد الفضلاء بمسألة تدل وحدها على أن
الانكليز يسخرون من المصريين ويتخذون الحكومة آلة
لاغراضهم غير حاسبين لاحد من أهل مصر حسابا. وذلك

وهبنا عقولا ندرك بها وعيوننا ننظر بها غير العقول والعيون
التي وهبها السادة الوزراء حتى يروا في خطة الانكايز الخير
والبركة لمصر والمصريين . أما نحن فعقولنا القاصرة لا ترشدنا
الا الى الحقيقة الواضحة التي لا يستطيع أحد نكرانها وهي
ان الانكايز يعملون في مصر لا أنفسهم ولا بناء جلدتهم ضدنا
وضد وطننا العزيز وانهم يستخدمون الحكومة لمصالحهم
دون مصالحنا

واذا كان هذا هو الحال في مصر وهذه الحكومة
لا تعمل شيئاً للمصريين فما واجبات الامة ؟ أنتظر رأفة من
قوم لا رأفة عندهم أم تنتظر خيراً ممن يرون الخير في
الاساءة اليها ؟

لقد أصبحت واجبات المصريين جليلة بينة امام اضطهاد
الحكومة والمحتلين معاً . فأقدس واجباتهم ان يختاروا لهم لجنة
تدافع عنهم وتبلغ أصواتهم الى مسامع العالمين حتى يقف
تيار المضامع الانكليزية عند حده ويعرف المحتلون ان في
الامة حياة وان لها احساساً حياً وأن في أبنائها من يستطيع

الانكليز في مصر تسليم هذه الديار الاسيفة لانباء جلدتهم
أم ترك ما بأيدي المصريين للمصريين ؟ واذا كان غرض
الانكليز سلب البلاد من أهلها أفلا يوجد بين وزراء مصر
رجل واحد له فؤاد يؤلمه وضمير يوبخه يقف مرة ويرفض
بيع الوطن والامة هذا البيع العلني ؟

الحكم ان مصر تفضل ان ترى الانكليز يطعنونها في
قوادها كل يوم من ان ترى انباءها الذين ربتهم خدمتها
واتخذتهم دروعا لها منيعة يكونون آلات للانكليز ضدها
وينقلبون خناجر في نحرها . لان أشد المصائب وقعاً على
النفوس ما جاء منها على يد من ينتظر منه الخير والبر . فاذا
كان وزراءنا يعتقدون انهم لا يستطيعون ضد الانكليز شيئاً
وانهم ليسوا الا منفذين لرغائب المحتلين فكيف يقبلون البقاء
في مراكزهم وكيف لا يجدونها عاراً لا خيراً ؟

والا فهل لا يزال وزراءنا يظنون ان الانكليز قوم
متمدنون يشفقون على مصر والمصريين وأن أعمالهم كلها
حسنات في حسنات ؟ لست أدري اذا كان الله سبحانه وتعالى

من أمراء الشرق وشعوبه بهذه الكلمات المزخرفة التي جرت
على ألسن الخطباء وأقلام الكتاب من ساسة أوروبا !

واننا نجد في تاريخ الاحتلال الانكليزي أمثلة كبيرة
على ان غرض المحتلين هو إماتة العواطف الحية والاستيلاء
على البلاد ونزع كل سلطة وكل ثروة من أيدي المصريين
وأقرب مثال يصح ذكره بل يجب التنبيه اليه هو مسألة الخليج
التي تكلمنا عنها بالأمس نقلاً عن جريدة الاجيبيسيان غازيت
لسان حال الاحتلال . فقد علم الخاص والعام ان الانكليز
أوعزوا الى الحكومة المصرية بوضع مشروع أمر عال يقضى
باعتبار المباني التي على جانبي الخليج من المنافع العمومية والتنازل
لشركة انكليزية عن حق شراء هذه المباني بعد تقدير أثمانها
تقديراً رسمياً كله اجحاف بالاهالي وتساهل للشركة
الانكليزية

فهل في هذا العمل الغريب شيء من المساعدة للمصريين ؟
وهل يمثل هذه الافعال يتربى المصريون على ادارة شؤون
بلادهم بأنفسهم وتباغ مصر مبالغ الأمم المتقدمة ؟ وهل وظيفة

كهذا الجيش ومالية منتظمة كهذه المالية ؟ » ولولا التاريخ
لقالوا انهم بنوا الاهرام وشييدوها تشييداً . ولكنهم اذا
حاسبوا أنفسهم باعتماد وتجرد عن كل هوى لوجدوا ان
عاصمة البلاد التي يفاخرونها بتنظيمها لم ينظم فيها الا حى
الاجانب . وان هذا الجيش العظيم الذى كان يحق لنا أن نفتخر
به قبلهم لم يسخر الا لخدمة بريطانيا دون غيرها . وان هذه
المالية المنتظمة لم تنظم الا لينال السادة الانكليز من المرتبات
مالا يناله أمير في بلاده !!!

وقد كنا نسمع سياسة الانكليز يقولون اذا سئلوا عن
ميعاد الجلاء : « لا يليق بشرفنا أن نترك مصر والسودان
منفصل عنها مهدد لها فى كل وقت » . فها هو السودان قد
تم فتحه باسم الخديو وبمال المصريين وبرجال مصر . فماذا
كان من أمر الانكليز معنا فيه ؟ هل تركوه لنا وتركونا له
وغادروا البلاد احتراماً لشرفهم وقياماً بالوفاء بوعودهم ؟ كلا
ثم كلا . ان الشرف فى سياسة الانكليز كلمة لا معنى لها بل
معناها التوصل الى استعباد الامم بأية وسيلة . وويل لمن يغتر



ما رأى صنائع المحتلين هذه المقالات الوطنية وهذه
النهضة المشكورة حتى أخذوا يحرقون الأرم ويضربون على
نعمات المأجور شكراً للآجر تلك النعمات التي يرتلونها كلما
عصب الخزي جباههم وبارت بضاعتهم إلا أنهم لا يمتنون
ظنوا أن السذاجة من خلاق المصريين والتغريب يحجب
الحقيقة عن بصائرهم فأطروا الانكليز وأعمالهم وذكروا
للمحتلين من الحسنات ما لم يذكره التاريخ للعمرين وهما أعدل
من سطر وأسبق من بنى وعمر . فكتب المترجم مقالا نشره
الأواء في ٢٣ يناير سنة ١٩٠٠ هذا نصه :

— ❧ لمن يعمل الانكليز في مصر ❧ —

طالما ادعى الانكليز وصنائعهم انهم احتلوا الديار المصرية
لاصلاح شؤونها وتربية أبنائها على حكم بلادهم بأنفسهم وكنا
كلنا طالبين بهذا الاصلاح أجابونا : « ألا فانظروا هل كانت
بلادكم بهذا الجمال وهذا البهاء ؟ هل كان لكم جيش منظم

تسليم هذه البلاد اليها فماذا كانت تعمل ؟ أكانت تستطيع أن
ان تسيء الى الديار المصرية أكثر مما أساءت ؟ وهل موقفنا
في مسألة السودان كان كموقف فرنسا في مسألة فشودة ؟
ولماذا تجتهد الحكومة الخديوية في التشبه بمن فشلوا في
أعمالهم وتولاهم اليأس والجبن ولا تكون كذلك القائد
الفرنساوى الذي حوصر مع عشرين جندياً في احدى قلاع
أسبانيا وسئل التسليم من المحاصرين له فاجابهم وقد فتد كل
حيلة في النجاة ! « انكم لا تسامون منا الا رصاصاً ثم رمماً »
يقصد بقوله هذا انه يحاربهم حتى يموت هو ومن معه ويكونوا
رمماً بالية

فهكذا تكون الشهامة الصحيحة وهكذا تكون الوطنية
الحقيقية. واننا معاشر المصريين ننضل أن نرى حكومتنا شديدة
الاباء عظيمة التمسك بالوطنية شريفة البادئ ولو قضى ذلك
بسقوط الف وزارة عن أن نراها على خلاف ما يجب والوزراء
في مناصبهم مؤبدون مخلدون

مصطفى كامل

فاذا كانت الحكومة الخديوية رأت أن بيع سكك حديد السودان مخالف لحقوق البلاد ولمصالح الامة والدولة فكيف لا ترى أن تسليم السودان للانكليز قضاء على مصر وعاليها ونسبها؟ وهل يصح لحكومة حرة غيورة على مصالحها عارفة بمبادئ الوطنية الحقيقية أن تعارض في بيع سكك حديدية وتقبل عن طيب خاطر التنازل للدولة البريطانية عن السودان كله وهو مصدر الحياة والوجود لمصر والمصريين؟ واذا كانت الحكومة الخديوية قد أفلحت في معارضة المحتلين في مسألة السكك السودانية فكيف يدعى أنصارها انها كانت مضطرة لمقد اتفاقية السودان؟

نعم انهم يقولون ان حادثة فشودة أثرت كثيراً في الحكومة المصرية وان منادياً نادى بين وزرائنا بان مصر ليست كفرنسا وانه اذا كانت هذه الدولة العظيمة خافت بريطانيا وأخلت فشوده بعد رفع رايته عليها فخير لمصر أن تترك حقوقها وبلادها للسادة المحتلين. ولكن اذا كن زارة مصر عارضوا الحكومة البريطانية في مسألة السودان وابوا

ولكن كيف يستطيع حضرات النظار أن يبرثوا أنفسهم اليوم وهم أشد تمسكاً بمناصبهم من (كروجر) بالانتصار على الانكليز . وقد سمعنا وزراء بريطانيا ينادون بأعلى أصواتهم أن الحكومة المصرية حرة في أعمالها مستقلة في كل أفعالها . أى انهم يقولون لنا معاشر المصريين « ما أصابكم من حسنة أو من سيئة فمن حكومة بلادكم »

على أننا لو رجعنا الى الحوادث القريبة العهد منا قبل اتفاقية السودان لو جدنا أن كل مشروع انكليزي عارض فيه سمو الخديوى المعظم وعضده بعض الوزراء في معارضته فانه لم ينفذ مطلقاً ألا يتذكر القراء الكرام مشروع سكك السودان ؟ فان الانكليز سألوا الحكومة الخديوية ان تباع هذه السكك لشركة انكليزية فأبى سمو الامير وأشييع وقتئذ أن بعض الوزراء معضد لسمود في معارضته . وقد تبودلت يومئذ الرسائل البرقية بين سمو الخديوى المعظم وجلالة مولانا السلطان الاعظم في هذا الامر ورأى الجناب العالى من لدن متبوعه تعصيماً قوياً علم به الخاص والعام

— كلمات في سبيل السودان —

كان أول الأُمس تذكار ذلك اليوم المشؤم الذي تضت فيه الحكومة الخديوية على سلطتها ونفوذها ومصالح أمتها وحقوقها المقدسة بعقد اتفاقية ١٩ يناير التي استولت انكساراً بمقتضاها على السودان استيلاء رسمياً . وقد ذكرنا أبناء الوطن العزيز بهذا التذكار ليكون السودان حاضراً في أذهانهم ولتتمثل حقوقهم الشرعية أمامهم في كل لحظة وأن

وقد اعترضنا أحد أنصار الوزارة الفهمية فقال « ما بالكُم تحملون على الوزراء في مسألة السودان وأنتم تعلمون أكثر من كل انسان أن الوزارة لا حول لها ولا قوة وانها مسوقة الى ذلك بقوة بريطانيا وتهديداتها » . فأجبناه « أن الامر بسيط فان الوزارة الفهمية اذا كانت تعمل ما تعمل مضطرة فما عليها الا أن تبريء نفسها أمام أميرها وأمام أمتها ووطنها وتستقيل من منصبها قائلة الموت أحب الى من القضاء على حقوق مولاي وحقوق أمتي » . عندئذ كنا نضرب بوزارتنا الامثال للناس في الشهامة وعزة النفس والوطنية

لديستور البلاد وفرمانات سلاطين آل عثمان ومعاهدات
الدول الأوربية . تذكروا معاشر المصريين ان فرنسا لم
تنس الالتزام والالتزمين الى اليوم وقد مضى على انفصالها
من جسمها ثلاثون عاما . وما حاجة فرنسا اليها كحاجة مصر
الى السودان

وما أذكركم بالسودان الا لتفكروا فيه صباح مساء
وتعتبروا الاتفاقية المشؤومة اتفاقية باطلة حتى يحىء اليوم
الذى تحققون فيه رغائبكم وتكون الحكومة طوع ارادتكم
وتصير كلمتكم في بلادكم هي الكلمة النافذة كغيركم من
الامم الحرة والشعوب الحية المستقلة

(مصطفى كامل)

*
* *

بعد ان ذكر السودان وما كلفنا من دماء وأموال قامت
صحف المحتلين كعادتها تذكر حسنات الانكليز الموهومة
مدافعة عن الوزارة الفهمية فكتب المترجم مقالا في لواء
٢١ يناير سنة ١٩٠٠ هذا نصه :

أجل . كان الامس تذكار المصيبة الكبرى والداھية
الدهاء التي أنزلھا وزراء مصر وساسة البريطان على أمتنا
الاسييفة من سماء عدائهم وانصافهم . فان كان لكم معاشر
المصريين شعور واحساس فتذكروا هذه الحادثة تذکر
الاحياء واعتقدوا ان حقوقكم في السودان ثابتة وان كل
المعاهدات والاتفاقيات لانمت هذه الحقوق أبدا . وعلموا
أبناءكم صغارا معنى هذه الحقوق المقدسة ليطلبوا بها كبارا
أو يحافظوا عليها ان وفقتم لاسترجاعها

تذكروا معاشر المصريین ان اخوتكم في الوطن والدين
أهريق دماؤهم العزيزة في سبيل استرداد السودان . تذکروا
معاشر المصريین ان أرض السودان رويت بدمائكم وصرفت
فيها أموالكم وسلمتكم أشد الرجال وأعز الابناء . تذکروا
معاشر المصريین ان مصر لا حياة لها بغير السودان وان القابض
على منابع النيل قابض على أرواحكم . تذکروا معاشر المصريین
ان ضیاع السودان ضیاع لمصر وانكم بغيره فاقدون
الحياة . تذکروا معاشر المصريین ان اتفاقية السودان مخالفة

وهذه أمتنا المصرية العزيزة لم تتم لها في هذا العصر
المنحوس سعادة ولم توفق الى عمل يرفعها الى مقام الأمم الحية
والشعوب المستقلة بل تضاعفت نوائبها وتعاقبت مصائبها وحلت
بها البلايا وتواترت أيام البؤس والشتاء في تاريخها فاذا تصفحت
هذا التاريخ وجدت بلاء في بلاء وشتاء في شتاء. ومما يزيد
الاسف ان هذه البلايا والرزايا لم تصب الامة من الجانب
عنها وحدهم بل أصابتها — على الخصوص — من خيانة
بعض ابنائها واهمال البعض الآخر

وان اكبر أيام الشقاء في تاريخ مصر وأسوأ تذكـار
يهيج في نفوس المصريين الاحرار الآلام والاشجان هو
يوم ١٩ يناير . يوم تذكـار انفاقية السودان . ذلك اليوم
المشؤوم الذي أعلنت فيه الحكومة الخديوية للامة المصرية
وللعالم كله ان السودان صار مستعمرة انكليزية بالفعل وان
المشاق الهائلة والانعاب الجسيمة والاموال الباهظة والدماء
الطاهرة التي بذلت في سبيل استرداده قدمت هدية من مصر
للدولة البريطانية. فما أعظمك يا مصر كرمًا واكبرك بلاء وهما!

الحجاج من أبناء بلادها وتخالف سنة المتقدمين والمتأخرين
وتضعف بنفسها قوة الدين الكريم !
(مصطفى كامل)



ما جاء يوم ١٩ يناير سنة ١٩٠٠ حتى كان قد مضى عام
على اتفاقية السودان فحقت على الوطنيين الذكرى وترديد
الآلام والعمل لبراء السقام . وقد كتب المترجم مقالا في هذا
الموضوع الهام هذا نصه :

﴿ يوم ١٩ يناير ﴾

لكل أمة من الأمم أيام في تاريخها تحتفل بها وتحييها لما تم
لها فيها من المجد والعز والرفعة وأيام تذكرها شقاءها وبؤسها
فتحزن فيها وتأخذ على نفسها العهود باصلاح ما فسدوا اعلاء شأن
ديارها وأوطانها . وكلما قات أيام ذكرى الحزن والحداد في
أمة قل مصابها وحسن حالها . وكلما كثرت أيام ذكرى النصر
والظفر والفخر كانت الأمة عالية الشأن رفيعة المقدار

فإذا كان هذا منتهى احترام حكومتنا السنية لعقيدة
الامة التي تسوس أمورها فكيف يطالبنا أصدقاؤها بمحبتها
والثناء عليها بل كيف يدعون أنها حكومة الحرية والعدل
والدستور ؟

ليت شعري اذا كانت حكومات العصور الاولى تقدر
الاديان تمديساً وتجلها اجلالاً وحكومات أوروبا المتمدينة
تخترمها أكبر احترام وتدافع عنها دفاعاً عن أرض بلادها
فعلى أى سنة تسير حكومتنا الجليلة فى أعمالها ؟ هل تقلد
حكومات الزمن الماضى أم نقضى بحكومات أوروبا الحالية ؟
فان كانت كحكومات العصور الاولى فأقدس واجباتها اجلال
الدين الإسلامى واعزازه وان كانت نقضى بحكومات المدن
الحديث وبالحكومة الانكليزية بصفة خاصة فلا يليق بها أن
تجاهل مبادئ هذه الحكومات التي تسير جيوشها فى
ظروف كثيرة للأخذ بثأر قسيس أو مبعوث دينى
فمن العار الكبير على حكومة مصر أن تعرقل طريق

ان يأخذوا الجوازات من البلد المقيمين فيه ليكونوا تحت رحمة
سلطانها اذا شاءت سافروا وان لم تشأ أقاموا آسفين ؟ أما
ضيقنا على الشركة المخصوصة العثمانية لتجبر الحجاج على ان
يسافروا في مراكز الشركة الخديوية الانكليزية ؟ أما جعلت
ديدنها تعيين ذوي الاخلاق السافلة من اليونانيين وغيرهم في
المحاجر الصحية لياؤف الحجاج من الحج نفسه ويأبوا القيام
بعد ذلك بفريضته وهى من أقدس الواجبات ؟

انى لا أجد لأعمال حكومتنا فى مسألة الحج تفسيراً
معقولاً أو مقبولاً . وان كان لرجالها الادناء العاديين نصراء
يستطيعون الدفاع عنهم فليردوا علينا وليقدموا حججهم حتى
نعدل عن الاحتجاج عليهم فى أعمالهم ونفهم حقيقة مقاصدهم !!
على اننا لم ننس ان وزراء مصر الاسيئة سعوا فى ابطال
الحج الشريف منذ عامين حيث قامت قيامة الرأى العام واستغاث
الناس بسمو الامير فلبى نداءهم وسمع استغاثتهم وأصغى الى
صوت ضميره فأبطل قرار وزارته وسبح بالحج محترماً فى
ذلك الشريعة والامة والوطن

ومن تجول في بلاد أوربا وخبر أحوالها واختبر أمورها
يعلم أنها أقل اعتدالا من بلاد مصر وإن حكوماتها لا تترك
العنان لأصحاب الأديان المخالفة لدينها . ولذلك كان يحق
للمصريين أن يفتخروا بما نشأوا عليه من مبادئ الاعتدال
مع تمسكهم الشديد بدينهم الذي لا يحولهم عنه أفصح المبعوثين
لساناً وأحسنهم بياناً

وقد اعتادت الحكومة المصرية من عهد بعيد أن تحسن
إلى الغرباء بنوع عام وإلى المسيحيين منهم بنوع خاص . ولم
تجد من الأمة أقل ملام على ذلك . وإسكنها تجاوزت الحدود
فأصبحت لا تحفل بالدين الإسلامي الذي هو دين السلطان
والأمير ودين الأمة والبلاد فتجدها تضيق على المسلمين
في أمورهم الدينية وواجباتهم الإسلامية وتعمل ما في استطاعتها
لقتل أشرف عواطفهم وأقدس احساساتهم

ألا تراها تبذل الجهد غاية الجهد في منع الحجاج من
السفر إلى أرض الحجاز الطاهرة وتأتي كل يوم حيلة لهذا
الغرض ؟ أما كلفتهم بالضمانات المدهشة واشترطت عليهم

شئ من التعصب الدينى أو من المخالفة للمبادئ الوطنية الحقيقية . بل ان التمسك بالدين يدعو للتمسك بالوطن .
وحسبنا دليلا « حب الوطن من الايمان »

(مصطفى كامل)

*
* *

عاد رحمه الله الى مسألة الحج واحترام الاديان فكتب
فصلا في لواء ١٨ يناير سنة ١٩٠٠ هذا نصه :

﴿ احترام الاديان في مصر ﴾

امتازت مصر دون غيرها من بلاد العالم بالاعتدال
الدينى والتسامح العظيم وجرت فى ذلك عملا بما أمرت به
الشريعة السمحة واتبعا خطة الدولة العلية مع رعاياها
المسيحيين . ففتحت واسع أبوابها للغربيين على اختلاف مللهم
وتركت للجميع حرية أديانهم وبالغت فى الاعتدال فسمحت
للبعثات الدينية المسيحية بسكنى الديار والدعوة الى الدين
والسفر الى أقصى جهات السودان والتنقل من بلد الى بلد
بكمال الامان والاطمئنان

وحدها داعية لاستنهاض همم المسلمين في كل أنحاء الارض
ودعوتهم للاتحاد والاتفاق وترقية شؤونهم واءلاء قدر الدين
الكريم؟

هذا واجبنا الديني نصرح به امام الملاء ولا نخشى في
ذلك أحداً. أما واجبنا الوطني فهو العمل باتحاد تام بين
المسلمين والاقباط وغيرهم ممن صارت مصر وطناً لهم لخدمة
هذه الديار العزيزة والسعى وراء استقلالها وحريتها ولم نجاهر
بغير ذلك طول حياتنا بل اننا جاهرنا بأن المسلمين والاقباط
في مصر أمة واحدة وان الدم الذي يجري في عروق أغلب
مسلمى مصر هو بنفسه الدم الذي يجري في عروق الاقباط
والى هذا تنتهى الدعوة للاتحاد الجنسى والاتفاق الوطنى .
فاذا كان بعض السذج والبسطاء لا يفهمون القول الصريح
فليعلموا اننا نقصد قبل كل شىء اتحاد المصريين بصفتهم أمة
لها وطن ويجب عايتها خدمته ونصرتة . وهذا لا ينافى نداءنا
الاسلامى وعملنا لاءلاء شأن ديننا الكريم

وليس فى خدمة الاسلام او الدعوة لاتحاد المسلمين

عظيم هو المسلمون . وعلينا واجبان عظيمان واجب ديني وواجب وطني . فالواجب الديني يحتم على الاقباط أن يحافظوا على عقيدتهم أشد المحافظة ويدافعوا عنها أقوى الدفاع . ولا ملامة عليهم اذا عطفوا على اخوانهم في الدين والعقيدة . والواجب الديني يحتم على المسلمين أن يرجعوا الى مبادئ الاسلام الصحيحة ويعملوا باوامر الدين الحنيف الكريم ويجتنبوا نواهيه ويتحدوا فيما بينهم اتحاداً متيناً اكيراً حتى يرتفع شأنهم وتسمو بين الامم مكانتهم . ولا ملامة اذا عطفوا بكل جوارحهم على اخوانهم المسلمين في سائر المعمور لان الاسلام جعل المسلمين اخوة بالرغم من اختلاف النحل والبلاد . واذا أضفنا الى الرابطة الدينية اتحاد المصالح السياسية واضطراد أوربالنا بصفة واحدة وشكل واحد ولعلة واحدة ظهر لنا ضرورة اجتماع كلمة المسلمين وعرف الناس جميعاً لماذا نادى بالاتحاد الاسلامي ! ألا ترى أن الذين يطعنون على الاسلام يتهمونه بأنه دين التأخر والانحطاط وأن جميع أبنائه متأخرون منحطون ؟ أليست هذه التهمة

من رأى عاصمة انكلترا في أيام الاحد عرف مقدار تمسك
الانكليز بدينهم واستمجانهم لكل من ليس على شاكلتهم
وكل من يقرأ كتابات كبار الكتاب الان ويطلع على أشعار
خول الشعراء يدرك ان الذين كانوا ينكرون الدين وقوته
في أوربا أصبحوا اليوم دعاة له ونصراء

فاذا كان الغربيون وهم أساتذتنا الذين تشبهنا بهم في
أمور عديدة يجلون الدين هذا الاجلال ويعتبرونه أساساً
للمدنية والعمران فلماذا لا نكون مثلهم ولماذا لا نتمسك بديننا
في السر والظهر وهو دين الفضائل والمكارم والهدى ؟ واذا
كان الغربيون يعتقدون أن الدين أساس السياسة فكيف
يقوم بيننا من يدعى أن الدين شيء والسياسة شيء آخر ؟
واذا كانت القاعدة الفلسفية التي لا ريب فيها هي أن التمسك
بالدين والوطن سبب ارتقاء الامم وعدم التمسك بهما علة
انحطاطها . فلماذا لا نتمسك بهما التمسك الشديد المتين وقد
ابتدأنا نعمل لارتقاء بلادنا واعلاء شأن امتنا ؟

نحن في مصر أمة مشتركة جزء منا هو الاقباط وجزء

احتراما لادينهم وان العقائد عندهم مقدسة لا يمكن مساسها
وفي تاريخ هذا العصر براهين جمة تؤيد ذلك . وما
تصفح أحد تاريخ علاقات أوروبا بالدولة العلية الا ورأى ان
الجهاد بين دولتنا المحبوبة ودول الغرب جهاد ديني وان
الدين هو أساس سياسة الاوروبيين مع الشرقيين . ولم ينس
أحد منا مقاله جهازاً سفير انكلترا في الاسـتانة العلية أمام
سفراء الدول الاخرى ووزير خارجية جلالة مرلانا السلطان
الاعظم من ان « ماأخذ من الهلال لايرد الى الهلال » .
كذلك نعلم كلنا علم اليقين ان دول أوروبا مع اختلاف
مشاربها وتباين أغراضها ومصالحها تنحد كلها اذا أصيب
مسيحي في الشرق أو في أقصى بقاع الارض بمصيبة وتعمل
لانتقاده والاخذ بشاره . أليس ذلك كله دليلاً على ان الدين
هو أساس السياسة ؟ وكما ان الدين يقود أوروبا في سياستها
مع الشرقيين فانه يقود أفراد الاوروبيين في أعمالهم الذاتية
ولا عبرة بما يراه السائح في عواصم أوروبا من التهلكة والاحاد
فان أهل الارياف كلهم متدينون شديداً الاعتقاد . وكل

مجادلة سياسية وغير سياسية فكتب رحمه الله فصلا في لواء
١٥ رمضان سنة ١٣١٧ هذا نصه:

﴿ رابطة الدين و رابطة الوطن ﴾

لكل أمة حية واجبان عظيمان واجب نحو دينها وعقيدها
وواجب نحو وطنها وأرض آبائها . وكلما ارتقت الامة في
مدارج العرفان والكمال وتقدمت في سبيل المدنية والعمران
اشتد اجلالها لدينها ووطنها وعظم تعلقها بعقيدها وبلادها .
وبالعكس كلما نزلت الامة من على مجدها الى حضيض مقامها
وانحطت عن غيرها قل اجلالها للوطن والوطنية وضعف
تمسكها بالعقيدة الدينية

وهذه أمم الغرب بلغت من المدنية أقصى ما تبلغه الامم
بفضل تمسكها بأوطانها التمسك الشديد وتفانيها في محبتها
والدفاع عن استقلالها . وقد كان الكثيرون من أبناء الشرق
يظنون ان المدنية الغربية لا تعلم أبناءها الاحبة الوطن وانها
بعيدة عن الدين ومبادئه فنبذوا مبادئ دينهم القويم تشبها
بأهل الغرب وجعلوا ان الاوربيين هم أشد بنى الانسان

فلماذا هذه الحيرة ولماذا هذا الاضطراب ؟ هل مصر
بحق شرفكم يامعاشر الانكليز محتاجة لجيش يحميها ؟ وهل
الامن فيها مهدد من أحد ؟ وهل جنودكم في بلادنا وظيفه
حقيقية ؟ واذا كانت مصر محتاجة لمن يحرسها ويحفظ الامن
فيها أليست جنودها وأبنائها أحق بهذا الواجب من جيشكم
ومن جيش الطليان ؟

انى أعتقد أن اكبر اهانة أهينت بهامصر فى أدوار تاريخها
هى ان يمثلها الانكليز طائفة لاحارس لها من أنماها تترك
وديعة عند هذا أو ذاك . فالى متى هذا الهوان وهذا الشقاء ؟
ومتى يعرف المصريون مقام الوطن المحبوب ويعملون باتحاد
لنصرته فيجبروا العالم بأسره على احترامه واحترامهم ؟
(مصطفى كامل)



دارت رحى المناقشة بين الوطنيين الصادقين على صفحات
الجرائد الوطنية في علاقة الرابطة الدينية بالرابطة الوطنية وما
يتهمنا به الخصوم من التعصب للذميم لذكرنا كلمة الدين فى كل

أحسن جيوش العالم ومتى حانت الفرصة استغنى به عن جيش الاحتلال . فهل لم تحن الفرصة بعد مضي ثمانية عشر عاماً على هذا الاحتلال الثقيل ؟ وإذا كان الجيش المصري قام في السودان بهذه الأعمال العظيمة التي يعجز عن القيام بها غيره من جيوش الدول فهل يجوز يا أبناء الثاميز أن تقابلوا حسناته بالسيئات وتكافئوه بسوء الظن والحذر الشديد ؟ أليس ما كنتم تقولونه في مبدإ احتلالكم وما كنتم تجاهرون به أمام أوروبا وأمام الناس جميعاً تمويهاً في تمويه وتضليلاً في تضليل تأتينا الجرائد الأوروبية كل يوم نبأً جديداً بشأن الارتباك العظيم التي وقعت فيها بريطانيا بفضل البوير ونقرأ فيها من الأخبار ما يدهش العقلاء . فتارة نقرأ أنها استغاثت بتركيا وسألها محالقتها مخالفة دفاعية هجومية وطوراً نقرأ أنها تتخابر مع إيطاليا في أمر إرسال جنود ايطالية الى مصر لتحملها مكان الجنود الانكليزية التي عازمت على إرسالها الى هذه الهاوية (الترنسفال) التي لا نهاية لها والتي أصبح اسمها ورداً على السنة العالمين

السودان ودكت أركان المملكة المهدوية وفاخرتنا وفاخرت
العالم كله بجنود مصر الاعزاء

وكنا نظن أن تفاخرها به هذا الجيش يحملها على الثقة
به والاعتماد عليه . ولما قامت الحرب بينها وبين الترнсفال
وأشيع أنها مضطرة الى أخذ عساكر جيش الاحتلال من
مصر وارسالهم الى افريقية الجنوبية قلنا : « قد حان الوقت
الذي تستطيع فيه انكثرا ان تكافئ هذا الجيش المصرى
الجميل وتبرهن على تمام ثقتها به بتدعيمه البلاد تحت القيادة
العامّة لسمو الامير واحلاله محل الجيش المحتل » . ولكننا
أحسننا الظن بالانكايىز فوق ما يجب وحسبنا ان حوادث
الترنسفال تغير من سياستهم نحو المصريين وتفهمهم أن معاملة
هذه الامة بالقسوة والشدة والاستمرار فى الاساءة اليها يضر
بالانكايىز ضرراً ليس لهم على بال ويجعلهم دائماً فى مصر غير
آمنين

وقد كان الانكايىز وصنائعهم فى البلاد يطنبون فى مدح
الاحتلال وفوائده ويقولون ان الجيش المصرى أصبح من



لما اشتد لهيب الحرب الترنسفالية ودارت الدائرة على الانكليز في وقائع عدة أخذت الجرائد الاوربية الكبرى تشيع اشاعات مختلفة كلها تدور حول ارسال الجيش المصرى الى الحرب أو استبدال الجنود البريطانية فى وادى النيل بجنود ايطالية او محالفة انكلترا تركيا وغير ذلك من الاقوال التى كل ما فيها الحط من كرامة انجلترا وتمثيلها للعالم بالضعيفة الجانب المرتبكة فى أمرها ازاء ليوث جنوب افريقية
 رقد كتب المرحوم فصلا بهذه المناسبة نشره اللواء فى
 ١٥ يناير سنة ١٩٠٠ هذا نصه :

﴿ أعمال الانكليز فى مصر ﴾

احتلت انكلترا مصر من نحو ثمانية عشر عاماً بدعوى
 ترقية شؤونها واصلاح أحوالها. وجمعت همها الاول الجيش
 المصرى فعينت له القواد من أبناءها وغيرت نظاماته تغييراً
 كلياً وانتخبت له من بنى مصر ضباطاً كما شاءت سياستها
 واقتضت أهواؤها. وقد استردت به هذا الجيش العظيم بلاد

نهضة كبرى . هذا ما اعتقده في السر وفي الجهر . أما ما ينادى به أعداء المصريين من تغير سياسة الأمير فهو نداء العدو المتفنن في ضروب الشاة العامل لتنفيذ الرعية من الراعى لانهم يعلمون حق العلم أن المصريين جميعاً ساخطون على الاحتلال والمحتلين بريئون من الذين يعضدون الاجنبى مهما ارتفع مقامهم وسمت مراكزهم . فاتهمهم أشرف المصريين احساساً وأرقى الامراء أميالا بأنه مع المحتلين على مصر والمصريين تهمة شذاعة ودسياسة تصغر بجانبها كل الدسائس

ومن العجيب أن هؤلاء الدخلاء يتظاهرون اليوم بالاخلاص لسمو الأمير فبئس الاخلاص اخلاصهم وبئس الولاء ولاؤهم وويل لمن يغتر بأقوالهم ويصغى لدسائسهم ووشاياتهم فانه يكون آلة لهم ضد الامة وضد الوطن المحبوب (مصطفى كامل)

والايام جرت ضد رغبته وأتت على خلاف مطلبه فله العذ
المعظم أمام الوطن وأمام التاريخ

وان أميراً هذه عواطفه وهذه سياسته لا يصدق

انه يذل نفسه لاعدائه وأعداء بلاده ويستبدل سياسة الشرف

والاباء بسياسة الاستسلام والهوان. ولعمري ان أكبر سبب

يسبب بها أمير كسمو أميرنا هي أن يقال عنه انه صديق

للمحتلين وانه أصبح لا يتألم لآلام أمته ولا يؤمل ما تؤمل

بلاده. والا فكيف يكون الأمير رفيع الاحساس طاهر

النفس عالي الهممة ساني الوطنية ثم يقبل المذلة صاغراً؟ وهل

يقبل عند ذوى العقول السليمة ان أميراً ينادى امام الناس

كافة بأن الموت أحب اليه من ضياع حقوقه ينسى تصريحات

العلمية ويخالف أقواله الجهرية ويعمل ضد شعور و ضد أمياله

الحقيقية ؟

لا جرم أن الحقيقة التي لا ريب فيها هي أن سمو

الامير على هذه الاول وأن مبادئه اليوم هي مبادئه بالاسر

وانه كالاسد يركن الآن الى السكون ليجمع قواه وينهض

الوطن العزيز واستمضنا همهم العالية للأخذ بناصر هذه
البلاد التسعة دعونا هم للاتحاد حول الأريكة الخديوية والاجتماع
على محبة سمو الأمير صاحب السلطنة الشرعية في مصر والنائب
الوحيد عن جلالة مولانا السلطان الأعظم . ولم يكن احترامنا
لهذا المقام السامي وحبنا لشخص العباس مؤسسين على التعلق
بالأمير أيا كان والاخلاص لهذه الأريكة من حيث هي أريكة
بل اننا جاهرنا ونجاهر غير خائفين في الحق لومة لائم ان
شمائل الأمير وأمياله الشريفة نحو بلاده وأمتة هي التي استمات
قلوبنا اليه وجمعتنا حول كرسية وهي التي نضحي لاجلها
أرواحنا مادام الأمير بهذه الشمائل وهذه الاميال السامية

كيف لا وقد دوت مصر من مشارقها الى مغاربها ومن
شمالها الى جنوبها بكلمة العباس حيث قال عام ١٨٩٣ على
مسمع من الملأ كله : « انى أفضل أن أموت عن أن أفقد
حقوقى وحقوق بلادى » فالسياسة التي اختطها سمو الأمير
هى سياسة الشرف والاباء . سياسة العزة وعلو الهمة . سياسة
الوطنية الصادقة . سياسة عظماء الرجال . واذا كانت الحوادث

بهذه الترهات بل ساروا في طريقهم الوطنى المرسوم رغم أنف هؤلاء الضالين المضلين . وقد كتب رحمه الله فصلا فى هذا الموضوع نشره اللواء فى ١٤ يناير سنة ١٩٠٠ هذا نصه :

﴿ سياسة الشرف والاباء ﴾

أخذت احدى جرائد الاحتلال منذ بضعة أيام تسمعنا صباح مساء انها أصدق الصحف للاريفة الخديوية وان سمو العزيز عدل عن سياسته الاولى ورأى ان سياسة الاتفاق مع المحتلين هي السياسة القويمة الصالحة للملكه وبلاده . ونولا ان مصر أرض العجائب والغرائب ما كنا سمعنا اناس يتحدثون بأقوال كهذه صادرة عن قلوب كلها حقد وغرض . ولكننا نعيش فى بلد تفعل الاشاعات والاكاذيب فيه مالا تفعله فى بلد آخر . فوظيفة الصحافى الصادق فى مصر هى قبل كل شئ القضاء على الدسائس والاشاعات الكاذبة التى يدسها ويشيعها أعداء الامة والوطن

ويعلم أبناء مصر جميعاً اننا من أول يوم نادينا فيه بحقوق



كانت الحرب قائمة في هذا التاريخ بين البوير والانكليز
وتمددت انتصارات الاولين على الآخرين مما دهش له
العالم بأسره وزاد إعجابه بأمة ليس لديها من العدد والعدد ما يباع
شظراً من مائتين من أمة الانكليز — وقد انهز المرحوم
نصر هذه الأمة الصغيرة عدداً الكبيرة فؤاداً على خصوم
بلاده وسألي نعمتها واستقلالها فأخذ يتخير الانباء التي تبرق
لها اسرة الأمة بأسرها وينشر آراء الساسة في نتيجة هذه
الحرب حتى كاد خصومنا واذنابهم يتميزون غيظاً ولم يجدوا
وسيلة للرد عليه غير تشهيرهم به وبعمله واختلاق الكذب
والبهتان

ولما كان المحتلون يعتقدون أن الحرك للشعور الوطني
هو سمو الخديو وأن المترجم صنيعه من صنائعه أرادوا ان
يجرجوا الانفس بما احتلقوه على سموه مدعين أنه صافي
الانكليز وأخذ يعمل بالاتفاق معهم خدمة لبلاده وحباً في
خير أمته . ولكن المرحوم وجميع الوصنيين المخلصين لم يكثرثوا

السؤال وتدعى أنها قررت قرارها الاخير لمنع الفقراء من
السفر الى الاراضى الشريفة . ولكن أليس الاجدر
بها أن تترك للحجاج حريتهم فى السفر والاياب وأن تكفى
بانذارهم بعدم مساعدة المحتاجين منهم ؟ أما أن حكومة
بلادنا أن تعتقد انها وكيلة عن الامة وان الوكيل يجب عليه
خدمة موكله خدمة صادقة ؟

على انه اذا كانت مهمة الصحف فى كل البلاد تنبيه
الامة ومراقبة الحكومة فنحن نكون مقصرين فى واجباتنا
نحو الوطن والامة ونحو الحكومة نفسها اذا لم نرفع صوتنا
فى مسألة هى من أهم المسائل الحيوية لمصر والمصريين . واننا
ندعو أصحاب الاقلام فى مصر الى الكتابة فى هذا
الموضوع الخطير عسى أن الحكومة ترجع عن قرارها وتصلح
خداها وتستحق شكر الامة والبلاد

(مصنفى كامل)

فاذا كانت الحكومة المصرية في عام ١٨٨٨ تحترم الحرية الشخصية هذا الاحترام وتستجيب التضيق على المسافرين عموماً وعلى الحاجاج خصوصاً فكيف يليق بالحكومة المصرية في عام ١٩٠٠ ان تستحسن ما استهجنته منذ اثني عشر عاماً وترجع بالحرية وبالأمة الى اراء ؟ نعم ان اوزارة التي كانت قابضة على أزمة الامور في عام ١٨٨٨ ليست وزارة اليوم ولكن الوزارات كلها متضامنة في أعمالها والحكومة واحدة لا تتغير . وويل ثم ويل لبلاد لا هم للوزارة فيها الا تبديل قرارات الوزارات السابقة لها واذا سئلنا عن سبب اعتداء الحكومة على الحرية الشخصية في مسألة الحج لا جبننا بكل صراحة وبدون تردد أن حكومتنا العادلة ترى أن زمن التدين قد فات وان الاجدر بالحجاج أن يسافروا الى لوندرة بدلاً من أن يسافروا الى الحجاز والا فليس لاعتدائها على حرية الحجاج تفسير آخر !

نحن نسمعها تشكو من الحجاج الذين يدون اليها يد

« بالجلسة المنعقدة في يوم الخميس ٧ محرم سنة ١٣٠٦
(١٣ سبتمبر سنة ١٨١٨) تليت المذكرة المقدمة من نظارة
الداخلية المتضمنة أن العادة الجارية الآن بالنسبة لمن يريدون
السفر الى خارج القطر هي أن الذوات المشاعير بل أو واسط
الناس مجبورون على طلب رخصة السفر بواسطة المديريات
والمحافظات والاستئذان عن ذلك من نظارة الداخلية وأن
غيرهم من سائر الناس حتى الحجاج يكلفون بتقديم ضمانات
وبالمدولة في ذلك رؤى أن كل انسان حر في أن
يتوجه محل ما يريد وليس هنالك وجه يلزم أحداً بطلب
رخصة أو تقديم ضمانة عند احتياجه للسفر خارج القطر وان
لا فائدة في ذلك سوى تعطيل الناس والزامهم بما لا يلزم
واشغال جهات الادارة بأمر لا طائل تيمته فلذلك تقرر أنه من
الآن فصاعداً تعتبر تلك الناعدة ملغاة بالكلية وان الذين
يريدون السفر خارج القطر لا يكلفون الا بأخذ البسابورت
المعتاد بدون ضمانة وكذلك الحجاج يأخذون تذاكر الحج
بدون ضمانة ولزم تحريره لا جراء مقتضى ما تقرر »

تشاء . أما في مصر فأول مبادئ حكومتنا العادلة احتقار المصريين وعدم الاهتمام بمطالبهم

واسنأ في حاجة لأن نقيم الدليل على هذا وقد رأينا الحكومة في ظروف عدة تسخر من رأى مجلس الشورى نفسه وتعقد جهازاً عقوداً مخالفة لمصلحة الأمة والبلاد . وهى تعلم مع ذلك علم اليقين ان أعمالها هذه تقابل من الأمة بمزيد الاستياء ولكنها في واد والأمة في واد

والآن علم المصريون جميعاً بما قرره الحكومة في مسألة الحج الشريف وكيف انها خالفت في قرارها الاخير مبادئ العدل الصحيح واعتدت على الحرية الشخصية شر اعتداء . ولكي يعلم الناس كافة أن حكومة مصر تسير الى الوراء وان ما تقرره من مبادئ الحرية بالامس تبطله اليوم ننشر لقرائنا الكرام صورة قرار صدر من مجلس النظار وباغ الى نظارة الداخلية في ١١ محرم سنة ١٣٠٦ الموافق ١٧ سبتمبر سنة ١٨٨٨ في موضوع الحج الشريف والسفر الى خارج القطر . هذا نصه :

﴿ اعتداء الحكومة على الامة ﴾

(في مصر)

تفتخر الحكومة المصرية بانها حكومة العدل والحرية
والدستور وأنه قلّ أن توجد في اوربا نفسها حكومة بمبادئها
الحرّة الطاهرة ونحن معاشر المصريين نسركثيراً ونفتخر
اكثر منها لو رأيناها حرّة في الاقوال والافعال عادلة مع
الكبير والصغير دستورية في صغار الامور وكبارها لان
اكبر نخار الامم هو انتظام أعمال حكوماتها وسيرها على
محور الاستقامة والاستقلال

ولكن اذا كانت حكومات الامم المتمدنة دستورية
قولاً وفعلاً فنصيب مصر من الدستور هو نصيبها من
الاستقلال . فالحكومات الاخرى تحترم رغائب الشعب
احتراماً ليس بعده احترام وتقّس مطالب الأمة أي
تقدّس لانها عارفة أن الأمة هي صاحبة البلاد وسيدة
المللّة وانها ترفع من تشاء الى منصّة الاحكام وتنزل من

ان لم تبذل الفاتحين لها قدفت بهم الى خارجها . ويظهر لي
انها محروسة بأرواح أبناءها القدماء وأن في أرض بلادكم سرّاً
جعلها ويجعلها مقدسة للناس أجمعين

وانكم لو أردتم معاشر المصريين ان تكون مصر من
أكبر الأمم وأعظمها لكانت كما تشاؤون

الف تحية والف سلام (لواء الرسول) ! ليكن أو اؤك
يا مصطفى أول عامل للتقرب بين أبناء الدين الحمدي الصحيح
وبين أبناء الدين المسيحي الصحيح . وما ذلك بعسير . وان هذا
التقرب يكون أكبر خدوة في تاريخ الإنسانية والتمدن
هذا وتقبل ايها الصديق الشاب أحسن تحياتي وأجل تسليماتي
نيس في ٥ يناير (چوليت آدم)



وقد كتب رحمه الله بمناسبة مسألة القيود التي وضعها
الحكومة في طريق الحج الشريف مقالا آخر نشره اللواء
في ١٣ يناير سنة ١٩٠٠ هذا نصه :

« صديق الشاب

اسمح لى أن أعرب لك عن الدعوات الصادرة التى
أرفعها الى السماء ليهبك الله من لدنه صحة ومجداً وقوة فى
جهادك الشريف ضد أعداء بلادك . وانى منشرحة الصدر
جداً لما علمته من انك ستنشئ جريدة سياسية . لان ذخائر
الخطابة والصحافة لازمة لكل المجاهدين فى ميادين السياسة
وانى أتبنى لمدرستك النجاح الذى أبتغيه . ويسرنى
ان أراها فى زمن يسير كبيرة ملائمة بالانلاميد بالغة مبلغاً
محموداً . وان الذى يكون للوطن رجالاً يحبونه يخرج فى
الحقيقة من أرض الوطن نفسه ثمراتها التى تهب الامم كلها
القوة والعافية والحياة

وانى أهنيك أصدق تهنئة على نجاحك الخطابى العظيم
وأرانى غير محتاجة لارأعرفك رأيى فى اعمالك الوطنية فانت عالم
بها علم اليقين . وانى لو استطعت ان اشرح لك افكارى بشأن
بلادك البديعة لوجدت فيها مايملاء الفؤاد أملاً وثقة بالمستقبل
فقد كانت مصر دائماً آنة الدول الطاغية واثبت التاريخ انها

ترمي كلها الى أغراض متباينة تجمعها كلمة مصر و حياة الوطن؛
من ذلك انه عند مظهر اللواء أرسل كتابا الى الكتابة
الكبيرة ذات المقامى الساي والسطوة النافذة والبيت
العريق فى المجد مدام آدم الفرنسية العظيمة وقد قال فى هذا
الكتاب ما تعريبه :

« سيدتى المبحلة »

انى أعمل الآن كثيراً وأمل أن يصير اللواء أول
جريدة فى الشرق فانى أريد له أن يكون فى وقت واحد
عاملا للوطنية المصرية وواسطة بين العالم الاوربى والعالم
المصرى . ولهذا رجوت منك أن تكسبى لنا بين آن وأن
مواعظ وطنية مما جرى فى أيامك أو فى سطور التاريخ وأن
تسأل كل اصدقائك أن يعتبروا جريدتى جريدتهم فى بلد
اسلامى وأن يرسلوها

إن المصريين جميعاً مرتاحون لقيامى بأصدار جريدة
اهلية الصبغة وطنية المشرب »

فردت عليه مدام آدم بكتاب هذا تعريبه :

واني طالما سمعت من أصدقاء وزرائنا أننا نعارض
الحكومة بحق وبغير حق . فهل لهم ان ينصفونا الآن
ويعترفوا بان عمل الحكومة في مسألة الحج الشريف عمل
جائر لا يليق صدوره من حكومة حرة تحترم نفسها وتحترم أمتها !
على انى أول الذين يصنفون للحكومة لو عملت عملا
صالحا للبلاد مفيدا للوطن ولكن ما العمل وقد أبى وزراؤنا
ألا نصفق لهم ولو مرة واحدة في الحياة !

(مصطفى كامل)



لا يظن القارىء أن المرحوم كان يصرف كل قوته في
اللواء وحده خدمة لبلاده كما يتفاخر بعض المنافقين الذين كانوا
يكتبون بقلم من نار فاصبحوا وحميتهم الوطنية في تقبيل
أيدي المحتلين وعبادة الفضة والذهب والشيطان وما نصب
بل كان رحمه الله يستحث كل الذين عرفهم في سياحاته من
ساسة اوربا على خدمة المسئلة المصرية بكتب مؤثرة فكان
يكتب كل يوم مالا يقل عن عشرين كتابا بمختلفة الاسلوب

العصور الخالية كانت أشد منها احتراماً للعقائد الدينية وأكثر
منها محافظة على مبادئ الدين الكريم. فضلاً عن أنها إذا ظلمت
كانت لا تدعى العدل والحرية ولا تسمي نفسها حكومة
دستورية

ولنا الآن سؤال نوجهه إلى رجال السلطة في مصر :
ماذا تعمل الحكومة لو - أفر أحد المصريين إلى (ياغا) مثلاً
ثم قصد منها الحج الشريف ؟ ألتستطيع أن تنعه من السفر
إلى بر الشام ؟ اللهم إن حكومة تضايق الحجاج - وهم أصدق
المصريين أياناً - هذه الضيقة المدهشة لا يصعب عليها أن
تصدر يوماً ما منشوراً تنع فيه أهل مصر من السفر وتقرر ضريبة
وشرائط مختلفة لكل راغب فيه. فاعتمداء حكومة سمر الخديوى
على حرية الحجاج الشخصية هو في الحقيقة اعتداء على حرية
المصريين عموماً لأن أفراد الأمة الواحدة متضامنون تضامناً
تاماً في النوائد والأضرار . وإذا ظلمت الحكومة أحداً
ولم تعمل جميعاً الرد هذه النظامة كال ظلم الحكومة وأفعاً
لا محالة على الجميع

رأت ان خير طريقة لا بطل الحج هي التضييق على المسافرين
بكل الوسائل . هذا ما يقوله الناس وهذا ما يجب على الحكومة
المصرية ان تعرفه

والا اذا كانت حكومة مصر تحترم الحرية الشخصية
وتجل الاديان عموماً والدين الاسلامي خصوصاً بصفته دين
غلب المصريين ودين الامير والوزراء انفسهم . فلماذا تقرر
مثل هذا القرار الذي قوبل من كل المسلمين بالاستياء العظيم
ولماذا تحمل الناس على اساءة الظن بأعمالها ؟

على أنه اذا لم يكن احترام الاديان من مبادئ الحكومة
الخدوية - بالرغم مما نسمعه كل يوم من انصار الاحتلال
في هذا الصدد - فلماذا تقول حكومة الجناح العالى في
احترام الحرية الشخصية ؟ أليست تنادي كل يوم بانها حكومة
العدل والحرية والدستور ؟ أليست تنجر من حكومات
العصور الماضية وتقول ان هذا العصر هو العصر الذهبي على
مصر ؟ فلماذا كانت تنادي بذلك جهاراً فكيف تقرر أمراً
يكذب كل أقوالها ويشوه كافة أعمالها ويثبت ان حكومات

— الحبح الشريف —

(والحرية الشخصية في مصر)

ذكرنا بالامس ان الحكومة الخديوية قررت ضمانة مالية على كل الذين يسافرون الى الحبح الشريف واشترطت انهم يكونون حاملين لاسباورتات معلم عليهما من الجهة التي يقيمون فيها ومن الجهات التي يمرون بها . وقلنا انه قرار مخالف للحرية الشخصية أشد المخالفة . ونقول اليوم ان هذا القرار أحدث أسوأ تأثير في نفوس الناس عموماً . فاننا اذا تذكرنا ان حكومة الجناب الخديوى سعت من مدة عامين في ابطال الحبح الشريف بدعوى ان الحجاز موبوء وعرفنا حقيقة مقاصدها في هذا الشأن فهمنا لماذا أصدرت هذا القرار الاخير فانه لما ادعت الحكومة الخديوية ان الحجاز موبوء ولم تر من المسلمين في مصر خوفاً من هذا الوباء الموهوم . ولما لم تنال في مسعاها بشأن ابطال الحبح الشريف . ولما لم تجدان طاعون الاسكندرية منع الدولة من قبول الحجاج في الحجاز

المسلمون الاتحاد والاتفاق وهم احوج اليهما من كل
الاوربيين

لا ريب ان كل محب للانسانية صادق في حبه وكل
انسان معتدل في أفكاره وأماله لا يجد في اتفاق المسلمين
غرامة بل يجد الغرامة منتهى الغرامة في ان يكونوا مفترقين
مختلفين بعد ان نبهتهم الحوادث الى وجوب الاتحاد وضرورة
الاتفاق في السراء والضراء (مصطفى كامل)

*
* *

كانت الحكومة المصرية قررت في ٨ رمضان سنة ١٣١٧
ألا يسافر مصري الى الاقطار الحجازية لتأدية فريضة الحج
الا اذا دفع ضمانا ماليا لخزانة المديرية او المحافظة التابع لها
بحجة أن البعض يسافر اليها غير متزود بالمال اللازم ومثله
لا يجوز حجه فكتب رحمه الله مقالا نشره اللواء في ١١
يناير سنة ١٩٠٠ هذا نصه :



هل يلاقي المسلمون الذين تحت حكم دولكم من الرعاية عشر
معشار ما يلاقيه المسيحيون تحت حكم الدولة العلية؟ وهل تعتبر
أوروبا المسلمين الخاضعين لها كابنائها اقتداء بالدولة العلية مع
وعاياها المسيحيين؟

إذا كان الجواب على هذه الاسئلة بالسلب فما بالك
يا كتاب المدنية الغربية تزيدون المسلمين بلاء على بلائهم
وما بالك لا تعرفون للحقيقة مقاما ولا تدركون للفضيلة
الصحيحة احتراماً؟

اللهم ان المسلمين في كل انحاء الارض متألمون مما
اصابهم آسفون على ضياع استقلالهم ساعون في تحسين احوالهم
ولكن أي خطر على أوروبا من ذلك؟ نحن نصرح في كل
كتاباتنا وخطبنا واعمالنا بأن الاعتدال اول مبدا للمسلمين وان
الهيجان والاضطراب والفتنة خطر أشد على سلامتهم من كل
الاطار

على ان دول أوروبا مع ما هي عليه من العظمة والقوة
وبسطة السلطان تجتمع وتتحد كمداعا الي ذلك داع فلماذا لا يعمل

معاملة الإنسان للحيوان بل وأتلى كثيراً . فإذا كانت أوروبا تسيء إلى الإسلام بحولها وقوتها ولا ترعى للمسلمين حرمة ولا مقاماً فما بال كتابها يحملون علينا ويتهموننا بتدبير التدابير السيئة ضد السلام العام ؟ وما بالهم لو كانوا منصفين لا يطالبون الدول الغربية باحترام حقوق الأمم الضعيفة واعتبار الإنسان في الشرق أخاً ومساوياً للإنسان في الغرب ؟

وهذه دولتنا العلية التي يتهمونها بالتعصب القبيح ويظعنون عليها آناء الليل وأطراف النهار هل اضطهدت المسيحيين اضطهاد أوروبا للمسلمين ؟ كلا . ألف مرة كلا . فانها تعينهم في أسمى مناصبها وتأنسهم على أسرارها وتنبئهم عن الاحسان أجزل الاحسان وتعتبرهم أبناء لها . ولم تقابل أوروبا المتمدينة هذه المعاملة بالشكر ان بل انها قابلت ذلك بالاساءة الى الدولة العلية ونادى سفرأوها جهاراً « بأن ما أخذ من الهلال لا يرد إلى الهلال »

فيا كتاب أوروبا وسواسها قبل ان تحملوا على الدولة العلية وتسموها دولة الحمجية والتعصب سائلوا انفسكم بالله عليكم :

هذه مصر أعز بلاد الاسلام على المسلمين وأرقاها في
المعارف والآداب قد سارت في طريق المدنية الغربية
ووثقت بالاوروبيين اكبر ثقة . وعين أمراؤها من بني
الغرب حكاماً وسواسا وفتحوا ابوابها وابواب السودان
لكافة الاوروبيين بما فيهم المبعوثون الدينيون فلماذا كانت
نتائج هذه الخطوة وماذا جنت مصر من ثقتها بالغرب وأهلها؟
كانت نتيجة خطتها وثقتها بالغرب وأهلها انها صارت في
قبضة الاحتلال البريطاني ذليلة ضائعة الحقوق باكية مجده
الشاخ واستقلالها المحبوب

وهذه بلاد القوقاز والقرم والجزائر وتونس والهند
والزنجبار وجاوي وما حاكها استولت عليها الدول الغربية
فماذا علمت؟ هل رقت اهلها وعلمتهم كيف يحبون وطنهم
ويخدمونه ويضحون في خدمته النفس والنفيس؟ كلا ثم كلا .
انها تعد من الجرائم الكبرى ان يجب المسلم بلاده ويخضع عليها
ويطالب بحقوقها . وهل عاملت أوروبا المسلمين التابعين لها
معاملة الانسان للانسان؟ كلا ثم كلا . انها تعامل المسلمين

الحساب لوجدناها جنت على الاسلام والمسلمين بل جنت
على العالمين اكبر الجنايات المغنوية . فهم يشكي المسلمون ؛
نشكي معاشر المسلمين من أن اوربا المتمدينة لا تعاملنا كما
يجب ان يعامل بنو الانسان . نشكي من انها دخلت بلادنا
بدعوى الاصلاح فأفسدت ونشر المدنية فاعادت هجية
العصور الاولى . نشكي من انها تكرهنا كراهة دينية شديدة
وهي المنادية بمبادئ العدل والحرية والمساواة . نشكي من
انها تقصد ابادتنا كما تباد الحيوانات الضارة وكما أريد الهنود
من أمريكا وهم أصحاب البلاد الاولون . نشكي من كل
أعمال التمدن والمدنية . وبودنا لو كنا غير شاكين . هذا ما
نشكي منه فهم تشكي أوروبا ؟ أتشكي من اننا سلمنا اليها
بلادنا ووثقنا بأقوالها ووعدوها ؟ أتشكي من انها سادت
علينا بارادتنا وهضمت حقوقنا واستنزفت أموالنا وضيقّت
علينا في حياتنا ؛ أتشكي من اننا نحسن للمسيحيين في الشرق
ونعدهم اخواناً لنا ؟ أتشكي من اعتدالنا وتسامحنا وهي معنا
ظالمة قاهرة ؟

ما كتب مسيو رينيه الفرنسى المعروف بـ كراهته
للاسلام والمسلمين مقالته على الجامعة الاسلامية المملوءة طعناً
على المسلمين وقذفاً فيهم حتى رد عليه المترجم في جريدة
الفيغارو بمقال نفيس هذا تعرييه :

﴿ اتحاد كلمة المسلمين ﴾

يشتغل رجال السياسة والاقلام في اوربا كثيراً باصر
المسلمين وما يدور بينهم من الاحاديث في شؤون بلادهم
وتأخرها واستيلاء الاجانب عليها . وقد ملأ كتاب اوربا
الدنيا بصراخهم ضد الاسلام والمسلمين ونادوا في كل واد
بالويل والثبور وهولوا في الامر حتى ظن العالم الاوربي قاطبة
ان الاسلام كله مجتمع حول لواء واحد الاخذ بالشار واسترداد
املاكه من أيدي الدول الاجنبية

والذي يطالع كتابات هؤلاء الكتابين ولم يكن رأي
الشرق واهله وعرف مقدار سوء معاملة اوربا لاهل الاسلام
يظن لاول وهلة أن المسلمين قوم متوحشون وانهم ناكرون
لجميل اوربا عليهم أقبح نكران . على أننا لو ناقشنا أوربا

قامت الحرب بينهم وبين هذه الامة الصغيرة التي يجدر بالتاريخ ان يسميها « أشرف الامم » وكان ما كان من انتصار البوير الانتصارات المتوالية المدهشة

فهل لاساسة بريطانيا أن ينقحوا اليوم ان احتلال مصر خطر عليهم وان أرض الفراغة مقبرة للامم الطاغية ؟ وهل لهم ان يعترفوا الآن بان سياسة الشرف والوفاء هي السياسة الحقيقية وأن كل سياسة تجرى على مبادئ العسف وهضم حقوق الضعفاء تجر حتما الى النوائب والبلاء ؟

على أننا سمعنا اللورد سالسبورى نفسه يقول فى احدى خطبه « أن الطمع كان سبباً لموت الممالك العظمى فى التاريخ الماضى ». فما بال ساسة بريطانيا لا يعملون بما يقولون ؟ وما بالهم لا يرون باعينهم كما يرى الناس جميعاً أنهم قادوا الدولة البريطانية الى هاوية الهلاك والدمار وان يذنبهم وبين هذه الهاوية خطوات قلائل اذا اجتازوها سقطوا فى الهوة الابدية وقضى عليهم الى يوم الدين (مصطفى كامل)

النيل. وقد أراد الخالق أن تسهل لهم الامور استدراجاً ويجدوا في مصر من يساعدهم على أغراضهم ضدهذا الوطن العزيز. نخيل لهم أن كل البلاد مصر وانهم يوفقون في غيرها الى ماوفقوا اليه فيها. ولما قامت حادثة (فشوده) واضطرت فرنسا الى التقهقر أمام الانكليز. ظن سياسة بريطانيا أنهم ارهبوا الامم والدول جمعاء حيث ارهبوا فرنسا وان الحكامة في الخافقين كلمتهم والعالم بأسره في أسرهم والنوع البشرى كله رعية لحكومتهم

ولما كان الاستيلاء على السودان يسهل طبعاً تنفيذ مشروع (سسل رود) من توصيل السكاب بالاسكندرية بسكة حديدية وجعل الراية البريطانية سائدة على كافة هذه الارحاء من شمال افريقية الى جنوبها. وكانت بلاد الترנסفال في طريق هذا الخط الحيدى المزمع انشاؤه فضلاً عن أنها أرض الذهب والخيرات. فقد ضايق أبناء التاميز أهل الترנסفال بكل الاساليب وطلبوا منهم مطالب تأبأها الوطنية الحقيقية وتنكرها العواطف الملية الصادقة. وانتهى الامر بأن

وقد احتلت انكارترا مصر بدعوى اصلاح شؤونها
وتقويم المعوج من أحوالها وترقية مدارك أبنائها ثم مالبت
ان عملت على مخالفة أقرائها ومناقضة وعودها وسارت في
سبيل الاستيلاء على ديارنا العزيزة وهضم حقوق المصريين
واستعبادهم وإذلالهم ونزع السودان من أيديهم بعد ان أهرقت
فيه دماؤهم ونفدت في استرداده أموال مصر والمصريين
وقد أدرك الأحرار من أبناء التاميز وأصحاب النظر
الصائب في السياسة ان بقاء انكارترا في مصر خطر عظيم
عليها ومبدأ لانحطاطها وسقوطها وأنذروها بذلك فوق المنابر
وعلى صفحات الجرائد . وكل الذين يودون حقيقة من أبناء
المغرب والمشرق ان يروا انكارترا سامية المقام شريفة التاريخ
مخلدة المجد نصحوا وينصحون لها بالجلاء عن مصر واحترام
شرف عهودها وترك البلاد لا بنائها يديرون شؤونها تحت
ظل جلالة سلطانهم الأعظم . ولكن ساسة بريطانيا الذين
يديرون سياستها ويقودون زمامها أبوا الا اجابة داعي الطمع
والجشع ومخالفة الشرف الصحيح بالاستيلاء على مصر ووادي



كتب أحد الانكليز المنتصرين لحزب الاستعمار مقالة
في جريدة المورنن بوست قال فيها ! « تدهقرت فرنسا امامنا
وكادت تتلاشى قوة الدولة العلية فعلام يعتمد المصريون اليوم
وقد أصبحت الكلمة كلتنا والامر امرنا ؟ »

فكتب المردوم مقالا في جريدة الكير الباريسية
ونشره اللواء في العدد الرابع هذا تعريبه

— مقبرة الامم الطاغية —

أثبت التاريخ ان مصر كانت في كل أطوار حياتها
مقبرة للامم الطاغية والدول الظالمة وان الممالك العظمى التي
انتهت اليها في سالف الازمان القوة والعظمة والسلطان ماذات
مصر واستولت عليها حتى أدركها الهرم وقبرت على شواطئ
نهر النيل . ولذا تري بعض المؤرخين يقول « متى آن لدولة
أن تزول دخات مصر واستبدت في أهليها »

وهذا مصداق لقول رسولنا الكريم (مصر كنانة الله
في أرضه من أرادها بسوء قصمه الله)

إذا تقرر ذلك كله وعرف الناس عموماً مقاصد أعداء دينهم ودولتهم فليس علينا بعد هذا إلا أن نقول كلمة واحدة وهي أن ستماسة السوء والفساد في مصر يخدمون أغراض الانكياز ويخمدون الناس بتفهمهم أن فصل الخلافة من السلطنة يفيد الدولة كما استفادت دول أوروبا من فصل السلطنة الدينية من السلطنة السياسية . ولكن الدين الاسلامي لا يصح فيه مطلقاً فصل السلطتين من بعضهما لأن الفصل بينهما يقتلها معاً

واننا نعتقد ان أمراء الاسلام وكافة أبنائه عارفون حقيقة مقاصد الاعداء وعاملون لاءلاء شأن الدولة العثمانية التي هي تاج الاسلام ونخاره . والشرف كل الشرف لاهصريين وأميرهم المعظم حيث أثبتوا بالاراهين الساطعة أنهم أشد المسلمين تمسكاً بعرش صاحب الخلافة العظمى وأكثرهم رغبة في خير الدولة وسموها ورفعتها » (مصطفى كامل)

يكون داعية لحدوث اضطراب عام في كافة أنحاء الارض
ومشكلة ليران يمتد لحييها من مشارق الارض الى مغاربها .
ولا نبالغ اذ قلنا أنه يكون سبباً لحرب دموية لم ير العالم لها
مثيلاً من قبل

ولذلك اعتقد أ.د. الاسلام أن فصل الخلافة الاسلامية
من السلطنة العثمانية يضعف الاتراك كثيرا ويقتل نفوذهم
عند المسلمين ويجلبهم كاحدى الامم الاسلامية العادية التى
مهما عظمت مصائبها لا يضحى المسلمون أرواحهم لاجلها .
فمشرع فصل الخلافة من السلطنة هو اذاً أضر على الدولة
والاسلام من كل الاضرار

ومن أول يوم استعدت فيه انكسار الاحتلال مصر
ازداد اهتمام الساسة الانكليز بمسئلة نزع الخلافة من أيدي
آل عثمان لانهم أدركوا ان احتلالهم لمصر يكون الى الابد
سبباً للعداوة بينهم وبين الدولة العلية وان جلالة السلطان
الاعظم لا يقبل مطلقاً الاتفاق معهم على بقائهم فى مصر .
اذ أن مسئلة مصر تعتبر مسئلة حيوية بالنسبة للدولة والخلافة

في أمر هذه الخلافة العظمى وفي الطرق المؤدية الى فصلها
من السلطنة العثمانية وتسليم زمامها الى أحد المسلمين النفاقد
للعواطف الدينية والاحساسات الاسلامية

ولا يظن القراء أن مسألة الخلافة هي مسألة حديثة بل
أن ساسة أوروبا في القرن الثامن عشر اشتغلوا بها كثيرا .
واهتم نابليون نفسه بها اهتماما عظيما . والتاريخ يثبت أنه
فكر في اعتناق الدين الاسلامي واقامة نفسه خليفة للاسلام
وجمع كلمة المسلمين حول لوائه

ومن يراجع المذكرات السياسية المشحونة بها مكاتب
وزارات الخارجية في أوروبا يرى أن الدول الاوربية
بحث من زمن بعيد في مسألة الخلافة وما تكسبه لجلالة
السلطان من النفوذ المعنوي الهائل

وان أعداء الاسلام في أوروبا يعلمون علم اليقين أنه
كلما اعتدت دولهم على الدولة العلية يتألم المسلمون لذلك
في كافة الارحاء والبلدان . وأن زوال الدولة العثمانية (لا قدر
الله) وهي صاحبة الخلافة العظمى ورأس الاسلام والمسلمين

• — سلامه الدولة العثمانية — •

أشرت في خطبتي الاخيرة الى أن أعداء الدولة العثمانية يسعون
لحل المملكة وتأسيس خلافة عربية تكون العوبة في أيدي
احدي الدول الاجنبية . وقد وردت الى رسالة من صديق
حميم يسأني فيها عن قصدي من هذه الاشارة ومن أعنى بها
ولما كنت أحب الصراحة في كل أمر وكان مطلبي الذي
أتباني في تحقيقه هو خدمة أمتي ودولتي ففقدت أحييت أن
أجيب على سؤاله في الجريدة ليعلم به الناس جميعاً

فالدولة العلية حماها الله هي الدولة الاسلامية الوحيدة
التي تخشى أوروبا من قوتها ونفوذها . وأعداء الاسلام يودون
من صميم أفئدتهم أن يزول اسمها من الوجود حتى تموت
قوة الاسلام وتقبر سلطته السياسية . وهم يعملون ليل نهار
لبلوغ هذا الغرض السيئ . ولما كان وجود الخلافة الاسلامية
في قبضة سلاطين آل عثمان مما يجعل سلطتهم على المسلمين
عامة ونفوذهم في أنحاء الارض قوياً فقد افترأ أعداء الاسلام

وخدمتها الخدمة الواجبة الا ان يحاربوا اليأس ويقضوا على
المطاعن الفاسدة التي يوجهها بعض الناس من اعداء وبسطاء
ضد الامة المصرية العزيزة . والاخلاص في محبة الوطن
والثبات في خدمته كافيان بالنجاح لكل خادم امين
(مصطفى كامل)



مارأى أعداء البلاد أقبال الامة على جريدة اللواء حتى
أوعزوا الى جرائد أذئابهم أن تحمل عليه حملات متباينة فكانت
تارة تدعى أنه صنيعه السلطان وثانية أنه صنيعه فرنسا وثالثة
أنه عامل من عمال المانيا ورابعة أنه متمصب ذهيم وقالوا فيه
ما لم يقله مالك في الخمر

كان يقرأ رحمه الله ما يكتبون غير مبال بترهاتهم
ولا متأثر بسخائمهم وقد رد على مسئلة الخلافة العربية
التي أشار اليها في خطابه الاخير وازعجت الساعين لها العاملين
على تحقيقها بمقال نشره في العدد الثالث من اللواء هذا نصه :

واني لا عجب ممن يأسون من قدرة الله ورحمته ويتناسون التاريخ وامثلته الكبار . فهل أراهم التاريخ أمة دامت على حال أو دولة بقيت بنظام ثابت ؟ وهل خلدت الدول التي حكمت مصر قبل دولة بريطانيا ؟ كلا ثم كلا . ان دوام الحال من الحال . ولا معنى للحياة مع اليأس ولا معنى لليأس مع الحياة وهذه انكسرتا نفسها كان يخيل للعالمين في العام الماضي وقت حادثة فشوده انها لا تغلب ولا تهزم أبدا وان دول أوروبا كلها العوبة في يديها فتقضت ارادة الرحمن ان لا يحول الحول حتي تقوم الحرب بينها وبين أمة الترنسفال - وهي كما يعلم الناس أصغر شعوب العالم وعدد سكانها لا يتجاوز عدد سكان أحقر المدائن في انكلترا - وتنتصر عليها جيوش البوير المرة بعد المرة . « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » فهل بعد هذا دليل على ان اليأس من المستقبل جنون في جنون وان المستقبل بيد الخالق يدبره كيف يشاء ؟

فالعواطف الوطنية في الامة المصرية قوية والامل في المستقبل عظيم . وما على المصريين الراغبين في احياء بلادهم

ميتة لا حراك بها وانه يستحيل ان يوجد فيهم شعور وطني
صادق ؟ أليس من الدلائل الكبرى على حياة المصريين
ووطنيتهم انه يوجد بينهم من يعرف حب الوطن بعد ان
اخذتهم الحوادث ودكت بنيان استقلالهم ؟ ومن من اثم العالم
يستطيع ان يحمل ما حملت به مصر من الظالم والدواهي الدهماء
ثم يبقى عنده شعور وطني كما نراه ويراه الناس جميعاً عنده
المصريين ؟

نعم . ان الامة المصرية نهضت نهضاتها السالفة بهمة
قائد عظيم أو أمير على الفكر ولم تنهض من نفسها بدون
حكومة تدبرها كما فعلت أغلب الامم الاوروبية . ولكن
ذلك لا يقضى على المصريين أمام العقلاء . فالامم تحيا بأبنائها
وكل أمة تقبل النصيح والارشاد هي أمة سائرة في طريق
التقدم والسعادة والحربة . ولا يستطيع أحد ان ينكر اليوم
على المصريين ادراكهم ان الوطن وطنهم والبلاد بلادهم وان
الناس سواء أمام الوطن في الحقوق والواجبات . وهو شعور
ينمو يوماً بعد يوم نمواً ظاهراً

واختلاف الآراء بين المصريين في هذه المسئلة الجوهرية الحيوية هو داء من اكبر ادواء مصر التي يجب العمل لشفاء الامة المصرية منها . فان اليائسين من الله ومن الامة تراه لا يهتمون ابداً بأمر من أمور الوطن بل يسخرون من كل العاملين على احيائه واعلاء شأنه . فهم فضلاء عن تقصيرهم في خدمة الوطن التقصير الجسيم يعملون لتثبيط الهمم واقعاد العزائم وقتل العواطف الحية . وأن انتشار كلمات « موت المصريين » و « جبن المصريين » و « عدم فلاح المصريين » على اللسان لأضر على مصر والمصريين من كل المصائب والبلايا فاعتقاد الامة في نفسها انها لا تصلح لعمل شريف وانها لا تعرف معنى الوطن والوطنية آفة دونها كل الآفات وبلية تسهل بجانبها البلايا

علي اننا لو تصفحنا تاريخ مصر نجد ان ابناءها قاموا بإعظام الاعمال وبرهنوا على استعدادهم التام لكل تقدم وفلاح . واطهروا في ظروف كثيرة من الشجاعة ما حفظه لهم التاريخ في صحائفه البيضاء . فكيف يدعى البعض مع ذلك انهم أمة

﴿ كيف يحيا الوطن العزيز ﴾

يأت على مصر حين من الدهر اشتغل فيه أبناءؤها
بحالها ومستقبلها مثل هذه السنين التي توات فيها المصائب
وتعاقبت النوائب وعرفنا حقيقة المقاصد الانكليزية ضدنا
وضد الوطن العزيز . وقد ذهب أبناء الوطن في أمر مستقبله
مذاهب شتى . فاصحاب العقائد الصحيحة والمبادئ القويمة
يؤملون له مستقبلا سعيدا وحياة طيبة لانهم يعلمون أن
الامة المصرية هي أكثر الامم استعدادا للتقدم والترقي
وأن اليأس من المستقبل يأس من قدرة الخالق سبحانه وتعالى .
ويرى غيرهم أن مصر قضى عليها الى الابد وان أبناءها خلقوا
مصادفة في الوجود وانهم ليسوا كغيرهم من بني الانسان
اهل ارادة ونشاط وذكاء . ويذهب آخرون الى ان الامة
المصرية مهما استماعت اصلاح شؤونها وترقية مدارك ابنائها
فانها لا تقوى على القوة الاجنبية المسيطرة عليها ولا تجد
سبيلا للخلاص مما هي فيه لما هو مشهور عن دولة الانكليز
من القوة والدهاء

المعامل في أوروبا وسنبذل غاية الجهد في جعل جريدة (اللواء)
لواء حقيقياً للمصريين الصادقين وراية لخدمة الاسلام
والمسلمين والله يوفقنا الى ما فيه فائدة الامة والوطن «

ما انتهى هذا الاسبوع حتى أخذ المخلصون الغيورون
في إرسال قيم اشتراكهم وقد بلغوا نحو الثمانمائة في بحر
عشرة أيام من تاريخ صدور اللواء

شجع هذا الاقبال المرحوم وأبرقت أسرته وتأكدت
لديه الحقيقة التي طالما خالفه فيها بعض مواطنيه من أن الامة
حية وأنها لا تموت أبداً .

سار رحمه الله في تحرير اللواء بهمة لا تعرف مللاً ولا
يعتريها كلل ولا أبلغ اذا قلت أنه استمر ستة شهور من
اصداره يكتب جله من انشاء وترجمة وغيرهما . أما معاملته
لاخوانه المحررين والعمال فأني أترك ذكرها لهم وهم جميعاً
والحمد لله احياء ذوو أقلام سيالة وصفات عالية

ظهر العدد الثاني من اللواء وقد صدره المرحوم بمقال
من قلمه هذا نصه :

لم يألوه مشترطين على من يجبه رواؤه وتوافقه مبادئه ان
 يبعث بقيمة الاشتراك مقدماً اذ قدرت وقتئذ بمائة قرش
 صحيح . وقد كتب المرحوم جملة بهذا المعنى اليك نصها .
 « اول مبداء قررناه في سير الجريدة هو عدم ارسالها
 الا لمن يبعث بقيمة الاشتراك مقدماً الى ادارتها (وذلك بعد
 الاسبوع الاول من ظهورها حيث ترسل بدون مقابل
 لكل من طلبها) . ولا يستغرب القراء هذا المبدأ الجديد
 فاننا جعلنا قيمة الاشتراك زهيدة جداً سواء كانت عن
 سنة او ثلاثة شهور . ومع هذه القيمة القليلة لا يمكننا
 مطلقاً تعيين محصلين للجريدة . فضلاً عن اننا نستعجن التحصيل
 بالمطالبة كل الاستهجان ونرى من النقص ان ترمي الجرائد
 المحترمة على الناس رمياً

فلذلك نعلن حضرات القراء الافاضل ان من لا يبعث
 قيمة الاشتراك مقدماً لا ترسل اليه الجريدة مطلقاً
 هذا وستصدر الجريدة ان شاء الله تعالى بعد ثلاثة أشهر
 أو أربعة في حجم كبير وعلى ورق بديع جداً طلبناه من أحسن

اختيار موضوعات الجريدة والقيام باواجب نحوهم ونحو
الوطن العزيز

واننا نؤمل من حضرات الكتاب الاما جد ورجال الافكار
والآراء ان يشتركوا معنا في هذه الخدمة الشريفة بجريدة
اللاء هي جريدة الامة كلها لا جريدة شخص او اشخاص
واننا نسأل الحق سبحانه وتعالى ان يوفقنا للقيام باواجب
ويعيدنا بروح من عنده ويهبنا قوة وثباتاً ورشداً إنه سميع مجيب
غرة رمضان سنة ١٣١٧

« مصطفى كامل »

*
* *

ما صدر هذا العدد حتى تخاطفه الناس على اختلاف
مشاربهم وتباين أغراضهم لأنه من عمل الوطني المحبوب
وصوت مصطفى المسموع

صدر في أربع صفحات وكل صفحة في خمسة أنهر صغير
الحجم خفيف الحمل كبير الروح ناقد الرأي
ارسلناه اسبوعاً كاملاً بلا مقابل لكل من طلبه ومن

والدولة . واجتناب الشتائم والشخصيات اجتناباً تاماً
ورغبة منا في تقرير الحقائق وتعضيد العاملين والمجاهدين
سنفتح في جريدتنا فصلاً تحت عنوان (المنبر العام) ننشر فيه
كل ما يردنا من الرسائل السياسية والاقتراحات المفيدة للوطن
والاختراعات الحديثة التي يخترعها أبناء البلاد وبالجملة نسمح
لكل مصري صادق ان يسمع الامة صوته . وسيكون كذلك
في الجريدة فصل عنوانه (اوروبا والاسلام) ننشر فيه كل
ما يكتب في جرائد اوروبا على الاسلام والمسلمين وكل ماله
علاقة بذلك . وفصل عنوانه (أخلاق وآداب) لا نقاد
الاخلاق الفاسدة والحث على الفضائل ومكارم الاخلاق .
وفصل عنوانه (بريد الاسلام) يشتمل على كل اخبار البلاد
الاسلامية . وفصل عنوانه . (بريد العالمين) ننشر فيه
اخبار اوروبا وامريكا وآسيا وفصل عنوانه (آيات الوطنية)
نأتى فيه على قصص الوطنية التي من شأنها بث الروح الوطنية
الطاهرة في نفوس أبناء الوطن . وغير ذلك ننشر كل ما فيه
الفائدة للامة والدولة . ولا نقصر أبداً في خدمة القراء وحسن

الثبات والشجاعة والاقدام. وتذكر الدول النصر والظفر اذا ارتفع لواؤها وسمت رايتها. ويحل كل انسان راية وطنه ولواء بلاده اعظم اجلال ويحس بقوة في الفؤاد ونشوة في الدم كلما نظر الى هذا اللواء الذي يمثل تاريخ الوطن ومجده ونفاره. ولما كانت مصر لا تنهض من رقبتها الا باتحاد ابنائها حول لواء الوطن العزيز واتفاقهم على خدمته ونصرته أحببنا ان نسمى جريدتنا باسم (اللواء) املا في وجه الله الكريم ان يوفقها لجمع كلمة المصريين حتى يقوموا بالواجب عليهم نحو الوطن المقدس



أما خطة الجريدة فهي خدمة الوطن والاسلام بأشرف السبل وأنفعها. خطة الحكمة والاعتدال والحكم على الاشياء حكماً صادقاً والسعي وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين بعضهم لبعض من جهة وبين كافة المسلمين من جهة أخرى. والعمل لتربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية وترقية التجارة والصناعة واجلال كل من يعمل عملاً منيداً للوطن والامة

وقد بذلت قصارى الجهد في رفع لواء الوطنية وجمع كلمة الامة المصرية وأحياء الفضائل الاسلامية وما وجدته من التعاضيد والتشجيع في كل أعمالى وما تحققت من ميول أبناء مصر العزيزة سبيل الى اظهار جريدة (اللواء) التى آمل ان تكون ان شاء الله تعالى لواء حقيقيا لبنى الوطن الصادقين وراية للمجاهدين فى سبيل تقدم مصر والمصريين . وعلمنا لخدمة الاسلام والمسلمين . وقد جعلت أول عدد يصدر منها مقرونا بهلال شهر الصيام المبارك تيمنا بشهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان



ولما كان اللواء فى كل امة حية هو شارة الوطن والوطنية وممثل اسمى العواطف الانسانية حيث يرى الانسان فيه الامة والوطن والعقيدة مجتمعة . وكان مقامه عند الامم الحية المقام الاول ومكانته فى نفوس الشعوب المسكنة السماء ينتهى الشرف كل الشرف فى صفوف الجيوش الى حامله . ويسمع الجندى اذا نظر اليه فى ساحات القتال صوت الوطن يناديه

— ❧ جريدة اللواء ❧ —

اما الجريدة التي عول المرحوم على اصدارها فقد اختار لها اسم « اللواء » وقد صدر اول عدد منه في يوم الثلاثاء غرة رمضان المعظم سنة ١٣١٧ هجرية الموافق ٢ يناير سنة ١٩٠٠

صدر العدد الاول مفتوحاً بمقال من قلم المرحوم وهو في الخامسة والعشرين من عمره هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

« حمداً لمن جعل لواء الوطن اشرف لواء وصلاة وسلاماً على نبيه خير الرسل والانبياء اما بعد فقد علم ابناء بلادي اني اخذت على عاتقي من زمن بعيد خدمة الوطن العزيز والعمل لاعلاء شأن الملة السمحاء بقدر طاقتي الضعيفة . واني ممن يعتقدون اعتقاداً صحيحاً ان الوطن دونه الانفس والاموال وان اشرف يوم في حياة الانسان هو يوم يموت فيه لاجل بلاده وفي سبيل سعادتها

التي عليها يرفرف لواء الاسلام وقد جاهرت بهذه الاحساسات
في جميع خطاباتي وصرحت بها باعلى صوتي في وقت كان فيه
الاعداء يذيعون أن جلالته ساخط على مصر والمصريين
ذلك لان هذا اعتقادي وهذا مبدأي أنادي بهما وأدافع
عنهما الى آخر لحظة من الحياة

واني في هذه الليلة المباركة ليلة عيد ميلاد جلالة
مولانا السلطان الاعظم والخليفة الاكرم اختم خطابي بان
أسأل الله من قلب صادق أن يوفق لجلالته الرجال الامناء
لاعلاء شأن الدولة والدين وان يحقق لمصر آمالها من النجاة
والسؤدد والملاء . . . (انتهى)

* *

ما ألقى رحمه الله هذه الخطبة النفيسة حتى رحبت بها
الجرائد الوطنية أجل ترحيب وأثنت عليها الجرائد الاوربية
ثناء عظيم واستمرت أياما تعلق عليها الشروح الضافية وتناقشها
مناقشة دقيقة . حتى ان جرائد الاحتلالين خجلت في هذه
المرّة امام الحقيقة الساطعة فلم تبد حراكا ولم تنبث بينت شفة

للمسلمين. وان الذين يطعنون على سلطانهم العلى الشأن ويريدون
أن يهدموا بأيديهم ما لدولتهم من العظمة والقوة يجب عليهم
أن يتشبهوا بامة الاسبان وقد داهمتها الحرب مع امريكا فاعلن
الحزب الجمهورى وسائر الاحزاب المعادية لنظام المملكة فيها
انها كلها تعضد حكومة بلادها وتترك عداوتها ظهرياً حتى تظفر
اسبانيا بعدوها. فهذه هي الوطنية الحققة وهذا هو الاحساس
الصادق. وانا نرى دولتنا العلية حماها الله مهدة في كل وقت
من أعدائها الذين يدسون لها الدسائس فى الداخل والخارج.
فالوطنيون الصادقون من أبناءها هم الذين يجب عليهم تعضيدها
فى هذا الوقت وفداء سلامتها بالاموال والارواح

واننا نعلم جميعاً أن جلالة مولانا السلطان الاعظم يمثل
الدولة والاسلام فى شخصه الكريم جميع الطاعنين على جلالته
انا يطعنون على الدولة والاسلام. وكافة المخلصين للدولة والدين
انما يتحدثون حول رايته الكريمة ويسرون تحت لوائه الشريف.
ولست أقول ذلك لانى رأيت من جلالته التفتاً عالياً بل
أقوله حباً فى مصر التى مسئلتها فى يد السلطان وحباً فى الدولة

الشقاق بين سمو الخديو وجمالة السلطان هم الد أعداء مصر
والد أعداء الاسلام . واني اعرف ان في مصر وفي الاستانة
افراداً يعملون لهذا الغرض السيئ ويريدون بدسائسهم ان
يزيدوا الاسلام وأهله بلاء على بلاء وشقاء على شقاء . ولكني
أعتقد ان الحكمة العالية التي جمعت كلمة المصريين حول راية
صاحب الخلافة العظمى تقضى على هذه الدسائس شر قضاء
وتقوى روابط الاتحاد بين التابع والمتبوع

واني اعرف كذلك ان في مصر جماعة يسعون لحل
المملكة العثمانية واقامة خلافة عربية تكون العوبة في ايدي
احدى الدول الاجنبية . فهو لاء وامثالهم هم أعداء الدولة والملة واضر
على الاسلام من أعدائه الظاهرين . ولا عجب اذا نبذتهم الامة
المصرية بأسرها واحتقرتهم ظاهراً وباطناً ولا جرم اذا بشرناهم
بالنشل والخذلان وسوء العاقبة . فهذا وقت وجب فيه على
المسلمين عامة أن يتحدوا حول راية الخلافة الاسلامية العثمانية
ويضحوا أرواحهم في سبيل المدافعة عنها . فبهي الرافعة لراية
الاسلام وبدونها لا مقام لهذا الدين الكريم ولا حرمة

وان أول مبادئ الاسلام هو الاتحاد بين جميع أبنائه
وقد ارشدنا التاريخ الى ان السبب الاول في ضياع استقلال
الامم الاسلامية هو تنافرها من بعضها ومعاداة أمرائها لبعضهم .
ولطالما تمنى المصريون توثيق عرى الارتباط بين مصر
والدولة العلية لعلمهم ألا سلامة لمصر الا بهذا الارتباط
وان الدولة رأس الاسلام ومصر روحه . وقد حقق الله هذه
الامنية ورأينا سمو أميرنا المعظم يتقرب الى متبوعه الاعظم
وان الذين كانوا يقولون في بادئ الامر ان هذه السياسة
الحكيمة هي سياسة الامير دون الامة أصبحوا يعترفون
بأنفسهم ان التعلق بجلالة السلطان الاعظم وبالدولة العلية عام
في مصر يشمل جميع طبقاتها بلا اختلاف . وعهدنا بحرب
اليونان قريب لا يزال صدى مظاهرات المصريين فيه يرن
في الآذان .

وانى جاهرت من اول يوم ناديت فيه بحقوق بلادى
ان الارتباط بين التابع والمتبوع ضرورى بل أمر حيوى
لمصر والاسلام . وأكرر اليوم أن الساعين في القاء بذور

والكسل والخنول على أنه دين النشاط والعمل والجهاد .
وانى لازلت أقول أن سبب تأخر المسلمين فى جميع البلاد
الاسلامية هو ابتعادهم عن الاسلام كل الابتعاد ومخالفتهم
لاوامره كل المخالفة . فها هذه المفسد وما هذا الغرور . أيا أمر
الاسلام بهذا الفسق وهذا الميسر وهذا الخفور . أيا أمر الاسلام
بالربا وقد خرب البيوت ودك القصور . أيا أمر الاسلام بالشقاق
والافتراق وخيانة الاوطان . أيا أمر الاسلام بموت الطعم
وقعود العزائم وضياع الايمان . كلا ثم كلا . ان الاسلام لدين
الفضائل ودين المسكارم ودين الهدى . اما يا مكرم الاسلام
بالصلاة وصالح الاعمال . اما يا مكرم بالمعروف وينهاكم عن
المنكر . اما يا مكرم باجتنب الفحش والميسر والربا . اما يا مكرم
بالاتحاد والاتفاق وخدمة الاوطان . اما يا مكرم ان تعيشوا
رجالا وتموتوا رجالا . فها بالكم لا تتبعون اوامر وما بالكم
تسألون عن طريق النجاة والنجاة فى اتباع الاسلام ؟
لقد حق علينا غضب الرحمن وان لم نسلك السبيل
السوى فيا بئس الحال ويا بئس المآل !

القائمة على الفضائل وعزة النفس والشهامة . واني لست ممن يرون ان تربية البنات يجب أن تكون على المبادئ الاوربية فان في ذلك خطراً كبيراً على مستقبل الامة . فنحن مصريون ويجب أن نبقي كذلك . ولكل أمة مدينة خاصة بها فلا يليق بنا أن نكون قردة مقلدين للاجانب تقليداً أعشى بل يجب ان نحافظ على الحسن من أخلاقنا ولا نأخذ عن الغرب الا فضائله . فالحجاب في الشرق عصمة وأى عصمة خافظوا عليه

في نسائكم وبناتكم وعلموهن التعليم السليم الصحيح وان أساس التربية التي بدونه تكون ضعيفة ركيكة غير نافعة هو تعليم الدين . نعم كل له دين وكل يجب ان يتبع دينه . فنحن معاشر المسلمين يجب علينا قبل كل شيء ان نعرف ماهية الاسلام ونسأل أنفسنا هل نحن عاملون بمبادئه ومتبعون لأوامره ومجتنبون لنواهيه . واذا كننا وصلنا الآن الى حضيض انذل والهوان فكيف ذلك والاسلام كفيل بالتقدم والتمدن والعمران . لعمري ان الاسلام برىء مما ينسبه أعداؤه اليه حيث يدعون أنه دين التأخر والانحطاط

أغرب أحاديث القوم هنالك وهو ان مجرمًا مجريًا حكمت عليه محاكم بلاده بالاعدام لقتله زوجته فلما اقتربت ساعة اعدامه سئل أي الاشياء تبتغى من دنياك قبل وفاتك . فقال لى سؤال واحد أرجوكم بحق المجران تجيبونى عنه بصدق وهو : هل أكلت أو شربت أو لبست فى حبسى شيئًا صنع فى غير بلاد المجر ؟ فأجابوه كلا . ولماذا تسأل هذا السؤال فقال لانى قضيت عمرى كله ولباسى من مصنوعات المجر وما كلى مجرية وحياتى كلها مجرية وأبغى ان أموت كذلك ، فقالوا عجباً أتكون مجرمًا سافكًا للدماء واحساسك الوطنى رفيع الى هذا الحد ؟ فقال أجل انى مجرم تلوثت بدماء القتل وليكن نفسى لا تزال نفساً مجرية حرة تحب المجر وتموت داعية للمجر . فابظروا يا قوم الى هذه العواطف العالية عند أحط الافراد وكيف ان مساعدة التجارة الجنسية تعتبر أساساً من أقوى أساسات الوطنية

فالتربية التى أود من صميم فؤادى ان تكون حلية الناشئين فى عموم مدارس مصر هى التربية الوطنية المحضة

ومتى تنتصر جيوش الفضائل على جيوش الرذائل ومتى يعرف
الفلاح الصغير انه انسان ككل انسان وانه وأعظم أعظم سواء
أمام الوطن وأمام الخالق

فإن بعض ذوى الهمة العالية والعزائم الصادقة وأنشأوا المدارس
الاهلية وبذلوا من الجهد ما يخلد لهم تاريخ الوطنية والمعارف
فى مصر ولكن هذه النهضة لا تكفى لبلوغ المراد بل الواجب ان
يقوم الموسرون والنهباء فى كل مدينة ويؤسسوا المدارس والمكاتب
لتعليم أبناء الامة وبناتها . وأن حاجة البلاد لمدارس التجارة
والصناعة شديدة جداً فكلنا يعرف ان أموالنا ذاهبة للأجنبي
لأن تنفيذ الوطن منها شيئاً فالأجانب هم القابضون فى بلادنا على
مفاتيح التجارة والصناعة وهم المتمتعون دون غيرهم بخيرات البلاد
ونعمها . وقد آن لنا معاشر المصريين ان نجاريهم فى النخوة
والنشاط ونؤسس الشركات الوطنية للقيام بكل احتياجات
الامة حتى يكون البائع والمشتري من وطن واحد وأمة
واحدة فتحفظ الامة ثروتها بين أبنائها وتزداد بذلك عزاً
وجاهاً ورفعة . وأذكر انى سمعت فى بلاد المجر حديثاً من

مبايئنا لا تتفق وقد أحتتنا النوائب . مبايئنا اذا أصيب أحدنا
بمصيبة لا نألم لمصابه . ألسنا عائلة واحدة يجب على كل عضو
منا ان يشارك أخاه في أفراحه وأراحه . مبايئنا لا نعقد الجمعيات
والاندية لمساعدة من ألتهم يد الحكومة في شرائك
الفقر والشقاء بعد السعة والهناء . مبايئنا في بحار البلاء حيارى
كل يريد السير في طريق وليس للسلامة الا طريق واحد
لقد عظم البلاء واشتد الشقاء وتمكنت من الوطن
الادواء فان أردتم يا بنى مصر لبلادكم الدواء والشفاء فالدواء
خير الدواء ان تتحدوا قلباً ولساناً وتتفقوا بصدق وإخلاص
على خدمة الأمة والوطن والدين . فانكم اذا اتحدتم واجتمعت
كلماتكم هان كل أمر عليكم وباغتم من المجد غاية المجد ومن
العلاء منتهى العلاء

وان تهاون الاغنياء والاذكياء بمصالح الأمة لعار كبير
عليهم وعليها . أماترون ان الجهل أصبح في مصر حاكماً يأمر
وينهى وأصبحنا نعد المتعلمين بالثقات والجهلاء بالملايين .
فحتى نرى أنوار المعارف والآداب تبدد ظلمات الجهالة والغباوة

الامصار وعلى العكس فان تقربها من طريق العرفان واتفاق
بنيتها على خدمتها وتعاضدهم على اسعادها يحميها ضد الطوارئ
والنوازل ويقيها شر جميع الاعداء . فالاتحاد يا بني مصر
الاتحاد هو عنوان النجاح ودليل الفلاح . تمسكوا به واتركوا
الشقاق وراءكم فقد اوصاكم الى ما اُنتم عليه من الذلة والمسكنة !
والغريب في امرنا اننا لو جمعنا قضايا المحاكم ودرسناها قضية
قضية لوجدنا أكثر المتخاصمين أهلا واقارب . فالى متى هذا
الشقاق وهذا النفور والى متى تخالفون أوامر الرحمن الذي
يأمركم بالوفاق والاتفاق

ماذا التباغض في الاسلام بينكم * وانتموا يا عباد الله اخوان
اما ننوس أبيات لها همم * اما على الحق أنصار واعوان
ما بالنا معاشر المصريين اذا قام الشقاق بين جماعة منا
لا نرى الا عمالا للنفرقة ودعاة للسوء والفساد . ما بالنا معاشر
المصريين نسينا أو تناسينا قول الخالق عز وجل « ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم » وقول نبيه الكريم « المؤمن للمؤمن
كالبنياز يشد بعضه بعضا » . ما بالنا لا نتحد وقد هجمتنا المصائب .

انها غير قادرة على حفظ كيائها. وها هي الدولة الدلية طالما سمعنا
اعداءها يشيعون عنها الضعف والاضمحلال حتى ظن الكثير
من أشد الناس حباً لها واكثرهم ميلاً لسموها ورفعتها انها على
شفاجرف الهلاك والدمار فلما قامت الحرب بينها وبين اليونان
علم الكارهون والمحبون انها لا تزال صاحبة البأس والقوة
واسبق الدول في ميادين القتال

فيا أيها المصريون لا تظنوا ان أمتكم فقدت الحياة
ولا تعتزوا باقوال اعدائكم بل اعتمدوا على الحق جل وعلا
واصفوا الى نداء الوطن العزيز واعملوا لنقاذه واصلاح احواله
غير حاسيين للزمن حساباً فان لم نستطع بلوغ آمالنا في حياتنا
فليبلغها ابناؤنا من بعدنا ولا نكون في العالمين أمة يراثها
الذل والهوان والاستعباد !

الا ان المسألة المصرية الحقيقية هي مسألة تأخر الأمة
المصرية واستحكام الشقاق بين افرادها. وما مسألة الاحتلال
الانكليزي الا مسألة فرعية بالنسبة لها. فان بقاء الأمة
متأخرة منحلة الاعضاء يعرضها الى كافة الاخطار في سائر

نحافظ على النظام في كل أعمالنا ونحسن الود مع سائر الأجانب
القاطنين بلادنا فلا يستطيع أحد ان يلومنا اذا وجهنا عنايتنا
الى اصلاح شؤوننا وراقبنا الحكومة في سائر اعمالها شأن
الامم الحية والشعوب العارفة لحقوقها

والذى يضرنا معاشر المصريين أكثر من كل شىء هو عدم
اعتمادنا على انفسنا واعتقادنا اننا امة قضى عليها بالموت الدائم فترى
البعض منا يقول جهاراً ان الشعب المصرى فقد الحياة والوجود
وليس فى بنيه من يعرف لمحبة الوطن معنى وانه يستحيل على
مصر ان تنهض من رقبتها وتبلغ آمالها من العز والسؤدد. وقد
ردد اليائسون هذا الاعتقاد الفاسد حتى رسخ عند البسطاء
وضاعت ثقة الامة ببعضها وادخلها اليأس من حالها واستقبالها. على
أن اشد الادواء ضرراً بالشعوب هو هذا الداء العضال الذى
اذا تمكن من امة قتل فيها كل عاطفة وكل حياة وجعل اهلها فى
الوجود حيارى لا غرض لهم ولا مطلب يعملون للوصول
اليه . وقد أثبت التاريخ بافصح بيان ان أكبر الآفات على
الدول والامم أن يقتد ابناؤها بالضعف فيها وان يشاع عنها

أفتتخر باحتلال الانكليز وقعود الهمم والعزائم عن انقاذ
الاطوان؟ أم نفتخر بتسليم البلاد للمحتلين ورفع العلم البريطاني
على السودان؟

لقد آن لكم يابى مصر ان تهبوا من رقبتكم
وتنتهبوا من غفلتكم وتجمعوا كلمتكم وتضموا أصواتكم الى
أصوات بعضكم وتأخذوا بيد الوطن الذى يسألكم من عميق
هاوية المذلة والموان أن ترفعه الى اسمى مقام واشرف مكان.
أما ترون كيف ان اهل الارض قاطبة يعجبون أشد العجائب
باصغر الامم اذا اجتمع أبناؤها حول راية الوطن وصدوا عنه
المعتدين ، اما ترون ان الله نصير الذين يشكرون نعمته عليهم
بالحفاظة على أوطانهم وما الاوطان الاخير نعمة للرحمن على
بنى الانسان — انا نرى الانكليز يتباهون بانهم يحترمون في
مصر الحرية الشخصية ويتركون للخطباء والكتاب استقلالهم
فى الاقوال والآراء فلا حرج اذا على المصريين اذا نادوا
بمبادئهم على رؤوس الاشهاد وعارضوا حكومة بلادهم فى كل
ما يصدر من اعمالها مخالفاً لمصاحبة الامة والبلاد . وما دمنا

السلم فالشرف غاية الشرف عندنا مباشر المصريين أن نطالب
بمحقوقنا المقدسة ونسمع الملل والدول أننا نأبى السيادة البريطانية
علينا ونرى الموت أحب إلينا من أن نكون بين الأمم الامة
الوضيمة الذليلة المهضومة الحقوق المغلوبة الارادة المحكومة
بالاجنبى الساقطة فى مهوان الذل والاستعباد

واذا كانت الامم الهمجية تدافع عن اوطانها بفطرتها
التي فطرت عليها وتفضل الموت فى سبيل الاستقلال على
الحياة تحت سلطة الاجنبى فكيف بالمصريين وهم أعرق الامم
فى المجد والسؤدد والعمران . أنأخذ من الهندية الغربية زينتها
وزخرفها وتترك الوطنية وهى أساس تقدمها وتقدمها ودعامة
حياتها ووجودها ؟ اترك فضائلنا الاولى وننسى مبادئ ديننا
ونطوى صحف التاريخ بما فيها من الحكم الباعرات والخطات
البيئات ؟ اتكون مصر وطننا ولنا اللغة العربية لغتنا والاسلام
ديننا ونكون آخر الامم وأحط الشعوب ؟ بماذا نفتخر معاشر
المصريين اذا اجتمعت الامم فى نهاية هذا العصر وافنخرت
كل أمة بما نالت من الفوز وانصر والسعادة والسلطة ؟

ولقد كنا نود من صميم أفئدتنا أن يقوم الانكليز بوفاء
وعودهم واحترام شرف عهودهم وأن يبرهنوا للعالمين أن
المدنية الصحيحة هي المدنية القائمة على الفضائل الحقيقية المنافية
لاغتياال حقوق الامم . واكن من سوء حظ النوع البشرى
ان المدنية الحاضرة أبطلت الرق فى الافراد وأعلنته فى
الشعوب واستهجنّت مخالفة الذمة والشرف فى المعاملات
الشخصية وسمحت بها فى المعاملات الدولية . وما دامت
السياسة الانكليزية قائمة على هذه المبادئ فلا سبيل للاتفاق
بين المصريين والانكليز . وكيف الاتفاق وأبناء التاميز
يسلبوننا أعز عزيز لدينا وهو الوطن المقدس وطن الآباء
والأجداد وموطن الابناء والاعقاب . فالعواطف الوطنية
التي أمتزجت بدمائهم وتدفعهم فى كل وقت الى خدمة بريطانيا
دون غيرها هى بعينها العواطف الوطنية التي تملى علينا المطالبة
بمحرقنا والمناداة بحريتنا واستقلالنا الداخلى

واذا كان الانكليز يعتبرون الشرف منتهى الشرف فى
الدفاع عن الوطن عند الخطر والسعى فى اتساع أملاكه وقت

معنى للوعود والعهود ولا ترى حرمة للعهد والانصاف .
والا اذا كانت الدولة البريطانية تعتبر أساس المدنية والانسانية
احترام وعودها وعهودها ومعرفة حقوق الامم ضعيفة كانت
أو قوية فلماذا لاتزال محتلة مصر بعد انقضاء السنين الطوال ؟
أهي محتلة الديار لتميز الخديوية وقد شهد العالم بأسره ان
المصريين هم أشد الامم احتراماً لسمو اميرهم النائب الشرعى
عن جلالة سلطانهم الاعظم . أم هي محتلة لترقية مدارك
المصريين وتعليمهم ادارة أمور بلادهم بانفسهم ورجالها يعملون
فى مصر ليل نهار لهدم سلطة الوطنيين وسلب قوة الحكومة
من أيديهم . أم هي محتلة لتوطيد اركان الأمن فى البلاد
وقد توطنت أركانه من زمن بعيد وأصبح من العار على دولة
عظيمة أن تطيل احتلالها بمثل هذه الدعوى الواهية . أم هي
محتلة لاعادة السودان الى مصر ونشر الراية العثمانية على كافة
ارجائه وقد رأينا دماء المصريين وأموالهم تذهب ضحية
المارب الانكليزية والاغراض البريطانية وأصبح السودان
غريباً عن مصر وأصبحت مصر غريبة عن السودان

الجنون واعتقد ان الامة المصرية لم تخلق عبثاً في الوجود
وان لم أن الوطنية الحقيقية تقضى على صاحبها ان يعمل لامته في
وقت شقاءها أكثر من عمله في وقت عزها ورخائها وان يضحي
كل نفيس لاجل سعادتها لينال الشرف الحقيقي في حياته
والجد الابدي بعد مماته . ولذلك عاهدت نفسي امام الله وامام
الناس ان أجعل حياتي هبة لبلادى وان أصرف في سبيل
سلامة هذه الديار قصارى الجهد وغاية القوة مهما لاقيت
من المتاعب وصادفت من المصاعب . ويعلم الله انه لو انتقل
فؤادى من الشمال الى اليمين أو تحولت الاهرام عن مكانها
الممكن ما تغير لى مبدأ ولا تبدل لى اعتقاد بل تبقى الوطنية
رائدى ونبراسى ويبقى الوطن كعبتى ومجده غاية آمالى
وانه كلما تقادم عهد الاحلال الانكازى في البلاد تضاعفت
واجباتنا نحو الوطن العزيز . فقد ظهر اليوم للعالم أجمع ان
انكاثرا تعمل للاستيلاء على مصر ووادى النيل وترى الى
نزع كل سلطة من أيدي المصريين . وتحقق للعامة والخاصة
ان المدنية الانكازية لا تعرف في سياستها مع الامم الضعيفة

خطبة وطنية

في القاهرة

١٠

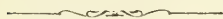
« سائتي وأبناء وطني الاعزاء »

طالما وقفت بينكم خطيباً أذكر مصائب الوطن العزيز
واذ كركم بالواجب نحوه وأقف بينكم الليلة هذا الموقف نفسه
اجابة لصوت ضميري الذي ياديني في كل لحظة وآن بوجوب
خدمة هذه البلاد التي لا شرف لنا الا بشرفها ولا مجد لنا الا
بمجدها . وان العناية التي أجدها منكم في كل أمر يهم الديار
ومستقبلها تزيدني ثباتاً على ثبات وقوة على قوة وتكفل لي
النجاح وتحقيق الآمال

ومهما قال القانطون اليائسون أني أعرض بنفسى للدمار
في سبيل أمة لا يرجى لها نجاة وان الخطيب بين المصريين
انما يخطب في الصحراء لا يسمع له قول ولا يجاب له نداء
فاني أرى ان اليأس من مستقبل مصر ضرب من ضروب

عالية وكان أكبر الفضل في تحضير أساسها لحضرتي سلامه
افندى وعزت أفندى

أما المترجم فانه عزم على القاء خطاب في مدينة العاصمة
وحدد له يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٨٩٩ وما جاء هذا اليوم حتى
غص التياترو الايطالى بألاف الراغبين فى سماع الخطاب
المتشوفين الى رؤية الخطيب . أما الخطبة فيها هو نصها :





عادر حمة الله الى مصر مع الكثرين من المصريين الذين كانوا فى الاستانة على « القاهرة » احدى بواخر الشركة الخديوية فاستقبله الكثيرون من اخوانه واصدقائه والمؤمنين بمبادئه أعضاء الحزب الوطنى واحتفلوا به احتفالا عظيما

حادثنى فى أمر الجريدة التى يريد اصداها وقد كانت المطبعة التى أوصى عليها لتكون شركة بينه وبين حضرتى محمد بك فريد والسيد رضوان جلال قد وردت الى العاصمة فرأينا أن نترك هذه المطبعة للشريكين ونسقل بعمالنا وعلى ذلك أخذ رحمه الله فى تخير زملائه فى العمل فاختار حضرة محمود أفندى عزت لادارة المطبعة وأعمال الجريدة وحضرة الكاتب البليغ محمود أفندى سلامه محررا وحضرة الزميل الصادق مصطفى أفندى عزت (المحامى الشهير) مترجما وحضرة مأمون أفندى بيومى مخبرا وترك لهم الحرية التامة فى تأسيس الجريدة وتحضير أدواتها فأخذوا فى العمل بهمة



وما زاع النبأ حتى أخذ الناس يتحدثون بنفوذه رحمه
الله فايضت وجوده واصفرت وجوه شأن الناس في أمره مثل
هذا وهم بين صديق متين وعدو مبين
وقبل ان يعود رحمه الله الى مصر أنعم عليه السلاطان
بالنشان المجيدي الثانى الامر الذى كادت معه تنفجر صدور
الذين كانوا يسيرون معنا فى طريق الوطنية على دخل حتى
أن صحافياً منهم قال لى : ألا يكون هذا الانعام المنكر ربلا
مناسبة على أخيك وعلى بعض أصحابه وعليك سبباً فى مصادرة
الحلتين لكل لقب يأتى الينا من طريق الاستانة ؟ بلغ بالقوم
الحسد هذا الحد الخذى فأخذوا يهرفون بمثل هذا. ولوشئت
أن أذكر الاسماء والالقاب والاقوال التى صادفتها بعد
هذا الانعام لاحتجت الى مجلد ضخيم ولكن المناقشتين
المضلين معروفون !

قريباً غير أنى لا أعرف نوع الانعام وكذلك طلبت لآخينا
شوقى بك ميدالية الحرب العثمانية اليونانية وأملى في وجه
الله أن يهبنا من لذه فوزاً مبيناً

لا تنس إرسال النقود كما سألتك ودمت لآخيك
مصطفى كامل»

*
* *

ما جاء يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٨٩٩ حتى تسلمت إشارة
برقية هذا نصها :

« فهمى بشارع المبتديان نمرة ١١٩ بمصر

أنعمت عليكم الحضرة السلطانية ومحمود أبو النصر وعلى
فهمى المحامى بالرتبة الثانية وشوقى بميدالية الحرب فأهنتكم
كاتبنى كامل»



وجاءني منه كتاب في ٢٣ أغسطس سنة ١٨٩٩ قال فيه :

« دعيت الى يلدز مرتين وقد قابلت جلالة السلطان بعد
ظهور الامس وأظهر لى جلالة عظيم ارتياحه من جهادى
وأكد لى أنه مهتم بمصر ومستثمها وأنه يتحين الفرصة لعرض
مستثمها على بساط البحث . وكذلك أصدر ارادة عالية بقبول
عشرة تلاميذ من مدرستنا سنويا بمدارس الاستانة العالية
مجاناً وهى منحة لا بد أن يقابلها المصريون بكل سرور

سألنى الباشكا تب أن أكتب ثلاثة من المخلصين لعرضهم
على جلالة السلطان حتى يبرهن من جديد بالانعام عليهم على
أن المصريين هم كذلك أبنائه وموضع رعايته فكتبت معك
حضرتى الاخوين الفاضلين الشيخ محمود أبى النصر وعلى
أفندى فهمي الحامى وتدرأيت أن أضيف على اسمك كلمة
« كامل » حتى لا يتشاكل الامر بينكما وربما تصدر الارادة

لا يهيمهم الا ملء جيوبهم بالنضار الزائل ولو كان فيه خراب
العالم بأسره ولكن على ما رأيت مما سأحدثك به ملياً عند
عودتي — قد حدث هنا انقلاب رئيسي في الاعتقاد في
الخدوية المصرية وجميع المصريين فان الساطان رأى أن
يضرب بهذه الوشائات عرض الحائط حتى لا تتجزأ الاجسام
بانشقاق الرؤوس على بعضها

لا بد أن يكون أولئك الذين تظاهروا بالوطنية زمناً
طويلاً حاسدين ناقلين فاذا رأيت منهم مرارة في اللفظ
وعتامة في الضمير فلا تتألم بل آلمهم ببشائك وتجاهلك وكن
عند قول الشاعر العربي:

قد أتعب الاعداء من داراهمو

فأقم عدوك بالليان وأتعده

إن الاراقم لا يطاق لقاءها

وتنال من خالف بأطراف اليد

هذا وأمل في وجه الله أن أبرح الاستانة في ٣٠ الشهر

المجاري ...

مصطفى كامل»

شهرين والكنى اعتقد أن السلطان أراد أن يطعن الاحتلال
بسمهم صائب لأن في عطف جلالته على خصوم هذا
الاحتلال لدليلاً قاطعاً على كرهه له ورغبته في جلالته

إني لا أشك أن خصوم البلاد وأعدائها والمنافقين
الذين يدعون أنهم من الأمة سيتخذون هذا الانعام سبباً
آخر لتسوية سمعتي وبذر بذور الدسائس بيني وبين العاملين
معنا في السر والعلانية . والكنى أوكد لك أنهم لا ينجحون
فإن الناس لا يحبون خدام المبادئ لاشخاصهم ولكن حباً
في المبادئ نفسها وإني والحمد لله معروف بمبادئتي التي
شرفت الكثيرين من رجال التاريخ قبل أن أعرف بلقب أو
وسام . فليقل العدو ما شاء فإنه عدو على كل حال

أما السياسة العمومية بين يلدز وعابدين فقد أخذت
تتحسن عن ذي قبل وأن الدسائس والوشايات التي استخدمها
الانكليز في الآستانة والقاهرة لتوسيع حلقة الخلاف بين
التابع والمتبوع تنجح مطلقاً وهذا ما يجعل الوطنى في ارتياح
واشراح . نعم انه يوجد كما قلت لك طويلاً قبل سفري من



وبعث الىّ بأشارة برقية في ٢٠ أغسطس هذا نصها :
« أنعم علىّ جلالة السلطان بالرتبة الاولى من الصنف

الثاني »

وما نشرت الجرائد نبأ هذا الانعام حتى قامت قيامة
صحف الاحتلايين وأخذت تطعن عليه بفاحش القول وبذئ
الكلام كما اتخذ المنافقون هذا الانعام الثاني سبباً للوشاية به
عند من يهمهم امره ويحسبون لعمله حساباً كبيراً أما الوطنيون
المخلصون فانهم فرحوا فرحاً كبيراً وقد جاءني عن طريق
البريد والتلغراف رسائل شتى كلها تبريك وعطف
وأما المترجم فانه ارسل الى بعد هذا النبأ كتاباً قال فيه :

.....
كما اني لم أخف عليك استيائي من الانعام الاول فتني
كذلك مستاء أشد الاستياء من هذا الانعام لانه ما وقع
في تاريخ القاب الدولة مثل هذا فينعم على امرىء برتبتين في

اننا لسنا في حاجة الى الكثير من الخنكة السياسية
والدربة العمرانية لنذكر الاخطار الهائلة التي تتهدد كيان
الدولة العلية خاصة والخلافة الاسلامية عامة ببقاء الانكاز
في وادي النيل

وأنه اذا كانت المانيا تميل حقيقة الى المحافظة على صداقة
الدولة المحروسة والاخذ بنصرها وتعطف عطفاً أكيدا على
المسلمين راغبة في استبقاء مودتهم والانتفاع بقوتهم فاعليها الا
أن تفكر في مصر طريق العالم ومركز الدنيا وقلب الخلافة
العثمانية بلا خلاف . وأن الثلاثماية مليون مسلم الذين لا يجهلون
اليوم ما وعد به امبراطور الالمان من أنه سيحافظ على صداقتهم
ومصافاتهم يعدون ضياع مصر بلية البلاء ومصيبة اسلامية لا
مثيل لها ولذلك كان أملنا كبيرا في تدبر المانيا في الامر قبل
أن يفوت الوقت وتذهب الفرصة ولات ساعة مندم

مصطفى كامل «

تسرب الشك الى قلبه في الدولة العلية او ترزح قيد أنملة عن
الاخلاص لها والتعلق بها

أما التهمة الثانية التي تمكن المفسدون من اذاعتها في
المانيا فهي لا شك أوهى وأحط من الاولى . ذلك أنهم قلبوا
الحقيقة وادعوا أن ما نسميه بالمسئلة المصرية ليس في الحقيقة
الا مسئلة فرنسية . وهي تهمة لا يحتاج بهتانها الى برهان
لان أقل الناس ادراكا يعلم أن المسئلة المصرية ليست الا مسئلة
عثمانية بحتة بل انها قبل كل شيء روح المسئلة الشرقية . نعم
لا ينكر أحد ما لفرنسا من المصالح الجمة في مصر ولكن
هل نعتبرها شيئاً مذكوراً اذا قورنت بما لتركيا فيها ؟ ماذا
يكون مصير الخلافة الاسلامية العثمانية اذا قدر لمصر أن
تكون ولاية انكليزية ؟ وهلا تكون قناة السويس سلاحاً
ماضياً خطيراً في أيدي الانكليز ؟ وهلا يصبح البحر الاحمر
بحيرة انكليزية وتصبح مدينة الحديد ثغراً انكليزياً لا تخدم
فيه الا المصالح والشؤون البريطانية ؟ وماذا يكون اذا ذاك
مصير الحرمين بمكة والمدينة ؟

الينا ومناصرنا فقد زعموا أن الامة المصرية تكذب لنيل استقلالها التام غير ناظرة الى ما لتركيا في مصر من الحقوق وهو الكذب المحض والافتراء أى الافتراء لان المصرى الذى يحلم بالتخلص من الاستامة ليس فى نظري بل وفى نظر الامة المصرية بأسرها الا معتوها او مسلوب الشعور او خائناً لبلاده . فقد علمنا التاريخ وهو اصدق المعلمين وأمهرهم أن جميع ما حل بمصر من الارزاء والبلايا ما كان سببه الوحيد الا النزاع الواقع والخصاص القائم بين مصر والدولة العلية وأن بلادنا العزيزة لا تسعد وتقوى الا اذا وطدت عرى المحبة الخالصة ووثقت أواصر الارتباط بينها وبين تركيا . لاسيما أن مصر أم شطر متمم لجسم وروح الممالك العثمانية المحروسة

ان هذا رأى ليس خاصاً بى وحدى بل أنه أصبح كذلك عقيدة ثابتة متأصلة فى نفوس جميع أبناء وطنى . فوادى النيل من أذناب الى أقصاه لا يعرف غير وجوب هذه الرابطة المحتمة بين مصر والدولة حتى أنك لا تجد واحداً منا

انه الصديق العظيم وقد رددت صوته العالى المسموع فى أرجاء
العالم تلك الكلمات الودية التى نطق بها جلالته فى احدى
خطاباته عند ما كان ضيف الدولة الكريم . ألم يقل جلالته
« انى أقسم بأن صداقة امبراطور ألمانيا للثلاثمائة مليون
مسلم المنتشرين فى أرجاء العالم وخليفتهم ستستمر الى الابد »
الا ان هذه الكلمات المرضية المحمودة التى اشتغل العالم
زمننا بتأويلها وتفسيرها كنت سبباً لان أسائل تنسى : يجوز
مع ذلك لعشرة الملايين من المسلمين المؤلفين لقوة الامّة
المصرية أن يعتمدوا أيضاً على صداقة امبراطور المانيا ؟

وهل يصح أن يكون لنا فى هذه الاقوال التى ليست
الا عهداً امبراطورياً بعض السلوى ونعتقد معها أن لنا بين
المسيحيين صديقاً عظيماً لا يوافق على اضطهاد الانكليز لمصر
وسلمهم لا قدس حقوقنا باسم المدنية والانسانية ؟

أنه ليتعذر على أن أجيب على هذا وعلى الاخص بعد
أن اتهمنا بممارسة السوء بتهمتين - كاتيهما اكذب من
الاخرى - لا لغرض آخر سوى ابعاد الالمانيين عن الميل

على أن اسم الامبراطور غليوم الثانى لم يأخذ هذه الشهرة الفائقة في البلاد الشرقية الا ابان الازمة الارمنية . ومن منا لا يذكر تلك الخطة الشريفة النجيية التى اتخذها الامبراطور وحكومته المبجلة في الوقت الذى تحفزت فيه أورربا بأسرها للوثوب على تركيا وسلطانها ؟ من منا لا يذكر ولاء الامبراطور للسلطان واعترافه بسطوته وسلطته ومقامه واحترامه في الوقت الذى كان يدعو فيه اللورد سالسبرى العالم المسيحي أجمع الى اشعال نار حرب صليبية ضد نفوذ جلالته ؟

لا ريب أن ذكرى هذا الصنع الجميل الذي اتاه جلالة الامبراطور من تلقاء نفسه في وقت حوادث الارمن ستبقى خالدة مطبوعة الاثر في نفوس المسلمين جميعا . وليس الهتاف والترحيب اللذان استقبله بهما المسلمون في العام الماضى الا دليلىن حسيين على ما لجلالته من الاحترام والعطف في قلوبهم حتى لقبوه فوق ذلك « بالصديق العظيم »

نعم أنه أكد للمسلمين اثناء سياحته في ممالك الدولة

أثيمة لغرض تقسيمها أو ابتلاعها بعين المرتاح ونفس المطمئن
بل على الضد يقومون قومة واحدة تهتز لها الارض ومن
عليها فتهدم أركان الامن العام وتسوء العتبي . اذ المسلمون
جميعاً لا تغفل لهم اذ ذاك عين عن الاخذ بالنار لتركيها المحترمة
المحبوبة وطنهم الاسلامي العام

فطن جلالته الى كل ذلك ووجد أن احل الوحيد
المستطاع للمسئلة الشرقية والذي يقره العقل السليم وتأييده
الانسانية الحقيقية انما هو في ترك الدولة العلية آمنة مطمئنة
تعمل بنفسها لاصلاح مرافقها الداخلية واسترداد مجدها
الباذخ وسؤددتها القديم

ومما يؤيد أن المانيا لا تجد حلا للمسئلة الشرقية غير
هذا مؤازرتها للدولة في تنظيم جيشها وتدريب جندها ليكون
درعها الواقية وعدتها المرهبة . هذه الخدمة الالمانية الجليلة
التي يذكرها المسلمون دائماً لضباط الالمان بمزيد الاعجاب
والاعظام كما يذكرها الجيش العثماني الباسل الذي لا يضارع
على ممر الايام

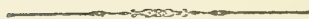
— ❧ المانيا والاسلام ❧ —

ان احترام جميع مسلمى العالم لجلالة الامبراطور غليوم
الثانى وعظفهم على الامبراطورية الالمانية أصبحا اليوم حقيقة
جلية للعيان لا ريب ولا خلاف فيها . وما سبب ذلك الا
أن المانيا أخذت منذ بضع سنين تبرهن للعالم الاسلامي الذي
عاملته أورربا بغاظة وجفوة أن فى العالم المسيحي دولة أدركت
أن المسيحية لا تحرم مصافاة وخطب ود المسلمين

وفى الواقع قد تحقق جلالة الامبراطور بنظره الثاقب
ما للمسلمين من قوة وما لخليفتهم من سطوة فى نفوسهم وما
يمكن فى جسم الامة التركية من عناصر الفتوة والقوى
الحوية . كما تحقق جلالاته فوق ذلك أن المسئلة الشرقية أعقد
من ذنب الضب وأنه من رابع المستحيالات حالها بتقسيم
الممالك المحروسة كما يتخيل ذلك المتهورون المتعصبون من
ساسة أوروبا . وأن اثلاثمائة مليون مسلم الضاربين فى أنحاء
المعمور لا ينظرون الى أى سوء يتبد الى الدولة العلية من يد



كتب الىّ المرحوم في أحد كتبه التي اثبتناها في هذا
الجزء أن جريدة « برلينر تا جيبلاط » نشرت له مقالا عنوانه
« المانيا والاسلام » في يوم الجمعة ٥ مايو سنة ١٨٩٩ ولما كان
تعريب هذا المقال غير موجود لدينا فقد كتبنا الى حضرة
أخينا الوطني الغيور الدكتور محمود بك لبيب محرم المقيم ببرلين
أن يبعث به الينا وقد تفضل وأرسله فتسلمناه في يوم السبت
العاشر من شهر فبراير عام ١٩١١ وهذا نصه :



في رسالة خاصة اذا سمح جلالته بذلك
أقيم أثناء وجودي بالاستانة بأوتيل سومر بالاس بترابيا
وقد قابلت هنا شوقي بك وعبد الله بك أباضه وكلما ذكر
صاحبنا بمصر (يقصد سمو الخديو) أذكره بأحسن لسان
وأشتكى من خدامه الادنياء !!

انتظرت النقود التي طلبتها منك في ٣١ الماضي فلم ترد
حتى الساعة وأملى أن أتسلمها غداً

قبل لى وجنات فريد بك وفدنى عن صحة والده
وفي الختام أسألك أن تقبل لى أيدي السيدة الوالدة
البارة الرحيمة وأقبلك ألف قبلة وأسأل الله جل شأنه أن يرفع
وطننا فوق كل بلد وان يجزى المخلصين

أخوك المخلص

مصطفى كامل «

حظرة واحدة في أنه الوفاء بعينه

ودمت لاختيك المخلص

مصطفى كامل

وتسلمت منه كتاباً جاء فيه :

« الاستانة العلية في ٧ أغسطس سنة ١٨٩٩

أخي الاعز حرسه الله

بدد التحية الاخوية وتقبيل وجنتيك العزيزتين أخبرك
أنى وصات الاستانة العلية بمزيد الصحة والسلامة أول الامس
وذهبت تواء الى يلدر نقوبلت بمزيد البشاشة والاحترام وقد
أظهر لى الباشكاتب رغبة جلالة السلطان فى معرفة حركة
الخواطر الاوروبية نحو الاسلام والمسلمين وما يؤدى الى
خدمة المسلمين ورفعة شأن الاسلام وما لقيته أثناء رحلتى
الاخيرة وقد أجبته الى طلبه وسأكتب كل ما فى نفسي خدمة
لمصر خاصة وللعالَم الاسلامى عامة وأملى أن أطبع ما أكتبه

متبصر لا أقول إلا ما أريد لا ما يريد غيري كما يفعل البعض
ممن ادعوا الوطنية وأول دليل عندى على رضا الخالق
جلّ شأنه علىّ هو أنه خلصك من الجندية لتكون لى اليد
البنى والاخ المعين والمساعد الاول فى خدمة الاوطان ومع
الصبر والثبات نباغ المراد

لأستسهان الصعب أو أدرك انى

فما انتقادت الآمال الا لصابر

وانى أرى للصحانة فى مصر وسائر بلاد المسلمين مستقبلا
عظيما جداً خصوصاً اذا كان المحررون لها ممن عرفتهم الامم
الاسلامية وعرفت فيهم الاستقامة والاخلاص

أوافق كل الموانقة على وضع المطبعة بالدور الاسفل
من سراى العزبى وأرجو منك تبليغ عاطر سلامى لاخوانى
فريد وجمال وعلى فهمى وحسين قرمدجوللى ومحرم رستم .
ولا تنسى مصطفى بك سرى فانى شاكر له كل الشكر ان عارفا
له فضله وكماله

كتبت اليوم لعبد العزيز نريد حسب أمرك وانى لا أشك



وبعث الى من فينا بكتاب جاء فيه :

« فينا في ٢ أغسطس سنة ١٨٩٩

شقيقى الاعز حرسه الله

بعد التحية وتقيل وجنتيك . وصل الى اليوم خطابك

العزیز المؤرخ ٢٣ الشهر الماضى وقرأته بزيد السرور والارتياح

وجواباً عليه أفيدك أي وصلت الى فينا هذا الصباح وقد

لاحت لى أمور غيرت معها خطة سفرى اذ أبرحها بمشيئة

الله غداً مساء الى الاستانة العلية التى سأبذل الجهد فى العودة

منها الى مصر فى ١٦ الشهر الجارى

نصائحك الحكيمة سرتنى جداً فلا تخف على صحتى

وتيقن أنى لا أعمل الا ما يئليه على وجدانى والله الذى أنجاك

من يد الانكايز ووهبنى الصبر الجميل وشد أزرى بعدئذ

بك لا أتحول عن هذا السبيل السياسى وكن عند ظنك بى

يارك الله فيك

واعلم أنه بالرغم من شبوبيتى وغيرتى واتقادى واخلاصى

لا أحفي عليك أنى فى أشد الحاجة اليك وعلى الاخص لاننا
على أبواب العمل الحقيقى ويجب علينا أن نقدم الامر على المهم
وأن نبخل بوقتنا كل البخل على ما يفيد ذاتيتنا ولا نضن به
على ما ينفع بلادنا ويخدم أمتنا

انى طالما أظهرت لك أمنيته من وجودك بجانبى وهما قد
من الله على بذلك وانى أخاف أنك اذا درست الحقوق بسرعة
كما كنت قد رسمت لنفسك تشتغل بعدئذ بالمحاماة وتتركنى
وحيداً فى هذا العمل الشاق. وانى اذا كنت أعتقد فى فريد بك
اجابته الى طلبى اذا سألته ترك عمله ليكون بجانبى فما بالك
وأنت شقيقى الذى أحبه كروحى وأعتقد أنك تحببى كذلك.

.....

هذا وأبعث اليك فى البريد بكتاب على التربية الحديثة اختاره
لك مسيودى روزاس نفسه

.....

دمت لآخيك الخاص

« كامل »

مصر بمصايفهم كل ذلك حال دون أجابة هؤلاء الى مطالبوه
قابلت اليوم مسيودي روزاس (ناظر مدرسة الحقوق
الفرنسية بمصر) وتكلمت معه بشأنك فأظهر عظيم احترامه
لك وامت ترافه بكفاءة تلك واستعدادك وقال لى أنه يرى أن
دراسة الحقوق غير مفيدة لك بالرة في عمالك الحاضر فأناك
في حاجة الى دراسة أصول التربية الحديثة لتسير بالمدرسة التي
أخذناها على عاتقنا في طريق الرقى والنجاح . لاسيما أنك بعد
نيل الشهادة الثانوية قد قضيت عامين بمدرسة الآسن مما
يساعدك كثيرا على تحقيق هذه الأمنية . وأني أوافقه على
هذه الفكرة فإن تربية الشعب من أهم ماتنتجه اليه أغراض
الوطنيين العاملين . ولى عظيم الأمل أن أعود الى مصر قريبا
لأرتب معك مايلزم لإنشاء الجريدة ثم أتركك تسافر الى
أوروبا لزيارة مدارس فرنسا وسويسرا وبلجيكا التي هي أرقى
بلاد العالم في التربية والتعليم

انى مع اعتقادي أن هذا الرأي لاشك يؤملك لرغبتك
التي أعلمها من زمن بعيد في دراسة علوم الحقوق والكنى

لذلك أرجو أن ترسل الى بعنوان فيينا على لسان البرق
نقودا من باب الاحتياط فأني أود أن أقضى بضواحيها بضعة
أيام لمقابلة بعض كبار النواب ورجال الحكومة والصحافة وربما
عرجت كذلك على الحجر لأعمل سياسية هامة

.....

دمت لاختيك

كامل

*
* *

وجاءني منه في أول أغسطس كتاب ورد فيه . . .

.....

سأسافر مساء اليوم الى فيينا بعد أن قمت هنا بما يجب
على نحو بلادنا العزيزة وبعد أن أكتسبت مودة الكثيرين
من أهل السياسة والمقام الاسمي . وقد طلب الى الكثيرين
منهم ان اتى خطابا في القاعة الجغرافية الكبرى على مسائل
مصر السياسية والاقتصادية والوطنية ولكن أعمالي الكثيرة
ورغبة السلطان في سفرى الى الاستانة ووجود أغلب أصدقاء

من عمله تصفية الحساب . فمن ثبت ووقف حياته لخدمة
مصر نال من الله فوزا مينا ومن اتخذ الوطنية سبيلا أغراضه
وشهواته لا بد أن ينكشف أمره ويوء بخزي كبير
لا تندهن أيها الأخ العزيز من وجود المنافقين فان هذا
أمر طبيعي في بلادنا بعد أدوار التاريخ التي تعلمها وليس
المدهش في الحقيقة الا أن يكون بيننا مخاصون ! »

*
* *

وجاءني منه رحمه الله كتاب في ٣١ يولييه سنة ١٨٩٩
جاء فيه

.....

« كنت وطدت العزم أن أبرح مرسلها لاعدود الى
الوطن في يوم الجمعة المقبل ولكن سفير الدولة هنا استدعاني
قييل ظهر اليوم وأبلغني أنه تقي رغبة جلالة السلطان في
عودتي الى مصر عن طريق الاستانة فدهشت كثيرا من
هذه الرغبة ولكنني عازمت على اجابة هذا النداء العالي الرغم
من مضايقات الاستانة التي شرحت لك بعضها

على الشعوب المهضومة الحقوق فضلا عن كونها من أكبر
عائلات فرنسا حسبا ونسبا وقد قضت عمرها الطويل في
معارك سياسية وشاهدت ما لم يشاهده غيرها

متى عازمت على العودة أخبرتك بلسان البرق ورجائي أن
تدفع لمسيو لدويج تاجر الطابع والورق ستين جنيتها وتستعته
أن يستحضر آلة الطباعة بسرعة لاني عازمت عزماء كيدا على
اصدار جريدة ولو أسبوعية متى عدت الى مصر .

وبما أن حضرتي الاخوين العزيزين فريد بك والسيد
رضوان جلال يرغبان الاشتراك معي مثالثة في آلة الطباعة
فاني موافق ويمكنك الاتفاق معهما على الشرائط الاولى
واذا رأيت أن المكان الحال الى غير مناسب لادارة جريدة
فيمكنك كذلك أن تبحث عن مكان آخر يلائق بها .

وصلت الى نسخ الجرائد وقد أملت شديد الالم لعدم
وجود جريدة في يدي حتى كنت أرد على أذئاب الاحتلال
وأدفع عن هذه المبادئ القويمة .

لأننا من تغير الأحوال السياسية في بلادنا فإن الزمان

نشرها فلم ينشرها معتذراً بأن المواد لديه كثيرة وأنه نشر
الكثير من أمثلها فاضطرت أن أسافر الى الاسكندرية
للقاء صاحب الاهرام الذى استقبلنى بكل بشاشة ونشراً غلب
فقراتها

وقد كتبت الى ارحوم بما كان وجاءنى منه كتاب
يتاريخ ١٤ يوليه سنة ١٨٩٩ جاء فيه :

.....
.....
عدت اليوم من فيشى بعد أن استفدت من مياهها
وانى أشعر بنشاط عظيم وصحة جيدة للغاية . وقد كنت أود
كما أخبرتك أن أعود الى مصر غير أنى وجدت الفرصة
مناسبة للتعرف الى بعض رجال السياسة ومن بينهم مسيو
روشفور صاحب القلم العالى والفكر الوقاد . هذا الرجل
الكبير الذى لو انغم الى مناصرينا ضد الانجليز لغنمنا مغنا
كبيراً . والفضل كل الفضل فى معرفة هؤلاء الرجال يعود
الى مدام آدم هذه السيدة التى ما رأيت مثل قلبها فى العطف

ان احيطكم علما به على هذه المسألة العزينة ؟ أليست تلك
النتيجة أكبر انتصار لانجلترا في هذا القرن ؟؟ أليست أكبر
اهانة لحمت فرنسا حتى الآن ؟؟ ان سقوط فاشوده هدم
كل أمل كان المصريون يترقبونه من فرنسا وقد سمعت بأذني
بعض الآباء علماء من نظار المدارس ان يعلموا اولادهم لغة
أجنبية غير اللغة الفرنسية وما ذلك الا لانهم مستأفون من
رؤية أمة كاملة كما تتحمل اهانة علمها الى هذا الحد ! على اننا كنا
حقيقة ازاء هزيتكم السياسة منتصرين لتحمس فرنسا الذي
مثله الضابط مارشان وامثله كما دهشنا وسنستمر كذلك من
رؤية شعب ينبغي مثل هؤلاء الرجال ويتحمل في آن واحد
مثل هذه الاهانة امام العالم طرا ! فبأي عمل مجيد نافع بل بأي
عمل مدهش تحو به فرنسا هذه الوصمة لتسترد مركزها في
الشرق ؟؟ اننا لسنا انبياء حتى نتكهن فلنترك الجواب للمستقبل
وليس المستقبل عنا ببعيد اهـ»



ما جاءني تعريب هذه الخطبة حتى طلبت الى المؤيد

وقبل ان انتهي اتركوا الى الحرية ان أقول رأيي ورأي
مواطني في السياسة الفرنسية في مصر فانها سياسة لا
تليق بدولة عظيمة فبدل ان تكون سياسة عمليه تركت
الاشياء لتصاريف الزمان فلم تعمل غير وعد المصريين بوعود
كثيرة مع الاختناء ساعة الحزم والهرب وقت العمل . وأنه
اذا كانت سياسة انجلترا ليست الا التظاهر بنسيان وعودها
لنكثر من املاكها . فان فرنسا اساءت لنفسها كما اساءت
الى أو في اصدقائها باتباعها سياسة الاهمال وبينما تشهد
الخطر المحقق بمصر ولا تمنعه وترى الحرب أعلنت على ثبوتها
فتتحمل الخذلان بلامبالاة حتى أن بعض السياسيين الفرنسيين
يبرر عملها هذا بقوله : انه ليس لفرنسا اصدقاء في أوروبا غير
الروسيا وانهم اضعيفتان امام انجلترا مع أن التاريخ وحده يجيبهم ان
فرنسا وحدها ساعدت محمد علي في سنة ١٨٤٠ ضد اتحاد أوروبا
مع تركيا بخلاف اليوم فاننا نجد روسيا وتركيا وجل أوروبا
معها في المسألة المصرية . وحيث اني طرقت باب السياسة الفرنسية
في مصر اجدني مضطراً لانكلم على فشوره ! فما الذي يمكنني

فقد قال الفلاسفة ان كل الرجال يعملون بمبدأ تعدد الزوجات
وانه اذا كان المسلمون يجرون في ذلك باسم الدين فان
المسيحيين يجرون فيه باسم الحب والغرام والفرق بين
الاوليين والآخرين في الشكل لا في الموضوع اما نحن
فمن يمتقدون ان قلب الرجل لا تملكه الا امرأة واحدة
وكل المتعلمين من المصريين يكرهون تعدد الزوجات
وستزول هذه العادة بحكم الضرورة عندما ينعى الفلاح والعامل
من ثبل اعباء الحياة

حقيقة ان المرأة المصرية لا تشغل مركز الاوروبية
لانا لا نريد أن نكون قردة نتلذذ أوربا في كل شيء وانما نريد
أولاً أن نبقى مصريين وان نوجه قوانا لا لهدم مدينتنا وانما
لتقويتها وتحسينها ولذلك يجب على الاوربيات أن لا يدهشن
اذا كانت نساءً يخالفنهن في العمل والغرض والحظ من
الحياة : ويحاولي ان أقول لكم ان نساءنا كذلك وطنيات مثلنا
واغلبهن يقرأ الجرائد وكأهن يبنضن الاحتلال من اوراق
قلوبهن

الانجازات للتعليم فان الوطنيين ينشئون المدارس الحرة وقد
انشئت في هذه السنة اثنتا عشرة مدرسة وأملى كبير في ان أرى
مصر بعد بضع سنين في صف البلاد المستنيرة .

اما تربية البنات فباست مهمة وأنه ليسرني أن أقول لكم
ان المصريات لسن كما تعتقدون في اوربا تعيسات جاهلات
فلمن سعيدات يتعلمن تعليما كافيا . أما الاسلام فانه لا محالة دين
حنيف رغما مما ينسبه اليه أعداؤد فقد أحل المرأة مكانة راقية
عالية . وقد قل النبي عليه الصلاة والسلام « الجنة تحت اقدام
الامهات » فعلمنا بذلك كيف نحترمن ونطيعهن وكل أعباء
الحياة نحملها الرجال لا سعاد النساء

نعم اني اعلم ان الاوربيات مستأآت من الاسلام لانه
مثل لمن بأنه الامر بتعدد الزوجات . ولكن الاسلام
أيها السيدات لا يحتم تعدد الزوجات فان العادة هي التي
شوهت الديانة السماوية ولما أراد الاسلام ان يضع حدا
للشهوات . ونصح الي من خاف أن لا يمدل بين زوجاته بأن لا
يتزوج غير واحدة . تم المساواة في معاملة الزوجات ومع ذلك

ولقد اقمنا الحجة على هذا الافتراء بما لا يقبل النقض ولا أدل على ذلك من ان مجلس الشورى المصرى الذى يتثل الامة طلب الجلاء مرات باجماع الاراء. وكم من مرة أظهر آلاف من المصريين كدرهم من بقاء الاحتلال وأعربوا عن شعورهم الوطنى في فرص كثيرة. واننا اذا عملنا لمنع كل ثورة فلا ذلك الا لعمامتنا ان الثورات تخدم انجلترا التى ترى من صالحها ان تتثل المصريين لاوروبا امة ثائرة حتى يبرهن بذلك على ضرورة بقاء الاحتلال

اختصت الامة المصرية من بين سائر الشعوب الاسلامية بقوة فضيلة التسامح تلك الفضيلة الدالة على مدنياتها العالية فان السياحين الاوروبيين يمكنهم التجول في الانحاء البعيدة بدون ان يجدوا من الفلاح غير البشاشة والاكرام ونحن متمسكون بالمحافظة على جايانا متخذين تلك الحكمة قاعدة لنا « احرار في بلادنا اكرماء لضيوفنا »

وأهم نقطة في خطتنا هي تعليم الشعب فان مصائب مصر لم يكن لها سبب غير جهل الامة وأنه بالرغم من محاربة

مقدار حبه للانسانية ولم يكتف الانجليز باسالة الدماء بل عمدوا الى ذبح الموتى ليقتلوا الانسان بذلك مرتين وقد شاهد بعض الضباط المصريين الرؤساء الانجليز يتفاسمون فيما بينهم أصابع الهدي ليحفظوها تذكاراً عندهم .. أليس من المعيب أن نكون بعصر هؤلاء من دعاة المدنية

وقد أصبح الانجليز ينادون بملكيتهم للسودان مع انه بالنسبة لنا بمثابة روح وطننا فنحن لا نقبل هذا الاغتصاب بعد ان رويناه أرضه بدماء خير ابنائنا وبعد ان انفقنا في سبيله جزءاً عظيماً من قوانا المادية والادبية فالسودان لابد أن يكون لمصر وسلب الانجليز له لا يبرر في نظر الشرع والانصاف اسمحو الى أيها السادة بعد أن مثلت امامكم مركز مصر أن ألقى عليكم بعض كلمات على خطة الوطنيين المصريين: تنحصر خطتهم في معارضة الاحتلال بكل نشاط ومنع أي حركة أو ثورة وتربية الشعب بتقوية الشعور الوطنى

اجتراً الانجليز على دعوى أن المصريين اصبحوا سعداء تحت حكمهم وأنهم يتون من صميم أفئدتهم بقاء الاحتلال

خفت العالم الانجائزى على عاصمة السودان !!

ماسمعنا بجيش أهين مش هذه الالهة التى تودى بالشرف.
كيف ان انجلترا التى ليس عندها الا ٣٠٠٠٠ عسكرى أمكنها
أن تدعى وضع يدها على السودان مع ان الجيش المصرى كان
عدده ٢٠٠٠٠؟؟ فما قدمناه من الرجال ضحية وما بذلناه من
المشاق وما أظهرناه من الشجاعة كل ذلك لم يخدم الا عظمة
انجلترا؟ فوأسفاه.. كل هذه أسئلة مؤلمة. كان الضباط
يتناجون بها حتى ذهب ببعضهم الحال الى النزوع للثورة
ولكنهم حريون يلزمهم اطاعة رئيسهم الخديو الذى أمرهم
بالقتال لا أن يشتغلوا بالسياسة

ولما لم تكف الانجائز تلك الالهة التى أحقوها بمصر
وبكفائة الأمة عمدوا الى اذاء الانسانية نفسها فاستباحوا
لانفسهم أم درمان مدة ثلاثة الايام الاولى من استردادها
حتى تسال السودانىون عما اذا كانت أعمال عبد الله التعايشى
هى البربرية أم أعمال ذلك الفتح الجديد وقد أمر لورد كيتشنر
ان يمش قبر المهدي وتبثر عظامه ليظهر للعالم الخائن عليه

وقد بذل ساستها كثيراً من الحيل والنسائس لوضع يدهم على السودان . فلما تولى غردون حاكماً عليه في حكم اسماعيل أتى بالمستحيل ليفرق السودانين والمصريين وليبذر بذور العداوة بينهم ولما كانت الفوضى سائدة في مصر أشهر السودانون السلاح في وجه المصريين وقد ساعدتهم على ذلك غردون وكل من تعاملون كيف تركته انجلترا بلا مبالاة دون مساعدة وكيف خدم موته السياسة الانجليزية فان انجلترا كانت في حاجة لان تترك مصر السودان لتسترده فيما بعد لفائدتها فقط ولكن هذا الاخلاء غير شرعي لان السودان ملك تركيا تلك الدولة التي لها حق السيادة على وادي النيل فليس لمصر الحق في التصرف فيه ولما حانت الساعة التي حددتها السياسة الانجليزية تقرر استرجاع السودان من جديد وقد أصدر الخديو دكرتو أمراً فيه الجيوش المصرية وكلها من المسلمين لتتجه نحو السودان وبعد تعب شديد ومجهودات دات على الشجاعة « سقطت » أم درمان في يد المصريين ولكن ماذا كانت نتيجة هذه الضحايا وهذه الانتصارات الباهرة ؟ النتيجة ان

المستبدين والقوانين في انقلاب مستمر والبلادتين من احتمال
تلك التجارب التي تسير حسب الاهواء ولا تعرف أو لا تريد
الوقوف عند حد !

عجبا ؟ أيصح أن انجلترا الحرة تدعى تمدين مصر بينما
نرى سياستها تنحصر في الاستعاضة عن المصريين بالانجليز
والوطنيين بالخائنين ؟ انها لطريقة عجيبة لتدين الأمم ! ولكم من
مرة رأينا هؤلاء الممدين يرتكبون جريمة القتل في راحة
النهار ليس الا تلذذا بالقتل اربما كانت هذه أيضاً طريقة لتمدين
الشعوب الافريقية فان الانجليز يقدسون الحياة لدرجة ان
أحد مفتشيهم عندما أطلق مسدسه على ساع لتلغراف وقتله كل
تقتل الكلاب لانه اجترأ ان يطالبه بإيصال ولم ينل القاتل عقابه
غير ارساله الى البلاد الهندية

وقد اقتضى النفوذ الانجليزي في القاهرة منذ سنتين
احراق سبعة رجال من البلينا بالوجه القبلي بملأ انهم لصوص
قاوموا البوليس . بذلك يمكنكم أن تعرفوا مقدار مدنية انجلترا
ومقدار كراهتنا لهذه المدنية المزعومة !

وليس في وسعي أن أصف لكم تلك الحرب التي أثار غبارها
جيرانكم الانجليز ضد نفوذكم على ضفاف نهر النيل فكمراة
الانجليز للغة الفرنسية شديدة جداً وهم يجدون بعزيمة لا تكمل
لإبدالها بلادة بلادم فإذا استمر ذلك وهو ما تحماني على الظن به
سياستكم العمياء فإن اللغة الفرنسية لا بد أن تحي من بلاد
كان أهلها يفضلونها بعد لفهم العربية

لايجولن بخاطركم أن شباننا الذين يتعلمون اللغة
الانجليزية تموزم الوطنية من اجل ذلك فانهم يحبون بلادم
حباً جماً وكثيرا ما يطعنون في الاحتلال البريطاني في مجتمعاتهم
بنفس اللغة الانجليزية

وقد اتخذ الانكليز ازاءنا خطة تثير الخواطر وتهيج الوجدان
فابعدوا عن الوظائف كل الاكفاء من رجالنا ويكفي أن يكون
الانسان وطنياً ليطرد من الحكومة . ولم يضاف الانجليز
الا الخائنون الجهلاء الدساسون . . فالعلم والشرف يضايقان
الانجليز والمدارس الاميرية يتناقص عددها من وقت لا آخر
وتتقل أبوابها في وجود الشبان والفضل في ذلك لهؤلاء

« اذا كان أخذ مصر جيلا فاجل وأشرف منه الوفاء بالوعد »
خدعتنا هذه الوعود المكررة وسلمنا عن حسن نية
باخلاص الانجاز حتى كان الكثيرون يرون أن الشك في
صدق وعود هؤلاء السياسيين أعظم سبة لانجلترا وما كنا
لنتصور أن شعباً متمدناً ينقض وعوده ويسخر علناً من
عهوده الصريحة

أما نحن معشر الشرقيين فنعتقد أن المدنية المادية ليست
مدنية حقيقية ولكن خير المدينيات ما ارتكز على الشرف
وحرية الشعوب .. فماذا ينهينا التلغراف والتليفون
والفونوغراف بل كل مخترعات أوروبا الحديثة اذا كنا ننن
من استبداد مخترعي هذه الآلات الجيلة واذا لم تصالح الا
لتعجل باستعبادنا. وانه لا أحب الىّ ألف مرة زأهيم على وجهي
في الصحراء ممتطياً جوادى رافلا في حال الحرية من أن أجوب
بلادى راكباً سيارة وهي تحت حكم الانكاز ! .

ان انجلترا لم تضع يدها على حكومة مصر الا لتكون أقدر
على ائمة الشعوب الوطنى وابعاد المصريين عن ينابيع العلم والحرية .

(ثانياً) — الى سلب سلطة ونفوذ الحكومة المصرية

(ثالثاً) — الى وضع يدها على السودان وهو روح

مصر وحياتها

ولكي تكونوا على بينة من وعود سياسة الحكومة

البريطانية فيما يتعلق بالجللاء عن مصر اذ كرر ليكم شيئاً مما قاله

لورد سالسبرى نفسه فقد قال ذلك اللورد في سنة ١٨٨٦

« يجب علينا احترام وعودنا المقدسة بالجللاء عن مصر » وقد

قال لمسيو وادنجتون المعتمد الفرنسى في لندره في شهر فبراير

من السنة نفسها « يخطيء بعضكم كثيراً اذا ظنوا أننا نريد البقاء

في مصر الى الابد فنحن لا نبحث الا عن طريقة تمكنتنا من

الخروج شرفاء »

وقد قال في اغسطس سنة ١٨٨٩ « ان اعلان بقاء انجلترا في

مصر الى الابد يكون بمثابة شهادة تنقض من شرف اليهود

التي أبرمتها حكومة الممكة تلك اليهود التي يلزمنا الخضوع لها »

وكم من مرة اقسم غلادستون بتاج جلاله الممكة على

ترك مصر للمصريين . أليس هو القائل لتلك الجملة المشهورة

واستمرت انجلترا في دس الدسائس بعناد وثبات يلزمي لتعدادها ساعات وساعات كان من أشدها خطراً على مصر وأدلها على مهارة الانكليز ما حدث في سنة ١٨٨٢ تلك السنة المشئومة التي عرفوا فيها كيف يخدعون أوروبا كلها ولا سيما فرنسا ولعلكم تذكرون مذبح الاسكندرية التي مثل فيها الانجاز أخس ما يمكن تصوره من الادوار باطلاق القنابل على تلك المدينة الزاهرة وستبقى هذه الاعمال البربرية في التاريخ غير لا ثقة بمدينة تنادى بعظمتها صباح مساء

دخل الانجليز لابعبارهم فاتحين وليكن بدعوى صداقتهم للخديو والسلطان واتبعوا سياستين احدهما داخلية والاخرى خارجية

وانحصرت سياستهم الخارجية في تخدير أعصاب المصريين وإيهام أوروبا بتكرار وعود الجلاء وتركنا بعد ذاك مديرين لدفة شؤوننا

واتجهت سياستهم الداخلية

(اولاً) — الى هدم نفوذ فرنسا في مصر

غيرة ووطنية وقد أصبحت حربية مصر وبحريتها مهميتين حيث
أخذت بعد ان هبت دفعة واحدة من سباتها سر كزأ لها بين
معاصريها من الامم جديراً بتاريخها ومدنيتها القديمين
والكن للأسف وجدت وتوجد في هذه الايام دولة اوربية
لا يرضيها ان ترى مصر حرة عظيمة . . وهل تجهلون بريطانيا؟؟
فكم مرة حاولت تلك التي تريد أن تضم العالم بين جناحيها خرمانا
من استقلالنا ورمتنا في وهدة الجهل والاستعباد تستطيع اذلالنا.
الم تنزل عساكرها في رشيد سنة ١٨٠٧ لغزو مصر؟؟
ولكن آباءنا الشجعان بقيادة محمد علي قهروا الانجليز
وطردوهم فلم تغير هذه الهزيمة من خيطة تلك الدولة العنيدة.
وانتهزت فرصة الخلاف المشؤم بين مصر وتركيا في سنتي
١٨٢٣ و١٨٤٠ وعرضت بلسان وزيرها اللورد بالمرستون على
أوربا طرد محمد علي وعائلته من مصر ولكن حكومة لويس فيليب
قد اتخذت خطا حزم لمساعدة مصر وأعلنت الدول بأن مس
حقوق واليه بالثبات اعلان الحرب مع فرنسا وقد حفظ محمد علي جميل
هذه المساعدة للويس فيليب حتى انه وجهم للماعلم بخبر سقوطه . .

ندخل اليأس على قلوبنا من حياة الأمة الفرنسية وبتقظها
ومستقبلها العظيم . . كما أننا لا ننسى مجهودات فرنسا لانهاضنا
من نومنا العميق وايقاظ أمتنا للسير الى الامام واعادة
مدينة أجدادنا واجراء دسائهم الشريفة في أجسامنا أولئك
الفراغة الذين أدهشوا العالم في سالف الزمان وسيبقون مئات
القرون وهم موضع الدهشة والاعجاب

ان بونابرت عندما ترك مصر في أواخر القرن الماضي
كان معتقدا أن المصريين من تلك الأمم القوية التي يجوز عليها
النوم ولكن يستحيل عليها ان تموت وبعد ذلك بقليل اعتقدت
فرنسا نفسها هذا الاعتقاد فمدت يدها لذلك الرجل النابغة
«محمد علي» الذي مدين مصر وجعلها جديرة بإضيها وقد مثلت
فرنسا هذا الدور الجميل أمام العالم من قيام أمة مسيحية
لاسعاد ورد عظمة أمة اسلامية اليها فأرسلت اليها أكبر علماءها
فكانت المدارس والمصانع المصرية على اختلافها يديرها
الفرنسيون وبعد بضع سنين في عمل وجهاد رأت مصر من
أبنائها علماء كباراً ورجالاً ذوي كفاءة نادرة وخطاباً ممتلئين

خطبة فرنسية

في باريس



هذا تعريب الخطاب الذي القاه بدار مدام آدم في ضواحي

باريس في ٢٠ يونيو سنة ١٨٥٩

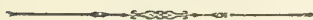
«أيها السيدات . أيها السادة

اني في حاجة الى معرفة تامة باغتشكم الجميلة لاستطيع
أن أعبر لـكم عن مقدار التأثير الذي أخاطبكم به . واني لو لم
أكن أعرف مقدار ميلكم للمصريين وعطفكم على من يتعلمون
لغتشكم الجميلة من الاجانب لما كنت أجراً على التـكـم بها أمامكم
وأنتـم زهرة الامة الفرنسية

وان صلات المحبة القديمة التي كانت تربط فرنسا بمصر
لم تزل في الازهان فاذا كانت آلامنا من السياسة الفرنسية شديدة
تلك السياسة التي أسهمتنا الى الظلم البريطاني فاننا لا نريد ان



وبعث الى بكتاب من باريس في ١٩ يونيه قال فيه :
« التمت أمس خطابا في مسرح قصر مدام جوليت آدم
بناء على دعوتها وقد سمعته الكشيرون من كبار الكتاب
والسياسيين الذين يؤمون دار هذه السيدة العظيمة ما بين
آن وآن وسأرسل تعرييه غدا اليك لنشره في الاهرام او
حيث تشاء »



قومي وأهل عشيرتي . نعم ان في عطف الخليفة ما يؤيد المثل
المشهور « من أحب قولك أكثر من مخالفتك » ولكني
كنت أتمنى أن يعطف جلالة على أصدقائي المخلصين قبل أن
يعطف على لتكون المظاهرة موجهة كسهم في قلوب محتلي
مصر وأذئابهم عباد الشيطان وخدام الضلال ولكن ارادة الله
فوق كل ارادة

اسافر بعد غد الى باريس لأمكث بها اليائين ثم اذهب
الى فيشى لمدافاة معدتي وسأقضى بها أربعة أسابيع ثم أودتوا
بشيئة الله الى الوطن العزيز

لا تنس أن ترسل الى كل مايكتب في الصحف بسبب
هذا الانعام الذي سيتخذه الاعداء سبيلا لدسائس كثيرة
نسأل الله أن ينصرنا نصراً عزيزاً

« كامل »

فقد استاء كثيراً لهذا الانعام لا اعتقاده أنه يضعف من دعوته
اذ يظن أبناء وطنه فيه أنه لا يسعى الا ليلقب باللقاب الشرف
مما يجد الدخيل فيه مجالا للقول والمنافق بابا للدخول ولذلك
كتب الى ما نصه :

فيما في ١٠ يونيو سنة ١٨٩٩

أخي الاعز حرسه الله

بعد التحية والتسليم وتقبيل وجنتيك . وصلت الى هذه
الاصمة الفيحاء التي لا جاسوس ولا دخيل فيها فشعرت اني
خانت خالقاً جديداً بعد تلك الايام التي قضيتها في الاستانة
التي لا حلو فيها الا أنها قلعة المسلمين ودار خليفة المؤمنين .
اني أود بكل شغف ان أستطلع تأثير ما أنعم به السلطان
على من رتبة التمايز في نفوس اخواني الوطنيين فاني أخاف
أن يكون سيئاً كما أعتقد واني لا أخفي عليك أن هذا الانعام
قد آلمني أكثر مما سرني لاني كنت أود أن أعيش باسمي
الذي وهبني اياها من مجرداً من الاضافة حتى لا يتسرب الشك
في عملي واخلاصي لمبادئ الى نفس واحدة من نفوس بني



وجاءني منه خطاب في ٢ يوزيه قال فيه :
 « جاءني خطاب من عطفوفة الباشكاتب يسألني الا أبرخ
 الاستانة كـرغبة جلاله الخيفة وأنه صدر أمر جلالته بأن
 تحسب مصاريف الفندق على جيب جلالته الخاص »
 وجاءني منه تانراف في ٦ يونيه سنة ١٨٩٩ هذا نصه :
 من بك أوغلي في ٤ مارس سنة ١٣١٥ روميه
 الى مصر

فهني بشارع المبتديان نمرة ١١٩ بمصر
 أذم على جلاله السلطان برتبة التمايز وأبلغني مراراً
 رضاه العالي أعود الى أوروبا خاطني بعنوان باريس وارسل
 ثلاثين جنيه أخرى
 كامل



ماذا ع نأ هذا الانعام حتى ارتاحت له نفوس الوطنيين
 اذ أدركوا أن في عطف الساطان وهو صاحب السيادة الشرعية
 على خدام المسئلة المصرية عطفاً على المسئلة نفسها . أما الارحوم

الا تلبية لدعوة جلالة أمير المؤمنين واني أوكد جلالاته ان
بلادى فى حاجة الى الانتفاع بالوقت الذى أضيعة هنا واني
أستأذن فى السفر مع تقديم اخلاصى النام وامتراضى الا كيد
لعرش الخلافة الاسلامية . فذهب الباشكاتب وعاد الى
باشامرحبا وأبلغنى ثنة جلالاته باخلاصى وكرر على شكره
العالى وقد انصرفت وبودى أن أبرح هذا البلد الذى بلغت
فيه الدسائس مبلغاً لا يوصف

لا تتكدر من قراءة هذا فان سبب انحطاطنا وسقوط
ممالك الاسلام الاصفاء الى وشايات الواشين وقضاء الوقت
التمين فى الهذيان والنفاق والوقيعه والله ينصرنا ويثبت أقدامنا
وغم الدخلاء والمنافقين

دمت لاختيك المخلص

مصطفى كامل «

وسأبدأ الحديث مع جريدة وستمنستر غازيت الانجليزية غداً
وهي من أكبر جرائد إنجلترا

وأرجوك ان ترسل الى ألف فرنك بعنوان أوتيل
بيرابالاس بالاستانة من باب الاحتراس لان ميزانيتي قد
اختلت بتمدومي الى دار السعادة والا تندي مكاتبتى طويلاً
ودمت لأخيك المخلص
مصطفى كامل

*
* *

وجاءني منه كتاب في ٢٠ مايو هذا نصه !

أخي الأغر

أهدي اليك تحياتي الأخوية. وجاءني صباح اليوم خطاب
من عطوفة الباشا كاتب أبلغني فيه ان جلالة الخليفة الاعظم
أمره بحضوري الى يلدز فسرت اليها تواً وما لقيت عطوفته
حتى سأني أسئلة فهمت منها ان بعض الناقمين على الوطنية
المصرية وشي بي لدى جلالة السلطان وقد أدركت في الحال
انها دسيسة دبرها رجل جاءني في النزل ببرلين بعد ان رد
سفير الدولة الزيارة الى قمت لعطوفته اني ماجئت الى الاستانة

الاستانة والقاهرة صلة أدبية تتقرب بها الامتان التركية
والمصرية كتابهما من الاخرى وقد رأيت ان أحسن صلة
أن يصدر جلالة السلطان ارادة عالية بتبول النابغين سنويا من
مدرستنا مجانا بمدارس الاستانة ليكونوا حكماء أو ضباطا في
هذا الجيش الباسل لذي هو خازن الاسلام والمسلمين وانى في
أمل كبير أن تتحقق هذه الامنية يوما ما .

وجدت الجواسيس هنا كلذباب وهم ألزم اليّ من ظلي
فايناسرت أعقبوني وهى حال مؤلمة للغاية ولولا ان أمر الخليفة
مطاع لترك هذا البلد حالا . وسأبلغ عطوفة الباشكاتب
عظيم استيائى من هذه المعاملة التي لا تليق بمن هو ضيف
أمير المؤمنين

ان البشاشة الفائقة التي قابانى بها الباشكاتب تدل على
احترام النوم للمصريين ولو انهم لا يزالون في شك منا على
ما اعتقد .

سأنى الكثيرون من مكاتبى الصحف الكبرى الاوروبية
والامريكية ان أحادثهم في شأن مصر فأجبتهم الى ما طلبوا

الاسلام والخلافة يوم السبت الماضى عشرين الشهر الجارى
وذهبت تواعقب وصولى كما يتتضيه الواجب الى السراي
السلطانية فقابلت باشكاتب المابين الذي أبلغنى عظيم ممنونية
الحضرة السلطانية من خدماتى السياسية والمالية وسامى رضاها
عنى واستعدادها لقبول رغائى ومطالبى فشكرته شكراً
جزيلاً ورجوته أن يرفع الى جلالة أمير المؤمنين اخلاصى التام
وان رغبتى الوحيدة أن أرى الدولة فى حرز حرير ومصر فى
نعم مقيم والا أمل لى فى الدنيا مطلقاً. وقد ابغنى عطوفة
الباشكاتب أمس أن جلالة الخليفة معجب كثيراً بهذه الصفات
وهو يرغب منى شرح نيات المصريين وآمالهم وما يمتقده
ساسة أوربا فيهم ومبالغ رقيهم الحاضر. فلما لى النداء وأخذت
فى شرح حالة مصر وعلاقتها بالدولة من جهة وبأوربا من جهة
أخرى وما تؤمل من جلالاته فى سبيل خلاصها ونجاتها وقد
جاء شرحاً وجيزاً جامداً اذ بلغت صفحته ٢٢ صحيفه ولذلك
ترانى منهوك القوى من السفر والعمل والله الممين :

ان من أمانى التى لم أحطك بها علما الى اليوم أن يكون بين

منه وقد شكرته شكراً جزيلاً وسأزوره بشيئة الله عند عودتي
من الاستانة التي أقصدها غداً

قد رأيت رؤيا سعيدة مارأيت في حياتي أحسن منها
وأملى كبير بعد انتصار الدولة الباهر في الحرب اليونانية أن
تحل مشكلة مصر. حلا يرضى الوطنيين جميعاً وفتحنا ووفق الله
الدولة الى ما يحبه ويرضاه

كنت أوصيت ديمر قبل سفري على كتب سياسية
تخص مصر وعددها ٣٢ كتاباً فان كان قد أحضرها فأعطه
التمن وارسل الى منها مناقشات مجلس نواب فرنسا في أبان
الثورة العرابية واحفظ بقية المجلدات حتى أعود »

* * *

ما وصل رحمه الله الى الاستانة العلية حتى كتب الى
هذا الكتاب ؟

« الاستانة في ٢٣ مايو سنة ١٨٩٩ »

أخي الاعز حرسه الله

بعد التحية وتقيل وجنتيك . أخبرك أني وصلت عاصمة

باريس ابلاغه أن جلالتـه يدعوني لزيارة الاستانة لذلك لبيت الدعوة
ولو لم أكن على زية السفر اليها في هذا العام . وسأسافر غداً
الى بودابست لأقابل ذلك الكاتب الكبير الذى أخبرتك
عنه فى أحد خطاباتى الماضية ومنها أقصد الاستانة فاصل اليها
فى ٢٣ أو ٢٤ الشهر الجارى »



وتسلمت منه كتاباً أرسله من بودابست (عاصمة المجر)
فى ١٨ مايو سنة ١٨٩٩ هذا نصه :
أخى المحبوب حفظه الله

بعد التحية والتسليم والاعراب عن شوق عظيم ورد الى
خطاباك المؤرخان ١٠ و ١١ الشهر الجارى وأخبرك أنى
مسرور مرتاح للقاء المسيو ايل ريزنر الكاتب المجرى الشهير
فانه خل من خول السياسيين الذين كلهم عطف على المسئلة
الشرقية عامة والمسئلة المصرية خاصة فقد قرأ على فصلان من
كتابه « مصر فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر » كله دفاع عن
مصر بأدلة قوية وحجج بالغة مما لا يطمع وطنى مثل فى اكثر

في ذلك التاريخ بدأت حياته القصيرة دنيا الطويلة ذكرى
تميّز مكارم وعملا . فقد كتب الى رحمه الله في ١٥ مايو من
برلين مازحه :

« شقيقى الاعز حرسه الله

بعد التحية وتقبيل الوجنتين . أخبرك انى وصلت الى
برلين مساء الامس فى أحسن صحة وأتم سرور وقد قابلت اليوم
الكثيرين من رجال الصحف والسياسية وعلى الاخص
المسيولافيزون مدير جريدة برلينر تاجبلاط الذائعة الصيت
وتحدثنا فى مسائل مصر فرأيت من القوم انعطافا كبيرا
علينا ووجدتهم على علم تام بكل ما يجرى فى بلادنا وقد طلبوا
منى بعض تفاصيل عن السودان المصرى
فأرجوك ان تهتم بأرسالها الى بأقرب فرصه
كذلك زرت سفير الدولة قبل الظهر وقد رد الى الزيارة
قبيل المساء والمغنى ارتياحه وارتياح كل حريغور لهضة الامة
المصرية ودفعها عن أقدم شئ فى الوجود الا وهو سلامة
الوطن . وابلغنى رضا جلالة السلطان عن أعمالى وأن سفير

كثيراً يصاب بالسل »

.....

علمت من فريد بك أن عثمان باشا ماهر (صاحب المدرسة
الخيرية بقسم الخليفة) مريض جداً والامل ضعيف في شفائه
فأرجو أن تنوب عني في زيارته مع فريد بك وأنت تبلغه
من قبلي سلاماً وتحية ودعاء لله خالصاً أن يشفيه ويبقيه فنعيم
الرجل ونعم المسلم ! انك لو علمت من هو هذا الصديق
الكبير وهذا القلب الممتلئ ايماناً واسلاماً وحباً لمصر واعترافاً
بجميلها ووطنية لا مثيل لها لخدمته في مرضه كما يخدم الاخ
اخاه أو كما يواسي الابن اياه ! اسأله جل وعلا أن يشفيه !
اني في حاجة الى دعاء الوالدة بأن في رضاها رضا الله
والله يحفظك لاختيك المخلص

كامل



اني أسأل القارئ العفو اذا أطلت هنا من ذكر كتب
المرحوم الى فإن في كل جملة منها معنى يشير الى فضيلة ولان

تناقلت ملخصها على لسان البرق الصحف الكبرى بأوروبا
وقد علمت من أقرب الناس للإمبراطور غليوم الثانى أنه قرأها
بنفسه وانشرح كثيراً

أما تعريب هذه المقالة فسأرسله بعد غد لا خينا فريد بك
لينشره فى « الاهرام »

إذا قابلت المطران (يقصد حضرة خليل افندى المطران
الصديق الوفي والكاتب البليغ) فاشكره كثيراً وبلغه مزيد
عجائى بقصيدته التى نشرتها (الموسوعات) على مقتل وزير
الحجم . لله دره

سرنى ماذا كرته عن المدرسة وأقبال الناس عليها بعد أن
احجموا عنها هذا الزمن وأنى لا أرتاب فى معاونة الله سبحانه
وتعالى لما فأنه يعلم نياتنا التى كلها خيرية شريفة . وقد استأثرت
لسير أحد الاساتذة وارتحت لرفته فأنا مسؤؤلون عن مستقبل
التلاميذ ولنا بسؤؤلين عن مستقبل معلم لهم بواجبه ومستقبله .
اكرر عليك الرجاء أن تعمل حسابك بالدقة فاننا غير
معتمدين الا على الله وأنفسنا واعمل بالمثل الألمانى « من يعدو

طبعاً بعد سياحتي في برلين كما أخبرتك
 بالغ سلامي الخاص حضرات الاساتذة والخدم وقبل لي
 أيدي من تحت قدميها جنتنا السيدة الوالدة ودمت
 لاختيك المخلص
 « كامل »



وجاءني منه في ١٠ مايو سنة ١٨٩٩ كتاب جاء فيه :

.....
 وصل اليّ اليوم خطابك المؤرخان ٢ و ٣ مايو الجاري
 جددت طبع رسالتي « خطر الاحتلال الانكليزي
 في مصر » بالفرنسية بعد أن أضفت اليها ما يجب اضافته وقد
 أرسلت اليك منها مائة نسخة تهديها الى الأصدقاء المتعلمين
 الذين يهمهم أمر الوطن

وقد نشرت مقالة في جريدة « برلينر تاغبلات » الشهيرة
 التي تطبع بمدينة برلين والتي تبادل جرائد إنجلترا أمام رصوعها
 فهو علاقة انانيا بالدولة العلية خاصة والاسلام عامة وجعلت
 عنوانها « المانيا والاسلام » وما نشرتها هذه الجريدة حتى

كل الرجاء أن تعتنى بصحتك وأن تتريض كثيراً فإن البلاد
في حاجة إلينا وعلى الأخص في الوقت الحاضر

انى لا أنكر عليك انه ساءنى كثيراً الخلاف الذى وقع
بينك وبين حضرة أمين افندى جابى صاحب المنزل ولي عظيم
الامل أن تسترضيه ولو كان الحق في جانبنا فإن الحلم سيد
الاخلاق لا سيما ان مركزنا يحتم علينا أن نكون خدام الناس
تقابل سيئتهم بالحسنة . ولا تنسى أننا فرس مبادئ في نفوس
هجرتها ملياً نوجب علينا أن نصبر صبراً جميلاً في مواساتها
حتى تثمر ثمراتاً ينعمها يرزق الوطن الى أشرف مكان :

لم أعبد صحتي أحسن مما هي عليه الآن وسرورى عظيم
باشتغال الكثيرين من خول الساسة بالمسئلة المصرية وأمل
وطيد جداً في النجاح

بلغنى اليوم أن المسيو ايميل ريبزنر الكاتب الجبرى الشرير
يؤلف كتاباً عن مصر السياسية لذلك عازمت على السفر الى
بودابست للقاءه وقد استعنت باصدقائى هنا للتعرف اليه حتى
يكون فيما يكتبه عادلاً ان لم يكن كذلك . وسفري اليها يكون

المؤرخان ٢٧ و ٢٩ الشهر الماضي كما جاءني المؤيد المشتمل على
 المحادثة. وقد أسفت كثيراً لعدم وجود جريدة عربية في يدي حتى
 أنشر فيها كل أعمالي لاني ما كنت أظن أن عملاً كهذا أنك فيه
 قواى وشبابى يقابل من أدياء الوطنية بمثل هذا الفتور. ولو
 كنت أجد وسيلة لتبليغ الناس الحقيقة وسبل الدفاع عن مصر
 الأسينة بدون أن يذاع اسمى لفعلت بلا تردد ولكن ما
 الحيلة والاعمال العامة مقرونة بتحسين سمعة من يأتونها اذا
 أحسنوا صنيعها أو بتسوئتها اذا أساءوا اليها. فهو لاء الذين
 يحجمون عن نشر أعمالى فى الوقت الحاضر بمد أن استفادوا
 منها كثيراً فى ماضى الايام لا يسيئون الى ولكنهم فى الحقيقة
 يسيئون كثيراً الى المبادئ السامية التى تصدوا لخدمتها الا
 وهى مبادئ ادخال العقيدة الوطنية فى قلوب المصريين. ومع
 ذلك فقد عازمت عزماً أكيداً على اصدار جريدة وسأكتب
 اليك طويلاً فى هذا الشأن وأسأل الله أن يهدينا جميعاً
 الصراط المستقيم

سأنى جداً ما علمته من أمر مرضك وانى أرجو منك

لنا مما يحتم علينا العطف عليها » اهـ

وقد قالت جريدة « لكبير » تعليقا على هذا الحديث ان الضغط الاوربي الواقع على المسلمين يعلمهم كيف يتحدون ويبحثون عن طريق خلاصهم التي تبدى طبعاً بوجوب نشر العلم وتنتهى بنفوزهم اذ من المحقق بلوغهم أمنيتهم . وبما أن أوربا لا تريد بهذا الضغط الا ان تستعبد هذه الامم العديدة والتي ينمو عددها نمواً لا نسبة بينه وبين نمو المسيحيين . فالاجدر بها متى كانت نتيجة هذا الضغط رقيهم مع تأصل الكراهة لها في قلوبهم ان تعمل لرقيهم لتكتسب على الاقل محبتهم وتعيش معهم فى سلام . وهو ما نلفت اليه نظر الحكومة الفرنسية على الخصوص فانها من أوائل الدول التي لها مصالح اسلامية كثيرة . . . »

*
* *

وكتب الى من باريس فى ٥ مايو سنة ١٨٩٩ كتابا جاء فيه :
« أخى الاعز حرسه الله

بعد التحية والتسليم وتقيل وجنتيك وصل الى خطابك

وفي النهاية أخلص آرائى فى هذه الكلمات !

« ان أوربا ساعدت على وجود استياء المسلمين منها بعملها معهم وأصبحنا اليوم نهزأ بهذه المدنية الموهومة التى تلو كها السنة ساسة أوربا . وليس امامنا الا الاعتماد على أنفسنا وانه يجب علينا قبل ان نحمل السلاح المادى ان نتدرب بالسلاح الادبى فننشئ المدارس المختلفة لنشر النور والعرفان بين طبقات الشعب وهما نحن هؤلاء قد أدركنا هنا الواجب وكل يوم نرى رقياً نسبياً فى أغلب الممالك الاسلامية كما أن كل مسلم مهما كان جنسه يعتقد أن الدولة التى تستحق عطف المسلمين هى التى تعمل باخلاص مع الدولة العلية وتسعى لكسب مودتها لا للعمل ضدها بكل الوسائل التى أقلها تسليح طوائف المسيحيين لمحاربتها وهدم كيائها

فالدولة التى تنصح الى مسيحيي الدولة العلية بأن مصاحبتهم فى مكاتبة المسلمين والخضوع لراية جلالة الساطان هى الدولة التى تعمل حقيقة للانسانية وتسير بالشعوب الى طريق المدنية فضلاً عن ان تاريخها يكون امامنا على الدوام كدليل حجبها

أقول الحقيقة بكل صراحة وأقرر للجميع أن السياسة الفرنسية في مصر ليست الأساسية تسويق ومطل واما اذا كانت تريد الوقوف امام انكلترا بحق فامامها الانتصار لحقوق السلطان والحدود في مصر الامر الذي تؤيده المعاهدات وتوجبه المواثيق

انى طالما جاهرت في هذه الجريدة (لكاير) وفي جرائد كثيرة فرنسية ان المصريين الذين يحبون في فرنسا تاريخها في مصر سواء كان سياسيا أو معنويا يحكون عليها اليوم حكما قاسيا. لان أكبر خطأ ارتكبه هو تظاهرها بمعاداة تركيا في حين انها تتظاهر برغبتها في حل مسألة مصر مع أن الواضح الذي لا يحتاج الى بحث ان مسألة مصر لا تحل بغير ارادة تركيا فانها السيدة الشرعية علينا فضلا عن أن سلطانها خليفتنا وحامل راية رسولنا الكريم

نعم اننا نرى تركيا الدولة الوحيدة التي في استطاعتها ان تحسن إلينا ولذلك لم ندرك الى الآن كيف يوفق الانسان بين فرنسا المحبة لمصر وفرنسا الكارهة للدولة العلية. في آن واحد

على ما أسميه اختراعات المدنية نتيجة استحالة رقينا وتقدمنا
الامر الذى لا يدهشنا فقط بل ويحمل هؤلاء العلماء الكبراء
موضع سخريتنا. انهم مجهلون التاريخ بينما يدعون انهم مرشدو
العالم وأساندة بنى الانسان . ألم يقل لهم التاريخ ان الفلك
والهندسة العالية والقوانين النيابية كانت عملاً من أعمال
قدماء المصريين يوم كان العالم كله لا يعرف غير سماء مرفوعة
وأرض موضوعة لباسه من جلد الانعام وغذاءه من
فضلات الطبيعة

وأنه اذا كان تاريخ مصر معلوماً مشهوراً فكذلك تاريخ
البلاد الاسلامية حافل بالأعمال الحسان
وليس أماننا الآن من الوجهة السياسية أقل اعتماد
على مساعدة أوروبا لنا . وفرنسا التى تظاهرت فى مواقف
كثيرة بحبها لمعاونتنا جاءت سياستها الاخيرة ضغناً على ابالة
فكانت وعودها أكبر من عملها . وأن وطنيتى التى هى كل
حياتى والتى أستعين بها على رؤية مستقبلنا الذى أكاد ألمسه
وكذلك صداقتى لكثير من سواس فرنسا يحتمان على أن

أصبح اليوم كثير الانتشار . وقد حذت مصر حذو الدولة
الرئيسية نائشاً الأهالى فى هذا العام اثنتى عشرة مدرسة
وطنية ولا بد أن يزداد عدد مدارس الأمة فى كل سنة عن
الأخرى بالرغم من جهود الحكومة لئلا نرى من جهة ان فى
العالم أقوى درع تتدفع بها الأمم الضعيفة المسلبة الحق
المهضومة الاستقلال . ومن جهة أخرى نرى المحتل يحارب
مدارس الحكومة التى كانت قبله زاهية زاهرة بما يضعه
من عراقيل ويسنه من توانين لانه يرى بمزيد الاستياء أن
تبلغ أمة يلطمع فى خيراتها واستخدام أبنائها مبلغة من العلم
وأنه اذا وجد اليوم من أسس مدرسة أو مدرستين فلا بد
أن يوجد التاريخ القريب من أبناء مصر مواطنى الكرام
من تذكره الأمم بالخير ويتنفي بدميحه الاعتقاب لان اللذة
التي تعود على المحسن الملى أكبر لذة فى الوجود فهو يغرس
تراً اذا غدا منه الطفل « أصبح لا محالة رجلاً »

انه يوجد فى العالم الاوربى بعض فلاسفة وسواس
ينشرون من وقت الى آخر خرافات ضد المسلمين ويننون

الانسانية المكتشفة حديثاً !!

لذلك نشأ استياء عام بين المسلمين ضد أوروبا وأصبح كل مسلم يحمل شيئاً كثيراً من الضغينة ضدها
(٢) النهضة الاسلامية

هل يوجد حقيقة نهضة اسلامية ؟

— نعم توجد نهضة اسلامية قوية

انهم يظنون في أوروبا أن الاسلام حجر عثرة في سبيل التقدم وقد نسوا التاريخ المنعم بآيات مدنية الاسلام . تلك الآيات التي لا يزال يسطع نورها في العالمين والتي فارقت المسلمين من يوم ان فارقوا مبادئ دينهم القويم . وانه اذا كانت أوروبا تجهل الى الآن كيف تقود الأمم الاسلامية التي تحكمها فذلك لانها لا تقودها باسم الاسلام وعلى مبادئه القوية انه من المؤكد ان العلم آخذ الآن في الانتشار بين الاثراك والمصريين وقد كان السابقون الى هذه النهضة السريية اخواننا الاثراك فقد تأسست مدارس عديدة مختلفة المراتب في انحاء الدولة وان تعليم البنات الذي كان مهملًا اهمالاً معيياً

وها هي مصر التي سارت منذ قرن في طريق المدنية الغربية معتمدة على أوربا المسيحية في كل أمر واضحة فيها كل ثقتها ماذا هو حالها اليوم ؟ إنها لفريسة انكارترا ! أليس كذلك ؟ أليست الدول الأوروبية منقسمة على نفسها في أمر هذا الوطن المجيد وان بعضهم يقول بوجوب جلاء الانكليز عن مصر والبعض الآخر لا يرى ذلك ؟ فلما اذاً ينقسمون على أنفسهم عند ما تكون المسئلة في مصلحتنا نحن المسلمين ويتحدثون بل ويتماسكون بكل قوة عند ما يكون الامر خاصاً حتى بأخط مسيحي الشرق !! واذا لم يكن تداخل أوربا في شؤون تركيا الا حياء في مؤازرة المدنية والانسانية المحبوتين أفليس المصريون والنونسيون والجزائريون والهنود وغيرهم بشرا لهم حق في هذه المدنية وتلك الانسانية ؟

انى أرى انه أصبح من واجب سواس أوربا أن يرفعوا للعالم « الانسانية » بمعناها الذي يدركونه ويعملون به لاننا نرى من أعمالهم حرمان أئمة كثيرة تشترك مع بنى الانسان في كل صفاته ومميزاته من قوانين العدل وذلك باسم هذه

ماتسوس أمراً في الشرق . وفي الواقع فأننا نرى ان البلاد
الاسلامية التي تحكمها أوروبا من زمن بعيد في أسوأ حال من
المظالم التي لا مثيل لها . مع ان الممالك الاوروبية عندما استولت
على هذه البلاد ادعت رغبتها الأ كيدة في نشر « المدنية
والانسانية » بين ربوعها . هذه الانسانية وهذه المدنية اللتان
لم ينسرا بعد الا تفسيراً مبكياً إذ كانت نتيجة عمل أوروبا سحق
المسلم واحتقاره وتركه يتخبط في ظلمات الجهل زمناً طويلاً .
ويستوى في ذلك وهو ما نأسف له جميع الحكومات الاوروبية
التي امتد سلطانها على فريق من المسلمين

هذه حالة ممالك أوروبا معنا وليس هناك برهان على
صدقنا وأنا نصف الحالة كما هي أقوى من اتهام أوروبا الدولة
العلية بالمظالم وعدم تأييدها مبدأ المساواة بين ذوى الاديان
المختلفة ممن تحكمهم بينما نرى الكثيرين من سفرائها ومعتمديها
وزرائها مسيحيين ولا يستطيع انسان في الوجود أن يثبت
لنا وجود مسلم محكوم بانكلترا أو بفرنسا يشغل منصب
« مساعد قنصل صغير »

« ان هاتين المقاتلتين يتضمنان مسألة ذات وجهين
 الاول انتقاد حالة ادارتنا في الجزائر. والثاني « يقظة الاسلام »
 ولما كانت هذه المسئلة العمرانية من الشأن بكان فقد انتهزنا
 فرصة مرور « مصطفى كامل » بباريس لنسأله رأيه فيها وهو كما
 يعرف القراء الوطنى المصرى الممتلىء غيرة وشهامة فضلا عن
 كونه خطيباً على الصوت مسموع السكامة بين أبناء ديننا
 ولما قدم لفرنسا أداة جليلة على عطف أبناء وطنه عليها
 وحجهم لها
 ولذلك رجونا منه أن يجيبنا على هذين السؤالين بكل
 صراحة .

(١) حركة خواطر المسلمين

ماهى حركة خواطر المسلمين فى الوقت الحاضر ؟
 — ان الحوادث الاخيرة فى كريت والسودان برهنت
 لجميع المسلمين أن أربابا تعطف عليهم أبداً وان كلتى « المدينة
 والانسانية » ليستا الا لفظتين تلو كهما السنة السياسة لا غراض
 استعماريه وأن العواطف الانسانية الحقيقية تفرقها أوراها عند

المجرى والرابع في قوة الارادة وضعفها وما ينتج عنهما وهي
كتب نفيسة ليها ترجم الى العربية وليتني كنت قويا لا ودي
في أن واحد الواجبين الواجب السياسى وواجب التعريب
نسأل الله أن يبعث في الأمة روح العمل وان يهب المفكرين
منها قوة الارادة

أرجو منك أيها الاخ المحبوب أن تدعولى في صلواتك
بالنجاح فأنى بما أتميل لا أريد الا أن أرد لمصر ما على أجدادنا
وآبائنا وعلينا من الدين لها

لا أرتاب في أنك مهتم كثيراً بأمر المدرسة التى كانت
أمنية من أمانى بل حلما من أحلامى ولى كبير الامل في أن
تكون المثال الاكمل والاخ البار والحر الأبنى مع اخواننا
اساتذتها فان ما لا يدرك بالعنف يؤخذ بالعرف

الله يحفظك لاختيك الخاص

« كامل »

لا تنس أن ترسل الى أم اخبار الجرائد اعليه عريه
وافرنكيه وطنيه كانت أو احتلايه وأرجو منك ان لاتهيج
اذا قرأت في صحف الخصوم شيئاً ضدى فان خدام الحقيقه
والحق كانوا من قديم الزمان ومازالوا قذى فى أعين خدام البهتان
والباطل وكن كما عهد فيك صالحاً رزينا فأناك ستبيننى كثيراً
فى هذه الخدمه التى لا أجد أشهى الى منها

كما ألفت نظرك الى وجوب الاقتصاد التام ووضع كل
شئ فى محله فان الأقتصاد غنى والتبذير فقر. ولا أخفى عنك
أنى مثال الاقتصاد أعمل كل شئ بحساب. لا أركب فى
السكة الحديدية الا فى الدرجة الثانية مع أن جسمى ليس
مستعداً لها وصحى لاتقوى على الاتهاب الهائلة التى يجدها
المسافر فى أوربا بالنظر الى طول المسافات

تجدنى أقرأ وأكتب الآن اكثر من أى وقت فى حياتى
فقد قرأت اربعة كتب أثناء سياحتى الاول فى حسنات
الحكومة الاهليه والثانى فى الحياة الاجتماعية والثالث فى الوطن

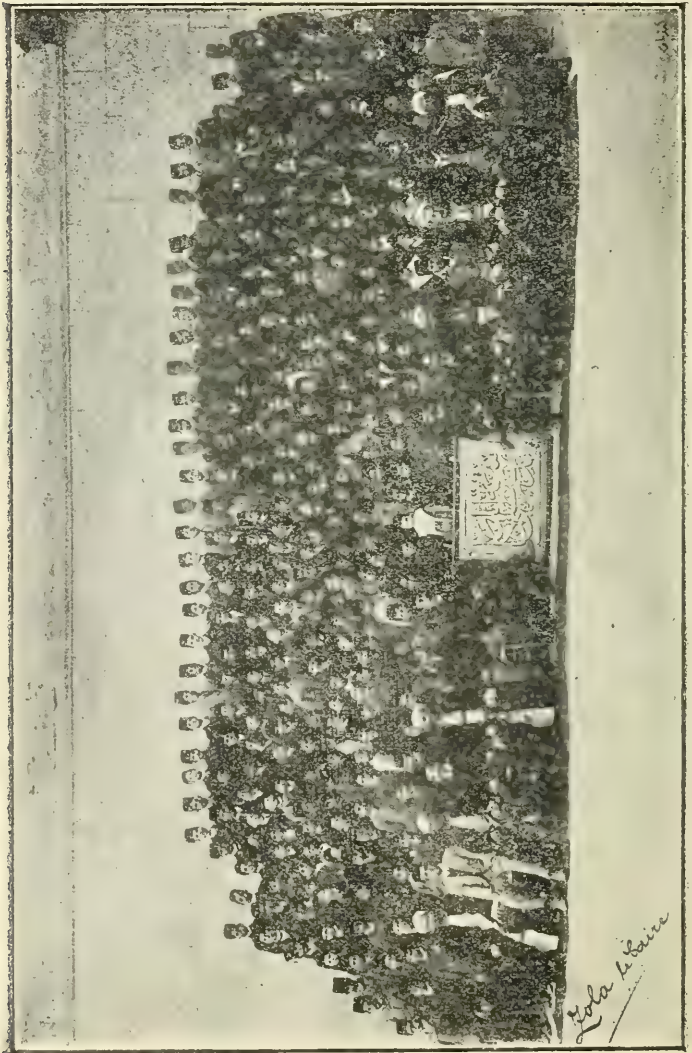


برح رحمه الله الشجر الاسكندري في الرابع من شهر
ابريل قاصداً الى أوروبا ليستأنف جهاده حباً في البلاد والامة.
وما وصل الى فينا حتى كتب الى كتاباً جاء فيه :
« أخى الاعز حرسه الله »

بعد التحية وتقبيل وجنتيك وصل الى هذا الصباح عند وصولي
الى فينا كتابك العزيز فقبلته وشكرته اذ كان اول مستقبل لي
في الغربه وبه تحققت أنك معي في كل زمان ومكان

صحتي جيدة جداً وارتياحي تام والبردهنا قارص ولكني
أخذت الاحتياطات اللازمة حتى استطيع بصيانة صحتي خدمة
مصرنا العزيزة

سأقيم بفيينا أربعة أيام اقبل اثناءها من يهمهم أمر مصر
من السياسيين ثم أبرحها الى باريس حيث أقيم بها ثلاثة
أسابيع ومنها أذهب الى برلين فاكتب الى بعنوان باريس
وستكون عندك عناويني دائماً



Lola L. Laine

لا تكون مدرسا في هذه المدرسة التي هي مدرستك « فقام
له المرحوم وهو مبتسم : اني يا اخي وكلت امر تعليمكم لم
أثق بهم بينما أجاهد أنا مع من هم أكبر منكم سنا »
* *

ان ذكرى هذه المدرسة تبعث في فؤادي أثرا من آثار
الرحمة والعطف على الفقير كما تذكرني كيف يكون الرجل
بارا بأبناء وطنه فقد كان المرحوم لا يرد سائلا يسأله المعونة
ادخال ابنه المدرسة لوجه الله الكريم حتى بلغ عدد الذين
كانوا يتعلمون على نفقته بها ولا يزالون حتى الساعة ١٦٥ طالبا
وقد كان يمد في سبيل تثقيفهم من عرق جبينه ومو
مجهوداته ٦٠٠ جنيه على الأقل في كل عام . وكانت أمنيته
الكبرى أن يوفقه الله يوما ما الى حبس ما تسد غلته ثقته
والصرف عليها وان تكون مغرسا ليعتول ألت طاب وغدا
ذلك من الاماني التي ان لم يحققها في حياته فأولما وطيد في
تحقيقها فال امة بأسرها أصبحت مسئولة عن حفظ آثار
والسير على نمطه في كل أعماله . وفقنا الله الى ما فيه الخير والسدا

لا تجتمع الوقاحة والادب

النجاة في الصدق

الاقربون أولى بالمعروف

اشتكت متى ظلمت

لا تقرأ أثناء الطريق

الى غير ذلك مما يجده الزائر منقوشاً الى اليوم على حوائطها
وهي نصائح أفادت كثيراً وانطبعت على أفئدة التلاميذ وعملوا
بها جميعاً.

وكان يزور رحمه الله المدرسة من وقت الى آخر ويمتحن
التلاميذ بنفسه ويرتاح من أجوبتهم وكانت نصيحته دائماً
موجهة الى وجوب الاعتناء بملقن التاريخ واستنباط عظمته
النافعة لتكون دواء لداء الخمول الذي كاد يودي بحياة الامة
وكان التلاميذ صغاراً وكباراً يحبونه ويتمنون أن لو قام
بينهم طول يومهم لانه كان أباهم البار وأخاهم الصالح ووطنهم
المحبيب.

قال له في يوم زار فيه المدرسة أحد صغار التلاميذ « لم

اختار لها المترجم مكاناً آخر هو سراى السلحدار التى لا تزال
فيها الى اليوم

*
* *

عندما أسست هذه المدرسة خاف الناس أن يلحقوا
أبنائهم بها لوجود اسم المرحوم عليها . ولكنهم أقبلوا عليها شيئاً
فشيئاً عندما علموا أن الدين الحظ الاوفر فيها مع توفر
العلوم العصرية وان من يدخلها يكون له حظ نيل الشهادات
الاميرية اسوة بجميع مدارس مصر

قصد المرحوم الدار الجديدة بنفسه ورتب غرفها ووضع
نظامها وقد أشار علينا أن نكتب على خرائطها التى يصادفها
التلميذ في رواحه الى غرفة الدرس وغدوها منها أمثال هذه
النصائح .

اعتمد على نفسك

العلم نور

أساس النجاح التقوى

لا تغتر بالظواهر



عنى رحمه الله بهذه المدرسة عناية فائتة ولم يدخر وسعاً
في رقيها وبذل كل نفيس وغال في تشجيع الطابة وتشويقهم
الى العلم فوضع لها نظاماً بنى على أساس متين من مبادئ
والصلاح وكان أحد أساتذة المدرسة بوضع كتب دينية
للمشائين وبعد وضعها عرضها على الاستاذ الاكبر الشيخ سليم
البشرى شيخ الجامع الازهر للتصديق عليها وبعد ان نالت
موافقة فضيلته والكثيرين من كبار علماء الازهر طبعت
ووزعت على الطلاب مجاناً

وكذلك قرر رحمه الله الاحتفل سنوياً بالناين الذين
ينالون قصب السبق على اخوانهم في كل عام اذ توزع عليهم
الجوائز المختلفة في وسط جمع حافل بالامراء والكبراء .
وقد قال لي رحمه الله يوماً : « انه كان من أكبر أمانى أن
تكون بجانبى وأن يكون لي مدرسة وجريدة فها قد وهبني
الله ثلثى ما أتنى وأملى أن أنشئ الجريدة قريباً »
وبعد أن منى على المدرسة نحو عام في سراي العزبى

عرضة للدمار والأخطا

وقد رأيت بنفسى فى أغاب مدارس أوروبا اهتماماً فائقاً
بتعليم الدين المسيحى للناشئين لذلك عولت على جعل الغرض
الأول من المدرسة ترقية الملكية الإسلامية عند التلاميذ
وتمكنين مبادئ محبة الوطن والاتحاد والائتلاف من
نفوسهم وتقديم اللغة العربية على كل لغة مع ترك الحرية
لآباءهم فى الاختيار لهم بين اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية
ورغبة منى فى نفع أبناء الفقراء قررت قبول ثلاثين فى المائة
منهم مجاناً

وانى أسأل الحق سبحانه وتعالى ان يوفتنى وجميع المصريين
لخدمة الوطن العزيز الذى أرى السعادة الكبرى فى التمنانى
لأجل سعاده

هذا وارجو منكم ان تتفضلوا بنشر هذه الكلمات فى
مجلات جريدتكم وان تقبلوا الخ

المخلص

مصر فى ٢٨ مارس ١٨٩٩

مصطفى كامل

زمام المدرسة ويقوم باعبائها ومصر وفاتها ولا شك ان ذلك
يجعلها محلا لثمة القوم ويرفعها الى أعلى مقام الخ
تحريراً في ٢٥ مارس سنة ١٨٩٩

محمد سعيد تومي احمد صادق

وكذلك كتب المترجم كتاباً للمؤيد نشره في حينه
وهذا نصه :

« حضرة مدير جريدة المؤيد »

علم قراء جريدتكم الغراء ان المدرسة المسماة باسمي بباب
الشعريه قد آل امرها الى وأصبح شقيقى المدير لها
وانى أعلم ان حمل المدرسة ثقیل واتعابها كثيرة ونفقاتها
طائلة وليكنى قبلتها بكل ارتياح أملا منى فى خدمة ابناء
الوطن العزيز وترقية مدارك الناشئين وانى أشرف اليوم باعلان
الجمهور ان التعليم فى هذه المدرسة مقرون بالتربية لاني استمد
ان التعليم بلا تربية عديم الفائدة بل ربما كان كثير الاضرار
وأقصد بالتربية التربية الاسلامية المحضة لان اساس التربية
الدين وكل أمة يتربى ابناءؤها على غير قواعد الدين تكون

عظماء الرجال بفضل وطنيته وافدامه وثباته » الخ

مصر في أول يناير سنة ١٨٩٨

مؤسسا المدرسة

أحمد صادق محمد سعيد الترمي



وبعد ان سارت مدرسة مصطفى كامل وهي في يد حضرتي
مؤسسيها نحو ثلاثة أشهر رأينا أن تكون ما-كالمرحوم فداولاه
في الامر وانتهي بقبوله أخذها على عاتقه ووكل الى شخصى
الضعيف أمر ادارتها . وقد كتب المؤسسان بهذه المناسبة
كتابا للمؤيد نشر في ٢٦ مارس سنة ١٨٨٩ هذا نصه :

سبق اننا أعلننا عن المدرسة التي أسسناها بباب الشعريه
وسميناهما باسم وطنينا الشهير وخطيب مصر (مصطفى كامل)
وقد كنا نود القيام بهذا المشروع الجليل أحسن قيام ولكن
ظروفا عديدة منعتنا من ذلك . وقد تمفضل حضرة الفاضل
المدرسة باسمه وقبل بناء على التماسنا ورجائنا ان يستلم

« تتشرف بأن نخبر قراء جريدتكم الغراء بأننا أسسنا
في جهة باب الشعرية مدرسة أهلية لتعليم أبناء الوطن
العزیز استأجرنا لها سراي العزبي الشهيرة وسندشي فيها قسما
لتعليم البنات حتى تكون النائدة أتم وأعم متى سارت المدرسة
في طريق التقدم والارتقاء وما كانت الامم الحية تخلد أسماء
رجالها العظماء وأبنائها الامناء باقامة التائيل لهم وتأسيس
المدارس والمستشفيات والآثار النافعة بأسمائهم فقد أردنا ان
نجرى على سنن هذه الامم ونسمى مدرستنا باسم رجل مصري
اتفق المصريون بل والناس كافة على انه جمع بين الوطنية
النادرة والشهامة الفائقة ورفعة الافكار فضلا عن اجتماع
قلوب بني الوطن على محبته فلذلك سمينا مدرستنا (مدرسة
مصطفى كامل)

واذا كان الانكليز يؤسسون مدرسة لفردون
والفرنسيون لمرشان فهم في الحقيقة يبجلون في هذين
الرجلين الوطنية الصحيحة والاقدام الباهر فنحن نعتقد أن
وطننا الذي سمينا المدرسة باسمه سيبلغ لا شاة مراتب

مَدِينَةُ مُصْطَفَى

كان من أمانى المرحوم على ما سبقت الإشارة في الاجزاء السابقة أن يكون له مدرسة يعلم فيها الناشئين محبة الاوطان والتمسك بأصول الدين الخالية من الشوائب والتي اذا تأصلت معانيها الطاهرة في النفوس كان للوطن خدام يستهينون بالموت في سبيل نصرته والعمل لاعلاء رايته . وقد حقق الله أمنيته وأخرج مدرسة مصطفى كامل من عالم الامل الى عالم الحقيقة اذ جاء اليه في يوم الجمعة ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٩٨ مصريان وطنيان هما حضرتا الفاضلان محمد أفندي سعيد تومى وأحمد أفندي صانق وأخبراها أنهما أسسا مدرسة في جهة باب الشعرية بسر اى العزبى وأظهرا له حباً في جهاد الوطنى وعمله الذى خلد له في نفوس أبناء وطنه أسمى منزلة رغبتهما في تسمية المدرسة باسمه فقبل منهما ذلك بكل ارتياح وقد كتب هذان الفاضلان جملة في المؤيد بهذه المناسبة ثنا نصها :

إذا كنا نحمل لها اليوم شيئاً كثيراً من الكره والحنق فاننا
في مستقبل الايام نكون ألد أعدائها العاملين على نكالها اذا
هى بقيت مصرّة على مخالفة وعودها وعهودها معنا

وليعلم الفرنسيون الذين نجّاهم ونحترمهم ونحفظ لهم
جماهيرهم السابق أن عمل ساستهم لا ينجو حسناتهم معنا ولكن
وهو ما نأسف له لم يبق في قلوبنا ذرة من الاعتماد عليهم
بعد ان أعلنت الايام فشل سياستهم في وادى النيل
مصطفى كامل «

نعم اني أصرح بذلك جهاراً لان السياسة القائمة على
الخبث والخوف ليست الا سياسة مضيعة للحقوق مبددة للنفوذ
محطة بكل كرامة . واني لا أقصد بذلك انه كان يجب على
فرنسا أن تحارب إنجلترا بشأن فشوده . كلا . ولكني كنت
أرى من الحكمة أن تقبل ترك فشوده بشرط أن يعود كل
شيء لمصر حتى اذا حانت ساعة الخلاص عادت مصر الى
قوتها وفي يدها كل أملاكها . ولكن الحال كانت على
الضد من ذلك اذ تظاهرت فرنسا بمظهر الراغبة في الدفاع
عن عمل رجالها الكبير مرشان وشرف رايها ثم في
لحظة واحدة تنازلت عن هذا الدفاع بلائمن فأخجلتنا بالخط
من كرامتها وبعثت باليأس من جهتها الى قلوب كثيرة كانت
تراها من قبل دولة الهمة والكرامة

امان جهتي فاني لا أياس أبداً من مستقبل بلادى بل بالعكس
أجد التمسك بالدفاع عنها في شدتها أوجب على من في رعاياها . وانه
اذا كانت إنجلترا تلعب بمصالح الدول فانها لا تستطيع أبداً أن
تلعب بقلوبنا التي تنمى فيها بعملها الجائز الحق كل يوم . واننا

حيونه الا اذا كان مالكا لينابيع النيل التي هي في صميم السودان وان مشاركة إنجلترا لمصر في امتلاكه وهي الشرهة الطامعة التي لا يكتفيها نصيب أو نصيبان مما يهدد المصالح الأوروبية ويجعل المستقبل مظلماً وتصبح الدول التي تظن بها اليوم خيراً أول معاد لها ساخط على عملها

كذلك فان لكثير من الدول الأوروبية أملاكاً في افريقيا وهذه الاملاك تصبح لا محالة مهددة بحكومة كالبحكومة الانجليزية التي لا تريد الا أن تضع يدها على كل افريقيا ليكون لها منها هند افريقية ثانية. وان الحملات العديدة التي حملتها بواسطة رجالها السياسيين على حكومة الترنسفال والاورنج ليست الا دليلاً قوياً على حتمية مطامعها الافريقية اما فرنسا فانها بسبب هذه السياسة أساءت الى نفسها كثيراً فبعد ان كان المصريون يتمدون بعض الاعتماد عليها وكان سمو الخديو يجدها الدولة الثانية بعد الدولة العلية للمدافعة عن حقوقه وحقوق أمته أصبحوا اليوم وهى امامهم من حيث التأثير في المسئلة المصرية أقل من أضعف دولة أوروبية

الحكومتين الانجليزية والفرنسية وانتهت بتمهقر فرنسا فطمع
الانجليز طمعاً كبيراً ورفعوا رايهم على الخرطوم بجوار الراية
العثمانية وقد رفعوها سوداء ليوهموا انها حداد على غردون
وبذلك يكونون آمنين شر هياج الجنود المصرية

أخذوا بعدئذ يوزعون الجنود المصرية هنا وهناك حتى
اذا خلا لهم الجو ونضج الطعام بين كراسى الوزراء المصريين
أكلوا أكلتهم وبدلوا الراية السوداء براية هذه الشركة
المشؤومة

هذا ما جرى وانا ننتظر أن تعضداً أوربا بالحكومة العثمانية
التي لا بد أن تحتج احتجاجاً شديداً على هذا العمل المخالف
للمهود والمعاهدات والشرف كل المخالفة .

ثم ان أوروبا اذا لم تعمل ما تحتمه عليها واجبتها استهانت
انجازاً بأمرها وأتت من المنكرات في وادي النيل ما لا يكون
السودان بجانبه شيئاً مذكوراً . فان المسئلة لم تكن مسئلة
السودان فقط بل هي مسئلة مصر نفسها بل ومسئلة افريقيا
أيضاً . فان مصر لا تكون بلداً غنيا قادراً على القيام بدفع

كان حكم الحاكم المختلطة وهي الممثلة لجميع الدول موافقا لرأيها
جاءت إنجلترا وأقرضت مصر ما احتاجت اليه من المال ثم
ماذا جرى بعد ذلك ؟ أدخل الانجليز أنفسهم ببعض جنود
ليسوا في العير ولا في النفير ليبرروا هذه النتيجة السيئة التي
ليست في نظرنا الا اغتيالاً للحقوق في راحة النهار وسرقة
على مشهد من الأعم جمعاء

ان العساكر الانجليزية اشتركت اسما في حملة دنقلة ليبرر
الانجليز هذا العمل بعد ان صرح سواسهم امام العالم كله بانهم
لا يقصدون بارسال جنودهم الى السودان صحبة الجنود
المصرية الا ليردوه الى مصر تنفيذا للخطة التي رسموها من
احتلالهم مصر واجابة لصوت شرفهم. ألم يقل اللورد سالسبرى
بأعلى صوته « اننا نعمل لرد السودان الى مصر »

انتظرنا وانتظر العالم كله نتيجة هذا الاسترداد فكانت
فضاعة الانجليزية، تناهية اذ نبشوا القبور وبعثوا الجثث وأهانوا
اثوثى وخالفوا في ذاك تاريخ المتقدمين والمتأخرين ثم قامت
مسئلة فشوده بين كاتشنر ومرشان أو بعبارة أخرى بين

الاوربية والقوانين الدولية . فانه أولا ليس لحكومة مصر
أى حق في عقد اتفاقية كهذه الاتفاقية لانها تخالف نصوص
الفرامانات السلطانية الصادرة الى خديوم مصر . واذا قال قائل
ان السودان سلخ من مصر بترار وزارى او بأمر عال في
سنة ١٨٨٤ وأصح السودان خارجا عن املاك مصر ولا
يصح ان تطبق عليه نصوص الفرمانات الخديوية فأننا وكل
المقنين نعتبر هذا السالخ غير قانونى لان نصوص الفرمانات
صريحة بأن ليس لمصر الحق في التنازل او ابعاد أى جزء من
أجزائها عنها بإرادتها . اذا فالسالخ غير جائز وعقد الشركة
عمل فيه اعتداء من انكلترا

ثم ألم تصرح اتفاقية « ترايبا » التي كانت انجلسترا في
مقدمة الدول الست التي وقعت عليها بأنهم يتكاتفن في
الحفاظة على أملاك مصر وألا يكون لاحداهن مبرة على
الاخرى وأن لا يجوز لأية واحدة منهم أن تبيح لنفسها
امتلاك شبر من الاراضى المصرية

ان الحكومة الفرنسية عارضت في قرض السودان وقد

*
* *

سبقت الإشارة الى أنى عدت من السودان الى مصر مرابطاً
بعد واقعة أم درمان وبعد ان أبليت من مرضى قدمت استقالتى
من الجيش للمرة الثانية فقبلت فى الثانى والعشرين من شهر
يناير عام ١٨٩٩ . وقد ارتاح المرحوم كثيراً لهذه النتيجة
اذ أنها كانت أمنية من أمانية لأكون عوناً وساعداً فى أعماله
الكثيرة وفى جهاده المشكور وعدت من ذلك التاريخ الى دراسة
الحقوق التى كنت قد حرمت منها كما سبقت الإشارة
الى ذلك

وقد كتب رحمه الله مقالة لجريدة الجولوا الفرنسية
نشرتها فى ٦ فبراير هذا تعريبها :
« جناب المدير المحترم

ان اتفاقية السودان المزعومة بين مصر وانجلترا قد
جاءت برهاناً جديداً على عدم مراعاة أوربا للعهود والمؤتمرات
الشيء الذى يتهرب منه المصريون جميعاً باطلاً لانه يخالف للنظامات

﴿ المادة العاشرة ﴾

لا يجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل أو مأموري
قنصلات بالسودان ولا يصرح لهم بالاقامة به قبل المصادقة
على ذاك من الحكومة البريطانية

﴿ المادة الحادية عشرة ﴾

ممنوع منعاً مطلقاً ادخال الرقيق الى السودان أو تصديره
منه وسيصدر منشور بالاجراءات اللازمة لاتخاذها للتنفيذ بهذا
الشان

﴿ المادة الثانية عشرة ﴾

قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة
منهما على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يوليه
سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بادخال الاسلحة النارية والزخائر الحربية
والاشربة المقطرة أو الروحية وبيعها

تحريراً بالقاهرة في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩

الامضات (كرومر) (بيارس غالى)

حين دخولها الى السودان ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة على البضائع انقادمة من غير الاراضى المصرية الا انه فى حالة ما اذا كانت تلك البضائع آتية الى السودان عن طريق سواكن أو أية مينة أخرى من موانئ ساحل البحر الاحمر لا يجوز أن تزيد الرسوم التى تحصل عليها عن القيمة الجارى تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة الى البلاد المصرية من الخارج. ويجوز ان تقرر عوائد على البضائع التى تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت الى آخر بالمشورات التى يصدرها بهذا الشأن

﴿ المادة الثامنة ﴾

فما عدا مدن سواكن لا تمتد سلطة الحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه

﴿ المادة التاسعة ﴾

يعتبر السودان باجمعه ما عدا مدينة سواكن تحت الاحكام العرفية ويبقى كذلك الى أن يتقرر خلاف ذلك بمشور من الحاكم العام

المنشورات التي يصدرها من هذا القبيل الى وكيل وقنصل
جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة والى رئيس مجلس نظار
الجناب العالى الخديوى

﴿ المادة الخامسة ﴾

لا يسرى على السودان أو على جزء منه شئ من
القوانين أو الاوامر العالية أو القرارات الوزارية المصرية
التي تصدر من الآن فصاعداً الا ما يصدر باجرائه منها منشور
من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها

﴿ المادة السادسة ﴾

المنشور الذى يصدر من حاكم عموم السودان ببيان
الشروط التي بموجبها يصرح الاوروبيين من أية جنسية
كانت بحرية التجارة أو السكنى بالسودان أو تملك ملك كائن
ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا أية دولة
أو دول

﴿ المادة السابعة ﴾

لاتدفع رسوم الواردات الآتية من الاراضى المصرية

﴿ المادة الثالثة ﴾

تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان الى موظف واحد يلقب (حاكم عموم السودان) ويكون تعيينه بأمر عال خديوى بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا ينصل عن وظيفته الا بأمر عال خديوى يصدر برضا الحكومة البريطانية

﴿ المادة الرابعة ﴾

القانون وكافة الاوامر واللوائح التى يكون لها قوة القانون المعمول به والتى من شأنها تحسين ادارة حكومة السودان أو تقرير حقوق الملكية فيه بجميع أنواعها وكيفية أيلولتها والتصرف فيها يجوز سنها أو تحويلها أو نسخها من وقت الى آخر بمنشور من الحاكم العام وهذه القوانين والوامر واللوائح يجوز أن يسرى مفعولها على جميع أنحاء السودان أو على جزء معلوم منه ويجوز أن يترتب عليها صراحة أو ضمناً تحويل أو نسخ أى قانون أو أية لائحة من القوانين أو اللوائح الوجودية . وعلى الحاكم العام أن يبلغ على الفور جميع

﴿ المادة الاولى ﴾

تطابق لنقطة السودان في هذا الوفاق على جميع الاراضى
السكانة الى جنوبى الدرجة الثانية والعشرين من خطوط
العرض وهي

أولاً - الاراضى التى لم تخلها قط الجنود المصرية من
سنة ١٨٨٢ أو

ثانياً - الاراضى التى كانت تحت ادارة الحكومة المصرية
قبل ثورة السودان الاخيرة وفقدت منها وقتياً ثم
افتتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة
المصرية بالاتحاد أو

ثالثاً - الاراضى التى قد تفتتها بالاتحاد الحكومتان
المذكورتان من الآن فصاعداً

﴿ المادة الثانية ﴾

يستعمل العلم البريطانى والعلم المصرى معاً فى البر والبحر
بجميع أنحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها
الا العلم المصرى فقط

والمالية التي بذلتها بالاتحاد حكومتا جلالة ملكة الانكليز
والجناب العالي الخديوى

وحيث قد أصبح من الضروري وضع نظام مخصوص
لاجل ادارة الاقاليم المفتحة المذكورة وسن القوانين اللازمة
لها بمراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من ملك الاقاليم من
اتماخر وعدم الاستقرار على حال الى الآن وما تستلزمه حالة
كل جهة من الاحتياطات المتنوعة

وحيث انه من الملتضى التصريح بمطالب حكومة جلالة
الملكة المترتبة على ما لها من حق الفتح وذلك بأن تشترك في
وضع النظام الادارى والقانونى الآنف ذكره وفى اجراء
وتنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه فى المستقبل

وحيث ترااى من جملة وجوه اصوبية الحاق وادى
حلمنا وسوا كن ادارياً بالاقاليم المفتحة المجاورة لها
فكذلك قد صار الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين
على هذا بما لهما من التفويض اللازم بهـ ذا الشأن على
ما يأتى وهو :

✧ اتفاقية السودان ✧

ما جاء يوم ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ الذي هو من أشأم
الأيام في تاريخ الوزارة المصرية حتى انتشر نبأ عقد الشركة
المصرية الانكليزية في السودان فغضى الوطنيون ليلة من أسوأ
الليالي وندبوا حظ بلادهم وأموالهم ودماء آبائهم وأبنائهم
أمضى هذه الاتفاقية بطرس باشا غالي بالنيابة عن
الحكومة المصرية باعتباره ناظر خارجيتها واللورد كرومر
بالنيابة عن حكومة بريطانيا ولما كانت نصوص هذه الاتفاقية
تهم كل مصري رأيت أن أثبتها هنا وهذا نصها :

وفاق بين

حكومة جلالة ملكة الانكليز

وحكومة الجناب العالي خديو مصر

بشأن ادارة السودان في المستقبل

حيث ان بعض أقاليم السودان التي خرجت عن طاعة
الحضرة النخيمة الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية

ابتدأنا نشيد مدارس وتيم للملم صروحاً عالية
فأغنم أيها الخنفل العظيم والمؤسس الكبير بهذا المجد
الذي سيذكره لك التاريخ مادام عملاك قائماً وان حينناك فانما
نحي فيك الشهامة النادرة والذكر العاطر لتكون مثلاً حسناً
يتدى بك كل ساع في نشر العلم والله نصير العالمين « اه
مأنتهى المترجم من كلماته حتى دوى المكان بالتصفيق
الحاد واصوات الاستحسان وأخذ كل حاضر يهتف ببلاغته
وقوة بيانه وممتنة أسلوبه وسرعة خاطره
وقد استمر الاحتفال الى منتصف الليل اذ التى خطبة
أخرى صغيرة اجابة لطلب الحاضرين وقد حض فيها على نشر
العلم والاقتداء بالامم الراقية والسلف الصالح مما كازله أحسن
وقع في النفوس

لتنكشف امامهم الحقيقة ويسيروا واياهم في طريق السلامة
والسلام وكل من سار على الدرب وصل
ان الذى ينقصنا أيها السادة قوة الارادة فهى السلاح
الماضى الذى يتطعم كل عتيسة في طريق رقينا . فهذه الارادة
الوطنية القوية هي التى أخرجت وستخرج أمثال هذا العمل
النافع . بهذه الوطنية وحدها التى أساسها قوة الشعور وبنائها
الاعتماد على الخالق قطعت أمم الغرب طريقاً طويلاً من العلم
والعرفان . بهذه الوطنية التى لا تسكن قلباً الا اضاءته ولا بيتاً
الا اعلته ولا بلداً الا اسعدته عرف الغريون كيف يتآزرون
وعلى عمل البر يتعاونون فقد أسسوا المدارس على أساس هذه
الوطنية فأخرجت مدارك شيدت المستشفيات وبيوت العجزة
ودور الصناعة فبلغوا بها مجداً نحسدهم اليوم عليه وننظر الى
قوتهم باهتين . لا تعجبوا أيها السادة من أن الله لم يتح لهذه
الحقيقة حقيقة الرقى من طريق نشر العلم من ينصرها في
مواطننا في هذا العصر غير هذا الشهم الكريم ولكن الذى
تعجبون منه أنه مع ضغط الزمان علينا وانتشار الدخلاء بيننا

فبروا بها بما وهبهم الله من نعمته. وان بلادا كبلادنا فيها الكثير
من أمثاله لا بد أن تقوم فيها هذه النهضة المباركة واول الغيث
قطر ثم ينهمر

وكأنى أسمع صوتاً يناديني « الاقف أيها الخطيب قليلا
خان أغنياء البلاد يعدون أنفسهم غرباء عن مصر وانهم لا يجدون
السعادة الا في تعس الفقراء وفي التزلف للكبراء فلا يخذعك
ما فعله قره جولي بك ولا تؤمل منهم خيراً فان الامل
فيهم ضائع »

الا انه صوت اليأس القاذب ونحن لا نعرف اليأس
ولا القنوط فان الاغنياء ليسوا في سعة من العيش وراحة من
البال الا بالفقراء فصاحب المزرعة لا يأخذ من أرضه ذهباً
الا بفأس النقيير وقرة ساعده . وما لنا نذهب بعيداً وهذه
السراي العالية البنيان المشيدة الاركان لم تقم الا بالفقراء

فالفقراء هم قوة الامة وساعدها العامل ويحملون الاغنياء
على اكتافهم فان أخلوا بهم يوماً اسقطوهم الى اسفل سافلين
فواجب الاغنياء ان ينشروا المصابيح بين الفقراء

(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) فهم
متعلمون ونحن جاهلون وحكومتنا مستسلمة جامدة فليس
امامنا الا اعيان الامة ووجهائوها وخيرة ابناءها ليقيموا للعلم
مناره فتبدد دولة الجهل ويقف المغتال عند حده
انى ايها السادة لا أستطيع أن أ كيف لكم مبلغ سرورى
من هذا العمل الكبير وما هو الاحلقة ستبتعها بمشئة الله
حلقات كلها يسر وبر بالفتير والبائس وانى لا أقصد بالفقير معدم
المال وباليتم المحروم من الأب وبالبائس ذا الخصاصة . كلا
أيها السادة أأزهؤلاء الثلاثة تجمعهم كلمة جاهل هذه الكلمة
التى لا يصح ان تكون في هذا الزمان وصنفاً لبني الانسان .
هذا الزمان الذى بلغت فيه الاختراعات مبلغاً كبيراً وأخذ
فيه العلم مكاناً رفيعاً عند اقوام كانوا اذا ذكروا فى سالف
الأيام بجانب المصرين ذكر الجهل بجوار العلم والضعف بجانب
القوة وانسقوط امام السمو والرفعة وكبر الجاه وعزة السلطان
نعم ازاأملنا كاذ يتحقق . فان حسين بك لم يكن الارجلا
من أولئك الرجال الذين شـروا بأن عليهم واجباً نحو أمتهم

أضاء بصائر أبنائها من نور

فعلیکم بالعلم فانه نور متى انتشر لا یطفأ وفي سنانه یحتفی
کل ظل للاستبداد لان الاستبداد لیس الا لصاً یعتدی علی
حقوق الامم فی ظلام الجهل فیسلبها أموالها ویفلبها علی استقلالها
ویترکها حائرة لا تعرف لها حالا تسیر علیه

ان الرجل الذی یسرق فرداً یعرف کلنا عقابه ولیکن
الرجل الذی لم یبق علی أمة بأسرها یلتمس له المنافقون
والخائنون والذین دخلوا بین الامم کما یدخل السم فی الدسم
عذراً بل ویبررون عمله . وقد دخل الاحتلال بیننا لیسلبنا
متاعنا ومعه أبواق تصیح فینا « ان متاعکم بال ولیس غرض
الاحتلال الا أن یعیده الیکم آخر وأعظم مما کان » هذه صیحتهم
وهذا بهتانهم ونحن امام هذا الاستقلال المبکی لا نرید الا
أسلحة مغنوية ندافع بها عن أنفسنا ولیس هناك سلاح أمضى
وأحد من سلاح العلم . فالعلم وحده خیر سلاح للامم التي
غدر بها الزمان فساق الاجنبی لاحتلال المكان واستخدام
السکان

أمة اكتشف فيها التاريخ معدناً من أثنى المعادن قدراً وأسماءها
منزلة ألا وهو الذكاء المصرى . ألم يحكم محمد على هذه الامة
وهى لا تعرف من العلوم العصرية أسماءها فأخرج منها أطواداً
فى كل علم وفن كما اتخذ من أذرع أبنائها دروعاً أعجب بها
العالم بأسره

نعم كان هذا شأن محمد على وفى ذلك برهان على ان الامة
المصرية لا ينقصها الاقواد خير حتى تذكر بين الامم الراقية
بالتجلة والاحترام

اننا رأينا أمم الغرب تطلب المزيد من العلم كلما قطعت من
أدواره الشئ الكثير لان العلم لاحد له ومن الظلم اليين أن
تقف الحكومة بينه وبين الامة حباً فى جهلها والتلاعب
بمصالحها . رأينا القراءة والكتابة بين أمم الغرب تكاد تكون
عامة لانها عندهم من لوازم الانسان ولكنها عندنا فى نظر
هذه الحكومة الاحتلالية عيب شائن وأثم كبير . رأينا الجرائد
فى الغرب اذا نادى الامة الى عمل نافع أسرع الى هذه الى
تلييته وما ذلك الا لانها تدرك العمل بما كسبته من علم وما

تنصر الحق وترفع للبلاد لواءها وتأخذ بيد الامة في الطريق
السوى طريق الفلاح والساداد

اننا أيها السادة بشر كل البشر لما تاريخ يجب أن تقف
على أسرارهِ ومجد قديم من العار أن تتبرأ منه وهو تاجنا وعلم
شرفنا ومحط آمالنا . ان الفرق بين هذه الامة وكل الامم هو
فرق معنوى لا يزول الا بنشر العلم . وان كل حجر يوضع
في هذا السبيل يساوى كنوز الارض من ذهب وفضة
فانهجوا منهج المؤسس ليكون بيننا آلاف من المدارس
لا مدرسة واحدة فنعيد دارس مجدنا ونأخذ المكان اللائق
بمصرنا بين الامصار والبدان

ان احتفالنا اليوم في دار عباس الاول وفي عصر عباس
الثانى بتشديد دور للعلم يعيد الى الذاكرة تاريخنا القديم ذلك
التاريخ الـأهل بالعظمة وقوة السلطان . الحائل بأساطيل البحر
وجيوش البر ودور العلم ومعامل الصناعة وكل صنوف القوة
والجلال . يذكرنا بأن الحكومة الاهلية وان أساءت خير
من ألف حكومة أجنبية وان عدلت . يذكرنا بأن الامة المصرية

صاحب المشروع وشكر للحاضرين تلييتهم دعوته الى حضور
الاحتفال وشرح ما دفعه الى تأسيس هذا المعهد الجليل ثم دعا
الارحوم للخطابة فوقف رحمه الله وقال :

أيها السادة

انى مهما شكرت لصديق الهمام حسين بك قره جولى
عمله هذا فان أستطيع توفيته حقه من الشكر ان لانه أول
من استجاب دعوة الداعين الى النهضة العلمية وأول من لبى
فى هذه البلاد نداء وجدانه الطاهر الشريف ولئن قصرنا فى
مديحه والثناء عليه لسوف يذكره التاريخ بالحمد الجزيل مادام
هذا العمل المبارك قائماً يبعث النور الى العقول وغذاء التربية
السليمة الى النفوس

أجل

أيها السادة ان لكل محسن فى هذا السبيل أجراً لا قدرة
بخطيب مهما كان قوى البيان شريف الوجدان ان يصفه لانه
محي النفوس مضىء الدريق باعث الرشاد وليس عند الله أبر
من رجل يبحث عن دفائن الذكاء فيخرجها للناس زاهية زاهرة

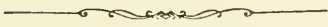
الأسبلة

١٨٩٩

هلت هذه السنة والمترجم في أجمل ثوب من الصحة
والعافية بتسم له الآمال كبيرة وينتظر من الزمان تحقيقها وقد
كان كل همه في ذلك الوقت مصروفاً إلى الخوض على نشر
العلوم والمعارف في البلاد

وكنا نسكن بيتاً بجوار حفرة الوطنى الفيور حسين
باك قره جوللى أحد كبار وجهاء البلاد الذى أسس مدرسة
كبيرة بالعاصمة فى قطعة كبيرة من منزله وكانت أول مدرسة
فى بابها وقد أقام لافتتاحها احتفالاً فخماً فى سراى الخلمية فى
يوم عيد جلوس سمو الخديو فأمر هذا الاحتفال كثير من
الامراء والعظماء وكبار الموظفين وأساتذة المدارس حتى ضاق
بهم المكان على اتساعه وما أذنت ساعة الافتتاح حتى وقف

حول راية جلاله الامام الاعظم والخليفة الاكرم
وانكم اذا حافظتم أيها المصريون على مبادئكم الوطنية
وطالبتم بحقوقكم المقدسة واتبعتم أوامر الشريعة المطهرة
وزال من بينكم الشقاق والفراق ردت اليكم حريتكم وسعادتكم
وبلغتم منتهى العز وذورة المجد والا فاذا دمتم على هذا الحال
فبئس المآل وبئس الاستقبال . وحسبكم مبشراً ونذيراً قول
ربكم « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . اهـ



وفيهما تجدون الشفاء . ويا أيها المسلمون ان كنتم تبتهغون
استرجاع مجدكم وسؤددكم فاتبعوا دينكم فهو كفيلا لكم بأن
تعيشوا أبد الدهر سادة لا عبيداً

وانا نرى الأمم الاوربية مع ما وصات اليه من العظمة
والقوة تحافظ على دينها أشد المحافظة ويخطب فيها ما وكرا
ورؤساؤها باسم الدين واذا ألم بأحد أبناء دينها خطر اهتزت
له جمعاء ولو كان المصاب بعيد المزار

ولقد كذب من ادعوا بأن الاسلام دين مناقض لمبادئ
المدنية غير ملائم لمصالح الانسانية فانه دين شريف اعترف
المنصفون من المسيحيين بأنه كافلا لتقدم الأمم القائمة به وأنه
كما رفع المسلمين الى المقام الاعلى في أول ظهوره يرفعهم
اليوم الى أسنى المنازل اذا اتبعوا مبادئه الشريفة . فهو الآمر
بمحبة الاوطان الآمر بالعدل والاحسان الآمر بالعمل والسعى
والجد والنشاط الآمر بالاتفاق والوفاق الآمر بالرحمة
والاعتدال والغفران

فارجعوا اليه أيها المسلمون النافرون عنه واتحدوا جميعاً

العزير . فنكون بذلك المدارس منبع حياة للامة ومصدر
وجود جديد . والا فالوطن يعرف من أبنائه وانتم تعرفون
رجالاً تعلموا العلوم العالية ونبغوا فيها بدون ان تربي أرواحهم
فلما حان الوقت الذى وجب عليهم فيه خدمة الوطن العزير
ففروا عنه وأعلنوا له العداء وصاروا نصالاً لاسهم الاعداء
ويجب قبل كل شىء ان تكون التربية الدينية أساس
التعليم والتهديب . فالدين عاصم من الدنيا رادع عن الخطايا
معلم للفضائل محجب للكمالات

واذا بحثنا بحثاً مدققاً عن سبب تأخر المسلمين فى سائر
البلاد وضياع استقلالهم ومجدهم وسؤددهم لوجدنا الاسباب
كلها مجتمعة فى سبب واحد وهو اننا ابتعدنا عن الدين وقصرنا
فى اتباع أوامره واجتناب نواهيه فصرنا كالذين يهجرون
بيوت آبائهم وهى قصور عالية البنيان مشيدة الاركان ثم
يأوون الى الفضاء متشردين فتصيبهم الامراض المختلفة من
عوارض الجو ويسقطون فى مهواة الاضمحلال . فارجعوا الى
بيوت آبائكم أيها المتشردون فى الفضاء فمبها تجدون الدواء

وأرى من الواجب على في هذا المقام أن أوجه مزيد الشكران للذين اهتموا بمسئلة التربية واقدموا على تأسيس المدارس وأومل أنهم يوجهون آمال الناشئين الى التجارة والصناعة والفنون الحرة حتى يصير الوطن غنياً بانباءه ويستطيع وقتئذ الواحد منا أن يعيش عيشة وطنية حقيقية ويشترى كل حاجاته من أبناء وطنه فلا تذهب أموالنا لغيرنا بل تبقى فينا وتحفظ ثروتنا من الضياع

وبجد ربى أن ألفت انظاركم عموماً الى أمرين خطيرين أولهما أن تربية البنت لازمة وضرورية فهي ذات الشأن الاول فى تربية الاطفال متى صارت امماً ورئيسة عائلتها وهى التى عليها الجزء الاعظم من أعمال هذا الوجود . وثانيهما ان تعليم البنين والبنات العلوم والفنون لا ينبغي وحده بل يجب قبل كل شئ تربية الروح حتى يصير الطفل متى شب رجلاً شجاعاً ممتاعاً بالوطنية الحققة قائماً بالمبادئ الجنسية وتصير الطفلة متى شبت امرأة رشيدة مدبرة تعلم ابناءها محبة البلاد وتفرس فى قلوبهم وجوب التفانى فى خدمة الامة وفى اعلاء شأن الوطن

وهذا أمتنا الحاضرة لا ينكر انسان انها تشعر بما يقع
عليها ويقع حولها فلا تخفى سرورها اذا أقبلت الحوادث
السارة كما انها تظهر حزنها وكدرها كلما تساقطت على الوطن
العزيز بلية جديدة

أو ليس ميل العامة الى تعليم أبنائهم وتربيتهم أكبر
دليل على استعداد هذا الشعب العزيز للتقدم والارتقاء . ومن
كان منكم ينكر هذا الاستعداد فعليه أن يطوف المدارس في
أول السنة المكتبية حيث يجد هنالك زمراً ووفوداً من
الاهالي ترزع الى نظار المدارس الرجاء بمد الرجاء لقبول أبنائهم ولول
كلهم ذلك النفقات الجسيمة . ولكنهم لسوء الحظ يرد اغلبهم
ويرفض طلبهم بحجة ضيق المدارس على المتعلمين

فالامة شاعرة بضرورة تربية أبنائها وهو شعور شريف
يعتبر في نظر الفلاسفة والحكماء أساس التقدم وعنوان الحياة
والذين يطالبون الآن بتحقيق رغائب الشعب هم الاغنياء
والنهباء فهم القادرون على تأسيس المدارس الاهلية لتعليم
البنين والبنات

له عليهم الايادى البيضاء فانه لا يزال شديد الامل قوى
الرجاء

وقد نبه حفظه الله المصريين الى واجباتهم نحو الوطن
العزير وأدركنا جميعاً فى عهده حقيقة طالما أخفاها الخاكمون
عن المحكومين وهى أن الشعب هو صاحب الحق الاول فى
بلاده وأنه لا يقوم الا بنفسه ولا تملو كلمته الا بهمة ابنائه .
ولقد اعتاد اليأسون القانطون المثبطون للهم أن يقولوا عن
شعب مصر أنه غير صالح للتقدم والارتقاء . مع أن التاريخ
يعارضهم أشد المعارضة ويثبت بالبراهين القاطعة أن المصرى
إذا ترى وتهذب كان رجلاً كاملاً عارفاً لحقوقه قائماً بواجباته .
وهذا تاريخ مصر فى القرن الحاضر يسمعا بأفصح لسان وأبلغ
بيان أن المصريين بلغوا بعناية ساكن الجنان « محمد على باشا »
شأوا بعيداً فى المعارف والآداب حتى صارت مصر فى أيامهم
فى الصف الاول من الشعوب المتمدينة وخرج منها رجال
كان لهم فى كل علم وفى كل صناعة القدم الراسخة والباع
الطويل

الحكومة في النظر في المسائل العامة فسمح رعاه الله لرعيته أن تراه وتسمعه ما عندها لا أن تكتفي بتقديم واجبات التجارة والاحترام

ولا ينكر أحد أن أعداء الأمير بذلوا ويذلون أقصى الجهد في تنفير الشعب من سموه كما أنه لا يخفى على أي انسان أن الشعب أجاب على هذه الدسائس بزيادة التعلق بأمره الشرعي . ومن أكبر الدلائل على تعلق المصريين بالعرش الخديوي أنه لما توقع دولة الأمير الجليل « فؤاد باشا » جريماً كان كل منا يتألم لألمه كأنه عضو من عائلته وكانت كل أم تبتهل الى الله طالبة شفاؤه كأنه ابن لها . وبقدر ألم المصريين وقتئذ نراهم اليوم آسفين على ذلك الأمير السيء الحظ الذي أصبح اليوم سجيناً

ولا بدع اذا كان المصريون يتعلقون بالعرش الخديوي ويخلصون الحب للامير فهم يعرفون محبته لهم ويدركون حرج مركزه حيث تولى والخياب عزيمة والشقاق مستحکم فجاهد ما استطاع ومع ان الايام خانت وخانه رجال من بني مصر

على جلالته وسبباً للمسلمين عامة والعثمانيين خاصة ؟ أليست
• طاعنهم ضد سمو الخديو المعظم أعظم اهانة تهان بها أمة في
ديارها وأكبر سبة يسب بها شعب رشيد حى الاحساس ؟
ماقام المصريون الوطنيون بعمل الا كان تذى فى عيون
الدخلاء . فالوطنية التى يرونها عند الانكيز جميلة بديعة
شريفة سامية هى عند المصريين فى نظر هؤلاء الاعداء ذنب
لا يحى وجريمة لا تغتفر

يقول الدخلاء عنا اننا ابواق الامير وعمال الامير . ومادروا أن
هذا لو صح يكون كل الشرف ومنتهى الفخار . وتجاهلوا اننا
عمال الوطن قبل كل شئ . واننا نبجل فى شخص العباس الوطن
نفسه . فقد ملك مولانا الأمير قلوب سائر أفراد رعيته من
أول يوم نادى فيه على مسمع من شعبه ومن الناس كافة
« أنه يفضل الموت عن أن يذازل عن حق من حقوقه » .
وتدبرهن حفظه الله فى كل أعماله وأقواله أنه محب الشعب
كما أنه محبوب الشعب وان اعظم آماله وقصارى أمانيه أن
تبلغ أمتة أعلى درجات الكمال وترقى فى سبيل البرفان وتشارك

حق . فقيهم من يدافع عن مصر بقلمه ولسانه ومنهم من
يشغل بتجارته وصناعته بعيداً عن عالم الاقلام والسياسة .
فهؤلاء لهم من مصر والمصريين جزيل الشكران وعظيم
الامتنان على اخلاصهم لها واعترافهم بالجميل لهذه الديار التي
أكرمت مشواهم وعاملتهم كأقرب الناس اليها

أما الدخلاء فهم الفئة المملومة التي جاء رجالها مصر طلباً
للرزق وقدموا أنفسهم للمصريين بيزيد الخضوع مجاهرين
بمحبتهم لهذه البلاد وأهلها فاستقبلهم المصريون بما فطروا عليه
من الرقة والبشاشة وأحسنوا اليهم أعظم احسان فقابلوا
الاحسان بالاساءة والجميل بالنكران وجردوا أتلامهم ضد
مصر وأهلها وجعلوا وظيفتهم الطعن على مقام جلاله مولانا
السلطان الاعظم وسمو خديونا المعظم

فقولوا لي بالله عليكم أي وطني يرى الدخلاء ويتقرباً
ما يكتبون ولا تهيج عواطفه ضدهم وضد أعمالهم ؟ بل أي
بلاد في العالم تنحط فيها الوطنية الى حد قبول الدخلاء وقراءة
صحفهم ؟ أليست مطاعنهم ضد مولانا الخليفة الاعظم خروجا

الاحساس الشريف العالى الذى اذا استولى على قلب امرئ
دفع به الى الهلاك فى سبيل سلامة الوطن ومجده . هذه
هي الوطنية التى نعرفها ولا نعرف سواها

ومن الغريب ان المستر « غلادستون » فقيد بريطانيا
وأكبر خطبائها وأعظم سواسها فى هذا العصر اعترف بنفسه
فى الرسالين اللتين بعث بهما الى ان الحق فى مسألة الاحتلال
والجلاء بيد المصريين وان الانكليز وجب عليهم الرحيل من
هذه الديار . على حين ان الدخلاء وسماحة السوء والفساد
يسبونها السب العلنى لمطالبتنا بأمر اعترف المستر غلادستون
نفسه بأنه من الصواب بكان !!

*
* *

جرت على لسانى كلمة الدخلاء فى هذه الخطبة وفى
سواها وأحس من نفسى الآن بأن بعض الناس يطالبنى
بزيادة بيان فى معناها ومرماها فأقول لمن التبس عليه ادراك
التصد من لفظة الدخلاء انى لا أقصد بها السوريين انما زلن
بمعصر . ومن يفسرها هذا التفسير فقد سب السوريين بغير

الاوروبية الاتناق مع دولتنا العلمية (حرسها الله) لفك قيود
هذا البلد الامين وتحريره من يد الاحتلال ولسنا نحجل
مما فعلناه ولا نرى عاراً ما أتينا به. بل نفتخر باننا قرعنا كل باب
في سبيل خلاص بلادنا ولا نزال ونعيش أبد الدهر نعمل
لتحريرها ولا نترك وسيلة من وسائل اسعادها واعلاء شأنها
الا نأتيها واننا لانشك لحظة واحدة في أن أعمالنا ستتوج
بالنجاح والفلاح ان لم يكن في حياتنا فبعد موتنا وعلى أيدي
أبنائنا. فليست الحرية بعزيزة على قوم يعملون للحصول عليها
ويجتهدون في نيلها. وليس بعزيز على المصريين ان يفكوا
قيود بلادهم ويعيدوا اليها استقلالها ومجدها. فالصخرة الضخمة
تذوب وتنفقت بسقوط المياه عليها قطرة بعد قطرة.

واننا كلما اشتدت بلايا الوطن وعظمت مصائبه ازداد
تعلقنا به واخلصنا اليه. واني في هذا الموقف أجاهر بأعلى
صوتي ان أكرم يوم في حياتي هو يوم أموت فيه لاجل
بلادى وفي سبيل سعدتها. فليست الوطنية معنى من الماداني
المحدودة أو لها درجات معدودة بل الوطنية هي ذلك

ايرلاندا دون غيرها . موضوع عمله واهتمامه في كل بقعة
يسكنها وفي كل أرض ينزل بها

وأظنكم تذكرون جميعاً ما أتاه الايرلانديون أيام الاخف
بعيد جلاله الملكة الستيني اذ ساروا في شوارع « دوبلين »
حاملين لنموش كتبوا عليه (الملكة البريطانية) وألقى يومئذ
خطبائهم الخطب المؤثرة مذكرين قومهم بمن مات منهم في
سبيل الوطن الايرلاندي ومبشرين بقرب ساعة الخلاص
ودنو ساعة بلوغ الآمال

فهذه هي الوطنية الحقيقية التي سادت بها أُمم الغرب
ويعرفها الانكايز أكثر من كل انسان . أرجو لوطني أن
تنبعث في قلوب أبنائه محبته الى هذا الحد الجميل وأسأل
بلادي أن يخرج منها رجال يرفعون شأنها ويحيون مجدها
ويعيدون رفعتها . وما ذلك على الله بعزيز

نعم الحياة جهاد والعمر قصير وخير الناس من جاهد في
سبيل بلاده وعمل خيرا وناضل عن حقوقها . ولئلا لآلئنا
الآلام وسبنا الدخلاء لآلئنا نادينا بحقوق مصر وسألنا الدول

وشيده السالفون . فلتكن صحيفتنا في سجل الأمة المصرية
من أول أب جاء الى آخر ابن يولد فيها صحيفة بيضاء وترك
للعقاب مثلاً حسناً جديراً بالاعتداء .

على اننا اذا نظرنا الى الامم التي شابهتنا في المصائب نجدها
عاملة مجدة مجاهدة ليلاً ونهاراً في سبيل الحرية والاستقلال .
فهل قضى بولوني لحظة من عمره الا وبولونيا ممثلة امام عينيه
وامام فؤاده يذكر بهاءها وجمالها ويطلب استرداد عزها
وشرفها . وهانحن نرى أبناء هذه الأمة الشريفة يزاحمون
سواس النساء يأخذون مساند الوزارة ويقبضون على زمام
أمور المملكة بدون ان تنسبهم المناصب وطنهم أو تمحو
السعادة الذاتية من أفئدتهم حبه والتعلق به . وهذه ايرلاندا
تعرفون كل كم مكانة أبنائها من الوطنية الصحيحة فهم يطالبون
بحقوقها الشرعية في كل ناد وفي كل آن . وما فؤاد الايرلاندى
الا قصر لحبة الوطن يحمله معه أينما حل وأينما سار . فتجد
ايرلاندا على لسانه في برلمان انكلترا وفي شوارعها وأنديتها
كما تجدها على لسانه في بلاد أميريكو ومدائن القاصية . فهي

نمر أمام الوطن مرورا وهو قائم دائم ؟ أتأسون والتاريخ
يحدثنا عن أمم عاشت القرون تحت نير الاستعباد ثم استجمعت
قوتها وطردت العدو من ديارها وصارت حرة مستقلة ؟
أتأسون وأنتم أبناء هذه البلاد التي قبرت فيها الدول الضاغية
والممالك الظالمة ؟ فإين دولة الرومان وأين دولة اليونان بل
أين الذين حكموا مصر وحكموا فيها السيوف ؟ أتأسون
وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام « مصر كناية الله في
أرضه من أرادها بسوء قصمه الله »

لا معنى للحياة مع اليأس ولا معنى لليأس مع الحياة .
وإذا سلمنا جدلا بأنه قضى علينا أن نعيش نعيش أرقاء ونموت
عييدا أذلاء فهل ذلك يدعونا إلى إهمال كل أمر فيه فائدة
الوطن ورفعته أم يجب علينا أن نقيم ما هدم ونرفع ما دمر
ونترك ميراث الوطن لابنائنا صالحا للتحسين والتقويم والاصلاح .
أليست الأمة عائلة واحدة من تبطة الأعضاء متماسكة الاجراء
متضامنة الحقوق والواجبات يستخر كل فرد فيها بما أناه بقية
الافراد . الاترون كيف اننا نفتخر بما بناه الآباء الاولون

الرسول والأنبياء وأغلب عظماء الرجال من طبقة الفقراء
ليبعث في كل انسان روح الامل وروح العمل . فيا أيها
الضعفاء ويا أيها الفقراء ليس الفقر أو الضعف عذراً يقدم
للوطن المحبوب فالضعفاء قوة ان اجتمعوا والفقراء غنى ان
اتحدوا وقد خلقنا الله جميعاً رجالاً يملك كل منا قلباً ولساناً
فقدموهما في خدمة الوطن والامة وارفعوا أصواتكم ضد
أعدائهما والخونة والمنافقين وتذكروا اننا ندين بدين
الامة العربية الجليلة التي خاطب أحمد عامتها الخليفة
عمر رضى الله عنه بقوله : « لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه
بسيوفنا »

وكما ان الضعف أو الفقر ليس بعذر عن التقصير في
خدمة البلاد فكذلك اليأس ليس بعذر بل هو جناية كبرى
تجنى على الوطن وأهله . واني لا عجب من أناس عرفوا
بالمروءة والشهامة وسعة العيش يحجمون عن خدمة الوطن
بدعوى اليأس والقنوط من مستقبله . فيل تيأسون وفي
السماء آله تسجد له ونسبح بحمده ؟ أتيأسون ونحن في الحياة

أكبر جحود . فأرزا قبحم ياقوم واعماركم بيد الله يتصرف فيها
كيف يشاء وما خلق لكم مصر الا ليجعلوها جنة الارض
بما وهبكم من قوة وذكا.

وليس المسؤل عن خدمة مصر واعلاء شأنها شخصا أو
اشخاصا بل كل واحد من ابنائها يسئل عن خدمتها ويطلب
بنصرتها كما ان المسؤولية في تأخرها وانحطاطها تقع على كل
منا . ومن اكبر ادواء مصر ان كثيرا من ابنائها يظنون انهم
لا يسئلون عن خدمتها بل المسؤل الكبراء والامراء . واذا
ألقى الخطيب النصيحة على قومه ظن كل انسان ان النصيحة
موجهة الى غيره فيقول « لقد أصاب الخطيب ولكن الامة
ميتة » فمن هي الامة ؟ ألستم من أعضائها وأعم أعضائها ؟ أو
ليست الامة الفرد متكررا ؟ فاذا قام كل واحد بواجباته وأصلح
العوج من أموره صبحت أحوال المجموع ووردت الى الامة
حريتها وسعادتها ولبس الوطن ثياب الحياة والقوة والعافية ؟
ولقد يتندر البعض منا عن التقصير في خدمة الوطن
العزير بأنه ضعيف فقير مع أن الخالق جل جلاله أرسل

شأنه تنقضى على كل من يفضل نفسه على بني جنسه ويسىء
الى بني وطنه ليحسن الى نفسه ان تقع نتائج أعماله على شخصه
وان لم تقع عليه فعلى أبنائه من بعده . فكم أراونا التاريخ رجالا
سهلوا للاجنبي امتلاك بلادهم طمعا منهم في الحصول على ثروة
واسعة ومكانة رفيعة فكانت مكافأة الاجنبي لهم اعدامهم ونعم
الجزاء للخائنين . وكم رأينا رجالا ظلموا الناس وخربوا البيوت
وهدموا أركان الوطن والوطنية فخربت بيوتهم من بعدهم
ولاقى أبنائهم من الشقاء والعذاب ما لم يره انسان . فيا أيها
الظالمون في الثروة ولذات الحياة ويا أيها المعتدون على وطنكم
بشروا أنفسكم بسوء منقلبكم وبشقائكم وشقاء ابنائكم من بعدكم
فالوطن ساخط عليكم والامة بريئة منكم وما الله بغافل عما تعملون
اما الذين يخافون الذل والفقر ولا يرفعون اصواتهم ضد
أعداء وطنهم لئلا يذاهم الاجنبي ويبدل هناءهم شقاء وسعادتهم
فقرًا وبلاءً فهم في الحقيقة اذلاء فقراء . فالناس من خوف
الذل في الذل والناس من خوف الفقر في الفقر . ومن خاف
الذل والفقر واحجم عن خدمة الوطن العزيز فقد جحد بالله

على روح هذا الفقيد ورفضوا رايات الفرح والنصر للاخذ
بثأره . والمصريون ينظرون الى هذه المناظر ويتساءلون :
أليس لدماء من مات منّا ثمن ؟ أليس لرجالنا قيمة ؟ أليس
المصرى فى شريعة الرحمن انسانا ككل انسان ؟ أتموت منّا
الجنود الابطال قبل استرداد السودان وفى سبيل الاسترداد
ولا يذكرون بشيء بل يقوم منّا من يهين الانكياز بأخذ
ثأر غردون . أليكون دم فرد من الانكياز غالى الثمن رفيع القدر
ودماء آلاف من المصريين لا ثمن لها ولا تتابل بغير النسيان ؟
لقد تعاضم الخطاب وأصبحت الحياة مرة وبات الوطن
فى أشد الاخطار وكل منّا يهمل واجباته وينتحل لنفسه عذراً
فمنّا من يطمع فى الثروة والترقى . ومنّا من يخاف الذل والفقر
ومنّا من لا يشعر بالمسؤولية . ومنّا من استولى على قلبه اليأس
والقنوط

فالذين يطمعون فى الترقى يضحون كل مصلحة مومية
فى سبيل مصالحهم الشخصية ويظنون انهم يخدمون بذلك
عائلاتهم وأولادهم من بعدهم . مع ان نواويس الخالق جيل

الخالق من أول الفروض علينا ومن أقدم واجباتنا . فلا
يستطيع أحد في الوجود ان ينكر علينا وجوب حث قومنا على
محبة بلادنا والتعلق بها والمطالبة بسعادتها وحريتها واستقلالها
لقد بالغنا في الاستسلام وأبدعنا فيه كل الابداع وما
جئنا الا الخيبة والفضيحة والعار . فهذه بلاد السودان
فتحتها مصر بأموالها وبدماء أبنائها الاعزاء . أي راية تحقق
اليوم عليها وأي شرع يقام اليوم فيها وأي حق يعترف به
للمصريين في نواحيها ؟ ألم تمض سياسة الاستسلام التي
قضينا عليها من أول يوم رفعنا فيه صوئنا بأن تجاهد جنود
مصر الابطال أجل وأشرف جهاد وتبذل حياتها رخيصة في
سبيل استرداد السودان ثم تسلم الى الدولة المحتلة هذه البلاد
الزاهرة وهي من مصر الروح والفؤاد . فأى فضيحة بمد
هذه الفضيحة وأي عار بمد هذا العار ؟؟

أقام الانكليز الارض وأقعدوها بسبب غردون
وثأر غردون ونسفوا قبر المهدي نسفا وأخرجوا رأسه بأشنع
ضفة وأقبح . ثل وعقدوا المجمع وألقوا الخطب تحية وسلاما

بل نرى سكوتاً في سكوت واستسلاماً في استسلام فيزداد
البلاء ويتضاعف الشقاء

قد يقول بعض الناس عن هذا الكلام انه تهوّر في
الوطنية وجنون في حب الحرية ولكنني أسأل المترضين
ماذا كان يعمل الانكايير مع المصريين لو قدر ان هؤلاء
احتلوا بريطانيا ونشروا عليها سيطرتهم وسلطانهم ؟ أ كانوا
يسامون لهم البلاد ومفاتيحها ؟ أ كانوا يستسامون هذا
الاستسلام المهين ؟ أ كانوا ينشقون على أنفسهم ويتركون
الاحتايين يقبضون على زمام الامور شيئاً فشيئاً ؟ أ كانوا
يخاضعون رؤوسهم امام الاجنبي ويخضعون له عن طيب
خاطر ويسبحون بحمده بكرة وأصيلا ؛ كلا ثم كلا . انهم
كانوا يقدمون كل يوم دليلا من دلائل الحياة وبرهاناً من
براهين الوجود حتى يشهد من في الارض ومن في السماء
انهم أمة حية حقيق بها الاستقلال جدير بها العز والشرف
والمجد الرفيع

على ان ما نطلبه من أبناء الوطن العزيز هو ما جعده

الاحتقار . لقد كنا أعزاء فأصبحنا بارادتنا أذلاء . بل ماعسانا
نستطيع أن نقول ؟؟

كان البعض مناثق بالوعود البريطانية والعهود
الانكازية ويعتبر الاحتجاج ضد الاحتلال والمطالبة بحقوق
الشعب خروجاً عن الحد ومخالفة للواجب . فما بالنا الآن
صامتين لا نبدي حراكاً وقد أعلن الانكاز على رؤوس
الاشهاد أنهم يريدون مصر ملكاً لهم ومتاعاً الى الابد وان
وعودهم وعهودهم قدمت للعالم خطأ وفاه بها وزرأوهم سهواً .
ألا يجدر بالمصريين وقد حنت رؤوسهم المصائب ودكت
بنيان استقلالهم الزوايب أن يجاهرُوا بأفكارهم واحساساتهم
ويظهرُوا للملا كله أنهم ان قضت عليهم مصالح الوطن
العظمى بالسكينة وعدم القيام بثورة أو بهيجان فانهم أمة
حية رشيدة تدرك مالها وما ضدها وتستطيع الاعراب
عن رغائبها ومقاصدها

تمر الحادثات المزعجات علينا وتنفطر لها قلوبنا وتجزن
منها أشد الحزن أفئدتنا ثم لا نجد لساناً ينطق بما يحتاج الجنان

الجنان (محمد علي باشا) . وقد ماتوا فرحين مبتهجين بهذا
الوطن العظيم اذ تركوه لنا قوياً عزيزاً منيعاً . ولو كان حدثهم
وقتئذ محدث بأن وادي النيل ستحتله دولة بريطانيا وتقيم فيه
طويلاً بسبب انشفاق المصريين بعضهم على بعض وخور
غزائهم وقعود همهم واهتمام كل واحد منهم بمصالحه الذاتية
لكانوا كذبوه أعظم تكذيب واعتبروه معتوهاً عديم الشال
أما الآن وقد انزعجت بقايا من في القبور من انحطاط
الوطن الشريف وقعود أبنائه عن نصرته فلو بعث أولئك
الأموات من قبورهم ورأوا ما أنتم راؤون لانكرونا انسانا
بعد انسان

فما عسانا نجيبهم اذا سألونا عن ذلك الوطن الذي سلموه
لنا حراً مستقلاً قوياً حصيناً . أنقدمه لهم عليلاً حزيناً باكياً
شاكياً . ونقول لهم اننا هدمنا ما بنيتهم ودمرنا ما عمرتم وأدخلنا
بأنفسنا الأعداء ديارنا فأجاسناهم مجالس السادة وجلسناهم مجالس
العبيد . أم نقول لهم لقد كان شرف الوطن كبيراً فعصرناه
حتيراً . لقد كانت الديار رفيعة المقدار فأصبحت موضع

يمنة ويسرة وشمالا وجنوبا ثم أجيبوني : هل تحاكي مصر
في بلائها ؟ هل لها نظير في شقاءها ؟ هل تنفذ ارادة الاجنبي
في غيرها ؟ هل تلاقى أمة من الهوان ما تلاقيه أمتها ؟ هل
يسود الاجنبي في غير ديارها ؟ هل يسود الدخيل والخائن
والمنافق بين شعب غير شعبها ؟ بل تنزلوا أيها المصريون الى
أعماق قلوبكم واسألوا سرائركم هل أنتم على شقاء أم على هناء
وهل بالاستسلام وتسليم الاوطان تقابلون نعمة الله عليكم
بمصر وهي جنة الارض وأبدع البلدان . وهل يليق بكم وأنتم
سلالة أشرف الأمم ان ترضوا بهذا الهوان وتقبلوا هذه
المذلة وأنتم صاغرون

لقد كان لنا من الاباء من يعرف حب الوطن ومجد
الامة وشرف الراية ومعنى الحياة والوجود . فكانوا اذاهاجم
الاعداء ديارهم يدافعون عنها الى آخر لحظة من حياتهم
ويردونهم على أعقابهم خاسرين . وهذه مصر بنفسها قد
سلمت من اعتداء الانكليز عليها في أوائل هذا القرن حيث
صدم رجال مصر وأبنائها الأشداء تحت امره ساكن

والى اضماف اضمافه لى ينقه ابناءؤه هل هم حتماً ابناءؤه وهل
هو وطن لهم أم هم غرباء فى وطنهم. وهل هم فى عداد الا حرار أم فى
عداد الارقاء الازلاء. وهل هم فى مصاف الاموات أم فى مصاف
الاحياء. وليعلم الوضع والرفع هل هم رفيع أم اسفل اليوم
سواء امام الذل وامام الهوان. وليتدبر العقلاء ان كان فىنا
عقلاء ويعمل للوطن الابناء الاوفياء ان كانت فىنا اوفياء.
ولتجتمع كلمة المصريين عساهم ينقذون سفينة الوطن والا هواء
تلعب بها من كل طرف والصواعق نازلة من كل جانب والبحر
مضطرب أى اضطراب

أجل أيها السادة. يجب علينا ان نجتمع كثيراً ونتدبر
فى الامر طويلاً فقد توالى الحوادث الجسام وتعاقبت البلايا
العظام وأنذرت الايام مصر بسوء العاقبة وظلمة المستقبل اذا
دام المصريون رائد هم الشقاق والفراق ومنتهى آمالهم قضاء
الحياة على أى حال تيسر كانت أو سعيدة

رددوا الطرف يا بنى مصر فى هذا الوطن اتعس وفى
سائر الاوطان وقابوا اصحائف التاريخ وانظروا فى ممالك الارض

خطبة بالقاهرة

٩

« سادتي وأبناء وطني الأعزاء .

طالما ناقت نفسي الى الوقوف امام أبناء العاصمة في موقف عام أحادثهم في شؤون الوطن المحبوب وآلامه وآماله وتناجي نفسي نفوسهم في مصير هذا الوطن العظيم وفي مستقبل هذه الديار العزيزة وقد حقق الله لي هذه الامنية ورأيت من الوطنيين الصادقين ما شجعني على الوقوف امامكم هذه الليلة . وان كان اجتماعكم وازدحامكم وتهليلكم مما يجعاني أرى المقام صعباً والموقف حرجاً فاني أحس بأنكم تكرموني في شخصي الضيف الفسكرة الوطنية والمبدأ الجدي ولذلك أرى عقدة لساني تنحل انحلالاً وأرى الجمان يحرك اللسان للدفاع عن هذه الاوطان ولما دانه بنيتها بالمناضلة عن حقوقها المقدسة والقيام بواجباتها خير قيام

ولعمري أن حالة الوطن العزيز لداعية الى هذا الاجتماع

سلامة الدولة يترك مصر تخرج من قبضته على حين أن المانيا
هي المساعدة على ذلك ???

لا تغتروا أيها المصريون بأقوال الاعداء والمدلسين
ولا تجعلوا للارهاب عليكم سلطانا بل اعتقدوا بالله وتوكلوا
عليه واعلموا أن الليالى حبالى واذا كان اليوم لبريطانيا فغداً لكم
وتذكروا قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام «مصر
كنانة الله فى أرضه من أرادها بسوء قصمه الله»

مصر فى ٢١ جمادى الثانى سنة ١٣١٦ (مصطفى كامل)



ما أعلن رحمه الله عن القاء خطبة وطنية بالتياترو الطليانى
فى منتصف الساعة التاسعة مساء يوم الجمعة ٢٣ ديسمبر سنة
١٨٩٨ بمدينة القاهرة حتى جاءت الوفود تتري من طول
البلاد وعرضها وهذا نص الخطبة :

ولا مانع يمنع الانكليز من اعلان الحماية على مصر بعد زمن قليل
وغير ذلك من الخزعبلات والا كاذيب التي لا يقبلها عاقل ولا
يصدقها الاطفال فضلا عن الرجال . فانسحاب فرنسا من
فشوده لا يدل على ان الكلمة الاخيرة في المسئلة المصرية
قد قيلت أو أن فرنسا قبلت بقاء الانكليز في مصر الى ماشاء
الله . واذا كانت فرنسا جعلت جلاءها عن فشودة ضحية
لسلام اوربا فهل تقبل اعلان الحماية على مصر وأمانة كل
مصالحها الحالية والمستقبلية فيها وفي افريقية والشرق الاقصى ؟
وعلى فرض أن مصر فقدت من فرنسا كل عضد وكل نصير
فأين الدولة العلية حتى تعان انكاثرا الحماية على مصر . وأين
المانيا التي مهما جارت انكاثرا في احتلالها لمصر لتكيد فرنسا فانها
تعلم علم اليقين أن مصر من السلطنة السنية روحها ومن الخلافة
فؤادها وان اتفاقها مع تركيا أو اتحادها معها لا يكون له
أساس بل لا يكون لها نفسها وجود اذا ضاعت مصر من يد
الدولة العلية وهل يظن المصريون أن جلالة السلطان الاعظم
الذي شهد له العالم كله بالدهاء السياسي والحرض الشديد على

الرجاء فالمستقبل بيد الله وحده يدبره كيف شاء
أما ما تنوله جريدة المقطم من أن الانكايز لا يخرجون
من مصر أبداً فهو قول العدو الشامت والدخيل الكافر
بالنعمة . فليعقل أفراد المصريين الذين يقرأون هذه الصحيفة
السافلة معنى هذه الشماتة ومعنى هذا التهويل وقد كانت هذه
الصحيفة نفسها تشير على المصريين بالمسألة وتقول لهم : « ان
سالتم الانكايز خرجوا من دياركم » فلما جاءت الوزارة الفهمية
وسالمت بل وسالمت كلما سلمت رأى المصريون أن المسألة ليست
الاستسلاما وموتاً وهو انا فسخطوا على هذه الخطة السخط
الشديد . وحضرات النظار أنفسمهم يعرفون ذلك جيداً . فلما
رأى فلاسفة السوء والضلال أن نتيجة نصيحتهم لم تكن الا
خراباً ودماراً لم ينجلوا من أن يقدموا النصيحة نفسها قائلين
« ان لم تسالموا أيها المصريون فانكم ستصلون كل أنواع العذاب »
وهكذا شأن العدو المدلس الكذاب المخادع
وقد أنتشر سماسة السوء يشيعون في كل مكان أن
خروج فرنسا من فشوده جر على مصر البلاء العظيم وحرنا

شماقة وتهويل

وكتب تحت هذا العنوان في ٦ نوفمبر مانصه :

ما أعلن خبير جلاء فرنسا عن فشوده حتى صاححت
أبواق الضلال بالشماتة في مصر والمصريين وهددت المصريين
الحبيين لبلادهم المنادين بحريتها المطالبين باستقلالها المذكرين
انكائرا بعبودها ووعودها وأقسامها . وكان جريدة المقطم
حسبت الفرصة مناسبة لإعلان هذا التهديد فأعلنته بشكل
ينهم منه السذج انها مكافئة أو مأمورة من الانكائز بنشره .
مع أن جريدة المقطم تعلم كما يعلم سادتها ومعبودوها أن المصري
المتعلق ببلاده لا يخاف التهديد والوعيد لان احساسه الوطني
فوق كل احساس . ومن كان قرى العقيدة ثابت الفكر
والرأى فلا الوعيد يرهبه ولا المدافع تزعبه . فليقتل المقطم ما
شاء ان الانكائز لا يهتملون معارضتنا لهم أكثر مما احتملوا
فمنح نؤدى الواجب علينا نحو الوطن العزيز بكل رزاة وبكل
ثبات وبدون أن تموت في تنوسنا إلا مال أو يضعف عندنا



كتب الى رحمه الله في هذه الاثناء خطابا قال فيه :
« ان الاحوال السياسية سيئة للغاية بعد مسألة فاشوده
وقد أظهر بعض الكبراء الجبن وكادوا يخونون بلادا أحسنت
اليهم بالايحلم به غيرهم . ولكنني ثابت على خطى حتى الممات
لان اعتنادهى ان ثمر الدفاع ان لم يجنئه المدافع الاول ولا الثانى
فلسوف يجنيه مصري على مدى الايام وأنا اذا لم نقتطف ثمر
عملنا وجهادنا فى حياتنا فأننا على الاقل نضع الحجر الاول لمن
يبنى بعدنا

أنى قلقت كثيراً لعدم ورود انباء من جهتك فأرجو
منك أن تعلمنى بمجرد وصول هذا اليك ولو تلغرافياً دمت
لاخيك »

وقد كان السبب فى عدم مواصلته بالجوابات المطمئنة
اصابنى بمرض التيفود الذى نزلت بسببه الى مصر وتضيت
نحو شهر بالمستشفى الحربى بالعباسية .

المصريين الذين عرفوا حالة بلادهم ومجرى سياستها قرؤا خطاب الحكومة المصرية للحكومة الانكليزية بمزيد الكدر وعظيم الألم اذ انهم يعلمون كما يعلم حضرات الوزراء الفخام أن مصر لا تملك نفسها فكيف أكون عبداً وأطالب أن أشتري؟؟ بل كيف تطالب وزارة مصر انكلترا بأن ترد اليها السودان وهي حائشة في عيניה معها فهل انكلترا هي الدولة العلية؟

أوليس هذا الخطاب في هذه الظروف من أكبر المخجلات . وأى خجل يستولى على المصرى منا اذا اجتمع بفرنسى يقول « بلادى تدافع عن رايها » وانكليزى يقول « بلادى تطالب بما أرادته لنفسها من الاملاك وتدافع عن آمالها ومطالبها » ثم نذ ماذا يستطيع المصرى الحزين أن يقول ؟ لا قول له غير اللهم هب مصر وزراء يعرفون أنهم أبناء مصر وأنهم وزراء مصر وأن مصر وطن لهم ولا بائهم من قبل ولا بنائهم من بعد وان أول واجباتهم المحافظة على سلامتها والموت في الدفاع عن حقوقها المقدسة

مصطفى كامل

تجيب انكلترا على مطالبها بأبلغ جواب وترد عليها أحكم رد
تقول لها ان كان السودان لمصر والسultan فلا شأن لك معي
وان كان لأول فاتح فأنا فتحته قبلك . ومصر تنظر الى هاتين
الدولتين العظيمتين بعين الاستغراب بل بعين ملؤها عبرات
منتظرة النتيجة وما وراء النتيجة

يظن قوم أن الحرب بين فرنسا وانكلترا قاب قوسين
أو أدنى ويظن آخرون أن جلاء فرنسا عن فشوده قريب
لأرب فيه . ولكن الذي يجب أن يلتفت اليه المصري ويعتبر
به هو ان فرنسا تدافع عن شرف رايها وانكلترا تدافع عن
آمالها واطماعتها وحكومة مصر الاسيفة تسأل انكلترا أن
ترد اليها السودان كله أى ان تطرد فرنسا من فشودة !

ولو قرئ كتاب الحكومة المصرية هذا على رجل
بعيد عن مصر غريب عنها جاهل بأحوالها و مركزها السياسى
لقال : « أنعم بحكومة مصر من حكومة محافظة على حقوقها
غيورة على أملاكها وأنعم بحكومة انكلترا من حكومة شفيقة
على مصر رحيمة بالضعفاء عدوة لكل مغتال ! » ولكن

نفسها واجبا محتما وأول الفروض

اللهم هب أمة مصر العزيزة رجالا من أبنائها ينهضون
بها ويرفعون شأنها ويردون للوطن حياته واستقلاله ويجعلون
لراية مصر بين رايات الأمم المحل الأول والمقام الأعلى
مصطفى كامل «

— شرف الراية —

وكتب رحمه الله تحت هذا العنوان في ٣ نوفمبر ما يأتي :
« يرى العالم الآن منظر آمن أغرب المناظر وأعجبها وهو
منظر أمتين عظيمتين الأولى منهما واقفة تطالب بابتلاع
مصر ووادي النيل وتدعى حقوقاً على السودان لا ندرى من
الذي أعطاهما إياها ولا ندرى ما هي تلك الحقوق وأرض السودان
مخضبة بدماء المصريين التعساء ومال مصر الاسينة والثانية واقفة
أمامها تدافع عن شرف رايتها المثلثة الألوان الخافقة على فسودة

وأخيراً . هما التعاليم والتربية . اللذان ينفان امام الاجنبى كلسدين
كاسرين يدفعان عن الوطنى هجماته واعتداآته ويحفظان
لثواء شرفه وللوطن مجده وجلاله

فها هو الدواء أيها المصريون ان أردتم لبلادكم خيراً
ولوطنكم براً ولاً أنفسكم سعادة ولا بنائكم من بعدكم مجداً
وسؤدداً فعليكم به وما هو بعزير عليكم بل هو عندكم وفي بيت
كل واحد منكم وما ثمنه الا مال الاغنياء وفكر النباه . فان
قصرتم فأنتم وحدكم المسؤلون عن مصائب هذه البلاد الحاضرة
والمستقبله وعار على المصرى أن يقضى حياته فى الطعن على أمته
وبلاده دون أن يخدم وطنه خدمة جديرة بالذكور مع أن الاجنبى
يتقدم حياته وقوته بل وعمره ضحية للوطن وقرابا

واذا كان الاوروبيون مع قوة أوطانهم وسعادة بلادهم
يقتحمون الاخطار لتوسيع دائرة سلطتها وزيادة عدد مستعمراتها
فكيف لانتم نحن معاشر المصريين بانقاذ الوطن العزيز
واعادة قوته ومجده اليه . بل كيف يعتبر الاوروبى توسيع
أملاك بلاده فرضاً مقدساً عليه ولا يعتبر المصرى اعادة مصر

أما الدواء في التعليم الصحيح وفي التربية الصحيحة فهما اللذان يزيلان هذه الغشاوة عن أعين الشعب ويهزمان جيوش الجهالة . وهما اللذان يعلمان الأمة أنها صاحبة الكلمة الأولى في بلادها . وأن رجال الحكومة ليسوا إلا عمالاً لها وخداماً لمصالحها إن رضيت عنهم حفظوا مراكمهم وإن سخطت اعتزلوا الأعمال . وهما اللذان يجمعان كلمة الأمة ويوجدان رابطة متينة بين سائر الأفراد حتى إذا حل بالوطن أمر جسيم قامت الأمة كأنها رجل واحد . وهما اللذان يوجدان عند الأمة عقيدة دينية صحيحة بها يقوم معوجها وتستقيم أمورها وتسمو مداركها كما أنهما يوجدان عندها عقيدة وطنية تهتز لها الجبال الشم ويسهل أمامها كل صعب ويسير كل عسير . وهما (أي التعليم والتربية) اللذان يردعان الحكام عن الاستبداد ويثيخان في الأمة قسطاس العدل والإنصاف . وهما اللذان يرفمان من شأن التجارة الوطنية والصناعة الأهلية فلا يشتري الفرد إلا من تجارة وصناعة بني جنسه ولا يترك المتاجر والمصانع الأجنبية نقل المصانع والمتاجر الوطنية .

الشعب لان أصل الاتحاد في كل أمة شعورها باتحاده صاحبها
واتحاد واجباتها نحو الوطن المشترك

وطالما اعتقدت أمتنا ولا يزال في أبنائها من يمتقد
ان الحكومة هي المسؤولة وحدها عن عمل كل شيء يفيد
البلاد وأن لاحق للامة في عمل شيء بغير اذن الحكومة
وأمرها . ورسخ هذا الاعتقاد في النفوس حتى اننا لانزال
نرى في مصر رجالا يقدسون خدمة الحكومة ويرون العار
منتهى العار في الكسب خارجا عنها

فاذا استجمع المصري كل أسباب الانحطاط وأدرك انها
جهل الامة أولا واعتقادها بانها آلة في يد الحكومة ثانيا
وانحلالها ثالثا وفقدان العقيدة منها رابعا واستبداد الحكام
خامسا وقبول كل شيء من الاجنبي سادسا وطمع الاجنبي
سابعا . فقه كيف تأخرنا وكيف ساد غيرنا وكيف صارت
هذه البلاد العزيزة تحت نير الانكليز الثقيل فهذه أدواء بل
هي بعينها أدواء كل بلاد المسلمين فما هو الدواء واين يوجد
وما ثمنه

الآباء والأجداد وهى هي وحدها مجدنا وفخارنا . واننا مع
عظيم كراھتنا للمحتلين ومجاهرتنا فى كل وقت وفي كل بلد
بانهم مفتصبون معتدون علينا نا كثون العهد والميثاق نعجب
غاية الاعجاب بنفانيهم فى خدمة الوطن البريطانى واتحادهم
فيما بينهم ومساعدتهم كل رجل يقوم من بينهم لاعلاء
شأن بلاده وغاية آمالنا ان توجد فى مصر هذه المواطف
السامية التى شيدت الملك البريطانى وقوت السلطنة البريطانية
وقد بحث كتاب مصر كثيرا فى سبب اضمحلالها
وتأخرها وذهب كل منهم مذهبا فى شرح العلل والاسباب .
أما أنا فقد قلت من أول يوم اشتغلت فيه بمسئلة بلادى
وقت مطالبا بحقوقها ان سبب انحطاط مصر وتأخرها هو
انعدام التربية الوطنية الجنسية من بيننا وجهل كل فرد
لواجباته نحو الوطن وحقوقه فيه فنشأ عن ذلك ظلم
القوى للضعيف وسكوت الضعيف عن حقه ازاء القوى
واشتغال كل فرد بنفسه وتخلي الجميع عن الوطن ومصالحه
الكبرى حتى انحلت بهذا السبب عروة الاتحاد بين أفراد

ومجد الاوطان بيسالة وقدام . فظهر في ابنائها كل شجاع مقدم
 يقتحم الاخطار بعد الاخطار ويركب متن الاسفار في البحر
 والبر طالبا لبلاده عزاجديدا ومجددا تليدا ساعيا في توسيع نطاق
 آملاكها ونشر سطوتها وكلتها فلذلك ارتفعت الامم الاوروبية
 شأننا وسمت قدرا وانتشرت سيطرتها على الشرق والشرقيين
 ومن ذا الذي لا يعجب برجل مثل (مارشان) قضى
 السنين هو ورجاله بين نيران الحر والجوع والمذاب والسهر
 والام حتى وصل الى بغيته ورفع الراية المثلثة لالوان علي
 فشوده . بل من ذا الذي يستطيع ان ينكر على رجال كهؤلاء
 الرجال شجاعتهم واقدامهم ووطنيتهم ومن منا مباشر
 المصريين الشعارين بخطورة الحال وتعس الوطن لا يبي
 البكاء الشديد ويتحسر من صميم فزاده عند ما يرى أبناء
 الامم الاخرى متوازين متحدين عاملين ليل نهار على سعادة
 اوطانهم على حين اننا بنى مصر في شقاق وافراق لا تتحرك
 الا بعواطف الحسد والشحناء ولا تهتز قلوبنا لدمار بلاد هي
 بلادنا وشقاء وطن هو وطننا وخراب معاهد هي معاهد

الداء والدواء

وكتب تحت هذا العنوان في ٢٤ أكتوبر ما نصه :
امتلاأت الارض بأخبار « فشوده » وشاع في كل الانحاء
ان الحرب أصبحت بين فرنسا وانكلترا قاب قوسين أو أدنى
بسبب هذه المدينة الافريقية المصرية . وقد أخذ العجب منا
كل مأخذ بسبب ذلك وأخذنا تتساءل كيف أن دولتين
عظيمتين تعرضان أبناءهما الابطال للفناء والدمار بسبب بلد
او قرية تركناها نحن غير آسفين . واذا كانت هاتان الدولتان
تعز ان الى هذا الحد فشودة فكيف اهملنا نحن أمر السودان
بل كيف اهملنا امر بلادنا العزيزة كلها بل كيف تمر علينا
الحادثات المزعجات ونحن بلا حراك ننظر اليها كأنها واقعة
على غيرنا لا علينا

الهم ان الجواب على هاته الاسئلة كلها بسيط وهو أن
الامم الاوروبية اعم حية عرفت قيمة الحياة وعلمت أن دعامة
المجد والشرف هي الوطنية الحقيقية والذب عن شرف الراية

ونجد لكل أمة حية أمثالا تتعاق بالغة يقصدها
تشریف اللغة الوطنية على غيرها من اللغات كقولهم في المجر
مثلا « اللغة المجرية لغة الخالق » أما نحن فقد سلمنا أولادنا
لنظارة المعارف التي تقتل فيهم كل عاطفة شريفة وتميت اللغة
العربية بقدر استطاعتها على أن اللغة هي العامل الأول لحياة
الامم واستقلالها

فيا أصحاب الهمم من بني مصر . ويا ذوى العزائم أجيئوا
استغاثة الوطن الحزين وانهمضوا الى تأسيس المدارس الاهلية
ويكفي الواحد منكم ان يؤسس في بادئ الامر مكتبا في
قرية أو بلد فاول انغيث قطر ثم ينهمل .

مصطفى كامل «

كل العلوم والمعارف باللغة العربية. وقد أدرك الانكليز ذلك
فهدموا اللغة العربية بمالهم من القوة والحول ودكوا أساسها
وقوضوا بنيانها فأصبحت غريبة في ربوعها كما أصبح الناطقون
بها غرباء في ربوعهم وأجانب في بلادهم.

وما منّا مضطرين الى تلقى العلوم والمعارف باللغات
الاجنبية فكيف نرتقى الى أوج السكّال ونباغ درجة الامم
الأخرى. وما تقدمت هذه الامم الا بتقوية ملكة لغتها
وتدريس كل العلوم بها. بل بلغت عناية الامم الحية بلغاتها
أنك اذا مررت في شوارع مدائنها لاتجد كلمة واحدة مكتوبة
على حوائطها أو محلات التجارة فيها بلغة أجنبية

واذ كر بهذه المناسبة ما قصه على صديق في المجر من
أن رجلاً مجرياً دخل مرة في مطعم فوجد فيه خادماً صغيراً
يجهل اللغة المجرية فنادى صاحب المطعم ووبخه امام الناس كافة
قائلاً له: «كيف تكون مجرياً ويجهل خادمك اللغة المجرية؟»
ثم وعد الخادم باعطائه فلورينو (أى عشرة قروش صاغ
تقريباً) على كل كلمة يحفظها من اللغة المجرية

تمثالاً لـاحد أبناءها الذين أخلصوا للوطن الفرنسي وخدموه
بأمانة ووفاء. فالتفت الخطيب بعد أن افتتح خطبته بالثناء على
فرنسا نحو تلاميذ هذه القرية وقال « علموا هؤلاء الناشئين
ان فرنسا أول البلاد وأشرفها وأن أمتنا أجل الأمم وأكرمها
وأملئوا قلوبهم وطنية وحباً لفرنسا. فربما خرج منهم رجل
يرفع الراية الفرنسية الى أعلى منار ويسير بالوطن في طريق
السعادة والفخار »

واليوم أنا أقف أمام أمتي هذا الموقف وأنادي أبناءها
بـصوتي الضعيف ! « ان كنتم لا تؤملون لمصر خيراً وأنتم
أحياء — مع أن المستقبل بيد الله وحده — فربوا أبناءكم
واتركوا لهم التربية والوطنية ميراثاً وعلموهم ان مصر خير
الاطوان وأشرفها وأن أمتنا العزيزة أعرق الأمم في المدينة
وأكرمها وأن الموت خير من الحياة بغير الحرية والاستقلال
فيشربون على محبة مصر وينهضون وهم رجال لنخيلها واسعادها »
ألا ان أساس التربية الوطنية تقوية ملكة اللغة الوطنية
عند الناشئين أى تعليم اللغة العربية الجميلة تعليماً جيداً وتدريس

الوطنية امامنا ويهتفون بالدعاء لبلادهم وممالكهم على بعد
المزار فيستوقفنا هذا المنظر المؤثر ويملأ قلوبنا أسفاً على فقدان
الترية الوطنية من بلادنا ؟؟

ولقد أضاع اليأس عند بعض النباهاء قوة الارادة وصدق
العزيمة فتراهم يصبحون كسالى ويمسّون كسالى ولا ينشطون
لعمل شيء من الاشياء . مع ان حسن الاعتقاد في الخالق
جعل شأنه هو روح كل العقائد وعماد سائر الاديان فكيف
تجعل لليأس علينا سلطاناً ؟؟

ها هو التاريخ قائم بأحاديثه ينبهنا الى أن كل أمة عمت
لحريتها واجتهدت في سبيل الحصول على استقلالها باغت
متمناها وأدركت أمنيته . فلم لا نعمل نحن كذلك كبقية
الامم التي كانت مستعبدة واستقلت فنحن نموت والوطن
يبقى حياً . وعمرنا في هذه الحياة قصير ولكن الوطن طويل
العمر ممدود الاجل

واقدم سمعت مرة المسيو (شارل ديبوى) رئيس وزراء
فرنسا سابقاً يخطب على سكان قرية فرنسية بمناسبة اقامته

عن النصيحة أو من اللوم موجهاً اليك ولا تتم غيرك
بالتقصير فأنت مسئول عن خدمة الوطن ككل مصرى
وأنت مسئول عن مصائب مصر ككل مصرى وأنت مشترك
في جريمة انحطاط الوطن ان كنت مع البقصرين

واذا عرف كل قارئ من القراء ان النصيحة موجهة
اليه وان الوطن ينادى أبناءه فرداً فرداً بلا تمييز في
الدرجة والرتبة والثروة . ألفت انظار كل مصرى الى حالة
الوطن الاسيف وما وصل اليه في هذه السنين من التدهور
والانحطاط على حين تقدم البلاد الاخرى وافتخار كل وطن
برجاله وكل رجل بوطنه . وليس لداء مصر من دواء سوى
نشر التربية الوطنية الصريحة القاضية بـث روح الفضيلة في
فئوس الناشئين وتفهم كل واحد منهم تاريخ بلاده وواجباته
نحوها وحقوقه الوطنية حتى اذا سب كان رجلاً شهيداً ووطنياً
حراً يأبى الضيم لبلاده والاستعباد لقومه فينهض لاعتلاء شأن
الوطن برفعة الامة

كم من مرة سمعنا أطفال النزلاء هنا يذشدون الاناشيد

التربية الوطنية

وكتب في ١٠ أكتوبر تحت هذا العنوان مآذنه :

كتبنا أول الأمس مقالا على التعليم أبنائها الحالة
 السيئة التي وصلت إليها المعارف في مضر وضرورة انشاء
 مدارس أهلية تنفق عليها الامة لتعليم أبنائها واليوم نعود الى
 هذا الموضوع نفسه لانه موضوع حيوى يجب البحث فيه
 صرارا حتى تظهر للوجود المدارس المقصودة وتم الغاية المرغوبة
 وقد لاحظنا أنه ماشرت الجرائد الوطنية نصائح وسألت
 الامة اتباعها وأظهرت لها لزوم انشاء المدارس مثلاً حتى استحسن
 الناس كافة رأيها غير ان كل واحد يقول : « ولكن من الذى
 يعمل بهذا رأى ومن الذى يجب النداء كذلك؟؟ » ولأحفظنا
 ان كل فرد يعتبر نصيحة الناصح موجهة الى غيره لا اليه لذلك
 يلوم الآخرين على عدم اتباعها مع أنه أول مقصر فى اتباعها !
 ولذلك كانت نصائح الناصح عقيمة فى أغلب الظروف
 فيا أيها القارئ عود نفسك من الآن فصاعداً اعتبار ما تقرأه

عن سلامة نية ولذا احتفلنا طول هذا القرن بالاوروبيين
وأكرمنا مشواهم وتلقينا تعاليمهم وارشاداتهم بزيد الارتياح
وصرنا ننافس بعضنا بعضاً في تقليدهم والتشبه بهم . ولكننا
خدعنا وسابنا الكثير من عزنا ومجدنا ولم يبق الا أن نبتغ
بالماضى ونعمل للمستقبل

وها قد كاد ينتهي القرن التاسع عشر وبعد قليل
تحاسب كل أمة نفسها عما كسبت وعما خسرت واذا
حاسبنا نحن كذلك أنفسنا تحسرننا الحسرات بعد الحسرات
ورأينا هذا القرن في ضيائه وسنائه أعمى القرون لشرق
والاسلام وأكثرها ضرراً . وما ذلك الا لاننا فرطنا فيه
كل التفريط وخالفنا أوامر الشريعة المطهرة فكان جزاؤنا ما كان
اما الآن وقد أسمعنا الحوادث والايام أن سلامة مصر
والدولة العلية في الائتلاف والاتحاد والحذر من العدو والدخيل
فلنتنبه للخطر المحقق بنا ونعمل لاصلاح أمورنا ولم شعثنا
ليعود اليها مجدنا القديم وعزنا السالف

« مصطفى كامل »

مسلمين وغير مسلمين ???

ومن الامور البديهية التي لا تصح المناقشة فيها ان جلالة
السلطان من أكبر رجال السياسة في هذا العصر وأنه
باعتراف غلادستون نفسه لا يرضى أبداً الرضوخ لمطالب
أوروبا ورغائب المسيحيين . ومسئلة الارمن لا تزال كلها
براهين على أن السياسة العثمانية ترمى دائماً أبداً الى رد هجمات
السياسة الاوروبية ومحاربتها كل ما يخاف مصالحة الدولة
العالية . فاذا كان جلالة السلطان قبل خروج الجنود العثمانية
من كريد وتسليم الجزيرة بصفة نهائية الى أوروبا فان ذلك
يكون ناشئاً عن اعتقاد جلالاته بأن أوروبا تنوى السوء والشر
للدولة وأنه لا نصير لها بين الدول لاوروبية

والعبرة التي يجب أخيراً على كل مسلم ان يعتبر بها هي
أنه لا سلامة لنا الا بالاتحاد حول راية السلطنة السنية وتعزيزها
بكل ما في استطاعتنا وعدم الاعتماد على أوروبا في شيء ما
والذي غرر بنا الى اليوم هو اعتقادنا أن مدينة أوروبا
غرضها المساواة الحقيقية والعدل الصحيح وكنا نمتد ذلك

أورفي باي الاسلام

وكتب في ٩ اكتوبر تحت هذا العنوان ما نصه :
جاءتنا التلغرافات العمومية بذبأمد هش وهو أن جلالة السلطان
الاعظم قبل انسحاب الجنود العثمانية من كريد اجابة لطلب
فرنسا وانكلترا والروسيا وايطاليا وقد اتهمز أعداء الدولة
فرصة ورود هذا التلغراف فاختدوا يشنعون بهاريطنون على
الدولة . ولو كان عندهم شيء من العدل والانصاف لتقضوا
على أوروبا ومدنيتهما شر قضاء . إذ أي نوم يستطيع عاقل
أن يوجهه الى الدولة ودول أوروبا كلها متحزبة ضدها عامة
جهدها في نصرة الثوار والعصاة

أن التعصب القبيح ضد الدولة العلية ورعاياها المسلمين
لواضح لكل ذي عينين والا فبأي حق تسوغ الدول لنفسها
التدخل في شؤون الدولة ولم تداخلت في كريد ولم تتدخل
في كوبا والهند مثلاً ؟ أليس لأن اسبانيا دولة مسيحية كانت
تمتلك بالكويبين وانكلترا دولة مسيحية تمتك بالهند

النجاح اجتمعت هذه المدارس كلها تحت ادارة مشتركة
ولزيادة الايضاح نقول انه لو اجتمع عشرة من الناس وتبر
كل منهم بدفع جنيهين في الشهر لأمكنهم ان يؤسسوا
مدرسة ابتدائية تعلم الفقراء من أبناء الامة وتؤدي خدمة
جليلة . ولدينا جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية تقوم مثلاً على
ذلك فهذه الجمعية ليست من الجمعيات الغنية ولكنها وصلت
الى تأسيس ثلاث مدارس سائرة في طريق الفلاح والتحسين
فالإرادة وحدها كافية لعمل أكبر الاعمال فما بالك لو أجمع
عدد عديد من الناس على ارادة واحدة ورغبة مشتركة ؟؟
على اننا نرى المدارس الاجنبية في مصر زاهية زاهر
غنية بأموال التلاميذ تبني القصور وتشيد المباني الفخمة
لمدارسها . فماعل الراغبين في تأسيس المدارس الاهلية
ان يبدؤا في العمل وهم يجدون من الامة أكبر اقبال ولا
يخسرون في عملهم المبرور شيئاً

« مصطفى كامل »

ومن غريب أمر مصر انه لما كانت الحكومة تأخذ
للابناء قهراً لتعليمهم وتربيتهم كانت الامة معارضة للحكومة
في ذلك ولما بذات الحكومة جهدها في التضيق على المتعلمين
تجهت رغائب الاهالى نحو التعليم والزينة وصار الفقير كالغنى
سعى لتعليم أبنائه وتحميل نفسه المصاريف الباهظة لبلوغ
مذه الغاية . وأنا نعلم جيداً أن في مصر رجالاً يحبون وطنهم
حباً صادقاً ويودون له السعادة والرخاء ولذلك جئنا نسألهم
لسان الوطن الاسيف ان ينهضوا لتأسيس المدارس الاهلية
سيما وقد ظهرت همّة ذوى الهمم عند نشر المؤيد لاول
مرة رسالة فاضلين تعهد كل منهما بدفع جنيهين في الشهر
لأست نظارة معارف أهلية

نعم ان تأسيس معارف أهلية أمر مرغوب وشئ خطير
لكن اذا كان هذا الامر صعباً أو مستحيلاً اليوم فهل
بعد عزائم الذين تعهدوا بدفع مبالغ لتربية أبناء الامة ؟
خير سبيل يجب على ذوى الهمم سلوكه الآن هو تأسيس
مدارس متفرقة فاذا استقامت أحوالها وسارت في طريق

القاعدة ؟ واذا قام الناشئون في انكثرا بعمل مظاهرات وطنية
يوم عيد جلالة الملكة فهل يكون جزاؤهم اللوم والتقريع
ووضع مادة في القانون تحرم عليهم مثل هذه المظاهرات
قاتل الله الغرض ! فانه يرمى ويضم ولا يصح لماعقل أن يؤم
خيراً في نظارة المعارف بعد ان عملت ماعملت وبالفعل
ما استطاعت في التضييق على الناشئين وطلاب العلوم
ولقد كانت في الماضي مشرقاً لانوار العلوم والمعارف
منمتوحة مدارسها للطالبين والراغبين بل كانت الحكوم
تأخذ التلاميذ حتى بالرغم من آبائهم وتعلمهم وتهذيبهم
ليكونوا خداماً للوطن العزيز وعمالاً نجباء على اسعاد الامم
وترقية شؤونها . واليوم أراد الزمان وأراد سوء حظ مصر
أن تنعكس الآية وتنقلب الامور . فهاذا يجب أن يعمل
المصريون ؟ أليس أول واجب عليهم ان يقوموا ويؤسسوا
المدارس الاهلية لتعليم أبنائهم وعلى الاخص لتربيته لان التعليم
شيء والتربية شيء آخر . قد أهملت التربية أصلاً من مدارس
الحكومة فيجب أن تكون الاساس الاول في مدارس الامة

بترد من المدرسة « فما معنى هذه المادة وما سبب وضعها ؟
ليس معناها أنه لا يجوز للتلاميذ الا كتاب للاحتفال بعيد
جلوس سمو الخديو العظيم ؟ أليس سبب وضعها أن تلاميذ
المدارس عندوا في ٨ يناير من هذا العام انتفالا شائقا
بمناسبة عيد جلوس الخصرة الفخيمة الخديوية أعلنوا فيه مع
مزيد الاحترام حبهم الخالص لسمو أميرهم وتعلقهم الصادق
بعرشه المحترم ؟ واذا كان أساس التعليم في المدارس قتل العواطف
الوطنية فعلام معاشر المصريين ترسلون أبناءكم الى مدارس
الحكومة ؟ أتريدون أن يكونوا خداماً للانكيز وعبادا
لاعداء الوطن ؟ أم تبتهنون جعلهم آلات ضد الوطن العزيز ؟
ليت شعري اذا كان التعليم خالياً من التربية الصحيحة والفضيلة
والوطنية بل أساسه التربية المنهزمة بالخضوع والمذلة فما فائدة
التعليم ؟ وهل ينكر أحد من الناس ان المتعلم السيء التربية
أضر على نفسه وعلى قومه وعلى وطنه من الجاهل ؟

واذا كان تحلي الناشئين في البلاد الاخرى بالعواطف
الوطنية مما يكابأ عليه فلماذا تسير مصر على عكس هذه

بالا من المعلم نفسه فهم يذهبون الى المدرسة وكل منهم يتوقع طرده أو رفته اذ أصبح الطرد موقوفا على أقل شيء . كيف لا وقد أرتبنا نظارة المعارف في هذه الايام العجيب والغريب . فقد نقل اليانة ثقة لا ريب في صحة قوله أن ناظر المدرسة الخديوية طرد تلميذا من المدرسة لانه كان عابس الوجه — فليعلم المصريون من الآن فصاعدا أن قوانين المعارف تقضى بأن العابس الوجه يطرد من المدارس — وأن الناظر الانكاييزى طرد تلميذا آخر لانه كان متبسما — وأظن أن هذا المسكين حسب أن التبسّم يقربه من الناظر بقدر ما نال العابس الوجه من العقاب — وأنه أنزل تلميذاً فرقة لانه كان حاملا لكتب وسقط منها كتابان وهكذا من أمثال هذه المضحكات المبكيات

لطالما قلنا وكررنا أن مقصد الانكاييز في نظارة المعارف قتل العاطفة الوطنية واعداد كل احساس شريف عند الناشئين وقد وضعت هذه النظارة مادة في قانون مدارسها قالت فيها مامعناه « كل تلميذ يشترك في احتفال أو مظاهرة أو اكتاب

صاحبها الى الاستانة قايما بواجب الصداقة والخدمة الوطنية
فكتب فيها عدة مقالات ننشر هنا بعضها !

التعليم

كتب رحمه الله في ٨ أكتوبر تحت هذا العنوان مانصه:
خطب أحد ساسة فرنسا أمام جمهور من الشعب فقل
« المستقبل بيد معلم الناشئة » وهي حكمة جديرة بأن تكون
محل نظر المصريين الراغبين في اعلاء شأن وطنهم وترقية
مدارك أمتهم واسعاد مستقبل أبنائهم فقد تغيرت الاحوال في
نظارة المعارف وأصبح التعليم مخفوقا بالمسكاره والمصاعب وأمسى
المعلمون المصريون في ضجر شديد من حالتهم شاكين سوء
معاملتهم ولو استطاعوا أن يعيشوا خارج نظارة المعارف
لأرقوها اليوم قبل الغد فرحين مسرورين وهو أمر يدل
على أن التعليم في مصر انحط انحطاطا هائلا فان روح التعليم
في المعلم . ولو نظرت الى التلاميذ لوجدتهم أسوأ حالا وأشغل

الافراد القيام بهذيب الامة وتربيتها ونشر روح الفضيلة بين
أعضائها وتعريف كل مصرى مكانة مصر في العالم وحالتها وما
يجب أن تكون عليه حتى يعود للوطن مجده . ونبغ ما تنمناه
من سوؤدد ورفعة

ويسرنا أن سمو أميرنا متفق مع جلالة السلطان الاعظم
متعاق بعرش السلطنة عامل بكل جهده على اعلاء شأنها
نسأل القادر جل وعلا أن يوفق سمو الخديو وجلالة السلطان
الى ما فيه خير الامة والملة ويوفقى لهما المخلصين الامناء ليبلغنا
مع نهضتنا الامانى والآمال اه



تم للجيش المصرى النصر على دراويش السودان وفتح
عاصمة « أم درمان » فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ ولما رأى
المرحوم انه لم يرد اليه ما يطمئنه من جهتي عادالى مصر فوصاها
فى يوم الاحد ١٨ سبتمبر وقد اطمأن اذ وجد تلغرافا يبرر
عن جودة صحى قد سبقه الى العائلة

وقد تولى رحمه الله ادارة تحرير جريدة المرئيد عند ما سافر

بها مائة مدرسة ابتدائية تعلم الامة وتهذبها وتقدم كل عام للوطن خمسة آلاف رجل يعرفون واجباتهم نحوه وحقوقهم في المجتمع المصرى . وهكذا كل مشروع يصعب على الفرد تنفيذه فانه بالاتحاد يسهل ويتحقق . ولقد قال أحد الفلاسفة حقاً : « ان عدد الامة بعدد المتعلمين فيها » ولا ريب انه قول مبالغ فيه ولكن فيه شيئاً كثيراً من الصواب واذا طبقناه على حالة أمتنا خجلنا أشد الخجل

ومن الحكم المأثورة عن (فيكتور هوجو) فيلسوف فرنسا وشاعرها العظيم قوله : « يوجد بعض أمكنة وبعض أوقات اذا نام فيها الانسان مات » فلنهتم بامر تربية الامة وتعليمها حتى لا تأتى الاوقات التى يشير اليها الفيلسوف ونحن نيام فيقضى علينا أشر قضاء

ولقد مضى الزمن الذى كنا نطالب الحكومة فيه بكل الحسنات وسائر الاعمال المفيدة للوطن وأصبحنا اليوم واكبر مآنية لنا عند الحكومة ألا تعتدى علينا أكثر مما اعتدت وأن لا تساعد العدو أكثر مما ساعدت فعلىنا اليوم معاشر

لحقوقهم في الهيئة الاجتماعية. فهذه فرنسا أسألوها كم احترمت
« عبد القادر الجزائري » واجلته وكم تحترم اسمه الى اليوم ؟
وهذه روسيا أسألوها كم احترمت وكم تحترم الى اليوم الجندي
العثماني. هذا البطل الهام الذي يمثل الوطنية الصحيحة والشهامة
المطلقة ويدود عن حرض بلاده ويدافع عن شرف دولته
بشأت جأش ماله من مثيل ؟

ان طرق خدمة الوطن عديدة فنحن في حاجة الى صناعة
أهلية ونحن في أشد الحاجات لتعليم أهلي. فلاذالا يقوم أغنيائنا
وسرانا الذين يخافون السياسة ويؤسسون الشركات لاهياء
الصنائع في البلاد حتى لا نحتاج للاجنبي في شئ . وكم من مرة
ناديت أبناء الوطن في خطاباتي وسألتهم الاهتمام أشد الاهتمام
بمسئلة التعليم الاهلي ويسرني ان فضلاء مصر كتبوا الى المؤيد
كتباً تعهد فيها كل واحد منهم بدفع جنهين في كل شهر اذا
تأسست ادارة معارف أهلية . فلو قام فينا الف رجل يحسون
باحساس هؤلاء الفضلاء وتعهد كل واحد منهم بدفع جنهين في
الشهر لجمعنا في العام أربعة وعشرين الف جنيه ولا مكنتنا أن ندير

فانا فرانسى وأموت كذلك والموت أحب الى من اخراجى
من جنسية أمتى وبلادى « فسكت المحامى وقضت المحكمة
على المارشال بالاعدام ولكن التاريخ حفظ له ذكراً عاطراً
وضربه لبنى الانسان مثلاً للشهامة والوطنية الحقيقية

ليست الوطنية احتكاراً لواحد دون آخر أو أنها تشترط
لها سن معلومة وثروة معينة بل هى لكل من أحبها . وكل
من أحس من نفسه بمقدرة على خدمة بلاده تعين عليه خدمتها بما
فى استطاعته . وقد أرانا التاريخ أطفالاً خدموا أوطانهم خدمات
جليلة . فهذا (أنيبال) القائد الشهير لم يتقدم لاييه وهو فى
التاسعة من عمره العهود والمواثيق على أنه اذا شب دافع
عن وطنه (قرطاجنه) وانتقم له من (رومه) عدوته اللدودة !!
لم يدون التاريخ الحديث سيرة الاحداث الذين فى الخامسة
عشرة من عمرهم انضموا فى حرب السبعين الى جيش فرنسا
وطنهم ودافعوا عن بلادهم

اعتقدوا أيها الاصدقاء ان الانكليز أنفسهم يحترمونا
لو قمنا بواجباتنا نحو وطننا وظهرنا امامهم بمظهر الرجال العارفين

وتعود كما كانت أسمى الاعم منزلة وأولها مكانا
ولبلوغ هذه الأمنية الغالية السامية يجب أن تكون الوحدة
الوطنية في مصر تامة بمعنى أنه لا يوجد مصري يتبرأ من وطنه
بل يخدمه الكل ويعمل الجميع خيره وسعادته مواصلي الليل
بالنهار . وأقول ذلك لاني طالما رأيت ناساً قضوا هم وآباؤهم
في مصر السنين الطوال ولمصر عليهم فضل الوجود يقولون
إذا ذكرت مصر أمامهم « نحن لسنا من أبنائها » ويتبرؤن
من الانتساب اليها . وانها لعمري أكبر جريمة التبرؤن من الجنسية
وأذكر لهذه المناسبة أن لويس الثامن عشر لما جلس على أريكة
ملك فرنسا بعد هزيمة نابليون الاول في واترلو أمر بمحاكمة
المرشال (نى) لاشتهاره بالميل لنابليون فجى بهذا المرشال العظيم
امام المحكمة وقام المدافع عنه يطلب براءته مستنداً في طلبه
على أن المارشال ولد في مدينة سلخت من فرنسا أى أنه
ليس فرنسياً . فلما سمع المارشال ذلك وقف وقال : « قف أيها
الحامى ولا تدافع عني بمثل هذا . أنى أفضل الموت عن نزع
الجنسية الفرنسية منى ولو كان في نزعها خلاصى وبراءتى

في جنون مع أن المستقبل بيد الله وحده ومن كان دينه
الاسلام ووطنه مصر فعار عليه أن يعيش يائسا

واذا كان ناموس الله في خلقه أن يعمل الانسان في
حياته لغرض معين وتعمل كل أمة لسعادتها ورفعها فهل يليق
بنا ونحن سلالة أول الامم مدنية وتقدمنا أن نقف في الطريق
وننظر الى الامم الاخرى سائرة مجدة يسابق بعضها البعض
الاخر ! ولنسلم جدلا اننا غير موفقين الى رؤية مصر حرة
مستقلة كما نؤمل أن نراها فهل ذلك عائق يعوقنا عن خدمتها
ووضع أساس استقلالها حتى اذا جاء أبنائنا من بعدنا وجدوا
الاساس متيناً قوياً ليشيدوا عليه استقلالاً سائماً وملكاً فخماً
واذا كان الفلاسفة والباحثون في مدينت الامم القديمة
والحديثة قد قرروا أن الاهرام ستكون عند انتهاء العالم
آخر وأفخم أثر يشهد للانسان بالقدرة وعظم السلطان كما
يدل على ان انسان مصر في قديم الزمان هو أشرف وأكرم
انسان فاني ممن يأملون رجوع الشرف القديم والرفعة السالفة
الى أمتنا المصرية العزيزة فتصير الكلمة كلمتها والعظمة عظمتها

فكيف لا نتحد نحن المسلمين وليست سلامتنا الا في تمسكنا
 بديننا. فأول واجب يحتمه علينا الدين الاسلامي هو اتحاد كلمة
 المسلمين كافة. وانه لأمر يظهر لنا صعب الحصول ولكنه يسير
 لو أردناه معاشر المسلمين. وبإحدا لو اجتمعت جمعية من نخبة
 المسلمين يحضرها من كل أمة اسلامية عضواً وعضوان ودرست
 طويلاً حالة الأمم الاسلامية أمة أمة وبحث عن حقيقة أدواء
 كل واحدة منها وقررت الدواء. فان جمعية كهذه تخدم الأمم
 الاسلامية أجل خدمة وتكون الواضحة لاساس اتحاد المسلمين
 واعلاء شأن بلادهم. وعسى أن تنتقل هذه الفكرة من هذا
 المكان ويتردد صداها في البلاد الاسلامية قراها يوماً من
 الايام حقيقة قائمة ليخدمها كل منا عندئذ بقدر استطاعته (١)
 ولا يفوتني أن أنبهكم الى أن بعض أبناء وطننا يظنون
 أنه قد قضى الامر وأن ليس للوطن العزيز مستقبل فيملاًون
 قلوبهم يأساً ويتنطون من رحمة الله ويرفضون العمل في سبيل
 خلاص مصر ونجاتها معتبرين كل عمل في هذا السبيل جنوناً

(١) وهي الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي

هو حب الانسانية فلماذا لم نر مثل هذه المظاهرات نحو الكوبيين
وهم لا محالة أحق من الارمن بالمساعدة والرعاية والاحترام ؟
ولماذا رأينا الامم الكاثوليكية في أوروبا ميالة الى اسبانيا دون
أمريكا ؟ أليس لان اسبانيا كاثوليكية وأمريكا بروتستانتية
ولقد قرأنا أخيراً في الجرائد ان المسيو ماكنلي رئيس جمهورية
الولايات المتحدة أصدر منشوراً الى أمته وأعضاء مجلس
النواب طلب منهم فيه أن يقيموا الصلاة في الكنائس ويحمدوا
الله جل شأنه على النصر الذي نالته الجنود الامريكية . فلماذا
لا يعتبر هذا المنشور تقيصة اذا كان احترام الاديان والتمسك
بها يعتبر تقيصة وجراً ما ؟؟

على ان التمسك بالاسلام لا يقصد به أبداً معاداة
المسيحيين أو الاعتداء عليهم . كلا . ان الاسلام لاول دين
يأمر باحترام ذوى الديانات الاخرى وحسن معاملتهم . لذلك
كان انتمسك به يعتبر تعصباً له وليس تعصباً ضد غيره من الاديان
واذا كان من الامور البديهية ان الامم المسيحية مع
قوتها الهائلة تنجد فيما بينها كلما اتفقت مصلحة المسيحية العامة

الدين الشريف الذي فيه كل ما تحتاج اليه الامم من نواميس
الحياة ووسائل الحضارة والارتقاء ؟

إنه من سوء حظ الشرق أن كثيرا من أبناء الذين
تعلموا في أوروبا يحسبون أن المدينة هي ختم ثياب الدين
والتشبه بالأوروبيين في ملابسهم وزيهم فتجد بعضاً منا ينتخرون
بأنهم يلبسون من لندره أو من باريس ولست تجد واحدا منا
ينتخر بأنه يلبس من مصنوعات بلاده وإذا ذكرت للبعض
أنك متمسك بالاسلام متبع أوامره قائم بفرائضه سبعة
يقول لك : « أنت متعصب » كأن التمسك بالدين نقيصة
النقلص وجريمة الجرائم !

حقاً انه ليس بالصعب على الباحث عن سبب تأخر
بعض الامم وتقدم البعض الآخر ان يتف على أسباب تأخرنا
فكثير منا يظن ان التمسك بالدين أمر منافي للمدينة مع ان
أشد الامم مدنية أشدها تمسكا بدينها . وهذا المسئلة الارمنية
دليل واضح على ما أقول . والافاذا كان الباعث على المظاهرات
التي تظهر بها الانكاز وكثير من الاوروبيين نحو الارمن

وقوتها متعلقة غاية التعلق بأمرائها ومنلو كها ولا اختار لكم
مثلا آخر غير مثل الامة الانكليزية التي بلغ تعلقها بملكيتها
مبلغا كبيرا حتى أصبح من الامور المقررة عند كل انسان
ان الانكليزي لو رضى السبة لنفسه لا يرضها أبدا لملكته
اننا اذا نجشنا عن سبب تأخر المسامين وتسلط الغربيين على
بلادنا لوجدناه انقسامنا بعضنا على بعض وعدم اتحادنا وبالجملة
عدم اتباعنا أوامر الدين الاسلامي الجليل

نعم - وأنى أصرح بذلك بأعلى صوتي - لاسلامه لمصر
ولا لسلامه للدولة العلية ولا لسلامه لأمم الاسلام كافة إلا
باتباع أوامر الشرع الشريف فاتباعها يهدينا الى اتحاد الكلمة
والاجتهاد والنشاط والسير في طريق التقدم والحضارة لا هلكة
الحقيقية

واذا كان الكثيرون من علماء أوربا وفلاسفتها يعترفون
بأن الاسلام دين كريم يكفل الامم العاملة بأوامره السير الى
الامام في سبيل التقدم والحضارة فكيف لا نعترف نحن
بهذه الحقيقة الواضحة المنلائة بل كيف لا نعمل نحن بهذا

خطبة في باريس



ما قرب يوم أول سبتمبر حتى دعا رحمه الله كعانه كل
المصريين والعثمانيين المقيمين بباريس للاحتفاء بعيد السلطان
وقد كان عددهم في هذه المرة كبيراً. وما جاء يوم الاحتفال
وأدى المحتفلون التحيات الواجبة في مثل هذا المقام حتى
وقوف رحمه الله وقال:

«أصدقائي الاعزاء

اسمحو لي أن أشكر لكم تفضلكم باجابة دعوتي فياز
فيها الاتحاد كل الاتحاد. واعلموا أن الوطنية الحقيقية هي التي
تعرف في مواقف الخطر وتظهر في ساعات الشدة. والتي
ينبغي على كل مصري أن يتمسك بها للإسباب السياسية
والدينية التي تحتها إنما أن نحتفل بهذا العيد وأوكره الدخلاء
والأعلاء

ولقد نرى بأنفسنا أنم العرب مع مدنيتهما وعظمتها

لمصلحة بلادنا اذ بذلك نتوصل بالنأ كيد لجمع المصريين
رجالاً عارفين بحقوقهم وواجباتهم نحو الوطن وبنغضين من
صميم أفئدتهم لمن يظلمهم ويسلب حقوقهم فاذا ما أتى اليوم
الذى فيه لا يكون للامة المصرية سوى قلب واحد وارادة
واحدة مال الى مساعدتنا جميع الناس واكتسبت مصر
حريتها المعقودة

والفرنسيون الذين ينكرون في مصر والذين يعلمون
ان الانكليز يدفون الآن في أرضها أعمال فرنسا الجليلة
فيها يجب عليهم ان يتذكروا ان ضرب الاسكندرية والحوادث
التي أعقبته الى الآن ليست إلا أكبر فشل أصابها في هذا
الجيل وهم يعلمون انهم لا يستطيعون أن ينالوا مرتبتهم السابقة
وتقوؤهم الماضى في الشرق الا اذا أجـلـو الانكليز عن القطر
المصرى ولهذا السبب ما زلنا ننتظر عملاً من الوطنية الفرنسية
ولا فإن فرنسا تخير في معبر كثيراً اهـ

من الذي يستطيع أن يروى تاريخ هاته الدولة الكبرى
التي بعلة ان البطريات المصرية هددت اسطولها دمرت مدينتها
عامرة وأهرقت فيها الدماء ومع ذلك فقد كان في ميناء
الاسكندرية اذذاك سفن فرنسية ونمساوية لم تر نفسها مهددة
من القلاع المصرية !!

أن يوم (١١ يوليو) يجب أن يذكر السياسيين الذين
يقومون بادارة شؤون أوروبا بواجباتهم نحو انكلترا في المسئلة
المصرية فلقد مضى على الانكاييز في مصر ١٦ عاما بحجة توطيد
النظام وتعزيز مركز الخديوية . ألم يكن هذا الوقت كافيا لاداء
مأموريتها واعادة وطننا الينا أو بالاحرى ألم يأت الوقت
الذي يجب فيه على أوروبا أن تجعل ارادتها فوق ارادة انكلترا .
لا يميز عن ذهن أحد في أوروبا الا ان انكلترا تبغى أخذ مصر
غنيمة باردة فهل ترضى الدول الأوروبية أن تترك للانكاييز
هذا الطريق الذي لا بد منه لجليها لانه الامر الوحيد لجميع
الامم وماتقى طرق المواصلات بأسرها

ونحن على أى حال نعلم ما نعو واجب علينا . وهو العمل

الايوليف

﴿ضرب مدينة الاسكندرية﴾

في هذا اليوم المشؤوم والتذكار المؤلم الذي يحفظه كل مصري ولا ينساه مادام الجندي الانكليزي في بلادنا قابل محرر جريدة الاكلين الفرنسية الطائفة الصيت المترجم وسأله عما يخالج صدر الأمة المصرية من العواطف كلما تذكروا تاريخ اعتداء الانكليز عليهم واحتلالهم لبلادهم فأجاب رحمه الله بما يأتي :

« انى أشعر بألم شديد وسخط ليس عليه من مزيد كلما جاء هذا اليوم الذى يذكرنا بجميع مصائبنا فهو لمصر اذا تذكر حزن وحداد ولبريطانيا العظمى عنوان العار والشنار. وأى غضب يقوم بالانسان أ كبر مما يعتريه عند تلاوته تاريخ ضرب الاسكندرية اذ لا يستطيع ان يتصور ان دولة أوربية متمدينة تنصدى لتدميرها ترتكب مثل هذا الالم الفظيع !

به تقريبا وصحيح أن انكلترا قد وعدت مزارا بالجلالة عن
مصر غير أنه ليست هذه بأول مرة جحدت فيها أمة عظيمة
كلامها ونقضت ميثاقها وكان مثلها مثل مدين سبي والنية ينكر
امضاءه ويجحد توقيعه ومع ذلك فإن عميد وزارة خارجية
انكلترا لديه الآن عبرة وعظة تجعله يعتبر وينظن الى عدم
ثبات الاملاك التي تؤخذ بالقوة والقسر وهي مسألة كوبل
فكما أن الكويين سناون الآن في خلاص بلادهم من
عبودية اسبانيا وظامها الذي لا يحتمل ولا يطاق فكذلك
نعتقد يقينا أنه يأتي يوم تصبح فيه انكلترا بالرغم من كل قوتها
وجبروتها غير قادرة على اطفاء جذوة الوطنية المصرية واخماد
أنفاسها في ذلك اليوم يأسف رجال انكلترا لكونهم مع اصغائهم
لكلام « مصطفى كامل » وجمالاته الشديدة عليهم لم يدفعوا
عن بلادهم عار هزيمة يصنف لها طربا دون شك جميع أولئك
الذين يدافعون في سبيل استقلال الشعوب المظلومة والامم
المهضومة الحقوق «

والحال أن الأمم الطامعة قد كانت مصر سبب موتها
وفنائها في العصر الخالية ولا تنجو انكلترا من هذا المصير
إذا أصرت على احتلال بلادنا لأنكم إذا كنتم تعتبرون
أن أرادة انكلترا فوق أرادة أوروبا فإنه لا بد أن يأتي يوم تنصر
فيه الوطنية المصرية وحدها على انكلترا العظيمة القادرة على كل
شيء وربما هز زتم كنفيكم يا حضرة اللورد حين قراءة هذا
الكتاب ولكن كل انكليزي يضع شرف بلاده فوق المصلحة
الذاتية الحقيرة يخجل ويستحي من قراءته

« مصحفي كامل »

وبعد أن نشرت هذا الكتاب جريدة الانترانسيجان
الفرنسية التي يديرها المسيور وشفور صاحب القلم العالمي وذو
الفكر الوقاد والشهرة الكبيرة في عالم الكتابة والذي هو
من أكبر نصراء الانكليز ونقلت عنها كافة جرائد العالم على
عليه المسيور وشفور بقلمه فقال :

« ان الذي يغلب على الظن ان هذا الكتاب انعم
بمسألة وشهامة لا يكاد يؤثر في نفس اللورد سالسبري فلا يعبأ

أُست القائل في عام ١٨٨٦ « لنحترم وعودنا المقدسة ولننجل
عن مصر ». أُلست القائل في شهر نوفمبر من عام ١٨٨٦ للمسيو
وادنجتون « ان بنى قومكم يكونون في ضلال . بين اذا
اعتمدوا أننا نريد أن نمكث في مصر الى ما شاء الله فنحن
لا نبحث الا عن الوسائل التي نخرج بها من مصر بشرف
وكرامة » أم لستم أنتم الذين لفظتم في البرلمان يوم ١٠ يونيو
سنة ١٨٨٧ هذه العبارة « لا يسوغ لنا أن نأخذ على عاتقنا حماية
مصر ... حتى على فرض ان عملا كهذا ينطبق على الشرع
الدولية ومصالح بلادنا » أم لستم أنتم الذين قلتم وكررتم القول
في شهر أغسطس سنة ١٨٨٩ « أن التصريح باقامة الكاترا
على الدوام في مصر دليل على قلة احترام اليهود المقدسة التي
ارتبطت بها حكومة المملكة والتي يجب علينا الخضوع لها »
فاذا كنتم يا جناب اللورد قد نسيتم أو اذريتكم هذه
التحريمات الشريفة فإنه ينبغي عليكم أن تذكروا بأنكم قلتم
في احدى خطبكم الاخيرة « أن انحطاط الامم العظيمة قد
كان سببه على الدوام طمعها وشرهاها »

— ✨ مصر وانكلترا ✨ —

« باريس في ٤ يولية سنة ١٨٩٨ »

الى جناب اللورد سالسبرى

اطلعت في الجرائد على نص خطبة سياسية زعم جنابكم فيها
ان انكلترا قد فتحت مصر بالسيف. والوجدان الابى يتجافى
عن زعم كهذا والوطنيون المصريون يقيمون الحجة عليه بأشد
مالديهم من الحزم والعزم فان بلادكم لم تفتح بلادنا واني أستشهد
الذيها بأسرها على هذا الأذعاء. ان انكلترا لم تكن في حرب
مع مصر في عام ١٨٨٢ بل هي تداخلت في حوائثها تداخلا وديا
لا يمد عرش الجناب الخديو ! فهل يابق بها وهي على ما تدعى
أمة متمدينة أنت تقوم اليوم بعد أن حللت حين حلولها
في مصر بأنها تنزكها تحكم نفسها بنفسها فتصرح للعالم بالرغم
من الشرف والوعد الصريح انها قد فتحت بلادنا بخد السيف
والا كان منى هذه الكلمات « شرف وتمدين وانسانية »
في عرفك يا جناب اللورد استعباد الامم النواثة بالتمدين.



ناب أجازة في أواسط شهر ابريل سنة ١٨٩٨ بعد
واقعة عابره (واقعة الجيش انصرى مع الامير محمود) وما
وصلت القاهرة حتى كاد المرحوم يطير فرحاً للقياس لانها
اول مرة التقينا بعد أحداث الجيش الذي أتيت على تفصيله
بالجزء الرابع وقد قضينا نحو شهر في سروز وصفاء ثم
عدت الى السودان وبودي أن لا أفارقه لأعضده في عمله
الوطني الكبير

أما هو فقد برح الشعر الاسكندري في يوم الجمعة ٢٤
يونيه على احدى باخرات الشركة الفرنسية الى أوروبا ليواصل
جهاده الشريف

وما وصل الى باريس حتى وقف على خطبة القاها اللورد
سالسبرى رئيس الوزارة الانكليزية بسبب فشله في سياسته
بالصين اذ قال فيها تعريضاً بالهند ومصر: «ان لنفكتر ا لم تعمل
السيف في الصين كما أعملته في الهند ومصر». فقام رجه للنف
من فوره ورد على اللورد سالسبرى بكتاب هذا تعرييه :

يأوروبا المسيحية فهي التي تحض الأمم الصغيرة باسم الصليب
على مكافحة الدولة العلية وهي التي تدفع أوروبا باسم المسيحية
الى الانتصار للصليب وهي التي تتخذ من حكومات الغرب
قنطرة لمرور المدمرات المبيدة والمفرقات المهلكة حتى اذا
بلغت غايتها هزأت بمن عاونوها وقالت «ومن بعدى الطوفان»
ان كل السياسيين الذين خلطهم أو حادتهم متفقون
معنا على ان انكسروا وحدها هي المسؤولة عن حوادث الارمن
واليونان حتى ان هذا الرأي يكاد يكون رأى كل مشغل
بعباءة السياسة . فلم لا تفقه الحكومات الاوروبية هذه
الالاعيب البريطانية وتضع لهذه الدسائس حداً ؟

الا ان الحقيقة لظاهرة ظهر الشمس في رائة النهار
وهي ان عمال الخير أصبحوا اندر في أوروبا من عدلها مع
الدولة التي عمات ما عليها من الواجب للدفاع عن شرفها
وصيانة كيانها فاذا كانت أوروبا تستمر على هذا العداء النش
خلا عدل ولا انسانية في العالم !

« مصطفى كمال »

فكيف ونحن في آخر القرن التاسع عشر قرن المدنية والنور نجد
من ممدني العالم وجهابذة العلوم العصرية هذا التعصب الذميم ؟
ألم تكن الدولة العلية إحدى الدول الأوروبية الميزة
عن غيرها بسلطة الخلافة الإسلامية التي لا يستهان بها ؟ لم
تسمى أوروبا أن تلك الروح المالية المبجلة من كل مسلم
روح الخلافة يمتد تأثيرها الفعال على ثلاثمائة مليون من
النفوس . فتعمل على مناواتها في كل فرصة تصادفها غير حاسبة
للمستقبل حساباً ؟

ماذا كانت أوروبا تعمل ضد الدولة إذا كان النصر
لغيرها ؟ ألا أنها على هذه القاعدة البربرية كانت تنسفها من
الوجود ناسية العدل والإنسانية !!

إن العدل والإنسانية اللذين يتحدث بهما سواس أوروبا
لم يكونا عامين بين أفراد البشر . بل إنما قاصران على المسيحيين
من سكان أوروبا . وإلا فماذا نجد العكس كلما كانت المسئلة
خاصة بالدولة الدلية دون غيرها !

أني واثق ككل شرقى مسلم أن انكسار المسيحية تعقب

تعتمدون كثيراً على انصاف أوروبا لكم حتى حسبتم بل وجزمتم
ان مسألة مصر ستعرض على بساط البحث بهذه الانتصارات
المدهشة التي توجت بها الدولة العلية تاريخها المجيد . فماذا
تقولون اليوم وأوروبا تعمل على نكابتكم ! »

ماذا نقول للعالم الاوروبي وكل يوم تسعى حكومة من
حكوماته لتوسيع الخفرة التي يخاف منها كل رجل متمدين ويود
سبدها في القريب العاجل . هذه الخفرة هي تعصب المسيحية
ضد الاسلام والتي أصبح البرهان يتلو البرهان على وجودها
وابتات صحتها !

ان أوروبا تدعي انها متمدينة تعمل لسلامة النوع البشري
ولكننا أصبحنا نعتقد اعتقاداً جازماً انها لا تعمل شيئاً آخر
غير نصرة الصليب على الهلال !

لهم انه يجب على كل امرئ أن يحب دينه ولكن مادخل
الدين في الانسانية والمصلحة العامة ؟ اننا لم ننس الحروب
الصليبية التي شاب من هولها الولدان والتي تركت في التاريخ
صفحات جهرها لمن قرأها ، ففعلها الدوى وتأثيرها المزعج .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما انتهى المترجم من اتمام كتاب المسئلة الشرقية وطبعه
حتى استأنف جهاده الشريف في خدمة البلاد والأمة بحمية
أسد من حميته الأولى وعزم لا تزعزعه الحوادث ولا ترده
عواذى الدهر. وكان أول عمل عمله أن أرسل مقالة لجريدة
«الجيلوا» هذا تعريبها :

« جناب المدير المحترم »

جاءني كتاب من صديق فرنسي كبير بعد ان شرح
فيه سياسة أوروبا ازاء الدولة العلية وأسف على الخطة العدائية
التي اتخذها من يلتبون أنفسهم بنصرء الانسانية في مسألة
كريد وما ينوون عمله بعد ذلك متمسكين بمبدأ « ما أخذ
الصلب من الهلال لا يرد الى الهلال » قال : « انكم كنتم

مُصْطَفَى كَامِلِ الْإِسْلَامِ

في ٣٤ رُبْعًا

سِيرَتُهُ وَأَعْمَالُهُ مِنْ خُطَبٍ

وَأَحَادِيثَ وَمَسَائِلَ

شَيْخَانِيَّةٍ

وَعُمُرَانِيَّةٍ

» أَعْرَافُ بَهْرَانَا

كِرْمَاءُ لُضَيْفُونَا «

مبدأ القدي

الجزء التاسع

﴿ الطبعة الأولى ﴾

« حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة »

سنة ١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين نمرة ٢٩ بمصر)



﴿ المسألة الشرقية ﴾

« فهرس الجزء الثانى »

صفحة

تابع الازمة الرابعة - ما بعد الحرب	٢
ما بعد مؤتمر برلين	١٤
الازمة الخامسة - المسألة المصرية	٤٧
الازمة السادسة - المسألة البلغارية والمسألة اليونانية	١٤٨
الازمة السابعة - المسألة الارمنية	١٧٦



﴿ المسألة الشرقية ﴾

« فهرس الجزء الاول »

صفحة

مصطفى كامل باشا في الرابعة والعشرين	
الفاتحة	١
المسألة الشرقية	٣
المسألة الشرقية في القرن الثامن عشر	٣١
المسألة الشرقية في القرن التاسع	٧١
الازمة الاولى — استقلال اليونان	
الازمة الثانية — في مسألة الشام	١٢٦
كتاب من محمد على الى لويس فيليب	١٥٤
الازمة الثالثة — حرب القرم	١٦١
الازمة الرابعة — الحرب بين تركيا والروسيا	٢٠٩



الشاهانية الاخلاص الصادق الاكيد وان يعاونوا جلالة على
اصلاح الاحوال ودفع النوائب والايثار حتى يعود للدولة
العثمانية مجدها القديم ويلبس الاسلام ثياب العز والرفعة
السرمدية

اللهم احفظ جلالة السلطان الاعظم والخليفة الاكبر
الغازي ﴿عبد الحميد الثاني﴾ وحقق على يديه آمال العثمانيين
والمسلمين وأنقذ مصر بلادنا العزيزة من أيدي الانكليز
واحفظ لها في ظل جلالة مولانا السلطان الاعظم سمو الخديو
المحبوب ﴿عباس حلمي باشا الثاني﴾ انك سميع مجيب

ومن النتائج الخطيرة التي أنتجتها الحوادث الارمنية ظهور جلالة السلطان الاعظم أمام العالمين بمظهر السياسى النادر المثل والسلطان الامين على مصالح رعاياه . فقد توالى زوابع الحوادث الارمنية وصواعقها وجلالة السلطان الاعظم ثابت ثباتا عجيبا لا يهتز كرسى ملكه لا كبر حادثة ولا لاعظم تهديد والذين كانوا يجهلون قدرة جلالة السلطان الاعظم وسطوته ومهارته كان يخيل لهم عند قراءة الجرائد الانكليزية أيام الحوادث الارمنية ان حكم جلالتهم قارب الانتهاء بل ان الدولة نفسها قاربت الزوال . ولكن السياسة الحميدية النبيلة فازت بالنجاح والفلاح وأنقذت الدولة العثمانية والاسلام من أكبر الاخطار وأشد البلايا حتى ان المستر (غلادستون) زعيم أعداء المسلمين اعترف بأعلى صوته « بان السياسة الحميدية تغلبت على السياسة البريطانية وقهرتها فى المسئلة الارمنية »

وان عناية جلالة السلطان الاعظم بدولته العلية وبالاسلام تفرض على العثمانيين كافة والمسلمين عامة ان يخلصوا لسدته

تكن الانكليز في الحسبان فقد ظنوا انهم ببعض الخوارج
يستطيعون تنفير المسلمين من صاحب الخلافة العظمى فشجوا
فريقا من أعداء جلالة السلطان يدعى رجاله انهم مسلمون وما
هم في الحقيقة الا خوارج لادين لهم ولا مذهب . ولكن
المسلمين ليسوا بسذج يستطيع الانكليز ان يخدعهم لهذا
الحد فقد ثبتوا في اخلاصهم الصادق للامام الاعظم والتفوا
أجمعين حول رايته الاسلامية وأثبتوا بذلك على ان الاعتداء
على جلالة الخليفة اعتداء على المجموع الاسلامي وان الطاعنين
في جلالة الخليفة طاعنون في الاسلام نفسه

وقد كان اللورد سالسبوري يتباهى في الخطبة التي ألقاها
بجلبدهال يوم ٩ نوفمبر عام ١٨٩٥ بأن مسلمي الهند من أصدق
رعايا جلالة الملكة . فما بال الانكليز ينسبون الآن ثورة
الهند لمساعي جلالة السلطان الاعظم ولنفوذه عند المسلمين .
أهل كانوا يجهلون هذا النفوذ العظيم يوم كانوا يطعنون على
جلالته الطعن السافل ويدسون ضد حكومته الدسائس العديدة
ويقترحون على دول أوروبا خلع جلالته بالقوة والقهر

وجوب خدمة الوطن وعلى ان كل من يعمل ضد وطنه
يكون خائناً ليس أحط منه في طبقات الهيئة الاجتماعية أحد
وكان من نتائج الحوادث الارمنية أن أوروبا فقدت
ثقتها بانكلترا ووقفت لها في كل أمر بالمرصاد . اذ تبين لها
ان سواس بريطانيا يريدون اصطلاء نيران الحرب العامة في
أوروبا لتبقى انكلترا على الحيادة وتستفيد كما تبتغي ولولا
ارتباب الدول في نوايا انكلترا لكانت قامت الحرب في أوروبا
واتتشر لهيب الهيجان والحرب من اليونان الى البلقان . ولا
شك ان هذه النتيجة خطيرة في السياسة الدولية فبسوء ظن
الدول بانكلترا تسلم أوروبا من الحرب ومن عواقبها الوخيمة
وتسلم الامم من الوقوع في شرك الدسائس الانكليزية وبالجملة
يسلم العالم بأسره

وما علم المسلمون بحقيقة المسئلة الارمنية وبدسائس
الانكليز ضد الخلافة الاسلامية حتى أظهروا تعلقهم الشديد
بجسالة الخليفة الاعظم ونادوا جميعا بالاخلاص لسدته
والاستعداد للدفاع عن عرشه الجليل . وهذه النتيجة لم

أوروبا دخول البوسفور بالقوة وانزال جلاله السلطان من
علوة مقامه وخلعه من ملكه ؟) وما انتشرت هذه الخطبة
في أوروبا حتى قالت الجرائد كلها واعتقد الناس كافة ان
المسيو (هانوتو) قصد بعبارته هذه انكلترا . ولم يزد انكار
وكيل خارجية انكلترا هذا الاعتقاد الا ثبوتا

وقد برهنت الحوادث الارمنية على ان انكلترا هي
عدوة المسيحيين في الشرق . فهي وحدها المسؤولة عن دماء
الذين ماتوا من الارمن ضحية لسياستها وفريسة لاغراضها .
وان المسئلة الارمنية لدرس مفيد للمسيحيين في الشرق يرشدكم
الى ان اتباع الايعازات الاجنبية ضار بهم كل الضرر وان
سلامتهم وسلامة أبنائهم من بعدهم هي في التعاق بالدولة العلية
والاخلاص في خدمتها . وان ذكرى الحوادث الارمنية
تجعلنا نؤمل حصول الاتفاق التام والوفاق السليم بين المسيحيين
والمسلمين في كافة انحاء المملكة العثمانية . فقد وجب على بني
الدولة جميعاً أن يخدموا الوطن العثماني بالاتفاق وأن يتحدوا
ضد الاجنبي فالدين الاسلامي والدين المسيحي متفقان على



لقد أنتجت الحوادث الارمنية عدة نتائج خطيرة .
فأثبتت ان انكلترا هي أشد الدول كراهة للدولة العلية
والاسلام وأكثرها رغبة في هدم السلطنة العثمانية وتقويض
أركان الخلافة الاسلامية وأبانت للذين كانوا يظنون انكلترا
الصديقة الطبيعية للدولة العثمانية انها العدو الحقيقية الخداعة
التي تلبث ثياب الصداقة طوراً وثياب العداوة طور آخر
عاملة في الحالتين على الاضرار بالدولة العلية وعلى اضعاف
نقوذ المسلمين . ولم يبق ريب بعد الحوادث الارمنية ووقوف
العالم أجمع على دسائس الانكليز فيها في ان انكلترا كانت
تريد حل المسئلة الشرقية بتقسيم الدولة العلية وانها لبلوغ هذا
الغرض طلبت من الدول الاوروبية دخول البوسفور بالقوة
وخلع جلالة السلطان الاعظم قهراً . وقد فاه بهذا التصريح
الخطير المسيو (هانوتو) وزير خارجية فرنسا حيث قال في
مجلس النواب الفرنسي للمعترضين على سياسته ما معناه :
(ماذا كنتم تقولون لو كنا قبلنا طلب الدولة التي سألت

الحكومة الشرعية . فماذا عملت انكلترا ضد ايرلندا عند ما ثارت وماذا عملت وماذا تعمل ضد الهنود ؟ وماذا عملت فرنسا ضد الجزائر وماذا تعمل الآن لو ثار أهالي إحدى مستعمراتها ضدها ؟ بل ماذا تعمل لو قام في فرنسا جماعة كاليهود مثلا وثاروا في وجهه حكومة الجمهورية ؟

لا جرم ولا مرء في أن أهل تركيا من المسلمين معذورون اذا كانوا أجابوا على اعتداء الارمن عليهم وقيامهم في وجه الدولة العلية بالاعتداء عليهم فهذا واجب تفرضه عليهم الوطنية الحقة . وما ثوار الارمن في نظر المنصفين الا خونة قائمون بتنفيذ أوامر الاجنبي

وقد اتفقت الدول الأوروبية على وضع مشروع جديد للاصلاحات في أرمينيا وأخذ سفرأوها بالاستئانة يتداولون من ٢٦ ديسمبر عام ١٨٩٦ الى ١٠ فبراير عام ١٨٩٧ . ولكن المسئلة الكبرى دية خلقتها يد الدسائس البريطانية فأنست أوروبا أرمينيا ومسئلتها

هذا مجمل تداخل الدول في مسئلة الارمن أتينا عليه بالايجاز

فذكر جلالة السلطان « . فليقارن القارىء بين هذه اللهجة وبين لهجة اللورد نفسه في خطبة ٩ نوفمبر عام ١٨٩٥ يوم قال ان دول أوروبا كلها متفقة مع انكلترا وانذرنا معاشر المسلمين ومعاشر العثمانيين بقرب خلع صاحب الخلافة العظمى !!!

وقد توالى الاضطرابات والثورات في آسيا الصغرى ولم يرضخ أهالى (الزيتون) الا بتدخل الدول الأوروبية ولما كان الانكليز يوالون الارمن على الدوام والتشجيع والمساعدة فقد هجم جماعة من فوضويهم على البنك العثماني في أغسطس عام ١٨٩٦ ولم يسلموا أنفسهم الا بتدخل الدول وبتعهد السفراء بعدم تسليمهم للحكومة العثمانية وتركهم يسافرون من الاستانة الى الخارج . وقد أحدثت هذه الحادثة هياجاً عاماً في الاستانة وكانت الطامة الكبرى على الارمن . ونادى عندئذ أعداء تركيا والاسلام بالويل والشبور ووجهوا الى الدولة العلية والى جلالة السلطان الاعظم سهام الملام والشتائم ولكن هؤلاء المتعصبين تجاهلوا ما حصل في كل بلاد أوروبا وما حصل لو قامت فئة بالشرية في وجه

وتهديدها . وفي ٩ نوفمبر عام ١٨٩٥ وقف اللورد سالسبوري في جيلدهال بلوندره وألقى خطبة شديدة اللهجة للغاية ملاًها بالمطاعن ضد الحضرة السلطانية وأنذر المسلمين بقرب خلع خليفتهم وأوهم العالم كله بأن دول أوروبا متفقة جميعها مع انكترافيا في خطتها ونواياها . .

ولما رأت ألمانيا أن الانكليز يريدون التداخل في تركيا مهما كانت النتيجة سألت فرنسا والروسيا اشراك بقية الدول الأوروبية معهم ومع انكترافيا في المسئلة الارمنية فقبلت وصار سفراء الدول الست بالاستانة يقررون كل أمر بالاشتراك وقد شعرت كل أوروبا وقتئذ بأنه يستحيل عليها ان تتداخل تداخلا عسكرياً وأن مثل هذا التداخل يجر على العالمين المصائب العديدة حيث يكون سبباً لثورة عامة من المسلمين في تركيا وداعية لسفك دماء كافة المسيحيين في الشرق وأصلاً لحرب أوروبية عامة . وقد أضر اللورد سالسبوري نفسه أن يقول : « ما دامت السلطنة العثمانية قائمة فليس لأوروبا قوة تضغط بها على تركيا وكل ما في استطاعتها ان تؤثر على

الا ايطاليا . فان (كرسبي) انخدع للانكليز في المسئلة الارمنية
كما انخدع لهم في افريقيا . أما المانيا فانها كانت ضد انكارترا
وضد الارمن ولما اشتدت الازمة وكثرت مطاعن الجرائد
الانكليزية وبعض الجرائد الاوروبية على جلالة السلطان
الاعظم وقف جلالة الامبراطور غليوم وأعلن أمام مجلس
الرشتاغ الالماني « انه له بجلالة السلطان ثقة تامة وأنه لا
يمكن الاعتماد على سوى جلالته في قمع الثورة الارمنية واعادة
السكينة الى ربوع آسيا الصغرى » . وقد أهاجت هذه العبارة
الارمن فأرسلت جمعيتهم الثورية بلوندر الى الدول الارمنية
— ما عدا ألمانيا — كتابا رفعت فيه شكواها ضد الامبراطور
غليوم وقالت عنه أنه يشجع الجرائم والمجرمين فجعلت
بذلك الجمعية الارمنية وظيفتها غير دس الدسائس في تركيا
تهذيب الملوك وتربيتهم وتعليمهم سياسة الممالك !!!

وقد كانت انكارترا تود كما قدمنا التداخل وحدها ولما
لم تستطع الى ذلك سبيلا أرسلت الى سالونيك أسطولا مركبا
من ثمانية عشر سفينة حربية بقصد أرهاق الدولة العلية

حقيقة الحادثة فقبلت الدولة العلية طلبها وسافر مندوبو الدول
الثلاث مع المندوبين العثمانيين وكان وصولهم الي (موش)
في ٢١ يناير عام ١٨٩٥ وأثبت التحقيق اذانة الارمن وخروجهم
عن الطاعة. ولو ان المندوب الانكليزي كان يبذل جهده في
اثبات اعتداء السلطة العسكرية العثمانية على الارمن. وفي ١١
مايو عام ١٨٩٥ قدم سفراء فرنسا والروسيا وانكلترا الى الباب
العالى مشروع اصلاحات يتضمن العفو عن مجرى الارمن
السياسيين والعفو عمل حكم عليهم بالنفى من الارمن وتأسيس
لجنة مراقبة بالاستانة لمراقبة تنفيذ اصلاحات وما شا كل
ذلك . وقد أشارت فرنسا والروسيا على جلالة السلطان الاعظم
بقبول هذا المشروع فقبله وصدق عليه في ١٧ اكتوبر عام
١٨٩٥ ولمكنه رفض تأسيس لجنة مراقبة

وفي أثناء تداخل الدول الثلاث كان ثوار الارمن
لا يغفلون لحظة واحدة عن تهيج بنى جلدتهم وأشعال نيران
الثورة والفتنة في كل بلاد الاناضول . ولم يكن بين الدول
الاوروبية (غير انكلترا) دولة تتظاهر بمساعدة الارمن

السلطانية . وفي فترة سقوطه من الوزارة كتب في جريدة
(ريفودى باريس) رسالة على المسئلة الارمنية وعلى اميال
جلالة السلطان أثنى فيها على الخليفة الاعظم الشناء الجميل وتكلم
عن جلالته بصفته من الذين اقتربوا منه وتحدوا معه طويلا
وعرفوا خلاله وصفاته وأفكاره السياسية . وقد سمي أعداء
تركيا الميسو هانوتو بهانوتو باشا وعبد الهانوتو اظهارا لمحبه
جلالة السلطان واعتداله فى سياسته نحو الدولة العلية كما سموا
جلالة الامبراطور غليوم بعبد الغليوم . ولولا ان الراى العام
الفرنساوى كان متهيجا بعض التهييج ضد تركيا بتحريضات
أعداء الدولة العلية وأعداء الاسلام لكان الميسو (هانوتو)
أظهر علنا ثقته العظمي بالحضرة السلطانية وحقائق المسئلة
الارمنية . الا انه كان مضطرا لان يتكلم عن تركيا بلهجة فيها
شئ من الشدة فى بعض الظروف ولكن سياسته العمومية
كانت ترمى الى منع تداخل انكلترا واحباط مساعيها
وقد تداخلت فرنسا والروسيا وانكلترا فى المسئلة
الارمنية عقب حادثة (ساسون) فطلبت عمل تحقيق تام لاظهار

جريدة النيمس المشهورة بتعصبها الشديد ضد الدولة العلية
 وضد المسلمين لحقيق لا ريب فيه . ولكن هذا الكاتب لم
 يقل لما من المسئول عن تأسيس الجمعيات الارمنية الثورية
 وعن تشجيعها أليس سياسة بريطانيا وكتابها ؟؟؟ ولكن ما
 ذكره حضرة الكاتب الانكليزي في التيمس أكثر مما كان
 ينتظر من مثله !

*
 * *

« لقد وددت انك لترا أن تتداخل وحدها في المسئلة
 الارمنية وتتف أمام الدولة العلية وجها لوجه ولكن روسيا
 كانت مصالحها مخالفة لمصلحة انك لترا فكان من الواجب عليها
 أن تعرقل مساعي الانكليز وان تمنع تأسيس مملكة أرمنية
 تكون عدوة لها وآلة للانكليز في آسيا الصغرى ضدها .
 وكذلك فرنسا فان مسئلة مصر أفهمت رجال سياستها أن
 المسئلة الارمنية ليست الاحيلة لمنع الدول من الاشتغال بمسائل
 وادى النيل ووسيلة لا بتلاع مصر . وقد تظاهر المسيو (هانوتو)
 وزير خارجية فرنسا من أول الازمة الارمنية بالميل للحضرة

الجمعية الثورية الارمنية التي مركزها لوندرد ترمى الى احداث مذابح جديدة (لكي تبقى أنظار أوروبا موجهة الى مظالم الاتراك) . وفي سلاسل وغيرها من المدائن التي على حدود بلاد العجم يستعد ثوار الارمن للهجوم على الاتراك المسلمين ولهم هنالك من الرجال المساحين بين الالفين والثلاثة آلاف ولكن لتركيا من الجنود هنالك نحو الخمسة عشر ألف مقاتل والحكومة العثمانية عالمة جيداً بدسائس الارمن وبنياتهم

هذه هي السياسة التي جرت عليها الجمعيات الثورية في الماضي ومن المحتمل أنها تجري عليها في المستقبل . فاعضاء هذه الجمعيات ومديروها يريدون أجبار أوروبا على التداخل في أمور تركيا الداخلية بالسلاح والقوة . والوصول الى هذا الغرض تراهم يحدثون ثورات ومذابح هم وخدمهم المسؤولون عنها وهم لا يتأخرون عن تضحية مئات وألوف من بني جلدتهم في هذا السبيل ولكنهم يحترسون غاية الاحتراس من تضحية رجل واحد منهم أنفسهم (.....)

ولامراء في أن ما كتبه هذا الكاتب الانكليزي في

الثورية الارمنية هي آفة الامة الارمنية ومصيتها واني لا أتردد في أن أصرح — معتمداً في ذلك على خبرتي الشخصية — بان هذه الجمعيات هي التي يقع عليها النصيب الاوفر من مسئولية موت الارمن العديدين الذين قتلوا في الاضطرابات الاخيرة . فماذا يستطيع الانسان ان يقول عن أشخاص يبذرون بذور التعصب بين قومهم ويضحون نفوساً عديدة وأرواحاً حية من بني جلدتهم بقصد الاعلان عن المسئلة الارمنية في أوروبا ؟ وفي أية بلدة من بلاد آسيا الصغرى لا يستطيع أحد من الارمن أن يكون آمناً على حياته وأمواله اذا كان أحد أعضاء هاته الجمعيات الثورية مقيماً فيها . فالأغنياء مجبرون ان يشتركوا في مصاريف الثورة الارمنية والا قتلوا . واذا تجاسر أحد على القدح في الجمعيات الثورية أو العمل ضدها فقد حياته لا محالة

» واني لا أعرف شيئاً عن الجمعيات الارمنية بأوروبا ولكن ما رأيته وما عرفته عن هذه الجمعيات الموجودة في الاناضول وفي العجم وفي تفليس يحملني على التأكيد بان

الاخبارية مشابهة للشقي مونتيجو . على ان هذا تفصيل دقيق
لاتهم الافاضة فيه لما يعلمه القراء من تصديق الذمة البريطانية
لكل المصادر والموارد الاخبارية مادامت موافقة لمصالحها
بصرف النظر عما اذا كانت تستحق الثقة أم لا »

هذا ما كتبه كاتب مسيحي منصف في حكمه غير
متعصب ضد الاسلام . وقد اقتطفنا للقراء كثيرا من شذرات
رسائله الجليلة ليقفوا جميعاً على الحقائق وليكونوا على بينة من
أمر الحوادث الارمنية والدسائس الانكليزية وليعلم كل
عثماني وكل مسلم مقدار الكراهة الشديدة التي أظهرتها
انكلترا للدولة العلية

وقد عثرنا في جريدة الطان الفرنسية الصادرة في ١٠
ابريل عام ١٨٩٧ على ترجمة عبارة كتبها أحد كتاب الانكليز
في جريدة « التيمس » بشأن المسئلة الارمنية . لا نرى بداً
من تعريبها هنا :

« لقد جاء الوقت الذي يجب فيه على الامة البريطانية
ان تعلم أن للمسئلة الارمنية وجهاً مظلماً للغاية : فان الجمعيات

وستمنستر واللورد حاكم مدينة ليفربول وبعض رجال
 الاكليروس البروتستانتى اجتماعا حافلا فى ٧ مايو الماضى
 عرضوا فيه ثلاثة أشخاص زعموا أنهم من أرمنى ساسون مع
 أنهم كانوا لا يفهمون شيئاً من اللغة الارمنية او من اللغتين
 التركية واليونانية الشائعتى الاستعمال ببلاد الدولة العلية وحصل
 اجتماع آخر بمدينة شستر فى ٦ أغسطس الماضى التى فيه المستر
 غلادستون خطبة جعل حشوها الطعن على الحكومة العثمانية
 وسأل من رأى العام اعدام الدولة العلية واستئصالها من
 الوجود السياسى مستنداً فى طلبه هذا على مقالة نشرتها جريدة
 الديلى تلغراف عن المستر ديون مكاتبها فى آسيا الصغرى
 ضمنها شهادة لص كرى اسمه مو تيجو لا يزال مسجوناً
 بعد ان صدر عليه حكم محكمة ارضروم بالاعدام لانحصار التهمة
 فيه بأنه قتل ونهب وهتك وارتكب من الفظائع ضد الارمن
 والأتراك أجسمها . غير ان المستر غلادستون تغافل عن
 تعريف السامعين لخطبته بما اذا كان المستر ديون السالف
 الذكر يعرف اللغة الارمنية أم لا وهل جميع مصادره

به أهالى باريس من شدة التحرز والتصديق بعد الامعان
والروية فانهم بمجرد القائمهم النظر على تلك الصور حكموا بأنها
افتراء وعجزوا اختراع لاستحالة وجود مصورين في بلاد أغلب
أهلها يقطنون الجبال وأثناء فتنة داخلية لا يعلم أحد تاريخ
وقائعها حتى يستعد المصورون الذين يجب أن يكونوا في هذه
الحالة على جانب عظيم من المهارة والجرأة لا خد صور تلك
الوقائع . وهناك سبب آخر بث هذا الاعتقاد في مخيلاتهم
(اى الباريسيين) وهو استحالة محافظة المذبحين والقتلي على
وضع يثبتون فيه اثناء ذبح الاثراك لهم ارضاء للمصورين كي
يتحصلوا على صور متقنة خالية من العيوب التى تنشأ عن
تحرك الذات المراد تصويرها . وقد وضع بعض أهالى أمريكا
رسالة قال فيها انه رأى صورة فتوغرافية تمثل النساء الارمنيات
يلقن أنفسهن فى المهاوى العميقة فراراً من عبث الجنود العثمانية
وانه علم بمجرد النظر اليها انها مقلدة بالتمام من لوحة رسمها
مصور شهير يسمى آرى شفر « وقد عقد بعض أكابر
لانكلز بمدينة لوندردو في مقدمتهم الدوق درجيل والدوق

« ولنرجع الى الكلام على اللجنة الانكليزية الارمنية فنقول انها لم تدع وسيلة من الوسائل الا تذرعت بها لايهاام الرأي العام في أوروبا بأن لجنة التحقيق قد توفرت لديها الشهادات والقرائن الدالة على ارتكاب تركيا ما ينسب اليها من الفظائع . ولما كانت الامة الفرنسية في ذلك الحين غير مهتمة بأمور أرمينيا فقد طاف جماعة من الارمن في أنحاء فرنسا لالقاء الخطب في هذا الموضوع اثارة لعواطف أهلها وتنشيطاً لهم على التمثل بالانكليز في طلب انقاذهم من مخالب الحكومة العثمانية وقد ألقى رجل اسمه شراسيون خطبة من هذا القبيل بمدينة باريس في وسط جمهور حافل من أهلها وبالغ في وصف حوادث مرسيوان ويوزجات وتالوري وحاول طبع هذه الاوصاف في نفوس السامعين بان أبرز لهم جملة صور فوتوغرافية بعضها يمثل الاتراك وهم يذبجون الارمن أو يطعنون الاطفال والنساء في بطونهم بالخناجر أو يحرقون القرى . غير أن هذه الرسومات لم تفض الى احداث التأثير الذي كان ينتظره الخطيب على قلوبهم . اذ لا يخفى ما اشتهر

وبؤرة للروائح الكريهة التي تعبت بالصحة وهي عادة مرعية في جميع البلاد اذا وقعت فيها فتنة داخلية أدت الى قتل جملة من العصاة . واذا كان الانكليز يجهلون مزية الجير هنا فنقول ان الغرض من وضعه على الجثث هو تعجيل انحلالها ومنع الاذى الذى ينجم عن تصاعد الروائح الكريهة منها . والعاقل الذى لا تستولى عليه الاغراض الذاتية يحكم معنا بأن هذه الوسيلة الصحية لا يصح اعتبارها من الفظائع التى نسب الانكليز الى الاتراك ارتكابها ضد فئة الارمن العاصية

وفى أبان شروع اللجنة فى التحقيق قلنا كما كان يقول كل أوروبى مجرد عن الاهواء وكل من تتبع أثر المسئلة الارمنية بنفسه ان نتيجة التحقيق ستأتى على نقيض آمال الانكليز وانها لا تثبت شيئاً ضد دولة المشيرزكى باشا قومندان الاوردى الرابع من الجيش العثمانى الذى نيط به اتحاد فتنة الارمن فان جميع الاوروبيين الذين خالطوا دولته مجمعون على امتداح سيرته وطهارة أخلاقه وكرم طبعه وصدق ولائه لجلالة السلطان وكفاءته فى المسائل الحربية »

الغرض ووزعوا عليهم أسلحة انكليزية متكررة الطلقات
وارتكبوا معهم بعد ذلك أقصى ما يرتكب من الجرائم
والآثام في أوقات الثورة كالأحراق والنقل والسلب ثم اعتصموا
بالجبال الشاهقة للتمكن من مقاومة الجنود العثمانية المنتظمة
وقد اثبتت لجنة التحقيق فوق هذا الاعتراف أن الحكومة
العثمانية بارسالها القوة العسكرية لاختاد الثورة قد عملت
بمقتضى ما يحوله لها القانون من الحقوق

وقد كان ظهور هذه النتيجة وقع سيء لدى أرباب
الجرائد الانكليزية ولذلك تراهم قد شددوا اللوطة على الدولة
العلية واتسع أماءهم الجبال لاختلاق الأكاذيب فقالوا ان
الأتراك بعد أن ذبحوا آلاف من الأرمن في جولي جوازت
حفروا آبارا عميقة ألغوا فيها جثث القتلى ثم غطوها بطبقة من
الجير والحقيقة هي ان الجنود العثمانية لما التمت بالعصاة كما
أسلفنا استدعهم الي الاذعان للطاعة فلما لم يقبلوا قتلت منهم
نحو ٣٠٠ نفس تقريبا فلما انتهت الموقعة جمع العساكر جثث
القتلى في حفرة أهالوا عليها الجير كي لا تكون منبععا للغفونة

والعدالة في تلك الأنحاء

وخلاصة القول لولم تشترك روسيا وفرنسا مع انكلترا
في مسألة التحقيق لاحتل الانكليز أراضي الاناضول كما
احتلوا مصر بحجة توطيد الامن وكبح جماح العصاة ثم طاب
لهم المقام فيها الى الآن بالرغم عن طلبات الدولة العلية وفرنسا
وعن العهود العلنية التي فاه بها رجالهم السياسيون مرات
متعاقبة »

« ولقد أفضت عواقب هفوتنا السياسية في البلاد
المصرية الى انحطاط نفوذنا وخفوت صوتنا بمعنى أنه بمجرد
ما اقترحت الدولة الانكليزية علينا فتح أبواب التحقيق في
المسألة الارمنية قابلنا هذا الاقتراح بالقبول وتام الارتياح
وانما استدعينا أصدقاءنا الروسيين الى الاشتراك فيه معنا
لا سيما وأنه يوجد من بين رعاياهم نحو مليون من الارمن
وقد تم التحقيق على قاعدة التجرد من الاهواء وتام
الاستقلال ودل على ما كان يمر بالخواطر من أن الارمن
جنحو الى الاضطراب بتحريض محرضين جاؤوا من الخارج لهذا

اليه عيون مطامعها من الاغراض الذاتية. وفي الواقع فانه بعد ان عمت الخافقين تلك الاكاذيب طلبت انكسارا من الدولة العلية تعيين لجنة دولية لمزاولة تحقيق المسئلة الارمنية فقابلت الحكومة العثمانية هذا الطلب بالقبول لوثوقها بوضاحة الحقائق وتوفر القرائن المثبتة ادانة الارمن

وبناء على هذا القبول شكت اللجنة وانتظم ضمن أعضائها مندوب روسي وآخر فرنساوي وآخر انكليزي وهو تشكيل يحق للقارىء أن يدهش كثيرا منه لموافقة الروسيا وفرنسا لانكسارا عليه واشترا كهما معها فيه . ولكن لو نقب الانسان عن الخفايا واستطاع الحقائق لاستحس هذا الاشتراك اذ لو كانت الدولة الانكليزية استأثرت بالتحقيق لكانت تمكنت من نشر الاكاذيب واذااعة المفتريات عن الدولة العلية بلا خوف من قيام أحد لتكذيب مدعياتها وبرهنت على أن تركية آسيا قد أصبحت مرسحا لنشيل مذابح النصرارى صباح مساء وأظهرت بذلك أهمية تداخل « احدى الدول الاوروية العظمى » لتأييد دعامة النظام والامن

أغسطس على الاكراد المقيمين بالقرب من مدينة موش فأحرقوا ثلاثة من القرى. أما الثائرون في تالورى فقد فتكوا بالمسلمين والنصارى معا طلبا للغنائم والسلب ولما وصلت الجيوش الشاهانية لمطاردتهم طلب رئيسهم همبرسوم النجاة بنفسه ففر الى الجبل مع أحد عشر من رفاقه وقد قبض عليه العساكر بعد ان قتل منهم اثنين بيده وجرح ستة آخرين ولم يأت آخر شهر أغسطس حتى تفرق الثائرون شذرا مذر. وقد عومل الاهالى من نساء وأطفال وشيوخ بأحسن المعاملة مراعاة لما أمر به الدين الاسلامى وأشارت اليه الانسانية أما الثائرون الذين قتلوا فهم الذين أبوا التسليم والاذعان لاوامر الحكومة وفضلوا الاستمرار على مكافحتها»

وكتب هذا الكاتب المحقق في صحيفة ٧٦ وما يليها ما تعريبه :

ولكن هذه الحقيقة الواضحة قد أسدلت الجرائد الانكليزية عليها الستار ثم أبرزتها في لفائف المبالغات والاكاذيب كي تستعين بها وزارة الخارجية الانكليزية على اصابة ما ترنو

والبربريين وذلك بعد ان شهرت بدين الاسلام وطعننت فيه
امامهم ثم هاجت بعد ذلك العساكر العثمانية النظامية ولكنها
لم تتمكن من تنفيذ مشروعاتها الاولى ألا وهو الولوج في مدينة
موش وذلك لاهمية الحرس العسكرى الذى كان مقيما فيها.
أما بنية الثائرين الذين لبثوا في جبل اندوك داغ فقد انقسموا
فرقا متعددة قصدت كل فرقة جهة معلومة للهجوم عليها.
وقد اتصل بنا من اخبارها أنها أحرقت ابن أخى عمر أغا
حيًا وانهكت حرمة النساء المسلمات الساكنات في قرية
جولى جوازات وعذبت المسلمين وألحقت بهم النكال
وأكرهتهم على تقبيل الصليب وسملت عيونهم وجسدت
أنوفهم وصلمت آذانهم وأذاقتهم من العذاب ألوانا وأشكالا.
وفي أول شهر أغسطس هجم أولئك الثائرون على قبائل
فانينار وبكيران وباديكان واقترفوا أفظع من تلك الآثام مع
أهلها واقتدى بهم الثائرون في قرىتي اليغرنك وىرموش
الواقعيتين بقسم جنيان فانهم هجموا على أكراد تلك الناحية
وأوقعوا بأهالى كيسر وشتشت وهجم الارمن في آخر شهر

وأخذ فيها يحرض الجمهور على الثورة والاضطراب وكان
يساعده على هذا الفساد خمسة آخرون من بني جنسه وكان
همبرسوم يؤكد للاهالي بأن الدول الأوروبية قد أناطت به
مأمورية مهمة وهي ذلك أركان النفوذ العثماني ودأب على الكلام
بهذا المثال حتى استمال اليه قلوب الارمن القاطنين في قرى
سينروسماي وجللى جوزات وآهى وهدنك وسنانك وسكند
ويغار وموسون وايتك واكجسر وقرية قالورى التى تشتمل
على اربعة محلات . وفى أواخر شهر يوليو سنة ١٨٩٤ بارح
أولئك المغرورون بلادهم بعد ان وضعوا نساءهم وأولادهم
وأموالهم في جهات أمينة والتقوا بالثائرين الاتيين من موش
ومحلى كال وسلفان في جبل اتدوك داغ وهناك تم الاتفاق
على ان خمسةائة أو ستمائة منهم يهجمون على بلدة موش
فزحفت هذه الفرقة على قبيلة دليكان المستقرة بالقرب
من سفح جبل كورانسك الكائن جنوبي موش فسلبت
أموالها وقتلت كثيراً من رجالها واستعملت فى قتل المسلمين
منهم أساليب التعذيب التى لا ترد على خواطر المتوحشين

بعدها من رسالته الجليله ما ترجمته :

« اما الحادثة نفسها فنحتمى عن ايراد شرحها بمقتضى ما وصل الى عامنا من الاخبار والمعلومات بل نقتنع بنقلها عن جريدة النيويورك هرالد التي لا يجسر أحد على اتهامها بالتحييز للاغراض أو الميل للاتراك

وها هي :

« أن الثائرين الارمن الذين ظهروا في جبال تالورى الواقعة بين ساسون في الجنوب الشرقى من موش (ولاية بتليس) وبين مركز كال (من متصرفية جوانج) قد اجتمعوا في تلك الجهة بارشاد وتحريض شخص اسمه همبرسوم أو مراديان لاثارة الفتنة بها . وهمبرسوم هذا ولد ببلدة هاجين (ولاية ادنه) وتفرغ لدراسة الطب بمدرسة الحكماء في الاستانة العلمية مدة ثمان سنوات وكان له اصبع فى حادثة كوم قبو ثم فر الى الاستانة ومنها الى جنيفه وبعد أن قام بها مدة تنسكر باحد الابرياء وانتحل اسما غير اسمه الحقيقى ثم عاد الى ولاية بتليس عن طريق اسكندرونه وديار بكر

أحد تلامذة المبعوثين الأمير كان . وهو الذي كان له ضلع في
حادثة كوم قبو وصدر أمر جلالة السلطان الاعظم بالعفو عنه .
ويقول الارمن ان هذا الرجل قد حضهم على الثورة بعد
ان أقنعهم بمساعدة انكلترا لهم واسعافها أيام بعساكرها
وانهم سأله كيف تتمكن العساكر الانكليزية من الوصول
الى هذه الجهات البعيدة عن الشواطىء فضلا عن تعذر السير
فيها فأجابهم بان أولئك العساكر سيصلون الى هذه الجهات
بواسطة بالونات (قباب طائرة) جسيمة الحجم حمراء اللون
وهي آخر اختراع في العلوم العسكرية الجديدة . واعتقاد
الاهالى بهذا الكذب الفاحش دليل على مقدار سذاجتهم
وسرعة تصديقهم وبساطة فطرتهم وقد اتخذ بودجيان هذه
الفرصة الطبيعية آلة لاستمالة سكان الاحدى عشرة قرية
المسكون منها مركز ساسون وكانوا يبلغون ثلاثة آلاف نسمة
تقريبا فتحصنوا في جبال انطون داغ بعد ان تسلحوا بالبنادق
المتكررة الطلقات الوارة اليهم من لوندرد و تفليس »
وكتب (الفيكونت دى كورسيون) في صحيفة ٧٢ وما

وبعد نشر هذه الحادثة في الجريدة المشار اليها بسنة
تقريبا وقعت فتنة بوادي تالورى (ساسون) واتضح ان
الحرك لها هو همبرسوم بويادجيان الذى تمكن من العودة
الى الاناضول بعد أن سمي نفسه مراديان ووطد رابطة
العلاقة بينه وبين الارمن البروتستانت فى ولايات بتليس
ووان وأنقره وأدرنه وكان ذلك الرجل يغرر بعقول ذوى
الاحلام الطائشة بدعوتهم الى حمل السلاح ومهاجمة المسلمين
ويعينهم بمساعدة انكارتاوتداخلها فى شؤونهم بالقوة الحربية
ولكى يموه عليهم بهذه الاكاذيب كان يبرز لهم خطابات
ادعى انها ااردة اليه من أكبر رجال السياسة فى نوندره .
دقد طبع منشورا فى هذا المعنى أرسله الى أعضاء الاكليسوس
الارمنى القس وهابديان رئيس أساقفة ادرنه سابقا وقد نشرته
فى شهر مارس سنة ١٨٩٥ أغلب الجرائد الفرنسية

وقد قال المستر اكرميس الذى سلف ايراد أقواله
مرارا فى أوائل هذه الرسالة ما يأتى : « ان الباحث على
حصول الاضطرابات المذكورة هو رجل اسمه بويادجيان

بنفس السرعة التي يتكلم بها اللغة الارمنية وهو من أفصح المدافعين عن مبدأ الثورة بان الحزب الثورى يأمل الاتيان بعمل يمهّد لاحدى الدول الاجنبية وسائل الدخول فى آسيا الصغرى والاستيلاء عليها . فلما سأله عن كيفية ذلك أجاب قائلاً : تألفت عصابات من المهتساكين فى جميع انحاء الدولة العلية وهى تترقب الفرص المناسبة لقتل الاكراد والترك واحراق قراهم ومساكنهم ثم تعتصم بعسدد بالجلال فينشأ عن ذلك وقتئذ ان المسلمين يتملكهم الغضب فينقضون على الارمن ويفتكون بهم فتكا ذريعاً تضطر معه احدى الدول الاجنبية الى التداخل فى أمور آسيا الصغرى والاستيلاء عليها باسم «الانسانية والتمدن المسيحى» . فقلت له ان هذا المشروع وحشى وفي أقصى درجات القسوة فأجابنى بكل سكينه : لا ريب فى أنه يبدو لك كما تقول وانكنتنا معشر الارمن قد وطنا النفس على نيل الحرية . فلقد تحركت عواطف أوروبا لفظائع بلغاريا فنحتها الحرية وهى لا بد أن يصل اليها نداؤنا فتمنحنا أيضاً هذا الامتياز»

في شرك المهيجين أما الذين ينشرون عن الطاعة ولا يأنثرون
بأوامر الحق فالتسوا العفو والصنح لاجلهم لدى الحكومة
باعتبار انكم المدافعون عن وحدة الصداقة الوطنية »

وهي عبارة غاية في الحكمة والصواب ولكن لم يكن
لها ذرة من التأثير على العقول تلقاء ما تنشره الجرائد الانكليزية
والارمنية التي تصدر بمدينة لوندرة من التحريض واثارة
الخواطر وشرح المواقع « التي فاز فيها الثائرون الارمن
بالانتصار على الجيوش المثمانية » الى غير ذلك مما أفضى الى
مذبحة ساسون التي تقشع الابدان من ذكرها

ومن الخطأ المبين أن يعتقد القارئ بمحصول هذه المذبحة
عفواً وجزافاً فلقد ثبت أن الانكليز هيؤها منذ زمن طويل
كما يتضح صراحة من تلاوة الشذرة الآتية المقتبسة من
جريدة (الكونجرى جاسيونالست) الصادرة في ٢٣ دسمبر
سنة ١٨٩٣ بمدينة بوسطن من أمريكا بقلم المستر هبروس هلمان
أحد المبعوثين البروتستانت وهي : « اكدي شاب من
الارمن ظهر عليه مخائل الذكاء والنباهة ويتكلم الانكليزية

الجرائد البروتستانتية على غيرها في انتهاج هذه الخطة وذلك ليكون طومايان وكايايان هما من الارمن الذين اعتنقوا الديانة البروتستانتية وبمجرد صدور الامر الكريم بتخفيف تلك العقوبات بادر كل منهما الى مبارحة بلده لانهما كانا من ضمن المحكوم عليهم بالاعدام . أما طومايان فقد ذهب مباشرة الى لوندرد حيث صار من أكبر أعضاء اللجنة الارمنية الثورية وأكثرهم نفوذاً وهو الذى كان الانكليز يعرضونه على الانظار فى المجتمعات وفى ادارات الجرائد بمثابة مثال من الامة التى وقع عليها الضغط والظلم من الحكومة العثمانية

وكان بطريق الارمن بالاستانة العلية فى هذه الاثناء يبعث بالمنشورات تباعا الى الاساقفة واكابر القسوس (مارس سنة ١٨٩٥) كي يحرضهم على منع الاجانب من التغيرير بالاهاالى الداخلين فى دائرة اختصاصهم الدينى وقد جاء بأحد تلك المنشورات ما يأتى :

» محضوا النصيح للطبقة الجاهلة من رعاياكم كي لا يقتبوا

مردیروس جریر المشهور باسم موروک شقیق همبرسوم
بویادجیان وتوضیحها أنه دعا الى الحضور بجهة بیک جملة من
الارمن وبعد ان وزع علیهم الاسلحة والنقود الواردة برسمهم
من انکلترا أمرهم بالاستعداد عند أقل اشارة لنهب القرى
التي یسکنها المسلمون وذبح هؤلاء وقد ارتكبوا جملة جرائم
بجهات مختلفة وعلى الخصوص فی قیصرية وكلها أفضت الى
القبض على المذنبین ومحاکمتهم بمحكمة أنقره التي صدر حکمها
بالاعدام على ١٧ من المتهمین وبالشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة
على ستة منهم وبها لمدة سبع سنوات على عشرة منهم وبرأت
ساحة ١٤ متهمًا ولكن أبت مکارم الحضرة الشاهانية الا
الشفقة على أولئك المذنبین اذ أصدر السلطان أمره الکریم
بإبدال عقاب الاعدام بالطرد من بلاد الدولة العلية . وبالرغم
عن هذه العواطف الکریمة التي قل أن تتوفر فی أمير من
أمراء أوروبا أو فی حكومة من حکوماتها فان الجرائد
الانکلیزیه أسرفت فی الطعن والسب فی مقام جلالته ولم
تدع نعتًا من النعوت القبیحة الا الصقته باسمه وامتازت

آسيا الصغرى وأوعزت اليهم تفريق منشورات يدعون فيها
الاهالى علناً الى الثورة والاضطراب وقد جعلوا مرسىوان
ميدان دسائسهم التى امتدت منها الى قيصرية ويوزجات
وتشورن وجمشخانه وعزيزيه وغيرها من الاماكن وقد توجه
رجل اسمه (اندون رشتونى) أحد أعضاء لجنة لوندريه الى
قيصريه لايقاط القتنة فيها فلما قبضت عليه الحكومة وجدت
معه منشورات ولوائح جمعية هنتشاك الثورية وطابع الجمعية
وفتشت الحكومة بارشاد أحد المجرمين فى كنيسة ديفونيك
القريبة من (قيصرية) فوجدت كمية وافرة من الاوراق
كان رشتونى السالف الذكر وضعها عند أحد القسوس ومن
مطالعة هذه الاوراق علم ان للشخصين المسميين طومايان
وكايايان الارمنيين البروتستانتين المعلمين فى مدرسة مرسىوان
البروتستانتية ضليعاً فى تلك الحوادث وانهما أسسا مطبعة سرية
فى داخل تلك المدرسة واستغرقا الوقت فى تعليم التلامذة
مبادئ الفوضى وقواعدها

أما حوادث يوزجات وقيصرية فكانت ثمرة دسائس

أرضروم في رسالة مهمة بتاريخ شهر مايو سنة ١٨٩١ أن حماية الدولة العلية شاملة للارمن والمسلمين بدرجة واحدة وأن لا تفاوت في الحرية الممنوحة للطرفين . الى أن قال : ولرجال الثورة في أرمينيا زعماء ترد لهم الاوامر من رؤسائهم بالاستانة العلية طبقاً لما يتوارد على هؤلاء من لوندرة من التعليمات الخصوصية المهيأة في نخل ادارة جريدة الدالي نيوز . وقال في الختام ولقد اندهشت من تماثل الحوادث وتشابه الوقائع في أرمينيا وكريد فالذين يدعون أنهم أصبحوا فريسة لظلم الدولة العلية واجحدافها بحقوقهم تراهم يتمتعون في كلا البلدين بامتيازات لم ينفز بها مواطنوهم المسلمون أقلها عدم دفع الضرائب والاعفاء من الخدمة العسكرية ولا يسعنا لقاء هذا التماثل سوى الحكيم بأن اليد التي أثارَت الفتنة في أحدهما هي التي أثارَتها في الآخر »

وكتب في صحيفة ٦٧ و ٦٨ ما تعريبه :

« أما اللجنة الارمنية الانكليزية في لوندرد فقد انتهزت

فرصة ذلك الانقلاب السياسي وبعثت بعض نصرائها الى

يوزجات وموش وتلورى

وعقب سفر بويادجيان استلم رئاسة اللجنة الهنتشاكية في الاستانة العلية شخص روسى الانتماء يدعى وارد برادر يكون ولكنه لم يلبث في الرئاسة زمنا طويلا حتى قبضت عليه الحكومة وقتشت منزله بحضور مندوب من قنصلية الروسيا الجنراية في دار السعادة واستولت على ماوجد فيه من الاوراق واللوائح والمنشورات المتعلقة باللجنة الهنتشاكية وبعد ان سجلت سفارة الروسيا عندها بيان هذه الاوراق وختمت عليها بطابعها أرسلت الى المحاكم النظامية لمحاكمة المتهمين قضائيا !

وبعد أن أتى حضرة الكاتب الفرنساوى بالدلائل البينة التي تثبت ارتكاب الارمن لاسفل الفظائع استشهد بأقوال بعض أمجاد الكتاب الاوروبيين على اختلاق الجرائد الانكليزية للاخبار الكاذبة ونشرها الخزعبلات عن أحوال تركيا فكتب في صحيفة (٦٤) من رسالته البديعة ما تعريبه :
« وكتب المسيو دانوسو الذى أمضى ثلاثة شهور ببلاد

بأنهم وكلاء اللجنة المنتشاة

وقتل الشائرون أيضاً أحد أغنياء المضاربين من بني
جلدتهم واسمه سيمون بك مكسود وقد قبضت الحكومة
على المجرمين وهم استبان أحد تجار الجواهرات وهمبرسوم
التهوجي وكاروك وتانيوس فاءترفوا صراحة بأنهم لم يأتوا
ذلك الجرم الا باغراء دكران أحد صناع الاحذية المنتظم
بصفة عضو في اللجنة الثورية . وقد حصل حديثاً (في ٢٦
يونيو سنة ١٨٩٥) ان اثنين من أعضاء تلك اللجنة تجاسرا
على قتل أرمني اسمه توتونجيان موظف في قلم المطبوعات
وقد تمكن كل من همبرسوم بويادجيان ومهران دماديان
من مغادرة الاستانة عقب تلك الحوادث التي تقشعروا من
ذكرها الابدان قاصدين مدينة جنيفه حيث كانت تنشر
وقتها جريدة هنتشاك التي نقلت فيما بعد الى مدينة أثينا
وقد تمكن بعدئذ بويادجيان بالتكر والتخفي من الدخول في
بلاد الاناضول حيث التقى باخيه مرديوس جراير المشهور
باسم مروق وبالاشتراك مع بعضهما أحدا الاضطراب في

حادثة (كوم قبو) التي حدثت قبل محاكمة الارمن بانقره وقبل اشتغال الرأى العام الاوروبى بالمسئلة الارمنية . ومن ضمن ما كتبه بشأن دسائس الارمن ما تعريبه :

« وقد تبين للقارىء ان الغرض من احداث الاضطرابات انما هو اثاره خواطر الارمن الذين كانوا ليوم وقوعها مخلصين الى السكينة راغبين عن مشاركة اللجنة الهنتشاكية فى أعمالها الثورية الخبيثة والانتقام ممن اشتهروا بتقبيح هذه الاعمال وتشنيعها . وعملا بهذا المبدأ قتلوا هتشاك افندى أحد معتبرى المحامين الارمن أمام محاكم الاستانة العلية وقد اعترف القاتل له وهو أرمنك الذى لا يتجاوز عمره ١٨ ربيعا ان همبرسوم بويادجيان رئيس اللجنة الهنتشاكية فى الاستانة العلية والمسبب الاصلى لواقعة كوم قبو قد أعطاه خمس ليرات عثمانية أجرة قتله لذلك الرجل المستقيم . وكثيرا ما كاد قسوس الكنيسة الارمنية والطريق أرشكيان نفسه يقعون فى مخالف الثورويين لولا اسعاف العناية الربانية لهم وتيقظ رجال الحفظ لحركات الاشقياء الذين قبحن على البعض منهم فاعترفوا صراحة

الحريق المملوءة بالبارود»

« المادة ٩ : يجب أن يكون لدى اللجنة واحد تنحصر اختصاصاته في غرس بذور الفتن وتحريض الضعفاء على الاقوياء حتى تعم الفتنة وينتشر الاضطراب ولايس لهذه الشخص أن يعمل الا بأوامر اللجنة وارشاداتها »

« المادة ١٠ : ينبغي ان يوجد حارس على الاسلحة موصوف بالنباهة والشهامة اذ لا يخفى ان هذه الوظيفة أهم الوظائف وأخطرها والواجبات التي ينبغي عليه مراعاتها هي العناية بحراسة الاسلحة والخرطوش والبارود وعدم اطلاع أحد علي مكانها ويجب ان يكون بين يديه دفتر ليسهل بواسطته عمل المراقبة كل ثلاثة او أربعة شهور كما يجب أيضا ان لا يوضع مكان الاسلحة والذخائر على أكثر من مسيرة ساعتين أو ثلاث من المدينة وأن تكون العناية بحراستها شديدة جداً كي لا تقع بين أيدي الحكومة »

وقد أفاض (الفيكونت دي كورسون) في رسالته الفريدة في الكلام على دسائس الارمن وفضائلهم وتكلم عن

يكون تحت ادارته عشرة جواسيس ينتخبون من أصدق رجال الجمعية ليقوموا باخبارها أولا بأول بما يكتنفها من المخاطر وعليهم أن يدخلوا في كل مكان متكررين بحيث يكون زى التنكر للواحد منهم مختلفا عنه للآخر ويهيئوا مشروعاتهم في الخفاء وتكون المداولات المختصة بهم منحصرة بين اللجنة وبين رئيسهم « وتقضى المادة السابعة بتعيين خطباء يخطبون بين الجمهور لحضهم على الثورة والاضطراب . أما المادة الثامنة فإليك نصها : « يجب ان يكون لكل لجنة منفذ يكون تحت امرته جماعة من المساعدين ، الواجب المفروض على هذا المنفذ وعلى مساعديه أن يقوموا باعدام من ترى فيهم اللجنة أنهم يضررون بها سواء كانوا من الحزب أو من الاجانب وذلك متى صدر قرار اللجنة قاضيا باتخاذ هاته الوسيلة . وانواع العقاب ثلاثة التوبيخ والضرب بالعصي والاعدام وهذا النوع الاخير ينفذ اما بالخنجر أو بالرifle واما بالخنق واما بالسم . ولاجل نسف المنازل والمباني على العموم يجب استعمال : أولا القنابل الديناميتية ثانيا . الديناميت السائل . ثالثا . قنابل

الاول منهما عنوانه « التيار الجديد » والثاني « خطاب مفتوح »
يقع نظر القارئ فيها بالصفحة ١٩ على ما يأتي :

« من الواضح قبل كل شيء اننا فوضيون وان لنا
رغبة وطيدة مبينة في لوأحنا ألا وهي نشر مبادئ الفوضى
في بلاد الاناضول. هذا هو الغرض الاساسي وللوصول اليه
قد عقدنا العناصر على انشاء حكومة وطنية مستقلة في تلك
البلاد وأحداث الاضطراب بلا توان ولا امهال للحصول على
الحرية السياسية الواسعة النطاق »

وقد أورد هذا الكاتب الجليل مواد لأئحة الجمعية
المنتشاة واننا نأتى على ترجمة بعضها :

المادة ٦ هي : من الغرابة بمكان وهذا نصها « يجب
على كل لجنة أن تعين رئيسا للجواسيس من بين أعضائها على
شرط ان يكون من موظفي الحكومة أو تكون له رابطة
وعلاقة بموظف أرمني في الحكومة ليتمكن من نقل اسرارها
ونياتها الى اللجنة ويشترط في تعيين ذلك الرئيس ان يكون
من ذوي الشهامة والقدرة على كتمان الاسرار . وينبغي ان

وقد سميت هذه الجمعية باسم هنتشاك ونيط بها انشاء جريدة بهذا العنوان عهد بادارتها وحريرها الى نزار بكيان ليرن الذي كلف بالعودة الى مدينة جنيف (جنبرة) حيث ابتداء في نشر هذه الوريقة الثورية . وبعد مدة طائلة نقل ادارة الجريدة الى مدينة أثينا لكي تتوفر لديه الطرق والوسائل اللازمة لادخالها في البلاد العثمانية بالنظر لقرب تلك المدينة منها غير أن الحكومة اليونانية لم تستطع بقاء جريدة فاسدة المبادئ في بلادها وتحت حمايتها فطردت محررها وأربابها الذين هاجروا عاصمة اليونان قاصدين مدينة لوندرد ولا يزالون فيها الى اليوم ينشرون تلك الصحيفة الثورية

ولكي يقف القارىء وقوفاً تاماً على الغرض الذي يسعى أعضاء لجنة هنتشاك لئيله لا نرى بداً من ترجمة بعض لوائحهم ومنشوراتهم ترجمة حرفية نراعي فيها مطابقة الاصل من جميع وجوهه وللقارىء أن يستنتج من خلال معانيها ما يلائم الصدق من الاحكام الصائبة فنقول : نشرت لجنة هنتشاك في سنة ١٨٨٩ بمدينة لوندرد رسالة قسمتها شطرين

واللورد كبرلى « وزير خارجية انكلترا » والسر هاتير والمستر
شفون والسر سيتول والسر جون كينافاى والمستر شانغ
وجميعهم من أعضاء مجلس البرلمان والمستر ستين غلادستون
مدير مدرسة هواردن والقس ما كول والمستر جون
كليفورد الخ الخ

ولا حاجة الى اعادة القول فى هذا انتقام بان المـسـتـر
غلادستون المشهور بحقده الزمن على تركيا وضعفه للاتراك
هو المدير الاعظم للحركة الارمنية وأنه لم يدع فرصة تموت
بدون أن يجاهر فيها بعداوته للدولة العلية وتحريض الجمهور
على كراهتها والسعي فى هدم أركانها »
وأوضح الكاتب السالف الذكر تاريخ اللجنة الارمنية
الثورية المهنتسا كية فقال :

« وفى سنة ١٨٨٧ شكل الفوضويون من الارمن وهم
روبنها اسديان الملقب بكمبور ونيشان مجاوريان وهماياك
كوشبازيان جمعية سرية منسوجة على منوال الجمعيات العمومية
الروسية (نهلست) جعلوا مقرها حارة هفلبان بمدينة تفليس

نجحت بين الارمن وبلغ عدد الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتي من هؤلاء أكثر من ٦٠٠٠٠ نفس وقد استعمل القسوس للوصول الى هذه الغاية الفريدة وسائل وأساليب غريبة منها أنهم كانوا يغرون الارمن بقولهم انكم اذا اعتنقتم هذا الدين شملتكم الحماية الانكليزية التي تمتد بلا مرء على جميع الامم البروتستانتية وأمكنكم حينئذ أن تهزؤوا بموظفي الحكومة العثمانية اذا حاولوا تشديد الوطأة عليكم وتخلصوا من دفع الضرائب والرسوم الفادحة التي أثقل بها كاهلكم

وقد أتى الكاتب على أسماء اللجنة الانكليزية التي شكلت لمساعدة الارمن حيث قال :

« ونذكر من الانكليز الذين شددوا أزر هؤلاء الاخلاط وعاونوهم على نيل مطامعهم المسترسفينسون أحد أعضاء البرلمان ورئيس اللجنة الارمنية الانكليزية والمستتر اتكين أمين صندوق اللجنة والمستتر برايس أحد أعضاء البرلمان ووكيل احدى الوزارات في وزارة المسترغلاستون والدوق درجيل والدوق دي وستمنستر واللورد روندل

ميليكوف) و(تكران باشا) و(بوغوص) باشا وكان نوبار باشا .
عائدا وقتئذ من لوندرد حيث تهاطلت عليه الوعود من
أصدقائه الانكليز بتعاونته وشد أزده في مشروع انتقاذ البلاد
الارمنية من الاحكام العثمانية الصارمة فقرروا بينهم ارسال
جماعة ممن لاشأن لهم سوى اثارة الخواطر وغرس بذور
التفتن ورفع لواء العصيان والاضطراب الى بلاد الاناضول
وأوعزوا اليهم أن لا يتوانوا عن السلوك في هذا المسلك حتى
تضطرب الاحوال ويختل نظام الامن وتجد الدولة البريطانية
فرصة للتدخل بحجة المراقبة والاشراف على تنفيذ مضمون
المادة الحادية والستين من عهدة برلين . وتم الاتفاق أيضاً
على أن الجرائد الانكليزية في لوندرد والمبعوثين البروتستانت
في أرمينيا والون زعماء هذا الاضطراب بالمساعدة والتعاضيد
مبالغة في الخس وزيادة في التشييط

ولمناسبة ذكر المبعوثين البرتستانت، نقول ان المرسلين
الدينين في البلاد التي يخزقونها أو يقيمون فيها هم رواد التدابير
السياسية والمهدون للدسائس القنصلية ولهذا ترى أن مساعيهم

العهد البرلينية وهذا نصه « يتعهد الباب العالي بأن يجري
بلا ابطاء ولا تأخير التعديلات والاصلاحات التي تستلزمها
الحاجات المكانية والضرورات المحلية في الاقاليم والولايات
التي يسكنها الارمن وبأن يكفل لهم الارمن الطمانية من
الجراسية والكرد. ويتعهد كذلك بأن يوافي الدول من
وقت الى آخر بما يتخذ من الوسائل اللازمة لذلك كي تراقب
تنفيذها »

والتأمل في ظاهر هذه المادة يجده مناقضا لما كان يحتاج
صدور (نوبار باشا) واصحابه الانكليز من الاماني والآمل
ولكن الدولة الانكليزية تمكنت بواسطة هذه المادة من
احتلالها القطر المصري ومن الحصول على جزيرة قبرص ومن
التدخل في شؤون آسيا الصغرى

ولقد نشر الماحور (عثمان بك) في جريدة غازت
مورنيخ العمومية مقالة شائقة أفاض فيها اللثام عن أسرار
الاجتماعات التي حصلت في شهر سبتمبر سنة ١٨٨٧ بمدينة
جنيف « جنبره » قاعدة بلاد سويسره بن (نوبار) باشا (لوريس

فيه شيئا فشيئا بالرغم عن أميال سمو الخديو الشاب وعواطفه
الوطنية

ومما لا بد من تذكير القارئ الكريم به هو أن بين
المسئلة المصرية والمسئلة الارمنية علاقة أكيدة ورابطة وثيقة
تاه عنها كتاب الجرائد الاوروبية ورجال السياسة فان (نوبار
باشا) طامح الى الجلوس على منصة الامارة الارمنية الموهومة
وقد اتخذ الانكاز هذا الطموح وسيلة لبلوغ مرادهم من وضع
البلاد المصرية تحت حماية دولتهم وليست الحوادث الاخيرة التي
كانت بلاد الاناضول ميدانا لها الاحزابا كشيئا يستمر مقاصد
الانكاز من الاستئثار بالسلطة في وادي النيل ويخفى مساعيهم
ودسائسهم المقصود بها وضع هذا الوادي في طي أملاكهم
الشاسعة الاطراف

وقد شعر المؤتمر البرليني بما كان يحاول الحزب الارمني
الحصول عليه منه ألا وهو الاقرار بتعيين (نوبار) حاكما
عاما على أرمينيا فاحترز أعضاؤه من الوقوع في حبال ذلك
الحزب بتحريض ما كان موضوعا للمادة الحادية والستين من

عن أذهان القراء الواقفين على ما وقع من الحوادث أثناء انعقاد مؤتمر برلين أن مندوبي الكنيسة الارمنية عرضا على نواب الدول في هذا المؤتمر بارشاد والهام (نوبار باشا) مشروعا يؤخذ من مغزاة طلب تعيين « حاكم عام أرمني » لبلاد أرمينيا أى للولايات السبع التى سبق بيان أسماها وتحديد شروط تعيين الموظفين فيها وانتخاب المجالس العمومية وتشكيل عساكر الجندرمة الى غير ذلك من المطالب التى تعتبر كافلة لاستقلال أرمينيا استقلالاً مطلقا وبعبارة أخرى لجعل ٣٧٠.٠٠٠ نفس من المسلمين تحت سيطرة ٨٠.٠٠٠ أرمني مسيحي . أما الحاكم العام الذى كان يريد المندوبان الارمنيان تعيينه فهو كما يتبادر لذهن القارئ « نوبار باشا » الذى كان يمينه الانكايز بتغيير لقبه وتحويله من حاكم عام الى والى أوأمير (برنس) وهذا هو السر فى كونه لبث نحو ستة عشر عاما يوا الى الانكايز بخدماته ومساعدته ويجعل نفسه آلة لهم يستعينون به على قضاء ما ربههم ونيل أغراضهم فى البلاد المشرقية وكونه وضع القطر المصرى فى قبضتهم وساعدتهم على الاستئثار بالسلطة والاحكام

فتكون نسبة المسيحيين اليه هي ٤ الى ١٥ ليس الا والارمن
نصف هؤلاء فتكون نسبتهم الى عدد الاهالى السكلي كنسبة
٢ الى ١٥

فكيف يمكن والحالة هذه انشاء مملكة أرمنية يكاد
العنصر الارمنى فيها أى الذى سيقبض على أزمة الوظائف
فى الحكومة لا يوازي الثمن من مجموع عدد الاهالى . لا
ريب ولا شك فى أنه اذا تحققت أمانى القائلين بانشاء تلك
المملكة تمزقت أحشائها وتكسرت ضلوعها بتواتر المنازعات
اللية والحروب الاهلية . والا فكيف يتصور عاقل منصف
أن الامن يكون سائداً والطمأنينة موطدة الدعائم فى فرنسا
مثلا اذا كان لا يوجد فيها من الفرنسيين سوى ستة ملايين
ومن الالمانيين والانكليز الذين هم أشد أعداء فرنسا لدادة
وخصومة نحو ٣٠ مليوناً

يؤخذ بالبداهة مما سبق بيانه أن مسألة انشاء مملكة
أرمنية يقوم بأمرها أحد أبناء البلاد هي أمنية برقشها
الانكليز بألوان تجذب قلوب الارمنيين اليهم . وليس يبرح

مسلمون ٣٧٣٣٧٥٠

أرمن غريغوريانيين ٨٤٧٧١٠

بروتستانت ٦٠٧٣٤

كاثوليك ٥٨٤٧١

يونان ارتودوكس ٣٥٢٥١٢

متحدون ٣٨٠

نسطوريون ٩٢٠٠٠

كلدانيون ٤١٤٤٠

يعقوبيون ٥١٢٩٨

سوريون ٩٩٨٠

يزيديون ٩٤٦٢

اقياط ٣٧٢

مجموع المسلمين ٣٧٣٣٧٥٩

أرباب الديانات الأخرى ١٤٩٧٣٥٩

أى أن نسبة مجموع المسلمين في الولايات السبع السالفة

لذكر الى عدد الأهالى الكلى كنسبة ١١ الى ١٥ وعليه

٢٤٥٦٩٠	٩٩٥٠	١٣٤٠٦٠	٥٠٠٧٨٠	ارض ورم
١٠٨٨٠٠٠	٨٩٠٠٠	٩٨٠٠	٩٨٩٢٠٠	قونيا
٥٧٥١١٠	٦٥٠	٦٩٠٢٠	٥٥٤٤٠	معمرة العزيز
٣٠٠٢٨٠	٥١٩٥٠	—	٢٤٨٣٨٠	الموصل
١٠٨٦٠٠٠	٧٦٠٦٠	١٧٠٤٣٠	٨٣٩٥١٠	سيواس
١٠٤٧٧٠٠	١٩٣٨٠٠	٤٧٢٠٠	٨٠٦٧٠	طربزون
٤٣٠٠٠٠	١٠٩٠٠٠	٨٠٠٠٠	٢٤١٠٠٠	وان
٨٣٣٤٩٠٠	٦٤٤٩٨٠	٩٦٣٠٠٠	٦٤٢٧٢٢٠	المجموع

وقدر المستر اكرز منيس عدد الاكراد الحقيقيين
 ١٦٤:٨٦٠ فيكون مجموع المسلمين في الولايات الاثنتي عشرة غير
 الاكراد ٤٧٨٢٣٦٠ والاكراد وخدمهم ١٦٢:٨٦٠ والارمن من
 غريغوريانيين وكاثوليك وبروتستانت ٩٦٢٠٠٠ والاقوام
 الاخر من يونانيين ولاتين وكلدانيين واقباط ويزيدية
 ٩٢٤٠٨٠

أما في الولايات السبعة وهي طربزون وسيواس وارض ورم
 وأنقردو وان وديار بكر وبتليس التي تأمل الجرائد الانكليزية
 تأليف المملكة الارمنية منها فيبلغ عدد سكانها كما يأتي:

تناقص النسل وعدم الناهل لتولى الوظائف والمناصب في الحكومة »

وأثبت الكاتب كذلك بالبرهان الدامغ والحجة القاطعة أنه يستحيل تشكيل مملكة أرمنية. وقال في هذا الصدد ما تعريبه :
« أيجهل الانكايي الذين تداخلوا في المسئلة الشرقية وقالوا بضرورة انشاء مملكة أرمنية تكون بلا شك تحت رعايتهم وفي ظل حمايتهم أن الكراد هم بلا جدال ولا ارتياب أصحاب البلاد بالنظر لكونهم أكثر عدداً من جميع الامم التي تعيش فيها . وهذه احصائية صريحة لسكان الولايات الاثني عشر التي يسكنها الارمنيون والاكراذ منقولة عن كتاب (تركية آسيا) للمسيو (فيتال كينييه)

مسلمون	أرمن	غيرهم	المجموع	
١٥٨٠٠٠	٩٧٤٥٠	٧٤٩١٨٠	٤٠٣٤٣٠	طنه
٧٩٢٤٥٠	٤٩٠٣٠	١٥٤٢٧٠	٩٩٥٧٥٠	حلب
٧٦٣١٢٠	٩٤٢٩٠	٣٥٤٦٣	٨٩٢٨٧٠	أنقره
٢٥٤٠٠٠	١٣١٣٩٠	١٣٢٣٠	٣٩٨٦٢٠	بتليس
٣٢٨٦٤٠	٧٩١٣٠	٦٣٦٨٠	٤٧١٤٥٠	ديار بكر

ارتقاء العمران »

وقد أبان (الفيكونت دى كورسون) ان المسيحيين فى الدولة العلية ممتعون بجميع الحقوق التى يتمتع بها المسلمون وأنهم ممتازون عنهم بعدم دخول العسكرية . ومما كتبه فى هذا الموضوع قوله :

« تقضى قوانين الحكومة التركية ونظاماتها العمومية على التركى المسلم بمهاجرة بيته ومفارقة أهله وخلانه للانتظام فى سلك العسكرية حيث يلبث ضمن العاملين فى الجيش ست سنوات متوالية وثمان سنوات فى الجيش الاحتياطى ريثما يكون صاحبه أو رفيقه أو جاره الارمنى أثناء كل تلك السنوات متمتعاً بحريته المطلقة قائماً بأعماله المعيشية عاملاً على ترقية نفسه فى سلم الهيئة الاجتماعية لانه يكون قد أعفى من المدخول فى الجيش بدفع بدل نقدى طفيف لا يجوز للمسلم أن يفدى نفسه به ولا بأمثاله أضعاف الاضعاف

وبديهي أن هذا الامتياز الممنوح للمسيحيين دون غيرهم من الاهالى قد ألحق بالمسلمين أضراراً كثيرة أقبحها

واعتبروها عدوتهم الحقيقية التي ألقت بهم في مهواة الهلاك
وكتب بهذا الشأن في صحيفة (١٢) :

« واننا لم نكلف خواطرننا ابراز الحقائق من مكامنها
الا اشفاقا بأرمني الاقاليم الآسيوية الذين أذعنوا لايعاز
الاجنبى لهم بشق عصا الطاعة فسببوا بذلك ضياع حياة
الكثيرين منهم وانتشار الفقر والفاقة في جميع أنحاء البلاد
الارمنية واستيلاء الوسواس والقلق على قلوب الافراد
وعقولهم . وفى يقيننا أن العقلاء منهم أخذوا الآن يعضون
على الاصابع ندما على ما فرطوا فيه ويسخطون على الذين
بتغرياتهم الخبيثة كانوا سبب وقوعهم فى هاوية لا قرار لها
وما ذلك الا ليكون أولئك العقلاء يعلمون علم اليقين أن
دعوة الحكومة العثمانية لاصلاح شؤون الارمن وترتيب
أحوالهم لا تكون بالقيام عليها وتمهيد الطريق لتداخل
الاجنبى فى أمورها الداخلية كما يعلمون أن الثورة تستدعى
الحكومة الى اتخاذ انوسائل اللازمة لقمعها وهو ما يستغرق
زمننا طويلا يمكن اعتباره عقبة فى طريق التقدم وحائلا دون

في هذا الموضوع وثابروا على هذا العمل مدة طويلة ثم أمعنا النظر فيه وضاهينا بين أجزائه فظهر لنا من المناقشات بين أقوال الجريدة الواحدة ومن الاختلاقات الواضحة ما يدع القارئ في ذهول واستغراب. مثال ذلك أن بعض الجرائد كانت ترثي لحال الأرمن وتصف مانابهم من الذل والهوان وما حاق بهم من المصائب والنوائب بعبارة يضطرب لها ذوو الشفقة والحنان ثم تورد عقب هذا الوصف أشعاراً حماسية قديمة هي عين الذي نشر حينما استقلت بلاد اليونان إثارة للخواطر وتهيجاً للنفوس. أما الجرائد الأخرى وفي مقدمة جريدة (الغلوب) فكانت تنسب إلى زميلاتها الغش وتضليل الرأي العام بما تنشره من الأكاذيب بشأن المسئلة الأرمنية وقد قالت في بعض أعدادها الصادرة في شهر يناير سنة ١٨٩٥ بالحرف الواحد ما يأتي :

« ان الفضائع التي اسند الى الأتراك اقترافها ضد الأرمن هي أكبر ما غشت به الجرائد الانكليزية الرأي العام الانكليزي »
وأثبت الكاتب أن عقلاء الأرمن سخطوا على انكلترا

أوضح الكاتب في أول رسالته أن الجرائد الانكليزية كانت تتنبأ بكل الحوادث الارمنية وقال في صحيفة (٦) بهذا الصدد: « والواقف على مسألة الارمن بخدافيرها يتحقق لديه أنه ما من حادثة وقعت في البلاد التي اصطلح الانكليز على تسميتها بآرمينيا الا وتكون الجرائد الانكليزية في لندره قد أنبأت بها قبل حدوثها بزمن طويل جداً فتراها تبين لقراءها نوع الحادثة التي ستقع ومكان وتاريخ وقوعها كما فعلت في حادثة وادي (تالوري) ولا يجدر بالعاقل أن يتخذ هذا الانباء بالمستقبل ضرباً من ضروب التبصر الذي امتازت به الجرائد الانكليزية بل لا بد أن يذهب في تفسير معمار الى ما فسر به من قال ان الثورة الارمنية أشبه شيء بخيانة جهازها الانكليز في مجتمعاتهم السياسية وأخذوا في تصديرها حسب الطلبات الى جهات معلومة »

واستدل الكاتب على كذب الجرائد الانكليزية بأقوال بعضها حيث كتب في صحيفة (١٠) : « ولقد اعتنينا اعتناء تاماً بجمع مانشرته الجرائد المشار اليها

من معاهدة برلين ؟ ألا يعلم المستر (غلادستون) انه يجب على انكلترا أن تحترم وعودها وعهودها قبل أن تطالب ؟ الحكومات الاخرى باحترام مادة من مواد معاهدة دولية ؟ أو ليس رفض المستر (غلادستون) قبول المدافعة عن مصر والمطالبة بالجلاء عنها بمثابة اعلان لتعضبه ضد الدولة العلية وضد المسلمين ؟ ألا يدل هذا الجواب الذي بعث به الى المستر (غلادستون) دلالة صريحة على أن سواس بريطانيا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ؟

ان تعصب المستر (غلادستون) وأصحابه ضد الدولة العلية وضد المسلمين واضح لا ريب فيه . وقد أظهره لاوروبا بعض الكتاب المنصفين . ولكن أجدر هؤلاء الكتاب بالذكر هو (الفيكونت دي كورسون) الفرنسي فانه وضع رسالة (١) أبان فيها دسائس الانكليز في المسئلة الارمنية وأعمال ثوار الارمن وفضائعهم . وانا نقتطف من هذه الرسالة الجليلة بعض شذرات للاستشهاد بها في هذا المقام :

(١) وقد عني بتعريفها حضرة الفاضل محمد افندي مسعود

انكلترا على مسمع من سواس بريطانيا وكتابها لتذكير بني
قومه بضرورة الجلاء عن مصر والوفاء بالوعد واحترام
شرف جلالة الملكة وشرف التاج الانكليزي فاجابني المستر
(غلاستون) بجواب مدهش للغاية وهو «انى نصير للجلاء
عن مصر ولكني لا أستطيع التداخل فى مسئلتها لاني لاسلطة
لى فى بلادى ولست الا أحد أبنائها الخصوصيين »

فكيف يدعى المستر غلاستون انه عديم السلطة فى بلاده
عند ما يطالب بالدفاع عن المصريين وبمطالبة انكلترا بالجلاء
عن مصر وهو بعينه المثير لعواطف الانكليز ضد الدولة العلية
وضد المسلمين ؟ أ يكون قوى السلطة على الصوت فى مسألة
الارمن وعديم السلطة خافت الصوت فى مسألة مصر ؟ أين
اذن صدق المستر (غلاستون) فى قوله انه « مستعد للدفاع
عن المسلمين اذا رآهم فى حاجة للدفاع عنهم » ؟ أوليس الواجب
على المستر (غلاستون) ان يذكر حكومة بلاده بوجوب
احترام التعهدات العلنية الصريحة والمعاهدات الدولية المختصة
بمصر قبل ان يطالب الحكومة العثمانية باحترام المادة (٦١)

ومن اكبر الدلائل على تعصب الانكليز ضد الدولة
العلية وضد الاسلام ان المستر (غلاستون) زعيم حزب
الاحرار في انكلترا قام نصيرا للارمن وطعن على صاحب
الخلافة الاسلامية الطعن المر وأتهمه بأنه هو السافك لدماء
الارمن الآمر بقتلهم وبالفك بهم وكان في كل خطاباته
يعلم بصوته الرنان انه لا ينتصر للارمن بصفتهم مسيحيين
بل انه ينتصر لهم بصفتهم من النوع الانساني ويصرح جهارا
بأنه يخطب في صالح المسلمين اذا لم ينصف المسيحيون المسلمين
في بقعة من بقاع العالم . ولما كان بعض السذج من المسلمين
الذين يعجبون بكل شيء في أوروبا حتى بسياسة دولها ضد
العثمانيين وضد المسلمين يظنون ان المستر (غلاستون) صادق
في دعواه فقد كتبت الى هذا السياسي الانكليزي العظيم في
صيف عام ١٨٩٦ كتابا ذكرته فيه بأنه كتب لي في يناير عام ١٨٩٦
نفسه « ان زمن الجلاء عن مصر قد وافي منذ سنين » وبأنه
صرح في كل خطاباته بأنه مستعد لمساعدة المسلمين وللدفاع
عنهم اذا رآهم في حاجة لمساعدته ولدفاعه وسأله القاء خطبة في

في الشرق

ولم تكن حركة الخواطر في انكلترا بشأن الارمن الا
حركة سياسية وحركة دينية في آن واحد . فرجال السياسة
كانوا يؤملون الوصول بالثورة الارمنية الى هدم المملكة
العثمانية والاستيلاء بصفة نهائية على مصر بلاد العرب . وبما
انه كان يستحيل عليهم أن يفهموا العامة من قومهم هذه الغاية
البعيدة فقد هاجوا خواطر الشعب الانكليزي بعوامل
الدين . فكنت ترى الكنائس ميدانا لاعداء تركيا واعداء
الاسلام وكانت منابرها مهبطاً لاذن الشائم الموجهة للدين
الحنيفي وخليفة المسلمين وكان رجال الدين البروتستانت من
أكبر العاملين على هياج الافكار في مسألة الارمن وكانت
أغلب المجتمعات التي تعقد لمساعدة الارمن تعقد تحت رئاستهم
حتى انه كان يخيل للانسان ان الامة الانكليزية بسواسها
ورجال دينها ليست من أُمم القرن التاسع عشر بل أمة من
أُمم المسيحية أيام الحروب الصليبية بعثت لتذكير المسيحيين
بوجوب معاداة المسلمين ومطاردتهم



ما ارتفعت نيران الثورة الارمنية وقام الارمن باظهار
تمرات تدبيراتهم وتمرات التفتينات الانكليزية حتى هبت
الجرائد البريطانية موجهة الى الدولة العثمانية سهام الشتائم
والقبائح طاعنة على جلالة الخليفة الاعظم الطعن السافل
البذئ مدعية كذبا ان جلالة الخليفة هو الموعر للاكراد
بالفتك بالارمن وقتلهم هم ونساءهم وأطفالهم. وهي أ كذوبة
لم ير التاريخ لها مثيلا . فان كتاب الانكليز الذين كانوا
يسطرون هذه الشتائم والمطاعن الساقطة كانوا يملكون حق
العلم ان رجال السياسة البريطانية هم الموغزون للارمن بالثورة
وان الارمن هم المعتدون . وفي أغلب الاحيان كان كتاب
الانكليز الذين يطعنون على الدولة العلية وسلطانها الاعظم هم
أنفسهم من الموغزين للارمن بالثورة ومن المحرضين لهم على
الاسترسال في شق عصا الطاعة والعصيان. وهي رواية غريبة
في بابها يجب على التاريخ أن يدونها بغاية الاعتناء ليعرف
الاعقاب كيف تخدم انكلترا الانسانية وكيف تحمي المسيحيين

لغيرهم من الاشرار والمفسدين . ولا يحقيق المكر السيئ
الا بأهله

وقد تلمظ جلالة السلطان الاعظم وعفا عن بعض
المجرمين وعدل الحسك على الاخرين فكان ذلك منه منتهى
الرحمة والاحسان ودليلا ساطعا على ان خليفة المسلمين
رؤوف بكل رعاياه على السواء لا كما يدعيه كتاب الانكايـز
وخطباؤهم زورا وبهتانا

وان في قضية (انقره) لموعظة كبرى لسائر المسلمين فهي
تبين مقدار عداوة الانكايـز للدولة العلية وللإسلام وتظهر
خبائا السياسة البريطانية وتكشف النقاب عن حقيقة الصداقة
الزعومة التي كانت تتظاهر بها انكلترا نحو الاتراك والمسلمين
فلم يبق بعد هذه القضية الشهيرة شك ولا ريب في ان
الانكايـز يعملون على تدمير المملكة العثمانية واثارة عواطف
المسيحيين في كل بقاع الارض ضد المسلمين أى انهم يعملون
لارجاع أزمان الحروب الصليبية فليتذكر من يريد أن يتذكر
من بنى الدولة العلية ومن بنى الإسلام

والعدل محافظون مثل بقية الرعايا العثمانية المخلصة على وطنيتهم
وحريتهم الدينية وآدابهم ولغاتهم وظلموا كل هذه القرون لم
يتعرض لهم أحد بسوء إلا لآخلاقهم ولا لحيثياتهم المدنية ولا
لاموالهم ولهم في كافة الولايات والمدن والنواحي كنائس كبرى
شائقة شاهقة ومدارس عليا أهلة عامرة ومجالس روحانية
حرة . فنحن بغاية الاسف نرى أشخاصا منهم ينصاعون
للتأثيرات الشيطانية التي يلقها عليهم أعداء المملكة فيرتكبون
من وقت الى آخر وفي كثير من الجهات والنواحي جرائم
لا توافق شروط الامانة والصدقة

وهذه الاعمال الفظيعة التي يراها الرأي العام منافية
للانسانية وشرعية المروءة ومن نتائج الكفران بالنعم ونكران
الجميل استوجبت بالطبع تنبه الحكومة الشاهانية وتكدر
جلالة السلطان الاعظم وأثارت عواطف الاسف والحزن
بل والحجل عند جميع العقلاء من طائفة الارمن «
وقد صدرت على المجرمين أحكام مختلفة فحكم على أحدهما
بالاعدام وحكم على البعض الآخر بالسجن . وصاروا عبرة

صبغ الخيول وتغيير ألوانها ثم يبيعونها بعد ذلك وانهم كانوا يهددون من لا يريد الانخراط في سلك جمعياتهم بالقتل وكانوا يقتلون كل من يفشى أسرارهم

وأثبت التحقيق جلياً ان ثوار الارمن كانوا ينشرون في انحاء المملكة العثمانية اعلانات باسم المسلمين تحرض الامة على اشهار العداوة لجلالة السلطان الاعظم والمناداة بخنعه . وقد عثر المحققون في هذه القضية المهمة على نصوص هذه الاعلانات مطبوعة في جريدة (هنتشك) الارمنية التي تطبع في لوندرة وقد جرت المرافعات في هذه القضية أمام محكم أنقره وأظهر حضرة المفضل محمد عارف بك المدعي العمومي بأجلى بيان أن الحرك لهذه الفتنة هم أعداء الدولة العلية وأنه يجب القصاص من هؤلاء الشوار المجرمين الذين خانوا عهد الدولة العلية والوطن . ومن أصدق العبارات التي قالها في مرافعته قوله : « ان رعايا جلالة مولانا السلطان من الارمن الذين هم من مدة ستمائة سنة مغمورون في بحار تفضلات الدولة العلية واحساناتها والذين هم برعاية مولانا العادل ممتعون بالراحة

كالمستر غلادستون شجع سرّاً بكتابات خصوصية بعض رجال الدين من الارمن على الثورة واحداث القلاقل في تركيا ووعدهم بمساعدة انكثرا وتعزيدها وتشكيل امارة أرمنية مستقلة

وأبان التحقيق كذلك أن ثوار الارمن كانوا يخطبون في جمعياتهم السرية ضد الدولة العلية ويحرضون سفلة قومهم على السلب والنهب وقطع الطريق وارتكاب الفظائع والجرائم حتى تعتقد أوروبا ان الارمن أمة حية وتعمل لاجراجها من تحت سلطة الدولة العلية . وأبان التحقيق أيضا انهم كانوا متفقيين على رموز واشارات للتعارف بها كرفع الشوارب ومس الآذان وتغطية الوجه وما شا كل ذلك وانهم كانوا يتزيون بنزى الاتراك والاكراد والجرأكسة ويفتكون بالمسلمين وبيعض الارمن أنفسهم لتشجيع الجرائد في أوروبا ان المسلمين متعصبون وأن الارمن يقاسون العذاب اشكالا وألوانا . واتضح من التحقيق أن ثوار الارمن كانوا يسرقون الخيول ويسلمونها لراهب اسمه (دانيال) اشتهر بالمهارة الفائقة في

رجال البوليس العثماني على بعض المبعوثين الامريكان
البروتستانت الذين كانوا يشتركون مع الارمن في تدبير
الدسائس فاحتج سفير الولايات المتحدة على القبض عليهم
وطلب الافراج عنهم فتعطفت الحضرة السلطانية وسمحت
له بارسال مندوب من قبله للتحقيق في أما كن الواقعة فساfer
المندوب ولما عاد قدم تقريراً قال فيه ان التحقيقات التي
أجراها الحكام العثمانيون منطبقة على العدل وان الذين قبض
عليهم من مبعوثي البروتستانت لا يستحقون المساعدة
ولا الرأفة

وقد أبان التحقيق في قضية ثوار الارمن أمام محاكم
(أنقره) أنهم كانوا يجمعون الاموال باسم المستشفيات المراد
انشاؤها وكانوا ينفقونها على شراء الاسلحة ونشر الافكار
الثورية وترويجها بين سفلة الارمن وان رجال الدين من
الارمن والرهبان كانوا يساعدونهم ويسكنون بعضهم في
الكنائس وان مدينة (مرسيوان) جعلت مركزاً لكبر جمعية.
واستدل من التحقيق على ان بعض رجال السياسة الانكليزية

وفي التجارة والصناعة الشأن الاول تشور ضد الدولة العلية هذه الدولة العادلة المعتدلة التي أراد أحد ملوكها اجبار المسيحيين على اعتناق الدين الاسلامي فعارضه العلامة أبو السعود وأرجعه عن عزمه . هذه الدولة التي تركت للأرمن وغيرهم حرية دياناتهم وتقاليدهم واحترمت رجال دياناتهم كعلماء المسلمين

ولما جرت محاكمة ثوار الارمن في عام ١٨٩٣ أمام محاكم (انقره) ظهرت الحقيقة التي لا ريب فيها وتبين للعالمين ان انكلترا هي الموعزة لهم بالثورة والمحرضة لهم على شق عصا الطاعة للدولة العلية . فقد ضبط رجال البوليس العثماني كاتب أسرار الجمعية السرية المدبرة لحركة الثورة وبين يديه أوراقه المشتمة على أكثر أسماء الاعضاء واتضح أن الارمن البروتستانت هم وحدهم القائمون بالثورة دون الكاثوليك وان لهم جمعيات سرية داخل الدولة العلية وخارجها وان هذه الجمعيات تمد بالمال الجرائد الارمنية الثورية وعلى الخصوص جريدة (هنتشك) التي هي أهمها . وقبض كذلك

الاستانة تعتبر في نظرنا معاشر المسلمين قلعة الاسلام وحصنه
الحصين والمدينة التي يجب المحافظة عليها أكثر من سواها
بعد مكة والمدينة . فقد وعد الرسول عليه الصلاة والسلام
الفتح لها بالجنة دليلا على مالها من الشأن والاهمية

ومن ذلك يرى القاريء ان انكلترا عملت بايجادها للمسئلة
الارمنية على تدمير ملك آل عثمان وضعضة السلطة الاسلامية
واذلال العثمانيين والمسلمين واحداث حرب عامة في الغرب
وفي الشرق



وقد والت انكلترا الارمن بالتشجيع والتحريض على
متابعة الثورة والهيجان ومافتئت ترسل اليهم الذخائر والاسلحة
وتحضهم على الاسترسال في التمرد والعصيان فعملوا بتحريضها
وتلطفوا بدماء الجرائم والفظائع متساحين في كل أعمالهم
بالاسلحة الانكليزية . ورأى العالم هذه الطائفة التي كانت
عائشة في مجبوحة السعادة والرفاهية والتي كان يسميها العثمانيون
« بالملة الصادقة » والتي لها في مناصب الحكومة والادارات

هدم السلطنة العثمانية وتقسيم الدولة العلية ليسهل لها أملاك
مصر وبلاد العرب وجعل خليفة الاسلام تحت حمايتها وآلة
في يديها . وهي تقصد بتقسيم الدولة العلية غير ذلك احداث
حرب عمومية في أوروبا وأضعاف فرنسا والروسيا . فان الموازنة
الاوروبية لا تتم الا ببقاء الدولة العلية وسلامتها . واذ قسمت
هذه الدولة (لا قدر الله) قامت الثورات في كل انحاء الشرق
وهاجت أمم البلقان وصار كل يطالب بشيء فيعم الهيجان
وتقوم الحرب العمومية ولا محالة . وبما ان الانكياز كانوا
يؤملون نيل مصر وبلاد العرب فانهم كانوا يرضون بترك
الشام لفرنسا والاستانة للروسيا ولا يخفى ان أستيلاء فرنسا
على الشام والاماكن المقدسة من شأنه ان يقيم في وجهها كثيرا
من الامم المسيحية وبشير المسلمين كافة ضدها ويجعل مستعمراتها
الافريقية والاسيوية التي أهلها مسلمون مشتعلة نيران الثورة
في سائر أنحاءها . كذلك استيلاء روسيا على الاستانة فانه
كان يغير بالمرّة وجه الوجود وينقد الموازنة الاوروبية ويقيم
ضد روسيا كل المسلمين التابعين لها وغير التابعين . فان

يكون سببا لقلق لاعدادها وداعيا لاضطراب عام في كافة
انحاء العالم العثماني والاسلامى . فمن ذا الذى كان يرضى من
العثمانيين أن تسقط أوروبا السلطان العثماني وتتدخل في شؤون
الدولة العلية لهذا الحد ؟ ومن ذا الذى كان يرضى من المسلمين
ان تنزل أوروبا المسيحية خليفة الاسلام عن عرش خلافته ؟
ومن ذا الذى كان يرى من العثمانيين والمسلمين هذا الامر
الخطير بعين الرضا والسكون ؟ ومن ذا الذى كان يقبل الخضوع
لسلطان عينته أوروبا وخليفة أجالسته على عرش الخلافة دول
المسيحية بعد ان خلعت السلطان خليفة ؟ بل وماذا كان
يعمل الكاثوليكيون لو توصل جلاله السلطان الاعظم
الى خلع حضرة البابا ؟ ... أى الى عمل ما تريد انكلترا أن
تعمله معه

أن تحقيق أمنية انكلترا بخلع جلاله السلطان الاعظم
كانت تكون تحقيقا للشروع والمصائب والبلايا التي لم ير النوع
البشرى مثيلا لها في تاريخه

وقد أوضحنا في مقدمة هذا الكتاب أن انكلترا تريد

مسائل تركيا وتحزبها ضدها إعلان قلوب المسلمين غلا
وكرهه ضد المسيحيين ويشجعان المسيحيين على الاستمرار في
خطهم الثورية فيزداد بذلك البلاء ويعم الدمار والفناء
وتنزل المصائب على تركيا وتحل البلايا بالسلطنة الثمانية. وازدياد
كرهه المسلمين لاوروبا كان من شأنه أن يجعل المصريين
في يأس من نجاة وطنهم وتداخل الدول في صالحهم فيستسلمون
للانكليز ويعتدل سمو الخديو مع المحتلين وهذا جل ما كان
يتمناه الانكليز من تحزب أوروبا ضد الدولة وضد الاسلام
وغير ذلك فان انكلترا كانت تعمل بتحزبها لاوروبا ضد
الدولة العلية وضد الاسلام على تفهيم المسلمين كافة بانها القائدة
لزمام أوروبا وانها صاحبة الامر والنهي في سياسة الدول
ليمتلئ بذلك المسلمون رهبة منها وتزداد سيطرتها في العالم
الاسلامي . وكانت السياسة البريطانية تربي الى أحد أمرين
أما ارهاب جلالة السلطان الاعظم وتسييره حسب أهوائها
واغراضها وأما خلعها وتولية من يكون بالطبع صنيعة لانكلترا
وأسيراً لها . ولا ريب أن خلع جلالة السلطان الاعظم كان

الارمن البروتستانت وألقت عليهم التعليمات باحداث هيجان عام في كافة انحاء المملكة العثمانية والاعتداء على المسلمين في كل بلد عثمانية ووعدتهم بالمساعدة والتدخل وايجاد مملكة أرمنية مستقلة . وبالجمله لم تجد انكلترا وسيلة لوضع يدها نهائيا على وادى النيل سوى خلق المسئلة الارمنية

وكان لانكلترا في الثورة الارمنية جملة مقاصد . فهي كانت تريد قبل كل شيء زعزعة أركان الامن والسلام في تركيا وازعاف سلطة الحكومة العثمانية وارهاب جلالة السلطان الاعظم واجباره علي الخضوع لرغائبها والعمل بأوامرها . وكانت انكلترا تعلم علم اليقين ان اضطراب الاحوال في تركيا وقيام المسيحيين ضد المسلمين والمسلمين ضد المسيحيين وماشا كل ذلك من الامور يدعو حتما الى تدخل أوروبا في الامر وتحزبها ضد الدولة العلية اذ الحقائق تشر في أوروبا مقلوبة وطالما اعتدى المسيحيون على المسلمين وادعت جرائم أوروبا ان المسلمين هم المعتدون وانهم وحدهم المقترفون لكل الآثام . وكان الانكليز يعلمون أيضا ان تدخل أوروبا في

المسئلة المصرية ثوبا جديدا في أعين الناس كافة . ولذلك هم بذلوا الجهد الجهد في تنفير سمو العزيز من السلطنة السنية ولما لم يفلحوا أخذوا ينفرون صاحب الخلافة من أمير مصر فخبطت كذلك مساعيهم في هذا السبيل . وبعد زيارة سمو الخديو للاستانة في المرة الاولى انتشرت الاشاعات في كل دوائر أوروبا السياسية بأن الانكليز يسعون لدى الدولة العلية في خلع سمو الخديو الحالي وان جلالة السلطان الاعظم يقابل هذه المساعي بزيادة الانعطاف نحو أمير مصر وزيادة اظهار الرعاية له ولشعبه ولبلاده . وقد تكررت هذه الاشاعات وأكدها الكثيرون من رجال السياسة الاوروبية وانتظر الكل عندئذ حصول فتور وجفاء في العلائق بين الدولة العثمانية ودولة بريطانيا . الا انه لم يكن يخطر على بال أحد وقتئذ ان انكلترا تعمل على هدم السلطنة العثمانية انتقاما منها وتخلق الاضطرابات والثورات في قلب المملكة التركية تشفيا من صاحب الخلافة الاسلامية . ولكن انكلترا اشتهرت بانها لا تقف أمام عائق بلوغ غايتها وادراك بغيتها فقد سلحت

واحدة في أن الدولة الانكليزية لا صديق لها وأن صداقتها
المزعومة للدولة العلية لم تكن الا سلاحا لاضرار بالدولة العلية نفسها
وآلة تكسبها من المكاسب بقدر ما تجر على تركيها من الخسائر
وما السياسة في عرف الانكليز الا علم الكذب والنفاق
والحيل فهم لا يعرفون مع السياسة شرفا ولا يحترمون عهداً
ولذلك كانوا في الحقيقة ألد أعداء الدولة التي يتظاهرون لها
بالصداقة والولاء وكانت الدولة المعادية لهم سالمة من مكائدهم
ومن خداعهم

ولم يرتفع الستار تماما وتنكشف حقيقة آميال الانكليز
نحو الدولة العلية الا في عام ١٨٩٣ عندما أظهر سمو العباس انه
لا يعرف له متبوعا غير الحضرة السلطانية ويمم دار السعادة لتأدية
فروض التبعية والاخلاص لصاحب الخلافة العظمى . فان
الانكليز ما دخلوا مصر الا بسبب الشقاق بين المتبوع الاعظم
والتابع وما توطدت سطوتهم فيها الا بذلك الشقاق المشؤوم .
فكان من الامور البديهية ان تقرب عزيز مصر من الحضرة
السلطانية يضر بمصالحهم في مصر ويخرج مصر كرم فيها ويلبس

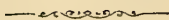
﴿ الازمة السابعة ﴾

(المسئلة الأرمنية)

لقد اعتقد بعض سواس الدولة العلية زمنًا طويلا أن الدولة الوحيدة التي يجب مصافاتها والتقرب منها والعمل بارشاداتها هي دولة انكلترا دون سواها من الدول الاوروبية. ورسخ هذا الاعتقاد في أذهان الكثيرين حتى أنه كان يستحيل على أحد سواس الدولة العثمانية أن يتنبأ بمصير هذه المودة الانكليزية القديمة وبالعداوة الشديدة التي أصبحت تجاهرها انكلترا نحو الدولة العلية . ومن يطالع على مذكرات وزراء تركيا السالفين ووصاياهم يجد أن أكثرهم كانوا ينصحون سلاطينهم باخلاص الود للدولة الانكليزية وباتخاذها الصديقة الوحيدة بين دول أوروبا . ولا ريب أن ثقة الدولة العلية بانكلترا أضرت بها ضرراً بليغاً وكانت سبباً لحروب عديدة فقدت فيها تركيا المال والرجال والبلدان . وبن كل عارف بتاريخ انكلترا وبسياستها في ماضيها وحاضرها لا يرتاب لحظة

(فرديناند) أميراً على بلغاريا الا بعد تحسن علاقته مع
الروسيا. وقد دل ذلك على ان بين روسيا والدولة العلية ألفة
ومودة . وبعد اعتراف الحضرة السلطانية بتعيين البرنس
(فرديناند) أميراً على بلغاريا اعترفت به الدول جمعاء . وبذلك
انتهت المسئلة البلغارية

ومن الامور المحزنة ان كل أزمة من أزمت المسئلة
الشرقية تنتهي بساخ جزء أو أجزاء من املاك الدولة العلية
فقد فتمدت الدولة في هذه الازمة الروملي الشرق وأضاعت
نفيس أوقاتها في مخبرات لا تقع فيها ولا جدوي



على الدولة العلية ارسال الجنرال الروسى (ارزوت) الى
بلغاريا لتوطيد الامن فيها وخلع البرنسي (فرديناند) فقبلت
الدولة العلية ذلك واكتمها اشترطت على الروسيا اشتراك
مندوب عثمانى مع (ارزوت) فى مأمرته وفى هذه الاثناء
كلفت انكلترا والنمسا وايطاليا قناصلها فى صوفيا بمقابلة
البرنس (فرديناند) واعتباره أميرا على بلغاريا . فكان هذا
العمل بمثابة اعتراف من هذه الدول الثلاث بتعيين البرنس
(فرديناند)

ومن حسن حظ البرنس (فرديناند) ان الخبرات
لم تنجح بين الدولة العلية والروسيا وبقيت الحالة على ماهى
عليه وسارت بلغاريا فى عهد وزارة المسيو (ستامبولوف)
على سياسة مناقضة لسياسة الروسيا بالمرّة . ولم تعتدل سياستها
وتتحسن علاقاتها مع الروسيا الا بعد سقوط (ستامبولوف)
وقتلها واعتناق البرنس (بوريس) ولي عهد بلغاريا وابن
البرنس (فرديناند) للدين الارثوذكسى فى هذه السنين
الاخيرة . ولم يعترف جلالة السلطان الاعظم بتعيين البرنس

الدول على تعيين البرنس (فرديناند) . أما البرنس نفسه
فانه بعد ان بقي متردداً بين القبول والرفض بضعة أيام قبل
امارة بلغاريا وسافر الى صوفيا في ١٠ أغسطس عام ١٨٨٧
وعند وصوله اليها أرسل للحضرة السلطانية تلغرافا أعرب
فيه عن صدق اخلاصه وعن أمله في مساعدة الدولة العلية
له . وفي ١٤ أغسطس أدى امام مجلس النواب البلغارى يمين
الاخلاص للامة البلغارية والعدل فى الاحكام . وفى ١٨
أغسطس زار مدينة (فيليبوبوليس) عاصمة الروملى الشرقى
مظهراً بذلك انه لا يرضى بترك هذه المقاطعة للدولة العلية .
وقد شكل الوزارة البلغارية بعد ذلك تحت رئاسة الميسو
(ستامبولوف) أشد أعداء روسيا فى بلغاريا

وقد سأل الباب العالى الحكومات الاوروبية عن
رأيها بشأن جلوس البرنس (فرديناند) على كرسى اماره
بلغاريا فأجابت روسيا بان الدولة العلية يجب عليها التدخل
فى بلغاريا وطرده البرنس منها وأجابت بعض الدول الاخرى
بضرورة الاتفاق مع روسيا فى الامر . فعرضت روسيا

مع رجال تركيا ومع سفير روسيا ولكن الاتفاق لم يحصل
بينها وبين السفير الروسى . (فارسلت عندئذ الدولة العلية فى
آخر شهر مارس عام ١٨٨٧ رضا بك) الى صوفيا بصفة
مندوب عال من قبلها لايجاد الاوقاف بين الاحزاب البلغارية
وبعضها وبعثت بمذكرة للدول الاوروبية ابانت لها فيها ان
بقاء بلغاريا بهذه الحالة مضر بها وان التعجيل بحل المسئلة
صار واجبا

ولما يأس البلغاريون من اتفاق الدول الاوروبية على
تعيين أمير لهم عرضت الحكومة المؤقتة على مجلس النواب
البلغارى انتخاب البرنس (فرديناند دى ساكس كوبور)
فانتخبه المجلس فى يوم ٧ يوليو عام ١٨٨٧ أميرا على بلغاريا
وأبلغه ذلك بصورة رسمية فأرسلت عندئذ الدولة العلية
لدول أوروبا تسألها رأيها فى الامر فأجابت كل دولة على
حدها بانها تقبل تعيين البرنس (فرديناند) اذا وافق ذلك
رغبة الدول كلها . الا روسيا فانها أجابت بانها لا تقبل أى
قرار يصدره مجلس النواب البلغارى . فامتنع بذلك اجماع

حماية قنصل فرنسا

وقد عرض الباب العالي في ٣ ديسمبر عام ١٨٨٦ على الدول الأوروبية تعيين البرنس (دى منجريلي) أميرا على بلغاريا ولكن الدول رفضت تعيينه بحجة أنه مبعوض من البلغاريين ومحبوب من الروسيا. ولما طال الامر وطال انتظار البلغاريين لتعيين أمير لهم أرسلت الحكومة البلغارية المؤقتة لجنة الى عواصم أوروبا لسؤال الدول التعجيل بالانفاق على تعيين أمير لبلغاريا. فسافرت اللجنة الى فيينا حيث قوبلت فيها باحترام عظيم ثم قصدت برلين ولكنها لم تقابل فيها بمثل ذلك الاحترام وبعد ذلك سافرت الى باريس ولوندره. ومن المصادفات الغريبة أنها تقابلت في محطة (كولونيا) مع البرنس (الكسندر دى باتنبرغ) خفته أجل تحية وأبلغته بقاء الأمة البلغارية على ولائها له ولكن البرنس كان يعلم أن عودته الى بلغاريا صارت أمرا مستحيلا. وبعد ان أتمت اللجنة رحلتها قصدت الاستانة العلية ورفعت الى مقام جلالة السلطان الاعظم فروض التابعة وأخذت تتخابر في عاصمة الدولة

يقبل تعيين ابنه أميراً على بلغاريا . ولما عرفت انكلترا رغبة
الروسيا ونواياها الحقيقية سعت لدى النمسا للاتفاق معها ضد
الروسيا وسافر لهذا الغرض اللورد (راندولف شرشل) الى
فيينا بعد أن زار برلين . وفي ٩ نوفمبر عام ١٨٨٦ وقف اللورد
سالمسبوري في لوندرة خطيباً ووجه الملام الشديد الى روسيا
وانتقد علي سياستها وخطتها في بلغاريا وأعلن ان انكلترا
مستعدة للاتفاق مع النمسا في المسئلة البـلـغـاريـة . فهاجت
الجرائد الروسية وقابلت مطاعن الوزير الانكليزي بمثلاً
وطلبت من الحكومة الروسية قطع "العلائق مع انكلترا
واستدعاء السفير الروسى من لندرة

وفي هذه الاثناء قطعت روسيا علائقها مع بلغاريا المخالفة
الحكومة المؤقتة لرغائبها وفي ٢٠ نوفمبر عام ١٨٨١ غادر
الجنرال (كولبار) صوفيا واستصحب معه كل قناصل روسيا
بعد ان علق في الشوارع احتجاجاً ضد أعمال الحكومة
المؤقتة التي سماها بحكومة « اللصوص » وترك الرعايا الروسين
في بلغاريا تحت حماية قنصل ألمانيا وفي الروملن الشرقي تحت

البلغاريين ومخاصمتهم فصلت بسبب ذلك مشاجرات كثيرة
أفضت الى زيادة النفور بين الجنرال الروسى وأعضاء الحكومة
المؤقتة. ولم يقبل أعضاء الحكومة المؤقتة الا طلباً واحداً من
طلبات الجنرال (كولبار) وهو منع مجلس النواب من
اعادة انتخاب البرنس (الكسندر دى باتنبرغ) أميراً على
بلغاريا

وقد اجتمع مجلس النواب البلغارى فى ٣١ أكتوبر عام
١٨٨٦ واتخب فى ١١ نوفمبر البرنس (فالدماردى دانمارك)
أميراً على بلغاريا. وكان هذا الانتخاب موافقاً لمصالح بلغاريا
وغير مخالف لرغائب الروسيا فان هذا البرنس هو شقيق قيصر
الروسيا (زوجة القيصر اسكندر الثالث ووالدة القيصر الحالى)
ولكن ملك الدانمارك رفض بتاتا قبول تعيين نجله أميراً على
بلغاريا فاضطر مجلس النواب البلغارى لتعيين الميسيو (جيفكوف)
حاكماً مؤقتاً لبلغاريا

. ولا ريب أن الروسيا كانت تود احتلال بلغاريا وجعلها
فى قبضة يمينها ولولا ذاك لكانت سألت ملك الدانمارك أن

في بلغاريا ضد روسيا تحالفت هذه الدولة الاخيرة مع فرنسا
وقد بذل الجنرال (كولبار) غاية جهده في استمالة
البلغاريين اليه ضد الحكومة المؤقتة فصار يطوف البلاد
والقرى ويخطب في كل نادولكنه لم يفلح ورفضت الحكومة
طلباته وحاکت الذين قبضوا على البرنس (الكسندر) في
٢١ أغسطس ولم تؤجل ميعاد انتخابات أعضاء مجلس النواب
الذي كان محددًا في يوم ١٠ أكتوبر عام ١٨٨٦ كما قدمنا .
ولما جاء هذا اليوم جرت الانتخابات ففازت الحكومة المؤقتة
بأغلبية ٤٥٠ صوتًا ضد ٥٠ صوتًا وقررت عقد المجلس في آخر
شهر أكتوبر بمدينة (تيرنوف) العاصمة القديمة لبلغاريا : اما
الجنرال (كولبار) فانه اعتبر الانتخابات لاغية بدعوى ان
الحكومة المؤقتة لم تترك الحرية التامة للاهالى وأعلن أعضاء
الحكومة بأن روسيا تعتبر محاكمة الذين قبضوا على البرنس
(الكسندر) بمثابة اهانة لها . وقد عمل الجنرال (كولبار)
على خلق الاضطرابات في بلغاريا ليوجد سببًا للتدخل الروسية
فيها تداخلا عسكريا خرض الروسين المقيمين ببلغاريا على مشاحنة

وما وصل الجنرال (كولبار) الى عاصمة بلغاريا حتى عامل
الحكومة المؤقتة والامة البلغارية معاملة الامير لرعاياه فطلب
من الحكومة المؤقتة : أولا الافراج عن أعضاء اللجنة التي
قبضت في ٣٢ أغسطس على البرنس (الكسندر) وخلعته من
أمارته . ثانيا ابطال الحالة العرفية . ثالثا تأجيل عقد مجلس
النواب — الذي كان يجب أن يجتمع في ١٠ أكتوبر عام
١٨٨٦ لا انتخاب أمير جديد — الى أجل غير محدود

وفي أثناء هذه الحوادث كلها كان الناس كافة يتساءلون
في أوروبا عن سبب مساعدة البرنس (بسمارك) للروسيا
في بلغاريا بعد مساعدته للنمسا وانكلترا فيها . وقد اختلفت
العلل التي نسبوها لمساعدة البرنس (بسمارك) للروسيا ولكن
الحقيقة هي أن رجل السياسة الالمانية رأى أن روسيا مستعدة
لحاربة النمسا اذا عارضتها هذه الدولة في البلقان وأن المانيا
تكون مضطرة لمساعدة النمسا اذا قامت الحرب فعمل على
تأييد السلام . هذا فضلا عن أن روسيا كانت تتجيب الى
فرنسا وكان البرنس (بسمارك) يخشى أنه اذا ساعد النمسا

كل الابتعاد حتى أن وكيل وزارة الخارجية الانكليزية صرح في ٦ سبتمبر عام ١٨٨٦ أمام مجلس العموم بأن انكلترا لم تنهض بشيء نحو بلغاريا وان ليس لها مصالح فيها

فلم يبق بعد ذلك كله للبرنس (الكسندر) الا أن يتنازل عن أمانة بلغاريا. وقد تنازل بالفعل رسميا في ٦ سبتمبر عام ١٨٨٦ وغادر في ذلك اليوم نفسه صوفيا تاركا زمام الامور لمجلس مكون من المسيو (ستامبولوف) والمسيو (كارافلوف) والمسيو (موتيكوروف). وقد تخوف هؤلاء الاعضاء من احتلال روسيا لبلغاريا احتلالا عسكريا فاستلقتوا أنظار الدولة العلية للامر بصفتها صاحبة السيادة على بلغاريا فخبرت الدولة دول أوروبا ولما تحققت من أنها لا تسمح لاية دولة باحتلال بلغاريا أخبرت الحكومة البلغارية المؤقتة بأن لا خوف على الامارة من احتلال روسيا لها

وقد أرسلت روسيا الى صوفيا بعد تنازل البرنس (الكسندر) الجنرال «كولبار» بصفته مندوب من قبلها لدراسة أحوال بلغاريا وارشاد الحكومة المؤقتة في سيرها.

قبض الاهالى على أعضاء اللجنة التى خلعت البرنس وزجروهم
في السجن وشكلوا لجنة مكونة من المسيو (ستامبولوف)
والمسيو (مارافلوف) ومن آخرين بهيئة حكومة مؤقتة
وكلفوهم باجبار البرنس (الكسندر) رسمياً بأن الامة البلغارية
تريد رجوعه أميراً عليها . فأخذوا يبحثون عن مقر البرنس
حتى علموا أنه في المانيا فأخبروه تلغرافياً بالامر وودعوه للعودة
الى صوفيا فسافر في ٢٩ أغسطس عام ١٨٨٦ واستلم من
الحكومة المؤقتة زمام الامور

وقد احتفلات أهالى بلغاريا بعودة البرنس (الكسندر)
الاحتفالات العظيمة ولكن الروسيا بقيت على نيتها الأولى
فلما رأى البرنس ان سلامته وسلامه ملكه في يد الروسيا
أرسل الى القيصر تلغرافاً عرض عليه فيه خضوعه لاوامره
واستعداداه لقبول كل مطالبه فأجابه القيصر بأنه لايعتنى
بأمور بلغاريا الا اذا غادرها هو (أى الكسندر) وكانت
نتيجة اتباع هذا الامير لارشادات انكلا ترا تعصب الروسيا
ضده وعدم مساعدة المانيا والنمسا له وابتعاد انكلا ترا نفسهاعنه

للنظر في الامور لحين تعيين أمير جديد لبلغاريا . ولا شك
ان هذا الحادث الخطير كان ضربة قاضية على سياسة انكلترا
في الشرق وكان من شأنه ان يزيد في النفور بينها وبين الروسية
وقد حسبت انكلترا أنه يمكنها مقاومة الروسية في بلغاريا
بمساعدة ألمانيا والنمسا واعادة البرنس (ألكسندر) أميراً
على بلغاريا ولكن ألمانيا التي كانت يبدها سياستها وسياسة
النمسا تخوفت من معاداة الروسية الى هذا الحد وتركت مسألة
البرنس (ألكسندر) للظروف والحوادث . وكان الكثيرون
من رجال السياسة يحسبون الامة البلغارية تقابل خلع البرنس
(ألكسندر) بغير حراك وتمثل لارادة اللجنة الثورية التي
خلعته بايعاز الروسية ولكن الامة البلغارية كانت متعلقة
بالبرنس (ألكسندر) ولم تنس انه نصرها على صربيا نصراً
مبيناً وأنه ضم الى بلغاريا (الروملي الشرقي) فهاجت وماجت
وتظاهرت في الشوارع والمنتديات العمومية بالليل للبرنس
(ألكسندر) طالبة اعادته أميراً عليها . وفي يوم ٤ أغسطس
عام ١٨٨٦ أي بعد ثلاثة أيام من خلع البرنس (ألكسندر)

احتجت انكلترا على عمل روسيا ولكن احتجاجها لم ينفذ
شيئاً مذكوراً

وقد اجتمع مندوبو تركيا مع مندوبي أمير البلغار للنظر
في شؤون الروماني الشرقي للاتفاق على وضع دستور لها
ولكن الخلاف استحکم بينهم بشأن تابعيتها فمندوبو تركيا كانوا
يطالبون جعلها كما كانت تابعة مباشرة للدولة العلية مع جعل
البرنس (الـكسندر) حاكماً عليها ومندوبو البلغار كانوا
يطالبون بضمها تماماً الى بلغاريا

ولما كانت كراهة روسيا للبرنس (الـكسندر) تزداد
كل يوم فإن هذه الدولة دبرت له دسيسة عظيمة وعملت على
خلعه من إمارة بلغاريا. وذلك انها أوحث الى صنائعها في
صوفيا أن يلقوا القبض عليه ويخرجوه من بلغاريا ويؤسسوا
حكومة مؤقتة. فعملوا بايعاز روسيا وفي يوم ٢١ أغسطس
عام ١٨٨٦ تمت المكيدة وقبض على البرنس (الـكسندر)
وأرسل على باخرة بلجهة غير معلومة. وزج المسيو (كارافلوف)
وزيره الاول في السجن وأسس أصحاب المكيدة لجنة منهم

وقد اجتهد في ذلك الحين البرنس (الكسندر دى باتنبرغ) أمير بلغاريا في تحقيق انضمام الروملى الشرقى الى بلغاريا فأنشأ الجمارك على حدود الروملى أمام حدود تركيا وصارت البضائع التركية لا تدخل في هذه المقاطعة التركية الا اذا دفعت رسوم الجمارك . وصرح أمام الجمعية العمومية التى شكلها كمجلس نواب لبلغاريا والروملى بان الوحدة البلغارية تكونت وانه لا يستطيع انفصالها . فلما علمت بذلك روسيا ازداد حنقها على بلغاريا وأميرها وأرسلت في آخر يونيه عام ١٨٨٦ مذكرة الى الباب العالى سألته فيها أن يؤدب بلغاريا ويوقفها عند حد محدود فأجابها الباب العالى معتذرا بان بلغاريا معضدة من أغلب دول أوروبا . فعند ذلك أعلنت روسيا أنها عازمة على جعل ثغر (باطوم) ثغرا حربيا روسيا لا ثغرا حرا . ولا يخفى ان ذلك يخالف المادة ٩٤ من معاهدة برلين . ولكن روسيا لما رأت ان معاهدة برلين غير محترمة من البلغار أرادت أن تنتقم من الدول المعضدة لها وعلى الخصوص من انكلترا بجعل ثغر (باطوم) غير حر للتجارة . وقد

أوعز الى فرقة من الجيش اليونانى بالهجوم على طليعة الجيش
التركى وادعى ان جيش جلاله السلطان هو المعتدى على جيش
اليونان لتساعده الدول ضد الدولة العلية وترفع الحصار عن
الثغور اليونانية. ولكن الدول تذهبت للحيلة وطالبت الحكومة
اليونانية بالقاء السلاح واعادة عدد الجيش الى ما كان عليه
من قبل وسحب الجنود من الحدود . فامثـل اليونانيون
للامر وفي ٨ يونيو عام ١٨٨٦ رفعت الدول الحصار عن
ثغور اليونان

وان استعداد اليونان للحرب وتظاهرها بالعداء لتركيا
فى عام ١٨٨٦ ايدلان جلياً على ان هذه المملكة كانت تستعد
من عهد بعيد لمحاربة تركيا وأنها لم تغفل لحظة واحدة عن
تسايح جنودها وتجهيز جيشها . فانهمز امها فى الحرب الاخيرة
دواء شاف لها من مرض غرورها . ولا أقول انه يشفيها الى
الابد فان المرض كامن فى النفس وعداوتها للعثمانيين والمسلمين
قوية لدودة . ولكن انتصارات (أدم باشا) تشفيها من غرورها
زمننا طويلاً

تركيا والقيام بتنفيذ ارادة أوروبا في مدة لا تزيد عن أسبوع واحد. ولا ينس القارىء أن أوروبا كانت تعمل لخير اليونان ومصالحها فان الدولة العلية كانت تهزم اليونان شر هزيمة لو كانت أعلنت الحرب فلذلك كان تهديد أوروبا لليونان بمثابة انقاذ لها من الوقوع في مهواة الخطر والاضمحلال .

وقد رفضت اليونان قبول الانذار الدولى وسافر وكلاء الدول بأثينا من عاصمة اليونان الا وكيل فرنسا فانه بقي بها بعدم قليلا ثم غادرها بحجة أنه يريد المداولة فى الامر مع المسيو (فريسينييه) وزير خارجية فرنسا . ولما رأت الدول أن اليونان تظهر الكبرياء والترفع عن الانصياع لرغائبها أمرت قواد أساطيلها فى مياد اليونان بمحاصرة الثغور اليونانية محاصرة شديدة حتى تمتثل الحكومة اليونانية لأوامر أوروبا الشفوقة عليها . فحوصرت الثغور اليونانية واضطرت وزارة (دليانيس) للاستقالة فى ٢١ مايو عام ١٨٨٦ واستلم المسيو (تريكو بيس) مقاليد الوزارة اليونانية فأعلن الدول الأوروبية بأنه مستعد للرضوخ لامرها ولكنه فى أثناء ذلك

وقد أظهرت فرنسا من بادىء الامر ميلها لليونان ولم ترض
الاشتراك مع بقية الدول في عمل مظاهرة بحرية . فلما
أنذرت الدول اليونان رأت من واجباتها ان تنصحها بصفتها
نصيرتها الوحيدة بالرضوخ لاوامر أوروبا . فقدم الوكيل
السياسى لفرنسا فى أتيننا مذكرة للمسيو (دليانيس) بتاريخ
٢٣ ابريل عام ١٨٨٦ نصحه فيها بعدم اعلان الحرب على
تركيا وعدم مخالفة رغائب الدول الاوروبية فتظاهر المسيو
(دليانيس) بقبول هذه النصيحة وفى ٢٥ ابريل من السنة
نفسها بعث الى وكيل فرنسا بأتيننا يخبره بأنه قبل نصيحة
الحكومة الفرنسية وأنه سيعمل بها

ولكن الدول الاوروبية لم تقتنع بهذا الجواب لعلها
بان اليونانيين لا يصدقون فى أقوالهم وأنهم يريدون اصطلاء
نيزان الحرب فى كل بلاد البلقان ليختطفوا شيئاً من أملاك
تركيا فأرسلت الى الحكومة اليونانية فى مساء ٢٦ ابريل
عام ١٨٨٦ انذاراً شديداً للجهة طلبت منها إعادة عدد الجيش
الى ما كان عليه من قبل والسكف عن كل عمل عدائى ضد

والوقوف على احتياجاتها وعرض النظام الذى يتفق عليه
المندوبون على اللجنة الدولية . فرضخ البرنس (ألكسندر)
لقرار اللجنة الدولية بالاستانة وشكل مجلساً أهلياً مشتركاً من
مندوبى الرومالي الشرقى ومن مندوبى بلغاريا جعله بمثابة
مجلس نواب

ولم تنكف اليونان فى هذا الاثناء عن حشد جنودها
على حدود تركيا ومعاداة الدولة العلية . فلما رأى الباب العالى
ان هذه الحالة التى ليست بالسلم وليست بالحرب تضر بالدولة
كثيراً وتحملها النفقات الباهظة والمبالغ الطائلة سأل الدول
الاوروبية أن تجبر اليونان على سحب جنودها من الحدود
أو ان تترك الدولة العلية تؤدبها بالحرب . فاهتمت أوروبا
بالامر وقررت منع الحرب بين الدولة واليونان بكل الوسائل
الممكنة وأرسلت لهذا الغرض انذاراً للحكومة اليونانية بالقاء
السلاح والكف عن الاعتداء على حدود تركيا والخضوع
لرغائب أوروبا وأخبرتها فى هذا الانذار بأنها تجبرها على
احترام رغائبها بالقوة ان لم تحترمها من نفسها وبمحض ارادتها

بالاستيلاء على شيء ما من أراضي المعتدى عليها . وقد كان
البرنس (كاراجورجفيتش) صهر أمير الجبل الاسود يطوف
وقتئذ عواصم أوروبا ويعمل خلع الملك (ميلان) وتوليته
مكانه ما كما على صربيا فاضطر الملك ميلان الى عقد الصلح مع
بلغاريا بمدينة (بوخارست) في ٢ مارس عام ١٨٨٦ لكي
لا تتغير عواطف أوروبا من جهته

وقد طلبت روسيا من دول أوروبا النظر في المسئلة
البلغارية وجعل تعيين البرنس (الكسندر) حاكما على الروماني
الشرقي لمدة خمس سنوات فقط كما تقتضيه قرارات مؤتمر
برلين . فرفض البرنس قبول هذا الطلب وعزم على معارضة
الروسيا غير حاسب لتأج هذه المعارضة حسابا . ولكن
الروسيا توصلت الى تحقيق ما عرضته على أوروبا فقررت
الجنة الدولية بالاستانة في ٥ ابريل عام ١٨٨٦ جعل تعيين
البرنس (الكسندر) حاكما على الروماني الشرقي لمدة خمس
سنوات وتعيين لجنة مشتركة من مندوبين من الدولة العلية
ومن مندوبين من امارة بلغاريا لدراسة احوال الروماني الشرقي

المسيو (دليانيس) - منشورا لوكلائها لدى الدول الاوروبية
أمرهم فيه بتبليغ هاته الدول بان اليونان لم تستول على كل
ما قررت لها اللجنة الدولية بالاستانة في عام ١٨٨١ وانها
مستعدة لاختذ نصيبها من أملاك تركيا بالقوة والسلاح .
فنصحتها أوروبا كما نصحت صربيا وبلغاريا بالقاء السلاح
وبالكف عن حشد الجنود فلم ترضخ لنصيحة الدول واستمرت
على غيها . ولما رأت أوروبا ان الحرب اذا قامت بين اليونان
وتركيا كانت الطامة الكبرى على اليونان عملت على انقاذ هذه
المملكة بالرغم منها وقررت ارسال سفنها وأساطيلها في مياه
اليونان لارهابها واجبارها على الخضوع والامثال لارادتها .
وقد تجنبت فرنسا الاشتراك مع بقية الدول في هذه
المظاهرة البحرية لما لليونانيين من المكانة في قلوب
الفرنسيين

أما صربيا وبلغاريا فقد أذرتهما أوروبا بمذكرة تاريخها
٣١ يناير عام ١٨٨٦ بانه اذا اعتدت احدهما على الاخرى
ساعدت أوروبا المعتدى عليها ولا تسمح للملكة المعتدية

في مأموريتيها. وبعثت كذلك مندوباً عادلياً الى البرنس (الكسندر) ليرشده في مخبراته بشأن عقد الصلح مع الضرب . وكانت انكلترا في ذلك تظهر لتركيا المحبة والولاء وكان السير (درومندولف) في الاستانة يفهم رجال تركيا بأن بريطانيا ترغب الاتفاق مع الدولة العثمانية وتقرير الجلاء عن مصر معها . فأنخدع رجال السياسة التركية لاقوال السير (ولف) وازداد نفوذ انكلترا في تركيا وقتئذ ازيداً عظيماً . وكانت نتيجة هذا النفوذ غبن تركيا في مصر وفي الروملى الشرق غبناً فاحشاً . فان الدولة العلية رضيت أن تضحي الروملى الشرق في سبيل خروج العساكر الانكليزية من مصر وتساهلت مع انكلترا فقبلت طلبها بشأن تعيين البرنس (الكسندر) أمير بلغاريا حاكماً على الروملى الشرقي



وقد أخذت اليونان تجهز معدات الحرب وتسليح جنودها وتستعد لمحاربة الدولة العلية . وفي ٣١ ديسمبر عام ١٨٨٥ أرسلت الوزارة اليونانية — التي كان يرأسها وقتئذ

بالرغم من احتجاجها ضد ضم الروملى الشرقى الى بلغاريا هنأت
البلغاريين على انتصارهم وشكرت شهامتهم . وهذا يدل على
أن العواطف الدينية تتغلب دائما على اميال السياسة وان الدين
هو فى أغلب الظروف رائد الامم والدول فى سياستها

وقد استمرت اللجنة الدولية بالاستانة فى مناقشتها
ولكن المندوب الانكليزى اجتهد فى جعل هاته المناقشات
بغير نتيجة فرفض تعيين حاكم عثمانى للروملى الشرقى
واجبار البلغاريين على احترام معاهدة برلين

ولما رأت أوروبا أن جيش بلغاريا لا يزال واقفا أمام
الجيش المصرى قررت ارسال لجنة دولية مشككة من بعض
رجال العسكرية فى أوروبا لفصل الخلاف بين المتحاربين
فسافرت اللجنة الدولية وقررت انجلاء العساكر المصرية
من ضواحي (فيدين) - وهى مدينة بلغاريا - قبل انجلاء
العساكر البلغارية من (ييرو) يومين

وقد أرسلت الدولة العلية مندوبين الى الروملى الشرقى
لدراسة أحوالها واستمالة الاهالى الى الدولة ولما كنهما لم ينفاجا

بتسعة أيام أعلن (ميلان) ملك الصرب الحرب على بلغاريا .
ولما وصل إعلان الحرب الي البرنس (ألكسندر) أمير
بلغاريا استغاث هذا الأمير بالدولة العلية بصفتها صاحبة
السيادة العالية على بلغاريا واستأذنها في رد الصربيين عن بلاد
بلغاريا . وبعد اصطلاء نيران الحرب بزمن قليل انتصر
البلغاريون على الصربيين في (سايفينيتزا) وردوهم علي
أعقابهم خاسرين . وقد هاجت أوروبا لهذه الحرب وخافت
عواقبها فأرسلت في ٢٤ نوفمبر عام ١٨٨٥ مذكرة الى الحكومة
الصربية طلبت منها أن تسأل بلغاريا عقد الهدنة وعدم الاستمرار
على أسالة دماء « الاشقاء » أي الصربيين والبلغاريين
فقبلت الصرب ذلك ولكن بلغاريا لم تقبل بحجة أنها المعتدى
عليها وأنها مضطرة لطرد الصربيين خارج حدودها . فاستمر
البرنس (الكسندر) يحارب الصربيين وينتصر عليهم حتى
وصل مدينة (ييرو) وعندئذ أذرتة النمسا بعدم التقدم الى
الامام فوقف وقبل عقد الهدنة
أما روسيا فقد بقيت على الحياد أثناء الحرب ولكنها

انكسرتا غير ان رجال السياسة الروسية أفهموا (كامل باشا)
أنهم لا يرون بداً من الانصياع لقرارات اللجنة الدولية المزمع
عقدتها بالاستانة . فاضطرت الدولة العلية لقبول تعيين مندوب
من قبلها لحضور هذه اللجنة

ولقد كانت نتيجة انضمام الروملى الشرقى الى بلغاريا
ان اليونان و صربيا قامتا ، طالبتين بنصيبهما من أملاك الدولة
العالية مقابل مانالت بلغاريا وأخذت كل واحدة من هاتين
الملكيتين تجهز جنودها وتستعد للحرب وقد حشدت
بلغاريا كذلك جيشها على حدود صربيا وعلى حدود الدولة
العلية وكان يتخيل لكل انسان وقتئذ ان نيران الاضطراب
فى البلقان ستمتد الى أوروبا وتشعل الحرب فيها . فلما رأّت
ذلك دول أوروبا أرسلت فى ١٥ أكتوبر عام ١٨٨٥ مذكرة
الى الدولة العلية والى بلغاريا أبانت فيها انها غير موافقة على
عمل بلغاريا وانها تحترم معاهدة برلين وحقوق جلالة السلطان
ونصحت فيها بلغاريا بسدم حشدها على الحدود التركية
وقد اجتمعت اللجنة الدولية فى ٥ نوفمبر وبعد اجتماعها

الروسيا رأت بعين السخط انضمام الروملى الشرقى الى بلغاريا وساءها تأسيس (بلغاريا الكبرى) لانها كانت تود تأسيسها وهى ربيبة لها لا وهى عدوة تعمل بأراء النمسا وانكلترا .
فلذلك احتجت على هذا الانقلاب واستعفى ضباطها الذين كانوا فى الجيش البلغارى وطلبت من أوروبا عقد لجنة دولية بالاستانة للنظر فى مسألة بلغاريا لما فى انضمام الروملى الشرقى اليها من مخالفة قرارات مؤتمر برلين فأجابت الدول سؤلها وقررت عقد لجنة دولية بالاستانة

أما الدولة العلية فقد رأى وزراؤها انها مضطرة لقبول قرارات أوروبا وانه لا يمكنها استرداد الروملى الشرقى بالقوة . ولكن جلالة السلطان الاعظم كان يرى ضرورة استعمال القوة والمحافظة على حقوق الدولة بكل الوسائل فأسقط وزارة (سعيد باشا) وأمر (كامل باشا) الذى كان وقتئذ سفيراً للدولة العلية فى سان بطرسبورغ بتشكيل وزارة جديدة وعينه صدرا أعظم . وقد كان جلالة السلطان الاعظم يؤمل مساعدة روسيا له ضد دول التحالف الثلاثى وضد

انضمام الروماني الى بلغاريا تحت امارته . فعمل بهذه الآراء والاياعازات . وفي يوم ١٨ سبتمبر عام ١٨٨٥ قبض رجال الشرطة في الروماني الشرقى على (جافريل باشا) الحاكم العثماني وتشكلت لجنة ثورية دعت الامة للانضمام الى بلغاريا فأجابت الامة الدعوة وفي ثاني يوم لهذه الثورة ذهب البرنس (ألكسندر) الى (فيلبوبوليس) وأعلن انضمام الروماني الشرقى الى بلغاريا وتولي زمام الأمور .

وفي يوم ٢٤ سبتمبر أرسل البرنس (ألكسندر) مذكرة رسمية لكافة الدول الاوروبية أخبرها فيها بحادث ١٨ سبتمبر وسألها اعتبار الروماني الشرقى جزءاً من بلغاريا والتوسط لدى الدولة العلية لكي تعترف بهذا الانقلاب الجديد

وما أنتشر خبر انضمام الروماني الشرقى الى بلغاريا في أوروبا حتى ظن الكثيرون ممن يجهلون أسرار السياسة في البلقان أن روسيا هي المحرصة على هذا الانقلاب وأنه يسرها أن ترى كل البلغارين تحت حكومة واحدة وان تؤسس (بلغاريا الكبرى) . ولكن الحقيقة مناقضة لذلك فان

وتسيير أمورها حسب مرامها . ولكن البرنس (بسمارك)
أوجد الشقاق بين روسيا والنمسا في بلاد البلقان وعلى
الخصوص في بلغاريا حيث استمال هذه الامارة الناشئة الى
النمسا وجعلها في دائرة نفوذها

ولما كانت العدوة بين روسيا وانكلترا شديدة
وكانت روسيا تتقرب من فرنسا رأى سواس بريطانيا أن
خير وسيلة تضمن لهم استمرار الاحتلال الانكليزي في مصر
هى خدمة التحالف الثلاثى في البلقان ومساعدة النمسا ضد
الروسيا . فلذلك أرسل اللورد سالسبرى الى البرنس (الكسندر
دى باتنبرغ) أمير بلغاريا رسائل التودد وأظهر له الميل الشديد
حتى جعل هذا البرنس وجهته انكلترا وارتبط بالعائلة المالكة
الانكليزية ارتباطاً أكيداً وعقد قران شقيقه البرنس (هنرى
دي باتنبرغ) على البرنيسيس (أليس) إحدى بنات ملكة
الانكلتز . ومن ذلك الحين صار أمير البلغار آلة في أيدي
سواس انكلترا والنمسا . فأوعزوا اليه باحداث انقلاب في
الروملى الشرقى يكون بالقبض على الحاكم العثمانى وأعلان

❖ — الازمة السادسة — ❖

(المسئلة البلغارية والمسئلة اليونانية)

من عام ١٨٨٥ الى عام ١٨٨٧

علم القاريء مما سلف ان روسيا اسالت دماء ابنائها
في حرب عام ١٨٧٧ مع الدولة العلية وصرفت الاموال
الطائلة لاجراج بلغاريا من تحت سلطة الدولة وتشكيها اماره
قائمة بنفسها وانها في معاهدة سان اسطفانوس اشترطت
جعل البلاد التي يسكنها البلغاريون اماره واحده اى عدم
تقسيم بلاد بلغاريا الى قسمين . وعلم القاريء ايضا ان مؤتمر
برلين قرر فصل الاراضى البلغارية الى قسمين وتسمية القسم
الجنوبى بالروملى الشرق وجعله تحت سلطة تركيا مباشرة .
وقد ابنا ان روسيا بذلت غاية جهدها في تحريض اهالي
الروملى الشرقى على رفع راية لواء العصيان فى وجه الدولة
العية والاضمام الى بلغاريا . وكان ذلك عقب مؤتمر برلين
أى لما كانت روسيا تؤمل استعمال بلغاريا آلة لها فى البلقان

وحتى لا يعتمدى لصوص الحرية على بنى الوطن العزيز
وأن الوطنى الحقيقى هو الذى يظهر وطنيته فى وقت
الشدائد ويقول ويعمل بهذا القول : « أنى لو استطعت أن
أغير وجه البسيطة لا نقاذ بلادى لغيرته بدون تردد »



الدولة العلية باسم الدين ومعاداة المسيحيين لليهود في كل بلاد
أوروبا وتظاهروا ضدّهم في مجالس النواب وفي الشوارع
وفي المنتديات

وبالجملة فمسئلة مصر تعتبر أول مسئلة حيوية للدولة العلية
وللخلافة الاسلامية . ودسائس انكلترا ضد الدولة في المسئلة
الارمنية وفي غيرها من المسائل تظهر للقارىء بأجلى بيان أهمية
المسئلة المصرية وضرورة اهتمام العالم كله بها

واذ كانت مسئلة بلادنا بهذه الاهمية وكان خروج
الانكليز منها مما لا بد منه عاجلا كان أو آجلا فيجب على
سائر المصريين أن يتمسكوا بحقوقهم المقدسة أشد التمسك
وأن يطالبوا بها بكل الوسائل وفي كل وقت وأن . فأصحاب
الحقوق في مسئلة مصر عديدون ولكن اكثرهم حقوقا
واكبرهم نصيبا هم ولا محالة المصريون

وقصارى القول أنه يجب علينا أن نعمل لتقريب ميعاد
الجلء وأن ننشر المعارف في انحاء البلاد وفي سائر القرى
حتى يعرف كل مصري حقوقه وواجباته نحو الوطن والامة

الحروب الصليبية قام المسلمون أجمعون لاسترجاعها وماهدأت
أحوال العالم إلا برجوعها في قبضة الاسلام . فكذلك مصر
لا يطمئن المسلمون بها وبأحوالها إلا اذا خرج الانكليز منها
وعادت تحت السلطة الاسلامية الحقيقية

واذا أضفنا الى ما تقدم أن مصر مشرق الانوار بين
المسلمين ومهد العلوم والعرفان وأنها محط رحال الذين يريدون
التعلم والتحصيل علمنا مقدار اهتمام العالم الاسلامي بأحوال
بلادنا المحبوبة وعلمنا خطارة المسئلة المصرية بالنسبة للمسلمين
خصوصا

ولا غرابة اذا تكلمنا على المسئلة المصرية من الوجهة
الدينية الاسلامية فان السياسة لا انفصال لها عن الدين .
وبالاحساسات الدينية تقاد الامم أسهل مما تقاد بالاعتبارات
السياسية . وقد أرتنا أمم أوروبا بالتمدنة نفسها أن الدين أساس
السياسة وانها مهما بلغت من الحضارة والمدنية فان الشعائر
الدينية هي عامل من أهم العوامل في حياة الامم بل أهمها
وأعظمها . وأوضح دليل على ذلك تداخل أوروبا في شؤون

أعظم خديعة دونها التاريخ فانه يجب عليهم ان يعملوا على
اخراجها من مصر ارضاء لشرف الدولة العلية وانقاذاً لها من
أشد الاخطار

ولا ريب ان أنظار المسلمين في سائر أنحاء الارض
موجهة الى مصر فهي بعد الحجاز البلاد التي يحج اليها
المسلمون اكثر من سواها . ولقد ذكرت بلادنا العزيزة
في القرآن الشريف ثلاثاً وثلاثين مرة استلفاتاً لأنظار
المسلمين اليها ودلالة على أهميتها الخاصة بها بين البلاد
الاسلامية . وسماها الرسول عليه الصلاة والسلام « بالرباط
الاكبر » لانه بواسطتها يمكن للخلافة الاسلامية أن تدافع
عن المدائن المقدسة (بيت المقدس ومكة والمدينة)

وقد اعتبر المسلمون من عهد النبي الكريم أن بلاد الشام
وبلاد مصر وبلاد العرب يجب أن تبقى الى الابد ملكاً
للاسلام . فهذه البلاد هي التي سكنتها سلالة سيدنا الخليل
(ابراهيم) عليه السلام الذي جرى رسولنا الكريم على سنته
وجاء متمماً لدينه وشريعته . ولما دخل الصليبيون الشام أيام

وحادث يجر على بنى الانسان أكبر المصائب وأشد النوائب
وقد يقول بعض الناس باستحالة تحقق هذه النتائج التى أتينا
عليها أو يبعد أمكانها ! ولكن رجال السياسة يجب عليهم أن
ينظروا الى النتائج البعيدة وأن يتداركوا الاخطار الآتية
ولو كان وقوعها بعد قرن أو بعد قرون

وقد قلنا ان وراء المسئلة المصرية مسئلة اسلامية وأوضحنا
فى مقدمة هذا الكتاب ان انكلترا تعمل من يوم احتلالها
لمصر على تقسيم الدولة العلية ولا ترى لوجودها فى مصر
سلامة الا بهدم السلطنة العثمانية ووضع يدها على مصر بصفة
نهائية وضم بلاد العرب اليها وجعل الخلافة عربية فى قبضة
رجل يكون آله لها . فذلك كانت مسئلة مصر روح المسئلة
الشرقية وكان وجود الانكليز فى مصر خطرا كبيرا على
المملكة العثمانية

ولذلك يجب على سواس الدولة العلية ان يهتموا بمسئلة
مصر أشد الاهتمام وأن يجعلوها فى مقدمة المسائل الحيوية
للدولة والملة . وكما أن انكلترا خدعتهم فى الحوادث العرابية

باهواء انكلترا ورغائبها ومستعمرات الدول في أسيا تكون
تحت رحمة انكلترا. فبريطانيا التي أنزلت جنودها على شواطئ
قناة السويس في عام ١٨٨٢ واستأثرت بمنافع القناة وقتئذ
هى بعينها بريطانيا التي يمكنها متى اقتضت حاجتها ذلك أن
تتقل قناة السويس في وجه الدول كافة وتفصل بينها وبين
مستعمراتها الاسيوية

وقد علم القارىء مما كتبناه عن (مسئلة الشام بين مصر
والدولة العلية) أن المغفور له (محمد على باشا) كان يريد
الاستيلاء على الشام لتقوية ملكه في مصر عملا برأى نابليون
من أن الشام ضرورية لمصر ومصر ضرورية للشام . فاذا
استولت انكلترا على مصر هل تكون الشام وقتئذ في مأمن
من اعتداء الانكليز عليها ؟ وفي أية حالة تكون الدنيا اذا
صار بيت المقدس والاماكن المقدسة في أيدي بريطانيا
البرتستانتية ؟ وماذا يعمل الكاثوليكيون والارثوذكسيون
حين ذلك ؟ بل وماذا يعمل المسلمون ؟

ان استيلاء انكلترا على مصر لخطر عظيم على العالمين

بحيرة انكليزية وضاعت الموازنة بين الدول الاوروبية . فان
انكلترا يمكنها بواسطة جبل طارق ومالطة وقبرص ومواني
مصر وقناة السويس ان تدمر بحرية كل دولة وتبقى وحدها
سيدة البحر الابيض المتوسط . وهو خطر لا محالة عظيم على
الدول الاوروبية لا يمكن لها دفعه بغير تحرير مصر وتركها
مستقلة في ادارتها مستظله بالسيادة العالية للدولة العلية

وامتلاك انكلترا الوادى النيل يجعل مستعمرات الدول
الاوروبية بأفريقيا عديمة النفع ويضيع التوازن الدولى من أفريقيا .
فان بقية المستعمرات الدولية منفصلة عن داخل أفريقيا بصحارى
واسعة وجبال صخرية وعرة لا كواد النيل يجرى فيه نهر
عظيم يوصل التجارة وأصحابها الى أواسط أفريقيا ويسهل
لاصحابه الوصول الى أى جهة من الجهات الافريقية

وكما ان الموازنة بين الدول فى أفريقيا تضيع تماما
باحتلال الانكاز على مصر فان هذه الموازنة تضيع أيضا
من آسيا اذا تمت لانكلترا الكلمة فى وادى النيل . فان
السياحة فى الشرق الاقصى وفى المياه الاسيوية تكون متعلقة

والاهمية بمكان . فوراها مسألة تجارية دولية . ومسئلة البحر
الابيض المتوسط . ومسئلة افريقية . ومسئلة اسيوية . ومسئلة
مسيحية . ومسئلة اسلامية

فاذا استولت انكلترا على مصر صار من المتحيل على
الاوروبيين القاطنين بها أن يعيشوا فيها فان انكلترا تضيق
عليهم مسالك الحياة لينفرد أبنائها بمكاسب مصر وخيراتها
ولتكون أبواب مصر مفتوحة للتجارة الانكليزية دون
سواها . وهذه سياسة انكلترا في كل بقعة ترفع عليها رايها
ويقضى عليها سوء الحظ بالوقوع في قبضتها . ذلك فضلا عن
ان التجارة الاوروبية يستحيل عليها عندئذ ان تصل الى السودان
أو الى أواسط أفريقيا فان طريق النيل البديع يكون احتكاراً
للانكليز والتجارة الانكليزية ليس الا . فامتلاك انكلترا
لمصر هو في الحقيقة موت للتجارة الاوروبية في مصر وفي
السودان وفي أفريقيا الوسطى وقضاء على الاوربيين القاطنين
بمصر

واذا امتلكت انكلترا مصر صار البحر الابيض المتوسط

وكما ان مصر كانت في الماصى كنانة الله في الارض فهى كذلك لا تزال قبرا للامم الطاغية . وافراد الانكليز الذين يحكمون على المستقبل بالماضى ويعرفون أن أدوار التاريخ تتجدد ولا تتغير حكموا صريحا بأن دوام الانكليز فى مصر خطر على الدولة البريطانية وأنه يكون سببا لدمارها . ولقد قال اللورد (سالسبورى) أخيراً فى احدى خطاباته « ان سياسة الطمع هي سبب خراب الممالك العظمى » فليعتبر هو نفسه وليعتبر سواس بريطانيا جميعا بهذه الحكمة العالية . فان سياسة بريطانيا فى مصر سياسة طمع وشره لا مثيل لهما . كيف لا وهي ترمى الى تأسيس مملكة أفريقية بتتدىء من الاسكندرية وتنتهي عند رأس الرجاء الصالح وتعمل لهذا الغرض غير ملتفتة الى حقوق الامم التى تستعبد لها ولا الى المصائب التى تسقطها عليها ولا الى الدماء التى تسيلها فيها ??? ولقد أبنأ فى رسالة (اخطار الاحتلال الانكليزى) النتائج الخطيرة التى تنتج عن بقاء الانكليز فى مصر وأوضحنا ان وراء المسئلة المصرية جملة مسائل سياسية من الخطارة

السياسة الحميدية النبيلة تجذب إليها ألمانيا في المسئلة المصرية كما جذبتها نحوها في المسئلة الشرقية . ولا يمكن بلوغ هذه الغاية لا يكون الا اذا جاءت الظروف المناسبة وحانت الفرص . وفضلا عن ذلك فان مستعمرات ألمانيا في أفريقيا وفي آسيا تقع تحت خطر عظيم اذا وقعت بلاد النيل في قبضة انكلترا وصارت ملكا لها . فان مصر مفتاح افريقية وآسيا وماضيها وحاضرها ينذران الامم كافة بأن الدولة الحامكة لها تكون أقوى الدول بطشا ويكون في استطاعتها أن تضر بمصالح العالمين

فمسئلة مصر ليست كبقية المسائل الافريقية والاسيوية بل هي المعضلة الكبرى في سياسة هذا العصر . ولا يغرن القراء تقدم انكلترا في مصر وازياد سلطتها فيها وفي حكومتها فذلك لا يؤثر مطلقا على جوهر المسئلة المصرية نفسها . وسواء كان الانكليز في مصر ثلاثة أشخاص أو ثلاثة ملايين وسواء كانوا بغير سلطة أو أصحاب السلطة كلها فالمسئلة واحدة لا يؤثر عليها قلة عدد الانكليز في مصر أو كثرتها .

سواس ألمانيا واعتقدوا - أو تظاهروا بالاعتقاد - بأن
المسئلة المصرية مسئلة فرنساوية وأن السعى في الجلاء يكون
خدمة لفرنسا . وما تحادّثت مع سياسى ألمانى في برلين الا
وصرح لى بأن ألمانيا تعتبر المسئلة المصرية مسئلة فرنساوية وانها
لذلك تفضل مساعدة انكلترا على مساعدة فرنسا

وهذا الاعتقاد الفاسد الراسخ فى أذهان الكثيرين من
الالمانيين هو ولا شك من أهم أسباب مساعدة ألمانيا لانكلترا
فى مصر . فبينما نرى السياسة الالمانية تعضد الدولة العلية كل
التعزيد وتساعد على أحباط مساعي انكلترا ودسائسها فى
أرمينيا وكريد واليونان نرى هذه السياسة نفسها نصيرة
لانكلترا فى مصر !! كأن المسئلة المصرية غير مرتبطة بالمسئلة
الشرقية وكأن مصر ليست بجزء من الدولة العثمانية !

ولكنه يمكننا أن نجزم بأن السياسة الالمانية لاتخدم
المصالح الانكليزية فى مصر الى النهاية . فان علاقات ألمانيا مع
انكلترا تكدرت كثيراً عن ذي قبل والمنافسة تزداد كل يوم
بين الدولتين فى التجارة والاستعمار . ولا ريب عندي أن

ويخلق العداوة بينها وبين انكلترا ويجبر الدولة العلية على مصافاة ألمانيا والعمل على أسيمايتها ضد انكلترا. ولذلك ساعد الانكليز في مصر كثيرا وبقيت دول التحالف الثلاثي زمنا طويلا عضداً قويا لانكلترا في مصر. وكان من دهاء سواس بريطانيا أنهم خدعوا ايطاليا وأظهروا لها المودة والمحبة وساموها بعض شواطئ البحر الاحمر وأوقعوها في شباك الاستعمار فاضطرت لمساعدتهم في مصر. ولما انهزمت جيوشها أمام الاحباش استغاثت بانكلترا وتوسلت اليها بألمانيا فاهتمت انكلترا بالامر وتظاهرت بالميل لمساعدة الايطاليين وانقاذهم وجبرت الحكومة المصرية على إرسال حملة دنقلة بحجة نصره ايطاليا وتخليصها من أيدي الاحباش والدرأويش !!!

وبدهاء السياسة الانكليزية أفلحت انكلترا في الاعتماد على ألمانيا ودولتي النمسا وايطاليا حليفتيها في مسألة مصر وحققت كثيراً من أمانها. وقد أفهم سواس بريطانيا رجال السياسة الألمانية أن فرنسا تنوى الاستيلاء على مصر وأن جنودها تحتل مصر اذا خرجت هي منها. فأنخدع لهذه الباطيل

السلطانية واستمالة المسلمين الخاضعين لفرنسا بالتقرب من
جلالة السلطان وباحترام حقوق الدولة العلية

وقد نجحت فرنسا والروسيا في اقناع جلالة السلطان
الاعظم بسوء نية انكلترا وباضرار معاهدة (درومندولف)
فرفض جلالته التصديق على هذه المعاهدة وغادر المندوب
الانكليزي الاستانة عائدا الى لوندرة

ولم تحدث بعد ذلك مخبرات بشأن مصر الا في عام
١٨٩٠ ولكن اللورد سالسبوري رفض صراحة في هذه
المرّة تحديد أجل الجلاء عن مصر

لقد اعتمدت دائما انكلترا في سياستها في المسئلة المصرية
على ألمانيا والنمسا وإيطاليا أى على دول التحالف الثلاثى. وقد
صرح اللورد (غرانفيل) بعد احتلال الانكليز لمصر بأن
البرنس (بسمارك) هو الذى نصح انكلترا بارسال جنودها
الى وادى النيل . فالبرنس (بسمارك) كان يرى أن احتلال
الانكليز لمصر يشغل فرنسا عن مسئلة الالزاس واللورين

جلالة السلطان الاعظم عليها . ولكن فرنسا لما علمت بها عارضت في تصديق جلالة السلطان عليها كل المعارضة واستعانت بالروسيا على مساعدتها لدى الحضرة السلطانية . وهذه هي المرة الاولى التي اتفقت فيها فرنسا والروسيا على مسألة سياسية بعد مؤتمر برلين .

وقد ارسل المسيو (فلورانس) وزير خارجية فرنسا وقتئذ منشورا لسفراء فرنسا في الخارج أبان لهم فيه أن اتفاقية (درومندولف) تجعل احتلال انكلترا لمصر احتلالا أبديا اذ أنه يمكنها خلق الاضطرابات والقلق متى شاءت خصوصا وان المسئلة السودانية لا تزال قائمة . وأبان أن هذا لاتفاقية من شأنها محو سلطة الدولة العلية عن مصر . ومما جاء في هذا المنشور قول المسيو (فلورانس) !

« واننا (اى فرنسا) بصفتنا دولة اسلامية فى البحر الابيض المتوسط لا نقبل أبداً المساس بحقوق جلالة السلطان الاعظم . فان هذا المساس يكون ذات نتيجة خطيرة جدا » . فكانت سياسة المسيو (فلورانس) ترمى الى احترام حقوق الحضرة

ولما علمت الحكومة العثمانية والحكومة الفرنسية
بمسافر السير (درومندولف) الى لوندرة سألتا الحكومة
الانكليزية عن سبب هذا السفر فأجابتهما وزارة لوندرة
بارسال السير (درومندولف) الى الاستانة للمخاطبة مع
الحكومة العثمانية مباشرة . ولما وصل السير (ولف) الى
الاستانة — وكان ذلك في عام ١٨٨٧ — عرض على الحكومة
التركية مشروع اتفاقية بشأن مصر تتضمن انجلاء العساكر
الانكليزية منها بعد ثلاث سنين من عام ١٨٨٧ (أى في
١٨٩٠) ولكن على شرط انه لو حصل قبل انجلائها
اضطراب في مصر يدعو الى استمرار الاحتلال بقيت الجنود
الانكليزية وأطيل أمد الاحتلال وانه اذا حصل في مصر
بعد خروج العساكر الانكليزية منها اى هيجان او اى
اضطراب يكون لانكثرا وحدها دون سواها الحق في
ارسال جنودها الى مصر

وقد قبلت الدولة العلية هذه الاتفاقية وامضي عليها
الصدر الاعظم في ٢٢ مايو عام ١٨٨٧ ولم يبق الا تصديق

الى انكلترا والعمل على عقد اتفاق معها ضد روسيا وتغريها
بأن انكلترا مستعدة للجلاء عن مصر حتي تقبل عقد هذا
الاتفاق . ولكن الخلاف بين روسيا وانكلترا سوّى في
لوندرة أثناء وجود السير (درومندولف) بالاستانة واتفقت
الدولتان في ١٠ سبتمبر عام ١٨٨٥ على استيلاء روسيا على
« البنديجية » وترك « ميروسحاق » و « ذي الفقار » الى
الافغانستان . فانهت بذلك مأمورية السير (درومندولف)
في الاستانة ولكنه بقي في العاصمة العثمانية زمنا لكي
لا تظهر حقيقة أغراض انكلترا . وقد اتفقت معه الحكومة
العثمانية على ارسال مندوب عثماني عال بصحبته الى مصر
لدراسة أحوالها معاً ووضع اتفاقية بالاشتراك تعرض بعدئذ
على تركيا وانكلترا للتصديق عليها . فسافر الى مصر دولة
الغازي (مختار باشا) وأخذ يماطله طول عام ١٨٨٦ بدون
فائدة ثم عاد فجأة الى لوندرة وترك المندوب العثماني وحده .
وقد وضع عندئذ دولة الغازي (مختار باشا) تقريراً جليلاً علي
تنظيم الجيش المصري واسترداد السودان

وفي كل وقت « تحت رعاية الحكومة المصرية الاهلية الحرة لا تحت رعاية حكومة مصرية زمامها بأيدي الانكليز . فمسئلة قناة السويس هي من أهم المسائل التي تحتم على أوروبا الالتفات لمسئلة مصر والعمل على حلها . وان تقدم المانيا في الاستعمار وانتشار تجارتها في الشرق الاقصى لمن الامور التي تحتم على هذه الدولة في المستقبل ان تكون أول الدول اهتماما بمسئلة مصر وأكثرها عملا على تخليص بلادنا العزيزة من تحت نير الانكليز



لقد عمل الانكليز في عام ١٨٨٥ على أن يخذعوا تركيا مرة جديدة وينتفعوا بها ضد روسيا بدون ان ينفعوها . وذلك انه لما اشتد الخلاف بين انكلترا وروسيا بسبب مسئلة افغانستان أرسل اللورد سالسبورى الى الاستانة السير (درومندولف) بحجة عقد اتفاق مع الباب العالي بشأن مصر تحل فيه عقد المسئلة المصرية . وكان المقصد الحقيقي من مأمورية السير (درومندولف) هو استمالة تركيا

انكلترا رفض هذا الاقتراح وعرض على اللجنة تكليف الحكومة المصرية (التي للانكليز فيها الكلمة النافذة) بتنفيذ هذا القرار الدولي المختص بقناة السويس

وهذا الاختلاف في طريقة تنفيذ القرار الدولي جعل عمل اللجنة ملغيا بالمرّة لان المسئلة وقفت عند هذه النقطة . ويتضح للقارىء جليا من اقتراح المندوب الانكليزى في اللجنة الدولية أن انكلترا تريد مدي سيطرتها على قناة السويس وجعلها ترعة انكليزية واستعمالها وقت الحرب ضد الدولة أو الدول التي تكون في حرب معها . وما عملته انكلترا في قناة السويس أيام الحوادث العراقية مع وعدّها السابق لمسيو (دي لسبس) بعدم مساسها وعدم ارسال جنودها اليها يدل بأوضح بيان على ان انكلترا لا تحترم عهدا ولا ترعى ميثاقا متى اقتضت مصالحها انتهاك حرمة العهد والميثاق

وانه لا يمكن للدول الأوروبية ان تأمن خطر استئثار الانكليز بقناة السويس الا اذا حررت مصر وسلمتها لانبائها وجعلت « حياد قناة السويس وحرية المرور فيها لكل دولة

مصر . ولما رأت الحكومة المصرية انها في عوز شديد للمال اقترضت في عام ١٨٨٥ مبلغ تسعة ملايين من الجنيهات ودعت الحكومة الانكليزية الدول الاوروبية للاشتراك معها في تقرير المسئلة المالية في مصر . فاجتمعت لجنة دولية بلوندره وقررت في ١٧ مارس عام ١٨٨٥ جعل مصارين الادارات المصرية في كل عام خمسة ملايين من الجنيهات واتنقت الدول على عقد لجنة دولية اخرى بباريس في ٣٠ مارس عام ١٨٨٥ نفسه لتقرير جعل قناة السويس على الحياد وتقرير حرية المرور فيها لكل دولة وفي كل وقت . فاجتمعت اللجنة الدولية في باريس وتداولت في المسئلة واتنقت على جعل قناة السويس على الحياد وختمت جلستها في ١٣ يونيو عام ١٨٨٥ ولكنها لم تتفق على نقطة واحدة وهي طريقة تنفيذ قرارها . فمندوب فرنسا عرض على اللجنة اناطة تنفيذ هذا القرار بلجنة مشكاة من مندوبين من كل الدول العظمى ومن مندوب مصرى يكون له رأى استشاري وجعل هذه اللجنة تحت رئاسة مندوب عثمانى . ولكن مندوب

وهو قول تكذبه الشواهد والحقائق فان المصريين لا يرفضون قبول المراقبة الدولية على المالية المصرية. والحزب العربى نفسه كان يعان فى كل فرصة انه لا يريد المساس بحقوق الدائنين وانه يقبل المراقبة الشئئية . واذا كان هناك خطر على مصالح الدائنين فهو فى بقاء انكلترا فى مصر فان أطماها وأغراضها سوات لها وضع يدها بواسطة الحكومة المصرية على جزء من أموال صندوق الدين للانتفاع به فى الحملة السودانية واضطرت أن ترده ثانية عند ما حكمت عليها المحاكم المختلطة . ولكن بعد ان تحقق الدائنون وحملة القراطيس من ان انكلترا لا تخدم فى مصر سوى مصالحها وانها تضحي مصالحهم فى سبيل سياستها وما ربحها

*
* *

رأى القارئ مما سبق ان انكلترا دبرت مذبحة الاسكندرية وتركت هذه المدينة الزاهرة ميدانا للاشرار والصوص فهبت الخازن والاسواق واضطرت الحكومة المصرية لدفع التعويضات الطائلة بعد دخول الانكليز فى

انما هي انكثرا دون غيرها

وكذلك اشاعت انكثرا في كل أوروبا أن المصريين
قوم لا يصلحون لاستلام زمام أمور بلادهم وليسوا بأكفاء
لان يحكموا أنفسهم بأنفسهم وانهم في حاجة لمعونة ومساعدة
الاحتلال الانكليزي . أى ان انكثرا الشفقة على المصريين
تركت أبناءها في مصر يديرون أمورها ويطردون المصريين
من الوظائف والادارات ! وان تاريخ مصر في عهد العائلة
الخدوية مليء بالبراهين الداحضة لدعوى عدم كفاءة
المصريين فان أبناء مصر هم الذين نظموها ورتبوا ادارتها
وقادوا زمامها قبل الاحتلال الانكليزي . والذين تعلموا
وتهذبوا من أبناء مصر هم ولا محالة أكثر بكثير من الذين
كانوا متعلمين من أبناء بلغاريا وصربيا يوم فصلت أوروبا
هاتين الامارتين من الدولة العلية وأعلنت استقلالهما . وقد بنى
الانكليز على دعوى عدم كفاءة المصريين أن مصالح الدائنين
تكون في خطر اذا سلمت مصر لابنائها وان في الاحتلال
الانكليزي خير كفالة وأحسن ضمانا لرعاية هذه المصالح .

المصرية اشكالا وتعقيدا

وبالجملة فان انكلترا جعلت السودان خزاناً لسياستها في مصر تخرج منه القلاقل والاضطرابات كلما رأت ضرورة لذلك وكلما نوديت بأن الامن أستتب في مصر وأن لا لزوم للاحتلال الانكليزي

ولما كان سلاح أوروبا ضد المسلمين هو مسألة الدين وكانت انكلترا تهول دائماً على أوروبا بأن المسلمين متعصبون في الدين كلما اقتضت ذلك حاجتها فانها أذاعت في كل أوروبا بأن المصريين متحفزون للقيام بالثورة ضد المسيحيين وان سلامة الاوروبيين في مصر متعلقة بدوام الاحتلال الانكليزي. وهى وشاية سافلة ينفىها تاريخ مصر ويدحضها ما اشتهر عن المصريين من التساهل والاعتدال واكرام الغرباء والنزلاء. ومذحجة الاسكندرية التى تذكرنا بها الصحف الانكليزية ليست بذات التعصب الدينى عند المصريين بل هي ثمرة دسائس انكلترا نفسها وانه يستحيل على التاريخ أن يلقي على المصريين مسؤولية هذه المذحجة بل المسؤول عنها

العزيزة رأيي سواس بريطانيا ان أول واجب عليهم هو اعدام هؤلاء الجنود وحرمان مصر من أعز أبنائها فأرسلوا الحملات الى السودان ودبروا هزيمتها حتى هزمت وفقدت مصر في ثلاث سنين أكثر من ستين ألفاً من جنودها الاعزاء والذين نجوا من هاته الحملات المشؤومة يصرحون جهاراً بان الخطة التي سار عليها القواد الانكليز للجيش المصري تدل دلالة لا ريب فيها على انهم كانوا يقصدون الهزيمة وسقوطه في قبضة الدراويش

وقد طالب الانكليز من الحكومة المصرية تقرير سائح السودان عن مصر في يناير عام ١٨٨٤ حيث كانت مصالحهم تقتضي ذلك وقتئذ فرفض (شريف باشا) قبول هذا الطلب بكل شمم ورفعة نفس وقدم استغفاه تاركاً المنصب للوزير الارمني (نوبار باشا) الذي قرر فصل السودان عن مصر. ولما اقتضت المصلحة الانكليزية تسيير حملة على السودان استصدر الانكليز أمراً عالياً بذلك وأشركوا الجنود الانكليزية مع جنود مصر لتزداد المسئلة السودانية والمسئلة

سيحافظون على ولائه أبد الدهر وسيكونون على الدوام
أنصاره وأعوانه . وكما اعتدي الانكليز على حقوق سموه
وأظهروا كراهتهم لمقامه العالى ازداد تعلق المصريين بعرشه
وتمكن من افئدتهم الاخلاص لجنابه الرفيع

ولما رأت انكلترا ان اعادة الامن والسلام الى ربوع
مصر لا تحتاج لزمان طويل وان أوروبا ستطالبها بعد الاحتلال
بالجلاء خلقت المسئلة السودانية ليطول احتلالها في مصر
وليبقى السودان خزان الاضطرابات والقلق . وقد عرف
القارىء من أول هذا الفصل ان (اسماعيل باشا) قد عين
بعض الانكليز حكاماً على السودان فكانت وظيفتهم تنحصر
في ايجاد دواعي الاضطراب وتنفيذ السودانيين من المصريين
ومن حكومة مصر . فألقوا بأيديهم بذور الثورة والهيجان في
السودان بمال مصر نفسها حتي قامت الثورة العرابية واختلت
أحوال بلادنا ودخلها الانكليز فرفع السودان راية العصيان
في وجه مصر كما ابتغت انكلترا . ولما كان في مصر كثير
من الجنود المصرية الاشداء وقت احتلال الانكليز لبلادنا

الخديو الحالى (عباس حلمى باشا الثانى) حيث جاء مطالباً
بمحقوقه الشرعية متمسكاً بحقوق أمته وأستقلالها فعارضته
انكلترا ووجهت اليه على لسان جراند هاوسنائها الطعن القبيح
وصار الانكليز في مصر يقربون منهم كل دخیل أو كل خائن
يتظاهر بكراهة الامير المحبوب وبمخالفة آرائه واحساساته
ويعدون عنهم ويعاقبون كل مخلص لسموه. وأصبحت القاعدة
الاولى للتوظيف فى بلادنا التعسة هى الجحود للوطنية وكراهة
العزیز . فليكن طالب الوظيفة جاهلاً ما استطاع وليكن
غير كفؤ ما أراد فانه يعين ويقدم ويساعد من الانكليز
متى كان جاحداً للوطنية عدوا للعزیز . وهكذا قام الانكليز
بوفاء وعودهم وعملوا على تقوية السلطة الخديوية وتوطيد دعائم
العرش الخديوى

ولكن مصالح الامة المصرية صارت اليوم متفقة مع
مصالح الخديوية وصارت آمال الامة وأمانها متفقة مع
آمال سمو الخديو وأمانه فيستحيل على بنى مصر أن ينععدوا
عن سمو العزیز (عباس حلمي باشا) لحظة واحدة بل انهم

الارمنية وأوحوا الى سمسرتهم في الاستانه ببذر بذور الشقاق
والبغضاء بين العباس وبين جلالة السلطان الاعظم . ولكن
حكمتهم ما أحبطت المساعي الانكليزية وخرجت انكثرا من المسئلة
الارمنية بالفشل والخذلان بفضل السياسة الحميدة النبيلة
والمجهودات العظيمة العديدة التي بذتها انكثرا للتفريق
بين مصر والدولة العلية وتكدير صفاء العلائق بين سمو
الخديو المعظم وجلالة السلطان الاعظم هي دليل ساطع على
أن في الاتفاق بين مصر والدولة العلية سلامة مصر وخيبة
انكثرا .

ولقد أدعت انكثرا قبل الاحتلال الانكليزي وبعده
أن جل أمانيتها تقوية السلطة الخديوية في مصر وترقية المصريين
وجعلهم كفوءا لان يحكموا بلادهم بأنفسهم . ولكنها لما احتلب
مصر جرت على نقيض ذلك فعملت على هدم السلطة الخديوية
ودك أركانها وملات المصالح والادارات بالانكليز وطردت
المصريين من الوظائف السامية . وقد ظهرت أعمال الانكليز
في مصر ونواياهم ظهور الشمس في رابعة النهار في عهد سمو

مصر فانهم عملوا ما في استطاعتهم لتنفيذ المصريين من الدولة العلية ومن جلاله السلطان الاعظم . فأوعزوا الى فئة من الدخلاء الذين لا وطن لهم ولا شرف ولا عقيدة بالطعن على جلاله الخليفة الاكبر والسلطان الاعظم وتشويه أعمال الدولة العلية وأحوالها . ولم يسمحوا بمحاكمة هؤلاء الطاعنين الذين يسبون الامة المصرية وعقيدتها أعظم السباب بطعنهم على خليفة الاسلام وسلطان مصر

ولكن الانكليز لم يفلحوا ولن يفلحوا أبداً في تنفيذ المصريين من الدولة العلية . فحب بنى مصر للدولة العثمانية وسلطانها المعظم حب صادق امتزج بالدم وبالحياة ولا يخرج من قلوبهم الا مع الارواح يوم ترد خالقها جل شأنه . وقد وهب الله المصريين في سمو العباس أميراً على الذكاء بعيد النظر فتوى دعائم الصلة بين مصر والدولة العلية وحقق بذلك أمانى المصريين عن بكرة أبيهم وبغية العثمانيين أجمع . وما أظهر العباس إخلاصه لسلطانها العلى الشأن حتى حنق الانكليز عليهم ما ودسوا الدسائس ضد الدولة في كل بلادها وخالقوا المسئلة

(لا قدر الله) بصفة نهائية قضت على حقوقهم ومصالحهم
أشد قضاء. وخطتها في الهند وفي سائر مستعمراتها تبين
جليا أنها اذا صارت صاحبة الحكمة الوحيدة في مصر قتلت
تجارة أوروبا وواردتها في بلادنا وحرمت كل اوروبي
المعيشه والتكسب على شواطئ نهر النيل. وهو أمر يعرفه
كل الاجانب في مصر وقد كانت انكلترا في السنين الاولى
للاحتلال معتمدة كل الاعتماد في المسئلة المصرية على المانيا
ولكن هذه الدولة عرفت في الايام الاخيرة ان انكلترا هي
أكبر عدوة لها وقد غنت عليها مصالحها الصناعية والتجارية ان
تنافسها في كل بلد وفي كل ثغر وان تقدم المانيا في الاستعمار لحادث
من أهم حوادث السياسة المصرية فانه سيجعل العدوة بين
انكلترا والمانيا في مصر قوية شديدة مستمرة. ومن يعيش ير
فلم يبق اليوم أحد من الاوروبيين يعتقد ان انكلترا
تخدم في مصر المصالح الاوروبية وان بقاءها في بلادنا وازدياد
نفوذها وسلطانها لا يضران بأوروبا
وكما ان الانكاز وجهوا عنايتهم لقتل نفوذ أوروبا في

هذه مبادئها : أولا . هدم كل سلطة أوروبية وقتل كل نفوذ أجنبي « غير انكليزي » في مصر

ثانيا . قتل النفوذ المعنوي لجلالة السلطان الاعظم في مصر وقطع الروابط التي تربط مصر بالدولة العلية شيئا فشيئا
ثالثا . سلب الجناح الخديو سلطته والاستيلاء على الادارات المصرية وطرده المصريين من الوظائف السامية وتعيين الانكليز مكانهم

رابعا . خلق الاضطراب في مصر واجتاد الاسباب الموجبة لدوام الاحتلال

خامسا . نشر النائم والاكاذيب في أوروبا على المصريين فلقد اعتدت انكلسترا على حقوق فرنسا في مصر وطاردت الفرنسيين في المصالح بكل قوتها وعملت على اضعاف اللغة الفرنسية في المدارس ونشر اللغة الانكليزية ولم يكفها الاعتداء على نفوذ فرنسا بل اعتدت كذلك على كل حقوق أوروبا وأعمالها الحديثة في صندوق الدين وظهرت لكل الدائنين ولحمة القراطيس انها اذا استرلت على مصر

انكلا ترا عسا كرها من مصر ؟ ؟

وقد اغتر الكثيرون من المصريين ومن سواس أوروبا أنفسهم في مبدأ الاحتلال بهذه التصريحات الجميلة والوعود الصريحة وظنوا أن انكلترا التي دبرت مذبحجة الاسكندرية بأسفل الوسائل والتي ضربت الاسكندرية بطريقة يأبأها التاريخ وتعافها نفوس الامم كافة والتي لطخت شرفها في الحوادث العرابية بدسائسها وخداعها ونفاقها أرادت أن تقدم للنوع البشرى بعد الذي عملته ضد مصر مثلامن أمثال مدينتها وبرهانها على صدقها في وعودها واحترامها لشرفها وليكن أعمالها في مصر برهنت على أن وعودها الصريحة وعهودها العلنية لم تكن الا ستارا لاطماعها ورمادا لقتها في أعين سواس أوروبا وفي أعين المصريين ودلت خطتها في بلادنا الاسيفة على أن عبارات (الشرف البريطانى) و (تاج جلالة الملكة) و (مقام الامة البريطانية) التي كنا نحسبها مقدسة يصح لسواس بريطانيا أن يستعملوها للنعمية والتغدير ! فلقد اتبعت انكلترا في مصر سياسة واحدة ثابتة

وآخر تصريح من هاته التصريحات الجميلة هو الكتاب
الذي بعث به الى المستر (غلادستون) في يناير عام ١٨٩٦
وقال فيه :

« أما آرائى فانها لم تتغير قط وهي دائما انه يجب علينا
ان نترك مصر بعد أن نتم فيها بكل شرف وفي فائدة مصر
نفسها العمل الذي من أجله دخلناها

وان زمن الجلاء عن مصر على ما أعلم قد وافى منذ سنين
ولما كنت فى منصبى أخيرا أملت مساعدة الحكومات
الآخري توصلا الى تسوية هذه المسئلة (المصرية) المهمة .
والسلوك الذى اتبعه المسيو وادنجتون (سفير فرنسا بانكلترا
وقتئذ) فى عام ١٨٩٢ شجع أملى غير ان المخبرات لم تخط
خطوة واحدة مع عظم ما أملنا اذ ذاك . ولست أدري لاي
سبب . . . »

فاعترف المستر (غلادستون) بنفسه فى هذا الكتاب
بان زمن الجلاء قد وافى أى أن العمل الذى من أجله
دخلت انكلترا مصر قد تم منذ سنين . فلماذا لم تسحب

مأموريّتها تركت البلاد لاهلها يديرون أمورها بغير سلطة
أجنبية وبدون تدخل أجنبي. وان الكاتب لو أراد أن يسرد
تصريحات وزارة انكلترا وسواسها بشأن مصر ووعودهم
العلنية بالجلء عن بلادنا العزيزة لملا الصحف بهذه التصريحات
وبهذه الوعود . فيكم من مرة قام اللود « سالسبوري »
وأمثاله ونادوا على مسمع من أمّتهم ومن أمم العالم كلها بأن
شرف انكلترا يقتضى الجلء عن مصر وان هذا الشرف
الرفيع لا يسلم الا باعطاء المصريين بلادهم وتسليمهم زمام
الامور فيها . وكم من مرة وقف رجال الحكومة البريطانية
وأشهدوا العالمين على انهم انما يخدمون المدنية والانسانية في
مصر وأن الجلء أمر مقرر . وكم من مرة أقسم ساسة
بريطانيا بالشرف البريطاني وبتاج جلالة الملكة أن مال
مصر للمصريين وان الجنود الانكليزية خارجة من بلاد
النيل بعد استتباب الامن فيها وتوطيد مركز الامير . وكم
من مرة قال المستر (غلادستون) بصوته الرنان « ان امتلاك
مصر شيء جميل ولكن الوفاء بوعود بريطانيا أشرف وأجمل »

سلامة الوطن العزيز وكل سوء يمس عزيز مصر يمس مصر نفسها . وليس الحزب الوطنى فى مصر الآن ذا أميال مناقضة لأميال العزيز بل الرئيس الحقيقى لهذا الحزب - أى للامة كلها - هو سمو الخديو (عباس حلمى باشا الثانى) الذى أيقظ العواطف الوطنىة فى بلاد مصر ونبه الامة عن بكرة أبيها الى حقوقها المقدسة

ويجب على المصريين فارق ذلك أن يتمسكوا أشد التمسك بالرابطة الاكيدة التى تربطهم بالسلطنة العثمانىة . وقد أدرك سمو الخديو المعظم هذا الواجب قبل كل انسان فجدد أكيد الصلة بين مصر والدولة العالىة وملاً بذلك قلوب المصريين آملاً فى المستقبل وفى نجات الوطن العزيز



ما احتلت انكلترا مصر حتى أعلن سواستها ووزرائها ان هذا الاحتلال مؤقت لا تريد به الدولة البريطانىة سواً لمصر وانها أرسلت جنودها الى وادى النيل لتوطيد دعائم العرش الخديوى ولترقية شأن الامة المصرىة وانها متى أتمت

الحوادث العراقية هي أن الشقاق سبب ضياع الامم وسبب دمارها فلولا الشقاق بين الحزب العربي والجزاكسة ما أوجدت الحوادث العراقية . ولولا الشقاق بين الحزب العربي والمغفور له (توفيق باشا) ما كبرت الحوادث وتجمست وتداخلت انكثرا فى الامر . ولولا الشقاق بين جلالة السلطان والخدو السابق ما وثقت الدولة العلية بانكثرا وما شجعت الحزب العربي وما لجأ المغفور له (توفيق باشا) الى الانكيز وباجللة لولا ذلك الشقاق المشؤوم ما احتل الانكيز مصرنا العزيرة

فيجب أذن على سائر المصريين أن يتحدوا كل الاتحاد فيما بينهم وأن لا يتركوا للاجانب والدخلاء وسامسة السوء والفساد سبيلا لالقاء بذور الشقاق بينهم وبين بعضهم . فنحن اليوم أمام أعداء كبار يعملون بالاتحاد بالرغم عن قوتهم فكيف بنا ونحن أقل منهم قوة ؟ انه ليجب على كافة أبناء مصر أن يتعلقوا بسمو الخديو المعظم أشد التعلق وان يدافعوا عن أريكته ولو ماتوا عن آخرهم فى سلامة الخديوية الجليلة

لهم على ذلك فلما لم يجد نصيراً من قومه ينصره ضد العرايين
ألقى بنفسه بين أيدي الانكليز محافظة على ملكه وعلى حياته.
ولا ريب أن المغفور له (توفيق باشا) كان متألماً من الاحتلال
الانكليزي غاية التألم والذين سمعوه يشكو منه يمكنهم أن
يشهدوا بذلك أمام التاريخ. والا فهل يعقل أن أميراً من
سلالة (محمد علي) يرضى عن طيب خاطر بتسليم ملكه
وبلاده لدولة أشتهرت بالشر والاطماع؟ وأتما غايه ما يؤخذ
به على المغفور له (توفيق باشا) في كل حياته هو أنه كان كثير
الميل للإسلام حتى أنه كان يضعف في بعض الظروف ويظهر
مستسلماً. ولا شك أنه لو كان شديد الحزم قوى الإرادة
لكانت نجت مصر من أخطار كثيرة

ومع ذلك فانه يتعذر على المؤرخ أن يقدم لقرائه حكماً
صريحاً على الحوادث العرايية وعلى الاشخاص الذين كان لهم
شأن فيها. فان هنالك أسراراً كثيرة لا تزال مستورة لو ظهرت
وانكشفت لتغير الحكم على أمور مهمة وعلى أشخاص عديدين
وعلى كل حال فان العبرة التاريخية التي تظهر للعيان من

والافتراء التي أتبعوها لاحتلال مصر وبلوغ غاياتهم وتحقيق
مآربهم

*
* *

لقد اختلف المصريون والناس كافة في الحكم على
الحوادث العرابية وتوزيع المسؤولية على الاشخاص الذين كان
لهم يد فيها . فمن قائل أن (عرايى باشا) كان متفقاً مع الانكليز
على تسليمهم مصر أي أنه كان خائناً لوطنه فاقد الذمة والشرف
وهو قول أراه غير صحيح بالمرّة فإن الرجل كان سليم النية
وغاية ما يؤخذ عليه أنه تعجل كثيراً وانخدع كثيراً . ومن
قائل أن (توفيق باشا) كان متواطئاً مع الانكليز من بادىء
الامر وكان يتظاهر بأنه لم يجد حيلة للتخلص من الحزب
العرايى الا بدعوة الانكليز لاحتلال مصر . وهو قول غير
صحيح أيضاً فإن (توفيق باشا) كان يعلم أن مصيبة الامم هي
تداخل الاجانب في أمورها وكان يود ولا محالة استقامة الاحوال
بغير تداخل اجنبي ولكنه أفهم بعد ضرب الاسكندرية أن
العرايين يريدون خلع أو القتل به وأن الدولة العلية مساعدة

من حكومته لا يحضر من ذلك اليوم فصاعداً جلسات مجلس
النظار « فكان في الحقيقة هذا الاعلان الغاء للمراقبة الثنائية
لانها كانت زوجية والمراقب الفرنسي وحده لا يستطيع
تكوينها . وبذلك اعتدت انكلترا على نفوذ فرنسا في مصر
وابتدأت في أعمالها العدائية ضدها

وقد سلم (عرابي باشا) ورفقاؤه أنفسهم الى الجنرال
(لو) بعد دخول الانكليز القاهرة وجرت محادثتهم أمام
مجلس عسكري وكان المدافعون عن (عرابي) محامين من
الانكليز . وجرت المحاكمة بغاية السرعة وبعد أن حكم على
(عرابي) وزملائه بالاعدام صدر أمر الخديو بتغيير الحكم
بالنفي المؤبد . وكان دولنلو (رياض باشا) وزيراً للداخلية وقتئذ
فلما رأى أن الحادثة جرت بغاية السرعة ولم تظهر المسؤولية
الحقيقية في الحوادث العرابية خلافاً لرأيه قدم استعفاة واعتزل
الوزارة

وبذلك انتهت الحوادث العرابية المحزنة وخابت آمال
المصريين وأفلح الانكليز في سياسة الخداع والكذب

العلية رسميا باحتلال مصر لم تجبها الدولة لطلبها بل قبلت الاشتراك في مداولات اللجنة الدولية بالاستانة بعد أن رفضت ذلك . ولما أُلحَت عليها اللجنة باحتلال مصر وقبلت هذا الاحتلال قضت زمنا طويلا في مخبرة اللورد «دوفرين» بشأن عقد اتفاقية عسكرية ولم تعجل بإرسال جنودها لمصر وتركّت سواس انكلترا يخذعونها أكبر خديعة ! وهو درس تاريخي يجب ذكره وتذكره في كل فرصة وفي كل آن . فإن انكلترا لاتضر باعدائها الظاهرين مثل ماتضر بمن تتظاهر لهم بالصدقة

وبعد دخول الانكايز القاهرة أصدر الخديو أمراً بالغاء الجيش المصري وشرع بالاتفاق مع الانكايز في انشاء جيش جديد يكون تحت أمرّة ضباط من الانكايز وقد رأي الانكايز بعد احتلالهم لمصر أن بقاء المراقبة الشناية يعوق سيرهم ويضايقهم في أغراضهم فقرروا الغاءها ولذلك أعلن السير كولفين المراقب الانكايزي في ٣٠ اكتوبر عام ١٨٨٢ الحكومة المصرية « بأنه بناء على أمر وارد اليه

وإذا أضفنا الى ذلك ان الخديو السابق كان مع الانكليز ضد (عرايى) وانه كان متفقاً معهم على خطتهم الحربية وأنه أرسل معهم ضباطاً مصريين لارشادهم فى سيرهم أدر كناخرج الموقف الذى صار اليه (عرايى) فى آخر الحوادث العرايية وقبل انهزام الجيش الهزيمة النهائية.

وقد كان الباب العالى لا يزال يؤمل احتلال مصر والاتفاق مع الانكليز ولكن الجنود الانكليزية دخات القاهرة فى ١٤ سبتمبر عام ١٨٨٢ وبعد دخولها بثلاثة أيام أعلن اللورد (دوفرين) الباب العالى بأن لا حاجة لسفر الجنود التركية لمصر !!!

وهكذا خدعت انكلترا الدولة العلية . فانها أوعزت اليها بتعصيد «عرايى» عند ما كان من مصاحبتها تعصيده وخاق أسباب الشقاق والنفور بين المصريين وبعضهم وبين الحزب الوطنى وسمو الخديو . ولما رأت أن مصاحبتها تقضى عليها باعلان الحضرة السلطانية لعصيان «عرايى» سألته الدولة بذلك وأجيب سؤلها . ولما كلفت دول أوروبا الدولة

وفي أثناء اشتعال نيران الحرب بين عساكر مصر
وجنود بريطانيا كان الباب العالي يتخبر مع اللورد (دوفرين)
في عقد الاتفاقية الحربية وكان هذا الاخير يبذل جهده في
تأخير سفر الجنود العثمانية ويقدم كل يوم شرطا جديداً
ويغير كل يوم مادة من مواد الاتفاقية ويلح على الدولة بضرورة
« اعلان عصيان عرابي ». وقد بلغ اللورد (دوفرين) متمناه
وأصدر جلالة السلطان في يوم ٥ سبتمبر عام ١٨٨٢ منشوراً
أعلن فيه « عصيان عرابي » وأمر الجنود المصرية وسائر
المصريين بعدم اتباعه في أمر من الامور ولا ينس القاريء
ان الدولة العلية عضدت قبل ذلك (عرابي) كثيراً وان
الحضرة السلطانية أنعمت عليه بالنيشان المجيدى الاول اظهاراً
لرضاها عنه !

ولا ريب ان هذا الاعلان - الذي صدر قبل واقعة
التل الكبير بأسبوع واحد - كان من شأنه أن يضعف همم
الجنود والاهالى فان الجميع كانوا يعتبرون (عرابي) مدافعاً
عن حقوق جلالة السلطان في مصر وحائزاً لرضى جلالته .

الاستيلاء على مصر تقرر انه حيث الامر كما ذكر فلا يلزم
مدافعة بعد ذلك اعتمادا على ان دولة الانكليز موصوفة بحب
الانسانية والاعتدال وانها متى تحققت من الامر ووقفت
على أفكار أهل البلاد لا شك انها تسعى في تحريرهم وراحتهم
وحفظهم »

وان الانسان لتستولى عليه الدهشة عند ما يقرأ هذه
الفقرة ويتساءل كيف ان (عراي باشا) بعد مذبحة
الاسكندرية وبعد ضرب الاسطول الانكليزي لهذا الثغر
العزير كان يثق بالانكليز ويقول عن دولة انكلترا انها
موصوفة بحب الانسانية والاعتدال وان لا لزوم للدفاع عن
مصر ما دامت انكلترا هي الداخلة فيها ؟ فهل كان (عراي
باشا) يعتبر مذبحة الاسكندرية عملا لا ئقا بدولة موصوفة
بحب الانسانية والعدل ؟ أو هل كان يعتبر ضرب
الاسكندرية دليلا على حسن نوايا الانكليز نحو مصر ؟

لا ريب ان الانكليز قد استطاعوا ان يخذعوا بدهائهم
تركيا كما قدمنا وان يخذعوا عزيز مصر ورجال الحزب الوطني !

» ومع ذلك حصلت حركتان حرييتان جهة كوبرى
القصاصين ثبت فيهما الجيشان ثباتا عظيما وجرح في ثانيتهما
سعادة راشد باشا حسنى فاستبدل بسعادة على باشا الروبى وقبل
أن تتمكن من انشاء المتاربس كما ذكر عاجلتنا العساكر
الانكليزية والهندية وهاجمتنا السوارى ومعها الطوبجية
السوارى التى تطير معها أينما طارت وعلى حين غفلة في ظلام
الفجر اشتعلت نيران الطوبجية والبيادة المهلكة من الطرفين
مقدار ساعتين ثم أتت فرقة سوارى وطوبجية من وراء
الجيش فكان ذلك سببا لخدلانه وتشتته في يوم الاربعاء ٢٩
شوال سنة ٩٩ الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ افرنجية . ولما
حصل هذا الخذلان توجهت من الجبل الى بلبس وسوارى
الانكليز على مقربة منى وهناك تقابلت مع سعادة على باشا
الروبى فتوجهنا الى محطة انشاص ومن هناك ركبنا وابور السكة
الحديدية وتوجهنا الى مصر فوجدنا أعضاء المجلس جميعه في
ديوان الجهادية وحضرات البرنسات أيضا حضروا الى
الديوان وبعد المداولة والتيقن بان دولة الانكليز لا تريد

في مساعدة تركيا صديقتها

وقد جرت الحرب بين الجيش المصري والانكليزي في « المحسمة » يوم ٢٥ أغسطس عام ١٨٨٢ وقطع الانكليز على المصريين خط الرجعة فانهمزمت العساكر المصرية وكان معهم الشهم الصادق (راشد باشا حسنى) - وليعتبر بهذا الشهم المصريون فانه مع كونه جر كسى الاصل انضم الى جيش عرابى عند ما علم بان الانكليز احتلوا الاسكندرية وأنهم عازمون على دخول البلاد المصرية وقام للدفاع عن الوطن العزيز ناسيا كراهة الجرا كسة للعرايين وكراهة العرايين للجرا كسة - وعندئذ اتخذ (عرايى باشا) التل الكبير مركزا له وتتابع ورود العساكر المصرية من القاهرة ولم يمض الا أيام قليلة بعد هذه الواقعة حتى انهزمت الجنود المصرية في التل الكبير وسار الانكليز على القاهرة وهذا ما ذكره (عرايى باشا) عن واقعة التل الكبير في تقريره الذي كتبه بعد دخول الانكليز القاهرة وقبل سفره للمنفى حيث قال :

وقد جرت مناقشة في مجلس العموم الانكليزي يوم
١١ أغسطس عام ١٨٨٢ على المسئلة المصرية فصرح المستر
(غلادستون) بأن مقصد انكلترا من احتلال مصر هو
اعادة السلام فيها وانه سيعرض المسئلة المصرية على دول أوروبا
لتسويتها التسوية النهائية

وفي يوم ١٩ و ٢٠ أغسطس احتلت الجنود الانكليزية
بور سعيد والاسماعيلية وأصدر الجنرال (ولسلي) أمره
باقتفال قناة السويس في وجه السفن التجارية ليسهل للسفن
الحربية الانكليزية المرور فيها وانزال الجنود على شواطئها
وقد احتج المسيو (دي لسبس) على عمل الجنرال (ولسلي)
ولكن هذا الاحتجاج لم ينفذ شيئاً ما . ولما انتشر خبر
احتلال الجنود الانكليزية لقناة السويس هاجت الصحف
الفرنساوية وسخطت على وزارة (فريسينييه) التي أضرت
بفرنسا ضرراً عظيماً . أما الجرائد الالمانية فكانت لهجتها الهجة
تهم بفرنسا التي قضى شقاقها الداخلي على مصالحها في الشرق
وكانت تصرح بأن ليس لالمانيا مصلحة في مصر سوى رغبتها

اقترح قدمه المندوب الايطالى يتضمن كل احتلال دول
اوروبا لقناة السويس احتلالا مؤقتا فقبلت المانيا والروسيا
والنمسا هذا الاقتراح . وكانت روسيا أشد الدول ميلا للدولة
العلية فى المسئلة المصرية واكثرها تقربا منها - وقد جرت
فى ذلك على السياسة التى أوضحناها فى آخر الفصل السالف
من أنها تصافى تركيا اذا عادت انكلترا - فعرضت عليها
مساعدها بكل ما فى وسعها وتأجيل قبض الغرامة الحربية
المتأخرة من حرب عام ١٨٧٧ لى ترسل جنودها لمصر
وفى ٢ أغسطس عام ١٨٨٢ احتلت الجنود الانكليزية
الآتية من الهند مدينة « السويس » ولم تنفذ دول أوروبا
مشروع احتلالها لقناة السويس لان تركيا وعدتها باحتلال
مصر . وكانت الحكومة العثمانية تتخبر مع اللورد (دوفرين)
فى عقد اتفاقية حربية بخصوص الاحتلال المشترك لتركيا
وانكلترا . وان اتفاق دول أوروبا عندئذ على احتلال قناة
السويس وحمايتها بعد اجماعها على رفض الاحتلال الانكليزى
وعدم الموافقة عليه

على بلاغ الدولة العلية بأن انكلترا لا تقبل احتلال الجنود التركية لمصر الا اذا أصدر جلالة السلطان « اعلاناً بعصيان عرابي » ! فهي بعد أن شجعت عرابي وحزبه وبعد أن أوغزت الى تركيا المرة بعد المرة بتشجيع الحزب الوطني ورئيسه سألت الدولة العلية أن تعلن عصيان عرابي ! وفي الوقت نفسه كتب الخديو الى الاميرال « سيمور » كتاباً سمح له فيه باحتلال قناة السويس وبأخذ كل الاحتياطات الضرورية لمنع العرايين من الوصول اليه . وكان المسيو « دى لسبس » قد وعد « عرابي باشا » بعدم احتلال الجنود الانكليزية لقناة السويس وعداً صريحاً وطلب منه مقابل ذلك عدم احتلال الجنود المصرية له وعدم الاعتداء عليه فقبل (عرابي باشا) طلب المسيو « دى لسبس » وظن ان الانكليز يجتنبون احتلال القناة وفاء بوعده (دى لسبس) ولكن الانكليز من عاداتهم ان يأتوا كل أمر فيقدم ولو كان في ذلك مخالفة وعودهم الصريحة وأيمانهم العلانية ! أما اللجنة الدولية بالاستانة فانها تناقشت طويلاً في

ختم الخطباء واحد بعد واحد وكلهم نددوا بسياسة «فريسينيه»
وبعد انتهاء المناقشة كرر الميسو «فريسينيه» طلب الاقتراع
على الثقة بالحكومة فأقر المجلس بأغلبية ٤١٧ صوتاً ضد ٧٥
صوتاً على عدم ثقته بالوزارة وسقط بذلك الميسو «فريسينيه»
وأعضاء وزارته. ولو كان مجلس النواب الفرنسي تنبه
لخطأ وزارة «فريسينيه» في سياستها وأسقطها قبل ضرب
الاسكندرية لكانت نجت مصر من مصائبها وخرجت فرنسا
من الازمة ظافرة. الا أن المجلس ترك الميسو (فريسينيه)
في الوزارة مؤملاً سيره على خطة قوية وطريق مستقيم
ولكنه لم يتبع الا سياسة خرقاء خدم بها انبكايراً أجل خدمة
وأضر بها فرنسا ومصر الضرر الجسيم

وقد أعلنت الدولة العلمية اللجنة الدولية بالاستماتة ببلاغ
أرسلته اليها في يوم ٢٨ يوليو عام ١٨٨٢ — أي قبل سقوط
وزارة فريسينيه بيوم واحد — أنها تقبل ارسال جنودها
لاحتلال مصر ولكنها تشترط جلاء العساكر الانكليزية عنها
عند وصول الجنود التركية اليها. فأجاب اللورد (دوفرين)

لحماية قناة السويس فعين المجلس لجنة للنظر في هذا الطاب
والمناقشة مع الحكومة وتقديم تقرير للمجلس . وكان الميسو
« فريسينيه » مختلفا في رأى مع الاميرال « زوريجيرى »
وزير البحرية بشأن احتلال قناة السويس . فكان هو يرى
ان الجنود الفرنسية يجب ان لا تحتل الا الشاطئ الشمالى
للقنال وكان وزير البحرية الفرنسية يرى ضرورة احتلال
الجنود الفرنسية لمدينة « الزقازيق » . ولما علمت اللجنة التى
عينها مجلس النواب لدراسة مشروع احتلال قناة السويس
باختلاف الوزيرين فى رأى وبأن أوروبا لم ترض تكليف
فرنسا وانكلترا باحتلال القناة وتركتهما يتحملان مسؤولية
أعمالهما رفضت تقرير مبالغ التسعة ملايين ونصف وأظهرت
برفضها هذا عدم موافقتها على خطة الوزارة وسياستها .
ولما دارت المناقشة فى مجلس النواب الفرنساوى يوم ٢٩
يوليو عام ١٨٨٢ على طاب مبالغ التسعة ملايين ونصف قام
الميسو « فريسينيه » وشرح سياسته فى المسئلة المصرية - التى
عرفها القارىء من مبدئها - وسأل المجلس اعلان ثقته بالوزارة

يوليو وهو عبارة عن قبول تركيا الاشتراك مع مندوبي الدول في مداولاتهم بشأن مصر . ولم يذكر شيء ماعن قبول الدولة أو رفضها تكليف الدول لها باحتلال مصر . فهي بعد أن رفضت الاشتراك مع أعضاء اللجنة قبات الاشتراك معهم وبعد أن كلفتها أوروبا باحتلال مصر أهملت هذا التكليف وأخذت تتناقش مع أعضاء اللجنة ! ومن الأسف الشديد أن يدون التاريخ هذه السياسة التي لم تخدم إلا الأغراض البريطانية مع أن سواس تركيا أشتهروا في كل الحوادث والازمات بالدهاء العظيم

وقد جرت المناقشة حينئذ في يوم ٢٥ يوليو عام ١٨٨٢ في مجلس الشيوخ الفرنسي بعد أن جرت في مجلس النواب . فقبل المجلس تقرير المبالغ اللازمة لتجهيز السفن وتقوية البحرية ولكنه وجه الى الوزارة أشد الملام والتعنيف على سياستها في المسئلة المصرية . وبعد أن أقر مجلس الشيوخ على طالب الحكومة عرض الميسو (فريسينيه) على مجلس النواب الفرنسي تقرير مبلغ تسعة ملايين ونصف من الفرنكات

ليقفوا على نواياهم ويعرقلوا مساعيهم

وفي هذه الاثناء طالبت الحكومة الفرنسية من مجلس النواب الفرنسي تقرير المبالغ اللازمة لتجهيز السفن استعداداً للطوارئ وبقصد حماية قناة السويس عند الحاجة فدارت المناقشة بسبب هذا الطلب على مسألة مصر وتعاقب الخطباء على منبر الخطابة منددا بعضهم بالوزارة ومضوا بالبعض الآخر خطتها وانتهت الجلسة بقبول طلب الحكومة وتقرير المبالغ اللازمة . ولم يكلف المجلس الوزارة باتباع خطة مخصوصة في مصر كما أنه لم يظهر موافقته على سياستها بل انتظر نتائج هذه السياسة

وقبل ان يبعث الباب العالي بجوابه على مذكرة أعضاء اللجنة الدولية المرسلة اليه في ١٥ يوليو عرض مندوبا فرنسا وانكلترا على اللجنة تعيين الدولة أو الدول التي يجب عليها المحافظة على قناة السويس . ولكن أعضاء اللجنة انتظروا جواب تركيا على مذكرة ١٥ يوليو . وقد أرسل (سعيد باشا) للجنة الدولية في ١٩ يوليو جواب الدولة العلية على مذكرة ١٥

تأثير على امتيازات مصر الممنوحة لها بمقتضى فرمانات
السلطانية والاتفاقيات الدولية وأن تتفق الدول على نفقة مصر
وقد أرسلت هذه المذكرة الى الباب العالى في مساء يوم ١٥
يوليو ولبثت الدول منتظرة الجواب عليها . وكان ولا محالة
من مصالح تركيا ومن مصالح مصر أن تقبل الدولة العلية
تكليف أوروبا لها باحتلال مصر وترسل جنودها المظفرة الى
بلادنا العزيزة وليكن قضى على سواس تركيا أن يتبعوا انصائح
الانكليز حتى بعد ضرب الاسكندرية ويجيبوا مندوبى الدول
بأن قبول تركيا لتكليف أوروبا لها باحتلال مصر يعد ماسا
بحقوق الدولة التى هى صاحبة السيادة على مصر والتى لها الحق
فى ارسال جنودها اليها بغير تكليف من أوروبا. ولا يدهش
القارىء أن انكلترا كانت ذات وجهين فى سياستها فهذه
عادتها ومن القواعد الثابتة عند سواسها أن ارتكاب الامور
الدينية فى سبيل الوصول الى غرض كبير يعد امرًا شريفًا
فسواس بريطانيا كانوا يفهمون تركيا أن أوروبا تريد السؤ
لها وأنهم لم يشتركوها مع مندوبى اللجنة الدولية بالاستئانة الا

مجلس ادارى للنظر فى أحوال البلاد وحفظ النظام فيها .
وختموا جميعا هذا القرار وأرسلوه للحضرة السلطانية وأبلغوه
رسميا لعرايى باشا

فكان الخديو وتتخذ مع الانكليز فى الاسكندرية
والامة كلها مع الجيش ضده وضدهم

هذا ما جرى فى مصر بعد ضرب الاسكندرية أما
فى أوروبا فقد أحدث ضرب الاسكندرية اندهاشا عاما
وأرسلت الدولة العلية فى مساء ١١ يوليو نفسه لكافة الدول
الاوروبية احتجاجا ضد عمل الاسطول الانكليزى وسألتها
الاهتمام بالامر . فقرر أعضاء اللجنة الدولية بالاستانة ولم
يخالفهم مندوب انكلترا فى ذلك لعلمه بان سواس تركيا
سيعملون بنصيحة دولته فى ١٥ يوليو عام ١٨٨٢ أرسل مذكرة
للباب العالى يكلفون فيها الدولة العلية باسم أوروبا بارسال
جنودها لاحتلال مصر على شرط أن الدول تحدد اختصاصات
القائد العثمانى الذى يرسل على رأس الجنود وأن لا يتداخل
هذا القائد فى ادارات مصر وأن لا يكون لهذا الاحتلال

الوزارة المصرية الآن — من أشد الناس ميلا لعرابي
وأكثرهم مجاهرة بالانتصار لعمله وخطته !

وفي يوم ٢٠ يوليو عام ١٨٨٢ أصدر سمو الخديو اعلانا
بعزل (عرابي) بحجة انه لم يتبع أمره ولم يرسل العساكر الى
جبهة العجمي لمنع الجنود الانكليزية من النزول الى البر وانه
أخذ الجيش وتوجه الى كفر الدوار بغير اذن العزيز . وابلغ
سمو الخديو تلغرافيا أمره الصادر بعزل (عرابي) الى وكيل
الحرية وأمره بإبطال التجهيزات العسكرية . فجمع وكيل
الحرية مجلسا حافلا حضره بعض أمراء العائلة الخديوية
وأغلب العلماء ووكلاء النظارات ورؤساء جميع المصالح
ووكلاؤها والمديرون وقضاة المديريات والفتيون وكثير من
أعيان الامة وفضلائها . وكان عدد الذين حضروا هذا
المجلس يزيد عن خمسمائة نفس وقد عرض عليهم وكيل
الحرية تلغراف الحضرة الخديوية فقرروا بعد المذاكرة
والمناقشة أن لا يتبع للخديو أمر وان يكلف (عرابي باشا)
بالدفاع عن البلاد وصد الانكليز عنها وقرروا كذلك تشكيل

وتشكل مجلس حربي في نظارة الجهادية تحت رئاسة وكيلها
للنظر في جميع المسائل والقضايا . وفي يوم ١٧ يوليو أرسل
الخديو تلغرافا لعرابي باشا يخبره فيه بأن الصلح تم بين مصر
وبين الاميرال الانكليزي ويأمره بالسفر لمقابلة سموه
بالاسكندرية فطلب (عرابي باشا) تلغرافيا من سمو الخديو
أن يرسل اليه بشروط الصلح فلم يجبه العزيز بشيء لعدم
اتباعه أمره بالسفر للاسكندرية . وعندئذ أرسل الخديو
لجميع مصالح الحكومة ولنظارة الحرية بأن عقد الصلح تم بين
مصر وانكلترا وان الاستعداد للحرب غير واجب فاجتمع
بنظارة الحرية تحت رئاسة وكيلها مجلس من وكلاء النظارات
ورؤساء الدواوين والمصالح والعلماء والاعيان للمداولة في
الامر وقرروا ارسال وفد يدعو الخديو للحضور الى القاهرة
فسافر الوفد وعاد مخبرا (عرابي) وأعضاء المجلس بأن الخديو
لا يمكنه مبارحة الاسكندرية الا باذن خصوصي من الانكليز
فازداد حقد العرابيين على المغفور له (توفيق باشا) ونادى
بعضهم بعزله . وكان وقتئذ (مصطفى باشا فهمي) — رئيس

مدينة الاسكندرية الزاهرة يومئذ مالم تعهده من قبل في تاريخها . وهكذا قضت بريطانيا المتمدينة ان يضرب اسطولها مدينة آمنة مطمئنة كان الاوروبيون والمصريون يعيشون فيها كالاخوة وان يعود الى ضربها مرة ثانية حتى انتشرت الفوضى فيها وعم الفرع أرجاءها وهاجر منها أهلها وسكانها وقد كثرت عندئذ تجمع العساكر المصرية حول سراي الخديو بالرمل حتى ظن العزيز أن (عراي باشا) يريد الفتك به ورأى ان ملجأه الوحيد انما هي انكلترا ! ويقول «عراي باشا» ان تجمع العساكر حول سراي العزيز كان بقصد المحافظة على حياة سموه . وبعد ضرب الاسكندرية بأيام قلائل توجه المغفور له (توفيق باشا) الى سراي الاسكندرية تحت حرس انكليزي

أما (عراي باشا) فقد غادر الاسكندرية وجمع الجيش في جهة (ايكنجي عثمان) وابتدأت العساكر في عمل المتاريس وأخذ الاحتياطات اللازمة . وأعلن وقتئذ في كافة أنحاء مصر أن البلاد صارت في حالة عرفية لوجودها في حالة الحرب

تلفراف للحضرة السلطانية لعرض الامر عليها اذ لا يمكنهم تسليم أرض من أراضي مصر لدولة أجنبية بغير امر الدولة العلية وكلفوا طلبه باشا بتبليغ ذلك للاميرال (سيمور). غير أن الوقت الذي حدده الاميرال لا تتظار الجواب كان قد فات وترك مندوب الاميرال في ديوان البحريه المصريه خبرا بأن الاسطول الانكليزي سيضرب الاسكندرية مرة ثانية وعندئذ أمر المغفور له الخديو السابق «عراي باشا» بإرسال الجنود المصريه الى جهة طايبة العجم لمنع العساكر الانكليزية من الخروج الى البر واحتلال ساحل مصر. فلم يتبع (عراي باشا) أمر الخديو واعتذر بأن الارض هناك مكشوفة وان مقدوفات المراكب الانكليزية لا تمكن العساكر المصريه من الدنو الى البحر

ولما علمت أهالي الاسكندرية بعزم الاسطول الانكليزي على ضرب المدينة هاجت وماجت وأخذ السكك يهاجرون واضطربت أحوال الاسكندرية وانتشر السفلة والاشرار واللصوص في المدينة حتى سلبوا كل شيء في أسواقها وورأت

عشر ساعات متوالية حتى تهدمت الطوابي كلها وتدمر جزء
من سراي رأس التين واحترقت منازل عديدة . وقد اجتمع
مجلس النظار في مساء ذلك اليوم العبوس تحت رئاسة سمو
الخديو وقرر أنه اذا استمر الاسطول الانكليزي على اطلاق
الكلل رفعت الرايات البيضاء علامة على طلب اجراء
المخابرات السامية وفي صبيحة ١٢ يوليو ابتدأت المراكب
الانكليزية تطلق المدافع على مدينة الاسكندرية نفسها ثانيا -
وليتذكر القارىء أن الاميرال (سيمور) حقق لقناصل
الدول بان اسطوله لا يتعرض للمدينة بسوء فرفعت الرايات
البيضاء وانقطع بذلك ضرب الاسطول الانكليزي لمدينة
الاسكندرية . وذهب طلبه باشا الى الاميرال (سيمور)
فقاله أحد ضباط الاسطول وأخبره بان الاميرال الانكليزي
يطالب صدور أمر الخديو قبل الساعة الثالثة بعد الظهر بتسليمه
طابية العجمى وطابية المكس وطابية العرب لجعلها معسكرا
للجنود الانكليزية . فعاد طلبه باشا وأخبر الخديو والنظار
بطلب الاميرال الانكليزي . فلما علموا به قرروا ارسال

تكن سفن ايطاليا والنمسا واقفة في مياه الاسكندرية فلم تدع أن طوابى الاسكندرية تهددها وانه يجب عليها الدفاع عن نفسها ؟ ألم يعترف قناصل الدول بالاسكندرية بأن الحكومة المصرية اتبعت مع الأميرال (سيمور) تساهلاً لا مثيل له وانه لم تهدد أسطوله أبداً ؟ ألم تسمح الحكومة المصرية للاميرال « سيمور » بالقبض على كل من يرى أحجاراً في قنال الاسكندرية ؟ ألم تسمح له بتفتيش طوابى الاسكندرية ؟ وهل أطلقت طوابى الاسكندرية مدافعها على الاسطول الانكليزي حتى اضطر للمدافعة عن نفسه ؟

ان هذه الرواية المحزنة لعار كبير على دولة تدعى محبة الانسانية ولفضيحة تبقى حديثاً للامم على تعاقب الايام والسنين وما طلعت شمس يوم الثلاثاء ١١ يوليو عام ١٨٨٢ — وهو أسوء أيام مصر وأشقاها — حتى أطلقت السفن الانكليزية كلها المدافع على الطوابى المصرية وبعد خروج نحو ١٥ كلة من مراكب الاسطول الانكليزي أجابتها الطوابى المصرية واستمر الفريقان على اطلاق الكل مدة

على مصالحها في مصر وخالفت سياسة قرن كامل وارتكبت أكبر خطأ سياسى في تاريخها . ولقد تحمل المسيو « فريسينيه » تبعه هذا العمل وصار مبعوضا في أمته وأتهمه الكثيرون من الفرنسيين بالخيانة وبانه باع شرف فرنسا لانكلترا . ولكن للحوادث العرايية ولسياسة الدول فيها أسرار لم يكشفها لنا التاريخ الى اليوم . وعلى كل حال فان المسيو « فريسينيه » اتبع في الحوادث العرايية سياسية خرقاء وأوجد لبلاده مشكلة لا تنقص عن مسألة الالزاس واللورين أهمية وخطارة

وقد أرسل اللورد غرانفيل في مساء ١٠ يولييه مذكرة للدول الأوروبية أخبرها فيها « بان ضرب الاسطول الانكليزي للاسكندرية ليس الادفاعا اقتضته الضرورة وان انكلترا لا تنوى ضد مصر شيئا آخر » . فما هي الظروف التي اقتضت ضرب الاسكندرية وما هذا الدفاع ؟ ألم يكن الاسطول الفرنسي واقفا بجوار الاسطول الانكليزي فلم لم يدع أن طوابي الاسكندرية تهدده ؟ ألم

الطوابى أجابتها الطوابى بعد خروج خمس أوست طلقات
من مدافع السفن الانكليزية حتى تقع المسؤولية كلها على
الاسطول الانكليزي وأرسلت الحكومة المصرية في مساء
١٠ يوليو عام ١٨٨٢ كتابا الى الاميرال (سيمور) قالت له
فيه « انها لم تعمل شيئا ما يستوجب اعتداء الاسطول
الانكليزي على ثغر الاسكندرية وانها محافظة على شرفها
ومقامها لا تقبل مطلقا تسليمه الاسلحة والمدافع الموجودة في
الطوابى وانها تلقى مسؤولية النتائج الوخيمة التي ستنتج من
ضرب الاسكندرية على الامة التي اعتدت بغير سبب وبدون
اعلان الحرب بينها وبين مصر على الاسكندرية مخالفة في
ذلك القانون العام ونواميس الحرب »

ولما علم المسيو (فريسنيه) وزير خارجية فرنسا
بالأذار الاخير الذي أرسله الاميرال « سيمور » للحكومة
المصرية . أمر الاسطول الفرنسي — الذي كان واقفا في
مياه الاسكندرية بجوار الاسطول الانكليزي — بالابتعاد
عن الاسكندرية والسفر الى بور سعيد. وبذلك قضت فرنسا

المصرية بدفع الغرامات الطائلة

وقد عقد المغفور له (توفيق باشا) مجلساً من الوزراء تحت رئاسته في يوم ١٠ يوليو لتقرير ما يلزم عمله نحو الاميرال (سيمور) وحضر هذا المجلس (درويش باشا) المندوب العثماني العالي واتفق كل الحاضرين في المجلس على ارسال ناظر المالية وناظر الخارجية ووكيل البحرية وأحد رجال المعية الى الاميرال (سيمور) ليبلغوه أن طوابعي صالح والمكس وقائد بك هي كما كانت في عهد ساكن الجنان (محمد علي باشا الكبير) وأنه ليس بها أشغال ولم توضع فيها أسلحة ولا مدافع جديدة وأن الحكومة المصرية تقبل أنه (أي الاميرال سيمور) يطلع عليها فتوجه الاربعة المذكورون وأبلغوا الاميرال (سيمور) هذا الجواب فلم يقتنع به بل كرر طلبه الاول بشأن تسليمه الاسلحة والمدافع الموجودة في الطوابع. فلما عرض هذا الطلب على سمو الخديو وعلى النظار أقر رأي الجميع على ان قبوله يكون عاراً كبيراً على مصر وأنه اذا أطلقت السفن الانكليزية على

البتة لهذه الدعوي . وسمح له وكيل البحرية المصرية بالقبض
على كل من يرمى أحجاراً في البوغاز . ولكن الاميرال
(سيمور) لم يقتنع بالحق وأرسل في يوم ١٠ يوليو عام ١٨٨٢
خطاباً آخر للحكومة المصرية ادعى فيه كذباً أنها تستغل بوضع
مدافع جديدة في طابية صالح والمكس وقائد بك وأنذرها
أنها أن لم تسلمه جميع المدافع والأسلحة الموجودة في طوابي
الاسكندرية من العجمي الي قائد بك ضرب الاسكندرية !
ولما علم قناصل الدول بالاسكندرية تهديدات الاميرال
(سيمور) للحكومة المصرية كتبوا اليه كتاباً سألوه فيه أن
يتمتع عن ضرب الاسكندرية لان هذا العمل يضر بمصالح
الاوروبيين كافة ويدمر منازلهم وأملأهم وتعهدها بالاتفاق
مع الحكومة المصرية على ما يرضيه . فأجابهم الاميرال بأن
منازل الاوروبيين وأملأهم ستكون في مأمن من الخطر
لانه لا يقصد الا تدمير طوابي الاسكندرية . وكان يريد
الاميرال (سيمور) بهذا الجواب تطمين خواطر القناصل
ولكنه كان يعمل لتدمير الاسكندرية كلها وتكليف الحكومة

وعند ما تحقق رجال السياسة الانكليزية من أن فرنسا
لا تتدخل في مصر تدخلا عسكريا وانها تجتنب ذلك كل
الاجتناب أمروا الاميرال الانكليزي (سيمور) بخلق
الاسباب الداعية لضرب الاسكندرية. فأرسل هذا الاميرال
انذاراً للحكومة المصرية بانها ان لم تكف عن اصلاح
الاستحكامات لضرب الاسكندرية لانه يعتبر اصلاح
الاستحكامات أو ترميم الطوابي تهديداً للاستطول الانكليزي
فأمر الخديوى بناء على أمر الحضرة السلطانية بإبطال اصلاح
الاستحكامات وعدم ترميم الطوابي . فامثل رجال الجيش
أمره وأبطلوا كل اصلاح وكل ترميم في الاستحكامات والطوابي
غير أن الاميرال (سيمور) كان مكلفاً بخلق الاسباب لضرب
الاسكندرية فلذلك أرسل انذاراً ثانياً للحكومة المصرية قال
لها فيه ان عمالها يقفلون بوجاز الاسكندرية بالاجبار وأنهم
ان لم يمتنعوا عن رمي الاحجار أمر أسطوله بضرب الاسكندرية
فأجابته الحكومة المصرية بانها لم تأمر مطلقاً باقفال بوجاز
الاسكندرية وان عمالها لم يرموا فيه أحجاراً وأن للاحقيقة

المسيو « فريسينييه » يوم ٨ يوليو عام ١٨٨٢ على مجلس النواب
الفرنساوى طلب ثمانية ملايين من الفرنكات لهذا الغرض
الا أنه صرح بأنه لا يقصد إرسال جيش فرنساوى لمصر وأنه
لا يأمر بتداخل فرنسا فى وادى النيل تداخلا عسكريا الا
بقرار من مجلس النواب نفسه وأن القصد من تجهيز السفن
هو الاستعداد للطوارئ

ولما رأيت انكثرا ان من صالح سياستها زيادة التقرب
بين (عرابى باشا) وبين الحضرة السلطانية وزيادة النفور بين
عزيز مصر وبين جلالة السلطان أشارت على رجال الدولة
العلية — الذين لم يسيئوا الظن بالانكليز لحظة واحدة فى
الحوادث العرابية كلها — بإرسال نيشان لعرابى اظهاراً
لرضى جلالة السلطان عنه وامتنانه من خطته وعمله فعمل رجال
الدولة بإشارة انكثرا وأرسل النيشان المجيدى الاول مع
الفرمان الخاص به لعرابى باشا . فكان هذا الانعام تشجيعاً
لعرابى وحزبه وتنفيراً للجانب الخديرى من الدولة العلية .
وكان من شأنه أن يحمل عزيز مصر على الالتجاء الى الانكليز

جلالة الملكة ووزراء انكلترا بشأن الجلاء — احتجاجا ابديا
من أوروبا ضد احتلال الانكليز لمصر ومن انكلترا نفسها
ضد عملها في بلادنا .

وفي أثناء اشتغال اللجنة الدولية في الاستانة بالمداولة
والاتفاق على حل الازمة المصرية كانت انكلترا تجهز سفنها
وتستعد لتقوية أسطولها في الاسكندرية وكانت الجرائد
الانكليزية تلح على حكومة بلادها باحتلال مصر وحدها .
وقد أثرت كتابات الجرائد الانكليزية على الرأي العام
الانكليزي وصار يطالب الحكومة البريطانية بالعمل وحدها
حتى أن اللورد « كامبرلي » وزير المستعمرات وقف خطيبا
وقال . أن انكلترا بالرغم عن ميائها للسلام واحترامها لآراء
أوروبا لا يمكنها أن تترك سلامة قناة السويس للمصادفة أو أن
تهمل الدفاع عن مصالحها في الشرق . وعندئذ أنذر الاميرال
« سيمور » الحكومة المصرية بانها اذا عملت أى عمل عدائى
ضد أسطوله ضرب الاسكندرية ودمرها .

وقد أهتمت فرنسا بتجهيز سفنها أسوة بانكلترا وعرض

الآخرى. وقد اضطر مندوبو الدول وقتئذ أن يجتمعوا في الاستانة بدون اشتراك سوا ستر كيا معهم. وحضر هذه اللجنة رسمياً اللورد (دوفرين) بصنفته مندوباً عن الحكومة الانكليزية وأمضى مع بقية المندوبين في ٢٥ يونيو عام ١٨٨٢ القرار أو (البروتوكول) الآتي :

« تتعهد الحكومات التي يمضى مندوبوها على هذا القرار بأنها في كل اتفاق يقع بشأن تسوية المسئلة المصرية لا تبحث على امتلاك شيء من أراضى مصر ولا على الحصول على امتياز خاص بها (أى باحدى الحكومات دون سواها) ولا على نيل امتياز تجارى لرعاياها يكون غير ممكن لرعايا الحكومات الأخرى نيله »

وهذا التقرير يعتبر تعهداً من دول أوروبا بعدم المساس بحقوق مصر وبعدم الاعتداء عليها . وهو تعهد قبلته الحكومة الانكليزية على نفسها كسائر الحكومات الأوروبية وأعضائه بالنيابة عنها اللورد (دوفرين) أي سياسى من أكبر سواستها ويمكننا أن نعتبر هذا التعهد — بقطع النظر عن تصريحات

فهو يعمل متى رأى لزوما للعمل . ولا شك أن كل سواس
بريطانيا كانوا يعلمون ان السبب في عدم تداخل الاسطول
الانكليزي وقت مذبحة الاسكندرية وعدم نزول العساكر
الانكليزية الى البر هو تخوف الاميرال الانكليزي من
اشتراك الاسطول الفرنسي معه في الامر

وقد سافر الجناب الخديو و (درويش باشا) والقناصل
الى الاسكندرية بعد المذبحة لتطمئن خواطر النزلاء وتعم السكينة
المدينة . وتشكلت عندئذ الوزارة المصرية في ١٧ يونيو عام
١٨٨١ تحت رئاسة (راغب باشا) وبقي فيها (عرابي باشا)
وزيرا للحرية

ولما شعرت دول فرنسا والروسيا والمانيا والنمسا وايطاليا
باشتداد الازمة ألحت على الدولة العلية بضرورة اشتراكها
معهما في اللجنة الدولية المزمع عقدها بالاستانة ولكن سواس
تركيا أصغوا للنصائح الانكليز ورفضوا الاشتراك مع الدول
الاوروبية معللين ذلك بان اشتراك تركيا في اللجنة الدولية
يعتبر اعترافا منها بأن حقوقها في مصر تعادل حقوق الدول

ولما علمت الحكومة المصرية بمذبحة الاسكندرية
أرسلت في الحال (يعقوب باشا ساني) وكيل الجهادية على
رأس ألايين من البيادة وبطارتين من الطوبجية وأورطتين
من السواري لحفظ الامن العام في الاسكندرية واعادة
السكينة بين أهاليها

وقد أرادت الحكومة المصرية اجراء تحقيق بشأن
مذبحة الاسكندرية واظهار الحقيقة فيها وعرضت على فرنسا
وانكلترا عقد لجنة مكونة من تسعة أعضاء مصريين ومن
تسعة أوروبيين لاجراء هذا التحقيق فرفضت انكلترا
ذلك بتاتا

وفي صبيحة مذبحة الاسكندرية أرسلت ايطاليا والنمسا
أستوليها الى مياه الاسكندرية للمحافظة على حياة رعاياها
وفي ذلك اليوم وقف اللورد سالسبوري في مجلس
اللوردات وعنف الحكومة الانكليزية على عدم احتلالها
الاسكندرية وقت المذبحة فأجابه اللورد (غرانفيل) بان
الوزارة الانكليزية تركت للأميرال (سينمور) الحرية التامة

مصرى وأطلقت فيها البنادق من الشبايك على المصريين واستمرت طول يوم ١١ يونيو المشؤوم . ويحقق الكثيرون بأن الماطي الذى سبب المشاجرة والمذبحة هو شقيق خادم المستر (كوكسون) نفسه

وقد اجتنبت فرنسا وانكلترا انزال عساكرهما الى البر وقت مذبحة الاسكندرية . وذلك بناء على رأى انكلترا التى كانت تخاف اشتراك فرنسا معها في احتلال مصر

ولما انتشر خبر مذبحة الاسكندرية فى أوروبا ادعى كتاب الانكليز وسواسهم ان سبب هذه المذبحة هو التعصب الدينى عند المصريين . ولكن الحقيقة التى لا ريب فيها هى أن الانكليز وصنائعهم هم أصل هذه المذبحة المشؤومة وهم الموجدون لها . وقد صرح الميسو (دى فريسينيه) رئيس الوزارة الفرنسية فى ١٢ يونيو أمام مجلس الشيوخ « بأن عدة أسلحة أعطيت للماطيين قبل المذبحة بأيام قلائل وان نسبة المذبحة للتعصب الدينى خيراً محض » وأثنى الميسو (دى فريسينيه) على خطة حكومة مصر فى هذه الحادثة

الانكازى الواقف فى ثغر الاسكندرية

وقد وضع المستر « كوكسون » بالاشتراك مع الضابط الانكازى « ماريوت » خطة للدفاع عن الاوروبيين ضد المصريين وهي تقتضى تسليح ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ أوروبى بالاسكندرية . وقد أخبر المستر « كوكسون » بهذه الخطة زميله الفرنساوى فى ٧ يونيو عام ١٨٨٢ وأبلغها وكلاء الدول فى القاهرة غير انهم لما علموا بها صرحوا جميعا بأن هذا التسليح يحدث اضطرابا عظيما فى البلاد وهياجا عاما وأمروا قناصل دولهم فى الاسكندرية بالامتناع عن كل عمل عدائى

ولكن المستر « كوكسون » لم يرضخ لقرار وكلاء الدول بالقاهرة وسلح كل الماطيين وجميع اليونانيين وسائر سفلة الافرنج الموجودين بالاسكندرية مما يدل دلالة صريحة على ان المدير المذبحة الاسكندرية والمسبب لها انما هي انكازى دون سواها

وقد ابتدأت المذبحة بمشاجرة وقعت بين مالطى وجمار

وتفهمها أن نواياها حسنة من جهتها في مسألة مصر فأوحت الى المغفور له « توفيق باشا » بان يطلب من الحضرة السلطانية ارسال مندوب عثمانى عال لمصر وعززت هذا الطلب في الاستانة . فأجابت الدولة طلب الخديو وحضر « درويش باشا » الى مصر حيث وصلها في ٧ يونيو عام ١٨٨٢ وكان للانكليز مصلحتان في حضور « درويش باشا » لمصر : أولا تفهم رجال الدولة العلية بانهم يريدون تداخلها في مصر ثانيا تشجيع الدولة « بواسطة درويش باشا » لرجال الحزب الوطنى فى مصر

وكان وكلاء انكلترا فى مصر وصنائعها يعملون وقتئذ على احداث اضطراب عظيم . فكنت ترى السير (ماليت) قنصل انكلترا الجنرال ينصح الانكليز المقيمين فى مصر بالسفر لاوروبا « نجاة من خطر قريب الحدوث » وكنت ترى المستر « كوكسون » قنصل انكلترا بالاسكندرية يفرق بنفسه الاسلحة والذخائر على الانكليز القاطنين بالاسكندرية — وقد أرسلت اليه هذه الاسلحة والذخائر من الاسطول

في قبضتها !

وقد جرت مناقشة في مجلس النواب الانكليزي في يوم أول يونيه نفسه على مسألة مصر قال فيها المستر (غلاستون) يصفته رئيسا للوزارة الانكليزية ان (عراي) يعمل على عزل (توفيق باشا) وتعيين البرنس « حلیم » مكانه ولكن الدول متفقة على تعضيد الخديو الحالى « أى توفيق باشا » وانها اذا كانت لا تريد احتلال جنودها مصر فذلك لانها تخاف اشتعال نيران التعصب الدينى فيها وجعل حياة الخديو فى خطر

وهو تصریح من الغرابة بمكان. وما كان يقصد به المستر « غلاستون » الا زيادة استمالة « توفيق باشا » الى الانكليز وثقتهم بهم واعتماده عليهم

وما علم سواس بريطانيا بتصریحات المسیو « فريسینیه » حتى طاروا بها فرحا وتحققوا أن الجو خلا لهم واهتمروا بتدبير الدسائس لاحتلال مصر

وقد رأيت انكلمترا وقتئذ انها فى حاجة لتعزیز تركيا

جنودها لمصر . وكانت حجته في معارضة مجيء الجنود التركية لمصر هي ان تداخل تركيا في مصر يرفع من شأن الدولة العلية في أعين المسلمين كافة ويكون سببا لقيام التونسيين والجزائريين في وجه فرنسا . وقد ندد المسيو (دولافوس) بسياسة المسيو (فريسينيه) وقال ان مصلحة فرنسا تقتضي عليها بالاتفاق مع تركيا والعمل على رفع شأنها ليسهل لها حكم المسلمين واستمالتهم نحوها وأثبت أن حل المشكلة المصرية لا يكون الا بتداخل الدولة العلية . وقد ألقى المسيو « غمبتا » في هذه الجلسة نفسها خطبة طويلة على المسئلة المصرية نصح فيها الوزارة الفرنسية بعدم ترك انكلترا تعمل بانفرادها وبأن تشترك معها في كل عمل وأنذرهما بسوء العاقبة اذا بقيت على الحياد وتركت مصر لانكلترا

وان السياسة التي اتبعها المسيو (فريسينيه) لسياسة خرقاء فانه أبى التداخل في مسئلة مصر تداخلا عسكريا وعارض الدولة العلية في ارسال جنودها لمصر . وكانت نتيجة هذه السياسة تداخل انكلترا وحدها وسقوط مصر .

سياسة ذات وجهين فقد سحب السير « مايت » قنصل انكلترا الجنرال بمصر كتابه الذى أرسله لسمو الخديو فى ٢٥ مايو بالاشتراك مع قنصل فرنسا وأرضى بذلك الحزب الوطنى . وقد اعتبر هذا العمل مبدأ انفصال انكلترا من فرنسا فى المسئلة المصرية . وعند ما رأت فرنسا ذلك عرضت على الدول الاوروبية عقد لجنة دولية بالاستانة للمداولة فى مسئلة مصر فقبلت الدول واتفقت على احترام التعهدات الدولية المختصة بمصر واحترام فرمانى عام ١٨٧٣ و ١٨٧٩

وقد دارت المناقشة فى مجلس النواب الفرنساوى فى أول يونية عام ١٨٨٢ على مسئلة مصر . وكان الرأى العام الفرنساوى وقتئذ ميالا لعرايى وحزبه منتصرا للدعوة التى هم قائمون بها وكان يأبى تداخل فرنسا فى مصر تداخلا عسكريا وقد وقف المسيو (دلافوس) على منبر الخطابة وسأل وزير خارجية فرنسا عن السياسة المتبعة لها فرنسا فى الازمة المصرية فأجاب المسيو فريسينييه بان سياسته مقتضاها عدم تداخل فرنسا فى مصر تداخلا عسكريا وعدم ترك الدولة العلية ترسل

النواب ولكن الخديو لم يقبل اصدار الامر بعقده . بل قبل
استعناء الوزارة واشتغل بتشكيل وزارة جديدة . ولما كانت
السلطة العسكرية في قبضة يمين عرابي رأى (سلطان باشا)
وأصدقائه من أعضاء مجلس النواب أنه اذا لم يتعين (عرابي
باشا) وزيرا للحرية كما كان اشتد النفور بينه وبين العزيز
واتسع الخرق على الراقع فعرضوا على الجناب الخديوي ارجاعه
في وظيفة ناظر الحرية . فقبل المغفوره (توفيق باشا) ذلك
وعين (عرابي باشا) وزيرا للجهادية للمرة الثانية

وعندئذ عرضت فرنسا على كافة الدول الأوروبية ان
تسأل معها الباب العالي استدعاء عرابي ورفقائه الى الاستانة
للتشرف بمقابلة جلالة السلطان وتلقى أوامره فاشتريت معها
الدول في هذا الطاب ولكن انكلترا نصحت الباب العالي
بعدم قبول طلب الدول وبارسال مندوب عثماني لدراسة
الاحوال في مصر . فاتبع الباب العالي نصيحة انكلترا
وعمل بها

ولما كانت السياسة الانكليزية في الحوادث العرابية

باستمالة الحضرة السلطانية اليهما ومن مبدا الحوادث العرابية
تداخلت الدولتان . (وعرابي باشا) نفسه كان يعتقد ان
السير « ماليت قنصل جنرال انكلترا هو اول من نصح
الخديو في يوم ٩ ستمبر عام ١٨٨١ — أي يوم مظاهرة الجنود
المصرية تحت رئاسة (عرابي) في ميدان عابدين — بعزل
الوزارة الرياضية وقبول طلبات الجيش . أما من حيث الخطر
الذي كان يخافه (عرابي باشا) على انصاره بعد خروجه من
مصر فهو خطر وهمي . لان (عرابي باشا) كان يعلم جيداً أن
في انصاره رجالاً كثيرين يغارون مثله على حقوق بلادهم
ويطالبون بحريتها وتسليم زمام أمورها لابنائها . فلو كان
(عرابي باشا) خرج من وطنه وتبع رأى (سلطان باشا)
لكانت هذات الاحوال وبطلت دسائس أعداء مصر وفشلت
مكائدهم ولما كان بقى شريفاً جليلاً في أعين العالمين غير متحمل
للمسؤولية الكبرى التي يتحملها اليوم أمام الوطن وأمام التاريخ
بالرغم من حسن نيته وصدق اخلاصه لوطنه
وقد اجتهدت الوزارة قبل استعفاؤها في عقد مجلس

وبترك خصومه يعتبرون خروجه من مصر هزيمة معنوية له
ولحزبه وليكن رجلا مثله قام بدعوة أمته للحرية والاستقلال
الداخلي وتولى رئاسة الحزب الوطنى فيها كان يجب عليه ان
يقلب نظره في التاريخ ويتذكر ان انكلترا شرعت فى أوائل
القرن الحاضر فى الاستيلاء على مصر وانها تمنى نفسها دائما
بهذه الامنية العزيزة وان اضطرابات مصر وقلقها لا تفيد
الا هذه الدولة الماهرة فى السياسة ذات الدسائس القوية
والمسكائد العظيمة وكان يتحتم عليه (اى على عربى) أن
يخرج من بلاده ويدفع عنها الخطر

وقد أجاب (عربى باشا) على اعتراض القائلين بضرورة
خروجه من مصر وقتئذ بأن خروجه يعتبر من جهة تنفيذ
لاوامر فرنسا وانكلترا فى مصر وتبريراً لتداخل هاتين
الدولتين فى أحوال البلاد الداخلية ويجعل من جهة أخرى
أنصاره تحت رحمة اعدائهم وعلى خطر عظيم وليكن هذا
الجواب ضعيف جدا فان فرنسا وانكلترا تداخلتا فى أحوال
مصر الداخلية فى عهد اسماعيل باشا وهما اللتان عزلناه

تنفيذ اقتراحاته الثلاثة

وقد دل هذا الكتاب على وجود اختلاف في الرأي بين الحزب العسكري وبين بعض أعضاء مجلس النواب الذين كانوا يعملون برأى رئيسهم . أما المرحوم (توفيق باشا) فقد قبل كتاب وكيلى فرنسا وانكلترا ورأى رأيهما خلافا لوزرائه . وقد اجتمع النظار عندئذ ورأوا تقديم استغفائهم الى الخديو بعله أن قبول مطالب وكيلى فرنسا وانكلترا يعتبر اجحافا بحقوق جلالة السلطان فى مصر وتداخلا أجنيا فى شؤون مصر الداخلية . كأن أعضاء الوزارة المصرية كانوا يجهلون ان فرنسا وانكلترا تداخلا من قبل فى شؤون مصر الداخلية وان هذه ليست بأول مرة تداخلت فيها الدولتان ولا ريب أن كل مصرى يخلص الحب لبلاده ويتألم من نتائج الحوادث العرابية الوخيمة يرى انه كان يجب على (عرابى باشا) أن يتعد عن مصر ويعمل برأى سلطان باشا لتطمئن الخواطر وتزول أسباب التداخل الاجنبى . نعم ان (عرابى باشا) كان يحزنه كثيرا أن يترك مصر بهذه الحالة

دون غيرها صاحبة السيادة على مصر وانه ليس لاحد غيرها
حق التدخل في شؤون هذه البلاد وأرسل في الوقت نفسه
تلغرافا الى وزراء مصر أمرهم فيه بعدم مخالفة أوامر الجنب
الخديوى

وبعد ان جاء الاسطولان الفرنساوى والانكليزي
الى مياه الاسكندرية رفع وكلاء دولتي فرنسا وانكلترا في
٢٥ مايو عام ١٨٨٢ كتابا الى سمو الخديو ذكر له فيه ان
سلطان باشا رئيس مجلس النواب المصرى رأى ان وطنيته
تقضى عليه بان يعرض على (محمود باشا سامى) رئيس الوزارة
المصرية الاقتراحات الآتية التى تضمن راحة مصر وسلامتها
وهي : اولا ابعاد (عزابى باشا) عن مصر ابعادا مؤقتا مع
بمائه فى رتبته العسكرية ونقده مرتبه الشهرى . ثانيا ابعاد
(على فهمى باشا) و (عبد العال حلمى باشا) الى داخل البلاد
المصرية . ثالثا استعفاء وزارة محمود باشا سامى . وأبان وكلاء
دولتي فرنسا وانكلترا لسمو العزيز انهما يعضدان رأى
(سلطان باشا) كل التعضيد ويطلبان من الجنب الخديوى

سمو الخديو بتفصيل المسئلة وعندئذ تقرر محاكمة الجراكسة
المتهمين بتدبير المكيدة . وقد حوكموا وصدر الحكم عليهم
بالابعاد الى السودان فلما علم المرحوم « توفيق باشا » بالحكم
أرسل تلغرافيا الى الحضرة السلطانية يعرض عليها الامر ويسألها
عما يجب عليه عمله . وقبل وصول الرد السلطاني تداخل قنصل
فرنسا الجنرال وقنصل انكلترا الجنرال وطلبا من الجناب
الخديو تعديل الحكم بالابعاد الى الشام . فعمل العزيز برأيهما
وسافر الجراكسة الى الشام . وقد نشأ من ذلك نقور بين
العزيز وبين وزارته وكتب قنصلا فرنسا وانكلترا الى دولتيهما
بان « محمود باشا سامي » هدد حياة الخديو وحياة الاوروبيين
في حضرة الخديو نفسه فاتفقت الدولتان على ارسال
أسطولييهما الى مياه الاسكندرية . وبعثا في ١٦ مايو عام ١٨٨٢
مذكرة الى الباب العالي أعلنتاه فيها باتفاقهما على ارسال
أسطولييهما الى ثغر الاسكندرية وسألتاه عدم ارسال الاسطول
التركي وعدم الاشتراك معهما . وقد أجاب الباب العالي على
هذه المذكرة بتاريخ ١٧ مايو بان الدولة العلية هي وحدها

والمسبب لسقوط وزارة (شريف باشا) والعامل على الاضرار
بمصالح أوروبا وبمصالح رعاياها باستلام زمام القوة والسلطة
في مصر

وقد قام المسيو (دلافوس) في مجلس النواب الفرنسي
في يوم ٢٣ فبراير عام ١٨٨٢ وسأل المسيو (فريسينيه) رئيس
الوزارة ووزير الخارجية عن الخطة السياسية التي تنوى فرنسا
اتباعها بعد تغيير الوزارة المصرية وحدث هذا الانقلاب
العظيم . فأجابه المسيو (فريسينيه) بان فرنسا وانكثرتا تتخبران
مع أوروبا في الامر وتعملان لاشراك الدول معهما في
مسئلة مصر

ولما كانت الدسائس الاجنبية عاملة على تفريق كلمة
المصريين وتقويض أركان الاستقلال المصري أو عزز المفسدون
وسماسة السوء الى جماعة من الجرا كسة بالفتك بعراي
وأنصاره والتخاص منهم . ولكن أحد هؤلاء الجرا كسة لم
يتبل الاشتراك في هذه الدسيسة وأخبر (طلبه باشا) بأمرها
فكتب هذا الاخير الى نظارة الجهادية والى رئاسة النظار والى

مصر . وقد استعفى وقتئذ المراقبان الفرنسي والانكليزي .
وكان ولا محالة من الحكمة والصواب ان الحزب الوطنى فى
مصر يقف عند حد محدود فى هذه الاوقات المضطربة
ويرضى بالتناجى السامية التى نالها . وكان من نهاية السداد فى
الرأى والتبصر فى العواقب ان النواب المصريين يرضون بدراسة
الميزانية الا ما يختص بالديون فيها . ولكن قضى على رجال
الحزب الوطنى فى مصر يومئذ ان يتمسكوا بأمر أضاع عليهم
التمسك به أتعابهم وجر على الوطن المصرى أشد البلاء . على
أن نيل الحرية والعدالة والمساواة فى أمة لا يكون دفعة
واحدة ولا يأتى فى يوم واحد . وانه كان يكفى الحزب الوطنى
أن ينال تشكيل مجلس نواب مصرى ومنح المصريين الحقوق
السياسية والمالية التى لساير الافراد فى الامم المتقدمة . فانها
خير نتيجة يحق لكل مصرى محب لبلاده أن يفتخر بها
ومما زاد فى تخوف الاوروبيين وهلعهم هو تعيين
(عربى) وزيراً للجرية فانهم كانوا يعتبرونه المحرض لمجلس
النواب المصرى على طلب المناقشة فى كل فروع الميزانية

موضوعاتها موضوعا موضوعا . وبذلك حصل الخلاف بين المجلس وبين الوزارة الشريفة واضطر (شريف باشا) للاستقالة هو وبقية النظار في يوم ٢ فبراير عام ١٨٨٢ . وقد تعين « محمود باشا سامى البارودي » رئيسا للنظار بدلا منه وتعين « عرابى » وزيرا للحرية وأعطى لقب باشاهو وبعض زملائه من رجال العسكرية . واتفق محمود باشا سامى مع أعضاء مجلس النواب بشأن الميزانية فقرر معهم انتخاب لجنة منهم يكون عددها مساويا لعدد النظار تدرس مع النظار الميزانية وأن يكون تقرير الميزانية باجماع أصوات أعضاء اللجنة والنظار معاً أو بالأغلبية . وانه اذا وقع خلاف بين النظار وبين أعضاء اللجنة أو تساوت الاصوات يعرض الامر على المجلس للفصل فيه

وقد أغضب سقوط وزارة (شريف باشا) سائر الدائنين واعتبرت فرنسا وانكلترا تمسك مجلس النواب المصرى بدراسة الميزانية كلها وتقريرها حسب مرامه اعتداء على حقوق المراقبة الشنائية أى اعتداء على حقوق الدولتين فى

« غمبتا » في المسئلة المصرية واضحة صريحة ترمى الى السير مع انكترا في كل خطواتها ومشاركتها في كل عمل وعدم تركها تعمل شيئاً ما بانفرادها . . ولو كان « غمبتا » بقى رئيساً لوزارة فرنسا لكانت اشتركت مع انكترا في احتلالها مصر وكانتا خرجتا معاً أو لكانت اجتنبت فرنسا وانكترا ضرب الاسكندرية واحتلال مصر . وعلى أى حال كانت نجت بلادنا العزيزة من الوقوع في أيدي الانكاييز . ولكن بلية الجمهورية الفرنسية ان وزارتها قصيرة الاجل

وقد سن مجلس النواب المصرى بعض القوانين ولكنه لم يتفق مع وزارة « شريف باشا » على مسئلة المناقشة في الميزانية المصرية . فشرىف باشا كان يرى أنه يسوء فرنسا وانكترا ان مجلس نواب مصر يتناقش فى كل فروع الميزانية حتى فيما يختص بالديون ويغير ويبدل فيها كيف يشاء مع ان هاتين الدولتين عينتا لجنة مراقبة لتقرير الميزانية مع الحكومة المصرية ومراقبة سيرها . ومجلس النواب المصرى كان يرى انه من أول حقوقه وواجباته دراسة الميزانية والمناقشة فى

فكانت هذه المذكرة بمثابة اعلان للعالم كله بان فرنسا وانكلترا متفقتان كل الاتفاق في المسئلة المصرية وانهما تعملان بالاشتراك . ولو كانت فرنسا اتبعت هذه السياسة الى النهاية لكانت سلمت مصر . من مخالب انكلترا ولكانت بقيت المصالح الفرنسية في مأمن من الخطر . وقد أظهرت الجرائد الانكليزية سخطها على حكومة بلادها لاتفاقها مع فرنسا واشتراكها معها في ارسال هذه المذكرة . وبالجمله كانت الصحف الانكليزية تلح كل يوم على وزارة انكلترا بالاتفصال عن فرنسا والعمل بالافراد

أما الباب العالي فقد احتج على ارسال هذه المذكرة بكتاب بعث به لسفرائه في الخارج بتاريخ ١٣ يناير عام ١٨٨٢ مظهر فيه ان للدولة العلية وحدها حق التداخل في مصر بصفتها صاحبة السيادة عليها . فضلا عن انه لم يحصل بمصر أقل أمر يحمل فرنسا وانكلترا على ارسال هذه المذكرة ومن سوء حظ مصر ان وزارة « غمبتا » سقطت في فرنسا وقتئذ واستبدلت بوزارة « فريسنيه » . وكانت سياسة

واستدل الناشرون لهذه الاشاعات على صحتها — وما كانوا
الاسماسرة للانكليز — بان الدولة العلية أرسلت على نظامي
باشا ورشيد بك الى برلين وفيينا في مأمورية سرية. وأدعوا
أن هذه المأمورية انما هي السعى في بلوغ تلك الغاية
ولا شك ان هذه الاشاعات كان من شأنها ان تزيد
في النفور والشقاق بين المغفور له (توفيق باشا) وبين جلالة
السلطان الاعظم وكان الانكليز يستخدمونها عند الخديو
ويجسمونها له ليتعد عن الدولة العلية ويبقي دائماً تحت سلطتهم
وآلة في أيديهم

ولما رأَت فرنسا ان نفوذ الحزب الوطني يزداد كل يوم
وان كل شيء في مصر صار في قبضة العسكرية المصرية خافت
على مركز الخديو وأرسلت بالاتفاق مع انكلترا مذكرة لوكيلها
في مصر أمرته فيها كما أمرت انكلترا وكيلها أن يبلغ المغفور
له (توفيق باشا) ان فرنسا وانكلترا متفقتان على مساعدته
كل المساعدة ضد المصاعب القائمة في وجهه وانهما تعتبران سلامة
مصر وسلامة مصالح أوروبا بها في بقاءه على كرسي الخديوية

كانوا في قبضة يمين « عرابي » فان الفلاحين البسطاء أنقسهم
كانوا يهللون ويكبرون عند ما يذكر أسم (عرابي) وكانوا
ينتظرون من ذلك المصرى البحت السعادة المرغوبة والرفاهية
المأمولة

وهذه الحركة الوطنية التي لم يعهد لها مثيل من قبل في تاريخ
الامة المصرية كانت تعود ولا محالة على مصر بالفوائد الجملة
والتقدم السريع لو كانت وقفت الامور في الحوادث العرابية
عند حد محدود . ولكن الشقاق والطمع والجهل والدسائس
الاجنبية أوقعت البلاد في حضيض الذل والهوان بعد ان
كانت مشرفة على الخير والسعادة والحرية

وقد تعين (عرابي) وكيلا لوزارة الحرية في ٤ يناير عام
١٨٨٢ وازدادت بذلك سلطته في الجيش وقوى نفوذه واجتمع
حوله من الاهالى خلق كثيرون . وقد كثر عندئذ
الاشاعات بان الدولة العلية مساعدة لعرابي سرا وانها تتجهد
في استمالة بعض الدول الاوروبية لتمضيدها على نحو حقوق
العائلة الخديوية وجعل مصر ولاية عثمانية كالشام وطرابلس

وأظهرت تخوفها من تداخل فرنسا في مصر تداخلا عسكريا وأبانت ان تداخل فرنسا أو أية دولة أوروبية في مصر تداخلا عسكريا يجر على مصر وعلى مصالح أوروبا فيها أكبر الاخطار وليكن التيمس نسيت رأيها هذا بالمرّة ولم تتذكره عند احتلال الجنود الانكليزية لمصر بل صنفقت لهذا الاحتلال طربا واستحسانا

أما الامة المصرية فقد أظهرت من مبدأ الحوادث العرابية ميالها لعرايى وموافقتها له على عمله وشجعته بكل أنواع التشجيع. ولم يكن ذلك عن كراهة للمغفور له (توفيق باشا) الذى لم يسء الى الاهالى قط بل عن رغبة الامة فى نيل حريتها وتحقيق سعادتها واستقامة أحوالها. وقد أوجد حكم (اسماعيل باشا) فى نفوس المصريين كافة بغضا شديدا للحكم المطلق وكراهة لدودة للسلطة الاستبدادية وتشوق الكل الى جعل حكومة مصر حكومة دستورية شورية حتى قام (عرايى) وجماعته فانضمت اليهم أصوات الامة واجتمعت حولهم المئات والالوف من أبناءها. ونظراً لكون الجنود

النتيجة التي تمت عليها الانتخابات، واجتمع المجلس لأول مرة في ٢٦ ديسمبر من السنة نفسها

وفي ٣١ يناير عام ١٨٨٢ نشرت جريدة (التيمس)
الانكليزية مبادئ الحزب الوطني في مصر وهي تنحصر في
سنة أمور : أولا الاعتراف بسيادة الدولة العلية مع المحافظة
على الامتيازات الممنوحة لمصر . ثانيا الطاعة والاخلاص
لسمو الخديو ما دام محترما لوعوده التي فاه بها في سبتمبر عام
١٨٨١ . ثالثا الاعتراف بالخدم الجليلة التي أدتها فرنسا وانكلترا
لمصر وبأن المراقبة الثنائية موافقة لحالة البلاد المالية ولازمة
لضمانه حقوق الدائنين . رابعا المحافظة على الامن في سائر
أجزاء مصر وضمانه أرواح وأموال الاهالي والنزلاء . خامسا
اعلان مبادئ الحرية الدينية والسياسية في بلاد مصر واعتبار
سائر المصريين سواء أمام القانون وتشكيل مجلس نواب
مصري وتحديد حقوق كل سلطة . سادسا ترقية شأن البلاد
بنشر التعليم في كل أرجائها

وقد أعجبت التيمس بمبادئ الحزب الوطني وأمياله

وقد رى أفندي . وقبل وصول هذا الوفد الى مصر يومين صدرت الاوامر بسفر ألى (عرابى) الى التل الكبير وألى (عبد العال بك) الى دمياط لى لا يجتمع عرابى وعبد العال بأعضاء الوفد ولكنهما لم يسافرا وتقابلا مع الوفد عند حضوره . وقد حقق المغفور له (توفيق باشا) لأعضاء الوفد بانه متفق مع (عرابى) وانه راض عن جيشه . ولما علمت فرنسا وانكلترا بأن الدولة العلية أرسلت وفدا لمصر أرسلتا أسطوليهما الى ميناء الاسكندرية . وقد غادر الوفد العثمانى مصر وعاد للاستانة فى ١٩ أكتوبر عام ١٨٨١ وبعد سفره بارحت سفن فرنسا وانكلترا ثغر الاسكندرية . وقد أشبع وقتئذ فى سائر انحاء العالم ان الوفد العثمانى كان مكلفا بتشجيع (عرابى) وحزبه واعتقدت الامة المصرية كلها بهذه الاشاعة وصارت تعتبر (عرابى) النائب الحقيقى عن جلالة السلطان فى مصر والمدافع عن حقوقه بها

وقد جرت انتخابات أعضاء مجلس النواب المصرى فى ١٠ نوفمبر عام ١٨٨١ وأظهر (شريف باشا) ارتياحه من

مشيئتها وكما تقضيه آمالها وأمانها

وما تظاهر « عرابي » مظاهرتة الحربية في ٩ ستمبر عام ١٨٨١ حتى شجع سواس بريطانيا الباب العالي على الانتقام من (توفيق باشا) وانتهاز هذه الفرصة لنيل سلطة فعلية على مصر بمساعدة الحزب الوطني وتعضيده ولم تكثف وقتئذ الوزارة البريطانية بتحريض الباب العالي على تشجيع (عرابي) بواسطة سفيرها في الاستانة بل أوجت الى الجرائد الانكليزية أن تساعدوا في سياستها فنادت التيمس وزميلاتها وقتئذ بأن الطريقة الوحيدة لايقاف تيار التماثل والاضطرابات في مصر هي تدخل الدولة العلية واحتلال الجنود التركية للديار المصرية

وقد اتخذت الدولة العلية لسواس بريطانيا وحسبتهم صادقين في أقوالهم مصافين لها في مسألة مصر وظنت انه يمكنها الاعتماد عليهم وقررت حسب اشارتهم ارسال وفد لمصر لدراسة الاحوال فيها ورفع تقرير لجلالة السلطان فحضر لمصر وفد مكون من علي باشا نظامي وأحمد أسعد أفندي

عند رجال الحزب الوطنى وعند المغفور له « توفيق باشا »
وعند خدامه وأنصاره فصار بذلك وكلاؤها فى مصر محل
ثقة الفريقين

وان السياسة التى اتبعتها انكلترا من أول الحوادث
العرايية لآخرها لسياسة كلها غش وخداع وكذب . أوكما
يقول عنها السياسيون سياسة كلها دهاء ومهارة . فانها أفلحت
فى تكبير الشقاق بين الجراكسة والمصريين أى بين افراد
أمة واحدة وأفلحت فى القاء بذور النفور والعداوة بين الخديو
و « عرابى » أذ ظن عرابى وحزبه ان الخديو يريد الفتك بهم
وانه هو المحرض على قتلهم . وأفلحت فى تفهيم المغفور له
توفيق باشا ان جلاله السلطان يريد خلعهم ومحو حقوق العائلة
الخديوية فى مصر وأفلحت كذلك فى تفهيم رجال الدولة العلية
ان « توفيق باشا » طامح الى انتهاج خطة المغفور له « محمد على
باشا » فى مسألة الشام ضد الدولة وبذلك صارت انكلترا
مسموعة الكلمة عند عزيز مصر وعند رجال الحزب الوطنى
وعند رجال الدولة العلية . وصارت الحوادث تجرى حسب

بمعارضتهم وبتقوية السلطة الاستبدادية في البلاد. وانضم اليهم
الكثيرون من أعيان البلاد وفضلاً عنها

وفي ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ ذهبت الجنود المصرية في الساعة
الثالثة بعد الظهر تحت قيادة « عرابي » الى ميدان عابدين
وطلبت من الحضرة الخديوية اسقاط وزارة رياض باشا
وانشاء مجلس نواب مصرى وجعل عدد الجيش ١٨٠٠٠
جندي كما تسمح به فرمانات الشاهانية واقتضت المصادفة
وقتئذ ان قنصل فرنسا الجنرال والمراقب الفرنساوى كاناغائين
عن مصر وكان المراقب الانكليزى المستر (كوكفيل)
موجودا في مصر مع المستر (كوكسون) الذى كان قائماً
مقام السير « ماليت » قنصل انكلترا الجنرال . فنصح المستر
كوكفيل والمستر كوكسون الخديو بقبول مطالب (عرابي)
وجنوده . ولم يمض الا ساعتان حتى قبل الخديو طلبات
« عرابي » وأسقط وزارة « رياض باشا » وأمر « شريف
باشا » بتشكيل وزارة تحت رئاسته

وقد استفادت انكلترا في هذه الحادثة ازدياد نفوذها

من التحقيق أنه أمر بتحرير الجنود على قتل ضباطهم من
أحد خدمة الخديو ويقول (عراي باشا) في تقريره ان خادم
الخديو أمر بذلك من مولاه . وجرت جملة أمور من هذا
القبيل حكم على الذين أتوا بها بالابعاد الى السودان . ولما
كان لبعض الاشخاص الذين أبعادوا الى السودان علاقات
ببعض خدمة الخديو فقد احدث ابعادهم غضبا شديدا عند
حاشية العزيز واستعمل ذوو النفوذ في المعية نفوذهم في اقناع
الخديو بضرورة عزل محمود باشا سامي من نظارة الحرية فعمل
العزيز برأيهم وطلب من محمود باشا سامي الاستقالة فاستقال
وعين مكانه « داود باشا » صهر العائلة الخديوية . وما تعين
حتى أصدر الاوامر بعدم اجتماع الضباط مع بعضهم والتشديد
عليهم كل التشديد . ويقول «عراي باشا» في تقريره انه وضع
على بيته وعلى بيت عبد العال بك حنفي أرواما للفتك بهما
وقد احدثت هذه الامور كلها تأثيرا سيئا على نفوس
الضباط فاتفقوا على عمل حركة أهلية عامة لتغيير دستور البلاد
ونظامها واسقاط وزارة « رياض باشا » التي كانوا يتهمونها

قنصل انكلترا الجنرال (عرايى) وأنصاره بأنه هو الذى نصح
الخديو بالعمو عنهم وباستبدال عثمان باشا رفقى . وقصد
بذلك استمالتهم اليه وتغريهم بأنه نصير لهم

وفى يوم ٤ فبراير من السنة نفسها أمر الخديو عرايى
وعلى فهمى بأن يذهبا الى قنصلى فرنسا وانكلترا ويؤكد لهما
بأنهما يتكفلان بالراحة العمومية ويضمنان المحافظة على أرواح
وأموال الاوروبين فتوجهوا وعملا بأمر العزيز

ولو كان الامر وقف عند هذا الحد لكانت انتهت
المسئلة وبقي السلام سائدا فى ربوع مصر ولكن أصحاب
الدسائس كانوا يبذلون الجهد الجهد فى بلوغ غاياتهم السيئة
فأوعزوا الى بعض خدمة الخديو والخصوصيين بتهييج الجنود
ضد ضباطهم وباغرائهم على القتلك بهم . وقد وجدت هذه
الايمازات السيئة أذانا صاغية عند بعض ضعفاء العقول وذهب
(فرج بك الزينى) ليهلا الى احد الأليات وحرص العساكر
على قتل ضباطهم فلم توافقه العساكر وقبضت عليه وفى اليوم
الثانى أرسل لنظارة الحربية وجرى التحقيق بشأنه وقد ظهر

نظارة الحربية وأعلنهم أمام مجلس مكون من الذوات بانهم مرفوتون من وظائفهم وان ثلاثة من الضباط الجرا كسة عينوا في مناصبهم وأمر بسجنهم فقبضت عليهم الجنود وسجنهم وأمر كذلك بارسال كل الضباط المصريين المعروفين بالميل لعرايى وزميليه الى سجن القلعة . فهاجت الضباط والعساكر المصرية عند ما علمت بما جرى لرؤسائهم وهجموا على سجن نظارة الحربية وأخرجوهم منه وابتدأ بهذه الحركة الاضطراب فى البلاد وقلقت الافكار كما كان يتغيه أصحاب الغايات وأرباب الدسائس الاجنبية .

وبعد أن خرج عرايى وزميلاه من السجن أرسل (عرايى) الى قناصل الدول الاوروبية فى مصر كتابا بتفصيل ما جرى واستلقت أنظارهم الى هذه الامور وذهب الى عابدين وقابل سمو الخديو فصرح له بالمرحوم (توفيق باشا) بأنه عفا عنه وعن كل الضباط وأخبره بأنه عين (محمود باشا سامى البارودى) ناظرا للجهادية بدلا من عثمان باشا رفقى . وكان ذلك فى يوم ٢ فبراير عام ١٨٨١ . وقد أفهم السير (ماليت) .

وعرفوا أنهم كلهم مصريون تجمعهم جامعة الوطن العزيز
وأن لبلادهم عدوا طامحا الى الاستيلاء عليها من عهد بعيد
لكانت نجت مصر من الخطر الجسيم الذى هى واقعة فيه
الآن ولكانت تمت لمصر السعادة والرغاية والحرية. ولكن
العداوة استحكمت بين بنيها ففشل امرهم وذهبت ريحهم
وتداخل الاجنبى بينهم وتساقطت على مصر المصائب العديدة
وهذا شأن كل أمة يقع الشقاق والتفريق بين افرادها
وقد ابتدأت الحركة العراقية باتفاق جملة ضباط مصريين
على رفع عريضة شكوي للمغفور له (توفيق باشا) ضد
(عثمان باشا رفقى) ناظر الجريبة بسبب تعصبه ضد المصريين
وتحزبه للجراكسة وتكليف أحمد عرابى بك وعلى فهمى بك
وعبد العال حلمي بك بتقديمها للخديو . وما تقدمت هذه
العريضة حتى اهتم بالامر أصحاب الدسائس الاجنبية العاملون
على ضياع مصر وبذلوا جهدهم فى توسيع الخرق وجعل الشقاق
عظيما فنصحوا برفق عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمي .
وبانفعل استدعى (عثمان باشا رفقى) هؤلاء الضباط الى

من شؤون مصر وحقوقها ومنحهم حق التداخل في أحوال مصر
وبازدياد نفوذ انكرا في مصر ازدادت المشاكل في
بلادنا وتمهدت لها سبل احتلالها . فقد قررت انشاء المراقبة
على المالية في مصر بالاشتراك مع فرنسا وكانت أول عاملة
على خلع (اسماعيل باشا) . وبعد تولية المغفور له (توفيق باشا)
نشرت سماسرتها في كل انحاء مصر وشجعت الحزب الوطني
من جهة وفرقت بينه وبين مولاه وفريق آخر من المصريين
من جهة أخرى حتى نزل القضاء باحتلالها لمصر
وتمت خديعتها للمصريين وللدولة العلية ولاوروبا كلها

ومن سوء حظ مصر ان سماسرة الانكليز نجحوا في
التفريق بين المصريين وبعضهم فاستحكم الشقاق بين الجراكسة
والمصريين في الجيش وبعبارة أخرى بين المصريين وبعضهم
لانه لا يمكن اعتبار الجراكسة الذين قضوا في مصر طول
حياتهم واستوطنوا البلاد وتناسلوا فيها اجانب عنها بل هم
فيها مصريون لا فرق بينهم وبين سلالة الفراعنة القدماء .
ولو كان زال من بن الجراكسة والمصريين سوء التفاهم

وقد تغيرت أمور مصر وتغيرت سياسة الدول نحوها من عام ١٨٧٥ بشراء انكلترا من (اسماعيل باشا) أسهم مصر في قنال السويس حيث ازداد نفوذ هذه الدولة في بلادنا العزيزة وصارت منافسة لفرنسا أشد المنافسة . وقد توصات انكلترا بما صار لها من النفوذ في السنين الأخيرة من حكم (اسماعيل باشا) الى تعيين جملة موظفين من الانكاي في ادارات مصر وفي السودان المصرى وجعلتهم ذريعتهم في بذر بذور السوء والقلاقل في أرض مصر . وتوصات كذلك الى عقد معاهدة منع الرقيق مع الحكومة المصرية عام ١٨٧٧ وهي المعاهدة التى منحت انكلترا فى المادة السادسة منها « حق جولان الطرادات الانكليزية فى مياه البحر الأحمر وحق البحث فى السفن المصرية الحاملة للرق أو المشتبه فى انها حاملة له والاستيلاء عليها لتسليمها فيما بعد للحكومة المصرية وحق الاستيلاء على الرقيق الذى تعثر عليه احدى الطرادات الانكليزية فى سفينة مصرية واتخاذ الوسائل اللازمة لتحريره » . اى منح الانكليز سيطرة عالية على ما هو

العواقب أو كان ذا أهواء شريرة أصغني الى هذه الاقوال
المزخرفة واستدان وأثقل عاتق أمته وبلاده بالديون التي تجر
وراءها التداخل الاجنبي والاستعباد

وقد انخدع (اسماعيل باشا) بزخارف أقوال بعض
الاوروبيين وتغلبت عليه آمياله الطبيعية وأهواؤه فاستدان
من أوروبا الديون الطائلة وفتح أبواب مصر للاوروبيين
وجر بذلك على ملك مصر وعلى بلاد مصر العزيزة المصائب
الكبار والبلايا الجسام وانتهى به الامر أن خلعته من كرسي
ملكه أصحاب الديون أنفسهم أى أولئك الذين كان يظنهم
أصدقاء له وكان يفضلهم على بنى وطنه ويعمل بآرائهم
ونصائحهم . وهي عبرة تاريخية يجب على أمراء الشرق
كافة ان يعتبروا بها فان قوة الممالك في قوة الامم وسعادتها
الحقيقية لا في الزخرف الكاذب والطلاء الباطل . وكما كانت
الامة قليلة الديون كان استقلالها قويا متينا وكانت كلمتها عالية
عزيزة وبالعكس كلما ازدادت ديون امة ازدادت مصائبها
وتسلط الاجنبي عليها وهذت في استقلالها وفي حياتها نفسها

﴿ الازمة الخامسة ﴾

﴿ المسئلة المصرية ﴾

ان سبب مصائب مصر هي ديونها التي اقترضها (اسماعيل باشا) الخديو الاسبق . فانها العلة الوحيدة لتداخل الاجانب في شؤون مصر ولتداخل انكلترا على الخصوص في أمورها وقد اشتهر بين الناس كافة ان قاعدة سياسة التداخل الاجنبي في شؤون أمة من الامم والعمل على استعبادها هي (فرق تحم) فان الشقاق والتفريق بين أفراد أمة واحدة يجران حتما الى اضمحلال هذه الامة وسقوطها في قبضة أعدائها . وقد أوجد سواس هذا العصر قاعدة جديدة لاستعباد الامم وهي (أدن تستعبد) فان . اعتماد السياسة الاوروبية في استيلائها على البلاد الافريقية والاسيوية انما هو على اقراض أمراءها . فمتى أرادت دولة أن تستعبد أمة وتستولي على بلادها سلطت على أميرها من يحسن له المدنية وزخرفها وتغير حاله بأحسن منها فاذا كان الامير ضعيف الرأي قصير النظر في

البسطاء قوله ولم يدافعوا عن مدينة (القيروان) أقل دفاع بل
دخلها الفرنسيون آمنين في ١٢٦ أكتوبر عام ١٨٨١. وهكذا
سقطت المدينة في أيدي فرنسا بحيلة دخیل من الدخلاء وما
سقطت بلاد إسلامية في أيدي دولة أوروبية إلا وكان للدخلاء
يد في سقوطها

وبذلك لحقت البلاد التونسية بالجزائر ووقعت في قبضة
فرنسا وتمت لفرنسا فيهما السلطة وانتهت النتيجة الأخير
للحرب المشؤومة بين روسيا وبين الدولة العلية

يونيو من عام ١٨٨١ نفسه تقابل الميسو (كيرولى) رئيس
الوزارة الإيطالية وقتئذ مع البرنس (بسمارك) فى مدينة
(كيسينجن) وطالت المحادثة بينهما واعتبرت هذه المقابلة
فى كل دوائر أوروبا السياسية مبدأ انضمام إيطاليا للتحالف
الألماني النمساوى أى نجاحا لسياسة (بسمارك)

أما فرنسا فقد استمرت على خطتها فى البلاد التونسية
واحتلت فى ١٠ أكتوبر عام ١٨٨١ مدينة (تونس) نفسها
وأرسلت جيشا جرارا لاحتلال مدينة (القيروان) . ومن الأمور
المشهورة عند احتلال فرنسا للقيروان أن رجلا فرنساويا دخل
فى دين الاسلام وسعى نفسه (سيد احمد الهادى) واجتهد
فى تحصيل الشريعة الغراء حتى وصل الى درجة عالية فيها
وعين اماما لمسجد كبير فى القيروان . فلما اقتربت الجنود
الفرنساوية من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها وجاءوا يسألونه
أن يستشير لهم ضريح شيخ فى المسجد يعتقدون فيه فدخل
وخرج مهولا لهم بما سبوا منهم من المصائب وقال لهم بان الشيخ
ينصحكم بالتسليم لان وقوع البلاء صار محتما . فاتبع القوم

المعاهدة عند عرضها عليه. ولما علمت بها الدول رسميا هنأت
المانيا والنمسا واسبانيا الحكومة الفرنسية على نجاحها.
أما الباب العالي فقد احتج على عمل فرنسا باسم حقوقه
الشرعية وترك للتاريخ الحكم على معاملة أوروبا للدولة العلية
واعتدائها عليها

وقد أحدثت معاهدة فرنسا مع تونس في ايطاليا كدرا
شديدا وسخطا على فرنسا وحولت انظار ايطاليا نحو النمسا
والمانيا. واشتدت العداوة بين فرنسا وايطاليا الى حد أن
الفرنساويين والايطاليين صاروا يتشاحنون في كل بلد من
بلاد فرنسا. ففي ١٢ يوليو سنة ١٨٨١ (يوم عيد الجمهورية
الفرنساوية) حصلت معركة كبيرة في مرسيليا بين الفرنسيين
والايطاليين مات فيها ثلاثة من الفرنسيين وايطالي واحد
وقد أظهرت الجرائد الالمانية عندئذ ارتياحها للعداوة
الناشئة بين ايطاليا وفرنسا وصارت الجرائد الايطالية تطعن
على فرنسا أقبح الطعن وتسبها أخش السباب وتمدح المانيا
وتطريء في المديح تشفيا من فرنسا وانتقاما منها وفي شهر

عام ١٨٨١ صورة هذه المعاهدة التي أمضاها الجنرال (بريار) باسم فرنسا مع باي تونس في (الباردو) بتاريخ ١٢ مايو عام ١٨٨١ وهي تشتمل : أولا على احتلال فرنسا للمواقع التي تراها ضرورية لها في البلاد التونسية . ثانيا على تعهد فرنسا لباي تونس بحمايته وحماية عائلته ودفع كل خطر عنه وعنهما ثالثا على تعهد فرنسا بضمانة تنفيذ المعاهدات المعقودة بين تونس وبين الدول الاوروبية . رابعا على تعيين وزير فرنساوى في تونس يقوم بتنفيذ هذه المعاهدة ويكون الواسطة بين فرنسا وبين الولاية التونسية . خامسا على جعل الرعايا التونسيين في الخارج تحت سلطة وحماية سفراء فرنسا وقناصلها وعلى تعهد تونس بعدم عقد معاهدة ما مع دولة من الدول قبل عرضها على فرنسا والاتفاق معها عليها . وتتضمن المعاهدة غير ذلك بعض شروط بشأن تنظيم مالية تونس وبشأن الديون التونسية وبخصوص عدم وصول الاسلحة والذخائر الى القبائل المعادية لفرنسا .

وقد وافق مجلس النواب الفرنسي بالاجماع على هذه

في الامر وتفصل الخلاف الواقع بينها وبين فرنسا ولكن سياسة الدول كانت قيادتها بأيدي البرنس (بسمارك) وكانت روسيا ميالة لفرنسا وعاملة على التقرب منها . فلم تجد الدولة العلية نصيرا ينصرها وينصر الحق ولما أرادت أن ترسل سفنها الى تونس هددتها فرنسا باعلان الحرب عليها اذا أرسلتها ومن البديهي أنه كان يصعب على الدولة العلية بعد حربها مع روسيا أن تحارب فرنسا وتفتح بابا جديدا لتداخل الدول في شؤونها والاضرار بمصالحها . فلم تستطع لهذا السبب أن تحتج على عمل فرنسا في تونس احتجاجا فعليا بل كان كل ما في استطاعتها أن تحتج احتجاجا قوليا

ولما رأت فرنسا أن عملها في تونس لا يلقى معارضة من دول أوروبا أرسلت حملتها على البلاد التونسية وكانت مؤلفة من ٢٦٠٠٠ جندي وقد قهرت قبائل الحدود بعد مجهودات عظيمة وتوصلت الى عقد معاهدة مع باي تونس وهي في الحقيقة اعلان حماية فرنسا على البلاد التونسية

وقد عرضت على مجلس النواب الفرنسي في ١٩ مايو

ولكن هذه الاعتبارات التي أتى عليها وزير فرنسا كلها تسقط أمام أمر واحد وهو أن باي تونس أرسل في آخر عام ١٨٦٤ (خير الدين باشا) إلى الاستانة ليستصدر فرمانا شاهانيا بتعيينه أميراً على البلاد التونسية وصدر الفرمان بالفعل بمقتضى طلب باي تونس نفسه . وفي ٢٥ أكتوبر عام ١٨٧١ صدر الفرمان السلطاني بتعيين (محمد الصادق) باي تونس وقرأه (خير الدين باشا) في (الباردو) يوم ١٨ نوفمبر عام ١٨٧١ في حفلة حافلة فاذا سلمنا بأن البلاد التونسية كانت مستقلة تمام الاستقلال قبل عام ١٨٦٤ وعام ١٨٧١ فلا يمكن لاحد أن يعتبرها مستقلة عن الدولة العلية بعد ارتباطها بها هذا الارتباط القاضي بصدور فرمان شاهاني لتولية الباي عند موت سلفه . وكيف يستطيع سواس أوروبا أن ينكروا تابعة تونس للدولة العلية وقد رأينا الدول الأوروبية تضع حمايتها على بعض بلاد أفريقية بمجرد عقد معاهدة حبية بين أمراء هذه البلاد وبينها ؟

وقد طلبت الدولة العلية من الدول الأوروبية أن تتدخل

في كل هذه المعاهدات الى أمر أو الى توسط من الدولة العلية. وأضاف الى ذلك وزير خارجية فرنسا ان جملة حروب قامت بين الامارة التونسية وبين بلاد أخرى بدون تدخل تركيا. ففي عام ١٨٣٣ حاربت مملكة «سازدينيا» ولاية تونس وكانت علائقها مع الدولة العلية جيدة حسنة ولم يتكدر صفائوها بحربها مع تونس. وقبل ذلك في عام ١٨١٩ قرر مؤتمر (راكس لاشايل) إجبار تونس على منع لصوصية البحار بدون توسط الدولة العلية واستند كذلك وزير خارجية فرنسا على استقلال تونس بأن فرنسا استقبلت في عام ١٨٤٧ (أحمد) باي تونس كما تستقبل الملوك والامراء وبغير توسط سفراء الدولة العلية وبأن دستور الولاية التونسية المشتمل على ١١٤ مادة لم يذكر فيه حرف واحد يدل على تابعة هذه الولاية الى الدولة العلية

وختم وزير خارجية فرنسا منشوره بقوله ان أغلب دول أوروبا موافقة على إرسال حملة فرنسية الى البلاد التونسية». ولا شك أنه كان يشير الى المانيا والنمسا

واللدول الأوروبية بتاريخ ٢٧ أبريل عام ١٨٨١ احتجت فيها على عمل فرنسا وأبانت ان البلاد التونسية هي جزءاً من المملكة العثمانية وان الاعتداء عليها يعتبر اعتداء على الدولة نفسها .

فأجاب الميسو « بارتلمى سانت هيلير » وزير خارجية فرنسا على مذكرة الدولة العلية بنشور أرسله في ٩ مايو عام ١٨٨١ الى سفراء فرنسا لدى الدول الأوروبية أوضح فيه الاسباب التي حملت فرنسا على ارسال تجريدة الى البلاد التونسية وأبان الاعتبارات التي تجعل البلاد التونسية في نظر فرنسا مستقلة تمام الاستقلال عن الدولة العلية. وهذه الاعتبارات هي ان علاقة تونس مع الدولة العلية ليست الا علاقة دينية محضة وان امارة تونس عقدت مع دول أوروبا بجملة معاهدات بدون توسط الدولة العلية أو تصديقها عليها . فقد عقدت مع فرنسا معاهدة في ٨ أغسطس عام ١٨٣٠ تعهدت فيها بالغاء الرقيق وعقدت مع انكرا نحو عشرين معاهدة وعقدت مع ايطاليا معاهدة في عام ١٨٦٨ بدون أن تحتاج

أسلفنا ان البرنس « بسمارك » بذل جهده في ابعاد
ايطاليا عن فرنسا وايجاد الشحنة والبغضاء بينهما واظهر لفرنسا
انه مستعد لمساعدتها على رفع حمايتها على البلاد التونسية . ولما
كان سواس فرنسا ميالين لتقوية نفوذ بلادهم في تونس فتمد
تلقوا أقوال البرنس « بسمارك » بغاية الارتياح وانتظروا
الفرصة المناسبة لارسال حملة على البلاد التونسية وقد كانت
ثلاثة أخماس ديون الامارة التونسية لفرنسا والخمس الاخران
لايطاليا وانكثرا مما جعل لفرنسا مركزا خاصا بها في تونس
ولم يكن لهما منافس بين الدول غير ايطاليا التي كانت تنصح
(باى تونس) على الدوام بمعاكسة فرنسا وعرقلة مساعيها
وكان الايطاليون في البلاد التونسية يجارون الفرنسيين في
كل عمل ويجتهدون في سبقهم الى الربح والمكسب

وقد حدث ان بعض قبائل رحالة اعتدت على حدود
الجزائر فانتهزت فرنسا هذه الفرصة لتحقيق غاياتها وتنفيذ
مشروعها وقررت ارسال حملة فرنساوية على الحدود التونسية
فلما علمت الدولة العلية بذلك أرسلت مذكرة لفرنسا

وقد توصل البرنس (بسمارك) بسياسته هذه الى توطيد
العلائق والروابط بين رومانيا والنمسا وسهل عليه ذلك لحقد
رومانيا على روسيا بعد الحرب الروسية التركية. ونجح كذلك
في تحسين علائق الصرب مع النمسا وادخال بلغاريا نفسها في
دائرة نفوذ النمسا

وبذلك أفاح البرنس «بسمارك» في سياسته الماهرة
وبلغ ما تمناه فازدادت العداوة بين النمسا وروسيا وتقربت من
النمسا امارات البلقان — التي أوجدتها روسيا بما لها ورجالها —
واشتغلت النمسا ببلاد البلقان وبمشاكلها مع المجر عن البلاد
الالمانية. ولما رأى البرنس «بسمارك» ثمار سياسته سافر
الى فيينا حيث استقبل فيها استقبالا عظيما واحتفل به سراسها
وأهلها احتفالا شائقا — ولا ينسى القارىء ان «بسمارك» هو
سبب مصائب النمسا وأصل انحلالها. ولكن الامم النازلة
في مهواة التقهقر والانحطاط من شأنها النسيان — وأعلن
وقتئذ في كل أنحاء العالم ان النمسا تحالفت مع المانيا تحالفا دفاعيا
هجوميا وان سياسة «بسمارك» توجت بالنجاح والفلاح

بازار» بالاشتراك مع الجنود العثمانية — ولم يستمر احتلال النمسا له زمنا طويلا — وكان لهذا الاحتلال شأن معهم لان «نوفي بازار» على طريق سالونيك وبواسطتها كان يسهل للنمساويين ان يبلغوا الاستانة قبل الروسيين اذا قامت الحرب بين روسيا والدولة العلية

والذي أوعز للنمسا باحتلال (نوفي بازار) هو البرنس (بسمارك) فانه لما رأى ان الروسية أظهرت العداء لالمانيا واتهمتها بنكران الجميل عمل على الاتحاد مع النمسا ضدها كما قدمنا ووجه عنايته لاضعاف نفوذ الروسية في بلاد البلقان وجعل نفوذ النمسا فيها قويا عظيما لتزداد العداوة بين هذه الدولة وبين الروسية وتبقى بذلك النمسا مضطرة دائما الى المحافظة على تحالفها مع ألمانيا . وكان يقصد البرنس (بسمارك) بتقوية نفوذ النمسا في بلاد البلقان غير ما ذكرنا ايجاد الشقاق بين النمسا والمجر وتحويل أنظار النمسا بهذا الشقاق وبمصالحتها في البلقان عن البلاد الألمانية لتبقى دائما تحت سلطة ألمانيا وفي دائرة نفوذها

ملايين من الجنهات » لمصاريف الحملة النمساوية ضد البوسنة
والهرسك بعد ان صرف على هذه الحملة مبلغ ٨٢ مليوناً من
الفلورينو . فهاج المجرئون وأخذت جرائدهم تطعن على النمسا
وتوجه اليها الملام والتعنيف حتى اضطرت الوزارة المجرية
— التي كان يرأسها وقتئذ المسيو « تيسا » الشهير — الى تقديم
استغفائها ولما رأى الامبراطور « فرنسوا جوزيف » ان
الموقف خرج سأل المسيو « تيسا » أن يبقى في منصبه هو
وزملائه حتى يجد من يخلفهم وأخذ يستميل الحزب الاهلى
في المجر نحوه ويرجوه عدم احداث قلاقل في البلاد . ولكي
يسهل الامبراطور على المجرئين قبول طلب الحكومة النمساوية
بشأن مصاريف الحملة على البوسنه والهرسك قرر جعلها عشرين
مليوناً من الفلورينو بدلاً من خمسة وخمسين . وبذلك انتهى
الخلاف بين النمسا والمجر ظاهرياً . ولكن احتلال النمسا
للبوسنه والهرسك أبقي في نفوس المجرئين كراهة شديدة
لنمساويين فوق الكراهة الاصلية الكامنة في نفوسهم
وقد احتلت النمسا في ٨ سبتمبر عام ١٨٧٩ اقليم « نوفي

النمساوية التي بعثتها للاستيلاء على البوسنة والهرسك أورطة
مجرية وأصدرت إليها الاوامر بطرد جنود الاتراك من هذه
البلاد فلما وصلت الاورطة ووجدت الجنود العثمانية — وهم
الذين بقوا بعد اخلاء الدولة للبوسنة والهرسك — تذكرت
ان هؤلاء الجنود ينتسبون لهذه الامة التركية الشريفة وانهم
جنود الدولة التي أحسنت الى أبناء وطنها فألقت الاورطة
كلها السلاح وأبت اطلاق الرصاص على الاتراك قائلة
بصوت واحد « اننا لا نطلق الرصاص على أصدقائنا »
فاغتاز الامبراطور « فرنسوا جوزيف » من هذا العمل
ومن هذه المخالفة العسكرية وأمر بضرب عشر الاورطة
بالرصاص اذا استمرت على مخالفتها فأبلغ الامر للجنود المجرية
ولكنها فضلت اظهار اعترافها بالجميل للعثمانيين عن الطاعة
لاوامر الامبراطور

وقد استحكم الخلاف بين النمسا والمجر وظهر ظهور
الشمس في رابعة النهار عندما طلبت النمسا الاشتراك معها
في تقرير مبلغ ٥٥ مليوناً من الفلورينو « أى نحو الخمسة

العذاب وبرهنوا على انهم رجال لا يستسلمون للعدو ولا
يسلمون وطنهم وشرفهم للاجنبي عن طيب خاطر
وقد كان المجريون من أول الازمة لا آخرها مع الدولة
العلية وكانت مصالحهم تقضى عليهم بذلك. فان استيلاء النمسا
على البوسنة والمهرسك يزيد من عدد السلافيين في المملكة
النمساوية ويضر بنفوذ المجر وكذلك ازدياد نفوذ الروسيا في
بلاد البلقان من شأنه أن يجعل المجر في قلق مستمر على
حياتها ووجودها السياسي فان الروسيا هي أول وأكبر عدو
للمجر وهي التي قعمت الثورة المجرية عام ١٨٤٩ بعد ان خابت
النمسا في قمعها

واذا أضفنا الى اشتراك المجر في المصلحة مع الدولة العلية
اخلاص أهالي هذه البلاد للاتراك واعترافيهم بالجميل للدولة
التي استقبلت ثوارهم عام ١٨٤٩ أحسن استقبال وأكرمت
مشوارهم ورفضت تسليمهم للنمسا كل الرفض فهمنا كنهه تظاهر
المجريين بمحبة الدولة العلية واطهار أميالهم نحوها بكل قوة .
ومما يخلد ذكره أبد الدهر ان النمسا أرسلت مع الجنود

البوسنة في أيدي النمساويين بل استمروا يقاتلون قتال
الابطال واستمرت الثورة ضد النمساويين في شمال البوسنة
وفي بلاد الهرسك كلها . وقد انهزم النمساويون أمام حماسة
البوسنة والهرسك مرة بعد أخرى ولما قوا في هذه المعارك
الدموية من الالتهاب والمصاعب ما لا يحده جيش في حرب
كبيرة مع دولة عظيمة . وفي آخر شهر أغسطس عام ١٨٧٨
اضطر الجنرال (سايارى) الى ترك ما كان استولى عليه بين
نهر (درينا) و (ساقب) بعد أن خسر جيشه الخسائر الجمة
وفقد العدد الوافر من رجاله . وفي ١٠ سبتمبر انسحب
الجنرال (زاش) هو وجنوده من موقع (بيهاش) فرارا
من هجمات أهالى البوسنة والهرسك الابطال

ولم ينتصر الجيش النمساوى بعد سقوط (بوسنه سراى)
الا عند ما ازداد عدده بوفود فرق جديدة من النمسا .
وعندئذ استولى على مدينة « تريينيه » ومدينة « زفورنيك »
وأخذ يتقدم شيئاً فشيئاً حتى قمع الثورة واستولى على البلاد
كلها ولكن بعد ان أذاقه أهالى البوسنة والهرسك أشد

القتال حتى اضطر قواد الجيش النمساوى للرجوع بالجيش الى الوراء فى مواقع كثيرة واضطرت الحكومة النمساوية الى ارسال جنود عديدة لتزداد القوة بهم ويستطيع الجيش النمساوى الانتصار على أهالى البوسنه والهرسك . وكان على رأس المسلمين من أهالى البوسنه فى هذه الحركة الوطنية رجل شديد العزم والحزم اسمه (حاجى لودجا) قاد الجموع ضد النمساويين أحسن قيادة واستحق بما أتاه شكر أمته ووطنه وثناء التاريخ

وفى ١٠ اغسطس عام ١٨٧٨ سقطت مدينة (بوسنه سراى) فى أيدي النمساويين وهذا اليوم كان يوما مشهودا فقد فيه النمساويون عددا عديدا من جنودهم ورأوا أمامهم البنات والنساء تدافع عن البوسنه فى مقدمة الرجال . فهكذا تكون الوطنية الحققة وهكذا يكون الذود عن الاوطان . وقد مات فى هذا اليوم العبوس كثيرون من أهالى البوسنه وذهبوا شهداء الوطنية الحققة والاخلاص الى ولم تثبط همم أهالى البوسنه والهرسك بسقوط عاصمة

والهرسك منشورا أبانت لهم فيه أن الدول الأوروبية كانتها باحتلال بلادهم لتوطيد السكينة فيها واسعادها وان جلالة السلطان أنابها عنه في تنظيم أمورهم — وهو ما يخالف الحقيقة بالمرّة وقد ذكرت النمسا ذلك كذبا لتخدع المسلمين من أهالي البوسنة والهرسك — وانها (أى النمسا) لا تميز بين الديانات بل جل مقاصدها نشر لواء المساواة والعدل والحرية بين الالهالى

وبالرغم مما جاء في هذا المنشور فان أهالى البوسنة والهرسك من المسلمين قاموا أجمعين عند ما علموا باقتراب النمساويين من بلادهم لاحتلالها واستعدوا للدفاع عن وطنهم الدفاع الواجب وانضم اليهم الارثوذكسيون — أي الذين يدينون بدين الروسيا ويخلصون الحب لها — واتخذت مدينة (بوسنه سراى) أو (سراي فو) ومدينة (موستار) مركزا للدفاع عن بلاد البوسنة والهرسك

وقد دافع أهالى البوسنة والهرسك عن بلادهم دفاع الأبطال وقاوموا جنود النمسا مقاومة عنيفة وأذاقوهم مر

بالاستانة وسألتها قبول الشروط الآتية : أولا عدم تجنيد المسلمين القاطنين بالبلاد المتنازل عنها لليونان في العسكرية اليونانية مادامت الدولة العلية لا تجند اليونانيين المقيمين ببلادها في عسكريتها . ثانيا هدم قلاع مدينة « فولو » ثالثا جعل محاكمة اليونانيين القاطنين بتركيا امام محاكمها العادية ولكن دول أوروبا بالغت في تعصيدها لليونان واعتدائها على الدولة العلية ورفضت قبول هذه الشروط العادلة وأمضت كلها في ٢٢ مايو على اتفاقية بخصوص أجبار الدولة العلية على تنفيذ قرار اللجنة الدولية فاضطرت الدولة العلية الى مخاربة حكومة اليونان والاتفاق معها على تنفيذ قرار اللجنة الدولية وعلى خروج الجنود التركية من البلاد المتنازل عنها لليونان في مدة لا تزيد عن خمسة أشهر



وقد اشتغلت النمسا بعد مؤتمر برلين بالاستعداد لاحتلال مقاطعتي البوسنة والهرسك فأرسلت جيشا جرارا اليهما تحت قيادة الجنرال (فيليو بوفيتش) وأصدرت لاهالى البوسنة

في مجلس النواب اليوناني قال امام المجلس « بأن الحكومة اليونانية متفقة مع المعارضين على ازالة الحرب مع تركيا لامناص منها ». وقد أجابه الميسو (كوموندروس) رئيس الوزارة اليونانية وقصد « اني لا أقول بان الحرب لا مناص منها ولاكني أقول بانها ربما كانت قريبة الوقوع جدا »

وقد استمرت اللجنة الدولية في مناقشاتها . ولكن مندوبي الدول لم يستطيعوا الاتفاق مع مندوبي تركيا فاتفقوا على وضع قرار فيما بينهم يقدم لتركيا بصفة انذار نهائي من دول اوروبا . وأخذ مندوبو أوروبا يتناقشون وحدهم حتى اتفقوا في آخر الامر على اعطاء تساليا كلها وأييرا الغاية نهر « أريا » لليونان وهدم قلاع « بريفيزا » التي تقرر تركها للدولة العلية . وأبلغ سفراء الدول هذا القرار للحكومة العثمانية وللحكومة اليونانية فقبلته الحكومة اليونانية وأبلغت الدول ذلك في ١٢ ابريل سنة ١٨٨١ وسألتهما التعجيل بتسليمها البلاد المتنازل لها عنها . أما الحكومة العثمانية فانها لما رأت اجماع الدول واتفاقها كلها ضدها أبلغتها قبولها لقرار اللجنة الدولية

وسعهم لاعلان الحرب على تركيا فقد عرضت حكومتهم على مجلس نوابهم مشروع عقد سلفة لشراء الاسلحة اللازمة للجيش ولاتمام الاستعدادات الحربية . وافر مجلس النواب اليوناني على هذا المشروع بالاجماع

وفي ١٤ يناير عام ١٨٨١ عرضت الحكومة العثمانية على الدول الاوروبية ان يلغى قرار اللجنة الدولية ببرلين وان تعقد لجنة دولية جديدة بالاستانة يحضرها مندبو اليونان ويكون قرارها نهائيا . فبادرت الدول الاوروبية بالمرافقة على طلب الدولة العلية وصارت الدولة بذلك ملزمة بتنفيذ قرار اللجنة التي طالبت عقدها بالاستانة

ولما عقدت اللجنة الدولية بالاستانة طلب بعض الاعضاء التنازل لليونان عن كريد وجزء من تساليا وطلب البعض الآخر التنازل عن تساليا كلها وجزء من ايرار . وفي أثناء مناقشة اللجنة الدولية كان اليونانيون يسلحون جنودهم وينظمون جيشهم ويتممون معداتهم الحربية استعدادا لمحاربة تركيا حتى ان المسيو (تريكويدس) رئيس حزب المعارضين

جرائدها وخطبائها بأنها تنفذ قرار اللجنة الدولية ببرلين بالقوة ان لم تستطع أوروبا أجبار الدولة العلية على قبوله . ولكن الدولة العلية كانت تستعد للحرب أحسن استعداد ولم تهمل شيئاً من معدات القتال . وكانت اليونان تؤمل مساعدة أوروبا لها ضد الدولة العلية اذا قامت الحرب بينهما . وكان لها الحق أن تؤمل هذا الامل لانها وجدت من أوروبا المساعدة التامة في كل وقت وفي كل أمر . غير ان الدول الأوروبية كانت تأبى قيام الحرب بين الدولة العلية واليونان خوفاً منها على دمار اليونان وخرابها ومنعاً لاشتعال نيران الحرب في بلاد البلقان . فلذلك اجتهدت في فصل الخلاف بين اليونان وتركيا واقناع الباب العالي بضرورة قبول ما قرره وما تقرره

وقد عرضت فرنسا على الدول الأوروبية وعلى تركيا واليونان تحكيم دولة من الدول لفصل الخلاف بين الحكومة العثمانية والحكومة اليونانية بصفة نهائية ولكن الدولة العلية رفضت هذا الطلب . وكان اليونانيون يعملون وقتئذ كل ما في

اعطاء جزء عظيم من تساليا وايرامع (يانينا) و (متزوفو) و (لاريسا) لليونان وقدم سفراء الدول في الاستانة وفي آتينافى ١٥ يوليو سنة ١٨٨٠ مذكرة للحكومة العثمانية والحكومة اليونانية متضمنة قرار اللجنة الدولية ببرلين . فقبلته حكومة اليونان بمزيد الامتنان ورفعت شكرها للدول الأوروبية . ولكن الباب العالى رفض هذا القرار كل الرفض وأبان للدول الأوروبية ان تنازل الدولة العلية لليونان عن هذه المداين والمواقع يجعل لليونان طريقا على الدولة العلية ويسهل لها الاعتداء على البلاد التركية فى كل وقت فضلا عن ان سكان هذه البلاد التى قررت اللجنة الدولية ببرلين اعطاءها لليونان أغلبهم من المسلمين

وقد ألحت الدول الأوروبية مرة ثانية على الدولة العلية بقبول قرار اللجنة الدولية ببرلين ولكن الدولة بقيت على خطتها الاولى ورفضت التنازل عن يانينا ومتزوفو ولاريسا

أما حكومة اليونان فقد اهتمت بتجنيد جنودها وأظهرت استعدادها لمحاربة الدولة العلية وصرحت على لسان

قرارات مؤتمر برلين فرضت الدولة العلية بالتنازل لليونان عن ثلث خليج (فولو) ورفضت اعطاءها يانينا ولاريسا وفولو . ونظرا لطمع اليونان في الاستيلاء على تساليا وابيرا لم تتم المحادثات بين الدولتين على شيء واستنجدت اليونان بأوروبا لمساعدتها ونصرتها . فأرسل اللورد سالسبرى وزير خارجية انكلترا مذكرة رسمية للدول الأوروبية عرض عليها فيها عقد لجنة دولية للفصل بين تركيا واليونان

وفي ذلك الحين تعين المسيو (جوشن) سفيرا لانكلترا لدى الباب العالي وكلف من قبل حكومته بمساعدة اليونان على أخذ تساليا وابيرا من الدولة العلية

وقد أجابت الدول الأوروبية طلب انكلترا وأرسلت بلاغا للدولة العلية أخبرتها فيه بأنها قررت عقد لجنة دولية ببرلين في شهر يونيو عام ١٨٨٠ للفصل في الخلاف الذي بينها وبين اليونان وفي شهر يونيو اجتمعت اللجنة الدولية ببرلين كما اتفقت الدول وكان اجتماعها تحت رئاسة البرنس (دى هو هنلوه) ولم يقبل فيها مندوبو تركيا ولا مندوبو اليونان . وقد قررت

ثغور تركيا ومحاصرة الدردانيل . وكانت الجرائد الانكليزية
تطعن وقتئذ على جلاله مولانا السلطان الاعظم (عبد الحميد خان)
طعنا قبيحا وتطلب من أوروبا انزاله عن عرش ملكه الجليل .
وقد اجتهدت ألمانيا في حل المشكلة حلا سلميا وأعادة السكينة
والسلام الى ربوع البلقان فنصحت الدولة العلية بقبول اعطاء
(دولسينيو) للجبل الاسود وتسليمها لحكومته في أقرب
وقت حتى لا تجد انكلترا حجة خلاق المشاكل واجاد القلاقل .
فاضطرت الدولة العلية للعمل بنصيحة المانيا لانفرادها وحدها
ضد أوروبا كلها وعدم وجود مساعد لها بين الدول الاوروبية
وأعلنت أوروبا في ١٢ أكتوبر عام ١٨٨٠ بانها مستعدة للاتفاق
مع امارة الجبل الاسود على اعطائها (دولسينيو) وانتهى
الامر باستيلاء امارة الجبل الاسود على هذا الثغر في
نوفمبر عام ١٨٨٠



ما انتهى مؤتمر برلين حتى خابرت اليونان الحكومة
العثمانية في أمر تحديد تخوم جديدة بين الدولتين بمقتضى

أملاك الدولة في المستقبل

وفي الوقت نفسه أرسل أهالي (دولسينيو) الى قناصل الدول بها خطابا مؤثرا للغاية احتجوا فيه على اعطاء مدينتهم للجبل الاسود وقالوا فيه : اننا عازمون على المقاومة أشد المقاومة ولو دمرت مدينتنا وامتنا جميعا عن آخرنا . ومع ذلك فاننا لانزال نؤمل ان الخلاف لا يقع لما نعلمه من ان دول أوروبا تعمل لمصلحة الأمم وخيرها لا لدمارها وخرابها »

وقد احدث هذا الخطاب عند سائر المسلمين في تركيا تأثيرا شديدا وهاجت النفوس والضماير هياجا كبيرا واندesh السكل من ان أوروبا لا تكتفي باخراج المسيحيين من تحت سلطة المسلمين بل تعمل أيضا لاجراج المسلمين من تحت سلطة دولتهم الشرعية ووضعهم بالقوة والقهر وبالرغم منهم تحت السلطة المسيحية وتحت سلطة الأمم البلقان أي تحت سلطة أعدائهم

وقد انتهزت انكلترا فرصة وقوع الخلاف بين أوروبا وبين الدولة العلية وطلبت من الدول أن تسمح لها باحتلال

لتسليمها الى الجبل الاسود فقاوموه مقاومة عنيفة حتى اضطر
الى الاقامة هو وجنوده بالقرب من (دولسينيو) وبقي
منتظراً أوامر الدولة العلية

وفي هذه الاثناء أعلن اللورد غرانفيل في مجلس العموم
الانكليزي بتاريخ ٣٠ أغسطس عام ١٨٨٠ أن الدول الاوروبية
وافقت انكلترا على عمل مظاهرة بحرية أمام ثغر (دولسينيو)
ووضع أساطيلها تحت قيادة الاميرال الانكليزي (سيمور)
فلما علمت الحكومة العثمانية بذلك أرسلت في ١٥ سبتمبر
من السنة نفسها منشورا لسفرائها لدى الدول الاوروبية
أمرتهم فيه ببلاغ الحكومات الاوروبية ان اعطاء (دولسينيو)
بالقوة الى الجبل الاسود يكون سبباً لهيجان عظيم واضطراب
عام في بلاد البلقان وان الدولة العلية لا تقبل التنازل عن
(دولسينيو) الا بالشروط الآتية: أولاً عدم اجراء مظاهرة
بحرية . ثانياً المحافظة على أرواح وأموال المسلمين والمسيحيين
القاطنين في (دولسينيو) . ثالثاً بقاء (دينوش) و (جرودا)
في يد الدولة العلية . رابعاً عدم اعطاء امارة الجبل الاسود شيئاً من

انكلترا عرضت على الدول الاوروبية عمل مظاهرة بحرية
في المياه العثمانية تهديدا للدولة العلية

وفي ٣ أغسطس عام ١٨٨٠ أرسلت الدول الاوروبية
بلاغاً للدولة العلية طلبت منها فيه العمل على اعطاء ثغر (دولسينيو

للجبل الاسود في مدة ثلاثة أسابيع أو الاشتراك مع الدول

في عمل مظاهرة بحرية أمام ثغر (دولسينيو) لارهاب اهله

واجبارهم على التسليم . فاجاب الباب العالي في ١٩ أغسطس

بان الدولة العلية لا تستطيع اعطاء ثغر (دولسينيو) للجبل

الاسود الا اذا بقيت مالكة لمدينتي (دينوش) و (جرودا)

وبانها تطلب بعد ذلك أجلاً أطول من ثلاثة أسابيع لتسليم

(دولسينيو) للجبل الاسود .

وقد أشيع وقتئذ أن الصرب تحالفت مع بلغاريا تحالفا

هجومياً دفاعياً فاصدر جلالة السلطان أمره بجمع الجنود

والاستعداد للطوارئ

وكانت الدولة أرسلت (رضا باشا) على رأس فرق

عسكرية الى (دولسينيو) لاحتلالها فظن أهلها انه جاء

ألبانيا . وكانت الدولة العلية قد سحبت جنودها من البلاد
الالبانية المتنازل عنها للجبل الاسود فلما ماج أهلها ادعت حكومة
الجبل الاسود أن الدولة العلية هي المحرضه لهم وانها أخلت
البلاد المتنازلة عنها قبل الميعاد . ولكن الحقيقة التي لا مسراء
فيها هي أن الالبانيين قوم شديدو النمسك بعري الولاء للدولة
العلية ولا يرضهم أن يكونوا تحت سلطة حكومة أخرى
ولما خابت حكومة الجبل الاسود في قمع ثورة الالبانيين
استنجدت بأوروبا فأرسلت الدول الأوروبية للدولة العلية
بلاغاً سألها فيه احتلال البلاد المتنازل عنها للجبل الاسود
وقمع الثورة فيها ثم تسليمها بعد ذلك الى امارة الجبل الاسود...
فأهملت الدولة العلية طلب الدول وتركزت الالبانيين يدافعون
عن بلادهم أشرف دفاع ويطردون جنود الجبل الاسود منها
وقد كانت انكساراً في هذه المسئلة اشد الدول تظاهر بالعداوة
لتركيا فعرضت على الدول الأوروبية اعطاء ثغر (دولسينيو)
لامارة الجبل الاسود . ولكن الدولة العلية صممت على
المعارضة واحتلت أعالي مدينة (دولسينيو) . فلما رأت ذلك

الروملى الشرقى بالخلود الى السكينة لم تكن الا اشارة قضت
بها الحوادث والظروف والا فسياسة الروسيا فى بلاد البلقان
بعد مؤتمر برلين بقيت واحدة ثابتة ترمى الى ضم الروملى
الشرقى لامارة البلغار



وقد سلمت الدولة العلية اتباعا لقرارات مؤتمر برلين
قلعتى (بوز) و (بودجورتزا) من بلاد البانيا لامارة الجبل
الاسود ولكن حكومة الجبل الاسود لم ترض بنصيبها الذى
قرره لها مؤتمر براين بل صرحت على لسان جريدتها الشبيهة
بالرسمية « جلاس تشرنا جورسا » انها تنتظر الفرص المناسبة
للاستيلاء على ما تراه ضروريا ولازما لامارتها

أما الالبانيون فقد أحدث ترك الدولة العلية لموقعي
« بوز » و (بودجورتزا) تأثيرا هائلا عندهم وهاجهم ضد
حكومة الجبل الاسود فقاموا ضدها وأعلنوا العداء لها ورفعوا
راية العصيان فى وجهها ولم يمض الا زمن يسير حتى اشتعلت
فيران المعارك الدموية بين جنود الجبل الاسود وبين أبطال

الشروع وقام أهلها في وجهه صاحب السيادة الشرعية عليهم
وماتعين « اليكو باشا » والياً على الروملي الشرقي حتى
أقبلت عليه المصاعب والمشا كل — وكان ولا شك يسر في
الباطن بها ويقبل هو كذلك عليها — فطلب منه الأهالي
المسيحيون عدم رفع الراية العثمانية على قلاع الاقليم وأن لا
يضع على رأسه الطربوش أبداً حتى في الاحتفالات الرسمية
فلما رأت الدول ذلك سألت روسيا أن تأمر أهالي
الروملي الشرقي بالركون الى السكينة والانصياع لقرارات
مؤتمر برلين فأجابت الروسية أن الدول ولكنها اشترطت
عدم رجوع الجنود العثمانية الى هذه البلاد . فطلبت أوروبا
ذلك من الدولة العلية وهددتها بعدم مخالفة طلبها . وهكذا
شأن أوروبا مع الدولة العلية تسمح لرعاياها المسيحيين باتيان
كل أمر فظيع وكل مخالفة ضد السلطة الشرعية وعندما تريد
الدولة العلية استعمال سلطتها الشرعية وحقوقها المعترفة بها أوروبا
نفسها تمنعها كل المنع وتهدها بسائر أنواع التهديد !!!
ويدرك القارئ من نفسه أن إشارة الروسية الى أهالي

دول أوروبا لا تقبل ارسال جنودها الى بلاد الروملى الشرقى
 وصرف المصاريف الطائلة بغير تنفع لها فكانت تقصد فى
 الحقيقة بمذكرتها استمرار احتلال جنودها لهذا الاقليم
 سنة كاملة بعد التسعة الاشهر الاولى . ولكن الباب العالى
 أجاب على هذه المذكرة بأن استمرار احتلال الجنود الروسية
 أو الأوروبية لاقليم الروملى الشرقى من شأنه اضعاف سلطة
 الدولة العلية فى نظر أهالى هذه البلاد والا خلال بقرارات
 مؤتمر برلين وتشجيع أمم البلقان على مخالفة هذه القرارات
 الدولية مما تكون نتيجة اشتعال نار الاضطرابات فى بلاد البلقان
 والاضرار بالسلام العام فى أوروبا . وهي ملاحظات حقها
 عادلة أحلتها بعض الدول منها من القبول ولكن يظهر الباب
 العالى اعتداله أعان الدول الأوروبية بأنه عازم على تعيين
 « اليكوباشا » واليا على أقليم الروملى الشرقى وهو رجل
 بلغاري الاصل ارتوذكى الدين

ولكن بذور السوء والبؤس قد أقيت فى أرض خصبة
 فى العداوة للدولة العلية فلم تمهل العالم الا قليلا حتى انتجت

الروسيون مدة احتلالهم لاقليم الروملي الشرقي على اهاجة
خواطر أهله ضد الدولة العلية وحشهم على الاتحاد مع بلغاريا
لتكوين امارة واحدة . وبالجمله زرعوا بأيديهم بذور الهيجان
والثورة مؤملين أنهم اذا غادروا الاقليم وجاءت الجنود
التركية لاحتلال هذه البلاد العثمانية فوجدتها نائرة مطربة
مشتعلة نيران الفتنة في كل أنحاءها اضطرت أوروبا للتدخل
في الامر وتكليف روسيا باحتلال اقليم الروملي الشرقي
مرة ثانية أو اعلان انضمامه لامارة بلغاريا

ولما اقترب ميعاد انجلاء العساكر الروسية من بلاد
الروملي الشرقي أرسلت روسيا الى الدول الاوروبية مذكرة
استبلغت فيها أنظارها الى أن رجوع العساكر العثمانية الى
هذا الاقليم قبل تنظيمه واصلاحه يكون سببا لايجاد القلاقل
والاضطرابات وعرضت عليها في هذه المذكرة مد أجل
اللجنة الدولية المكلفة بتنظيم بلغاريا والروملي الشرقي سنة
كاملة بعد انقضاء الاجل الاول وارسال جيش مختلط أوروبي
لاحتلال الروملي الشرقي هذه السنة . وكانت روسيا تعلم ان

ولا ريب ان المستقبل سيعرفنا عمر سياسة مصافاة
الروسيا للدولة العلية والخطة التي ستبعتها كل دولة نحو آل عثمان

﴿ مابعد مؤتمر برلين ﴾

ظهر للقارىء من الفصل السابق ان مؤتمر برلين أوجد في
بلاد البلقان أسباب الاضطراب ودواعي الهيجان وزيد الان
انه لم يمض زمن يسير بعد المؤتمر حتى نزع كل أمة من أمم
البلقان الي تكدير السلم بالمطالبة بأشياء جديدة. وقد عرفت
هذه الامم ان أوروبا مساعدة لها في كل أمر فازدادت لذلك
أطماعها وكبرت آمالها

وقد رأى القارىء ان مؤتمر برلين قرر تأسيس ولاية
جديدة في جنوب بلغاريا تسمى بالروملي الشرقى وتكون
تابعة للدولة العلية مباشرة. وقرر احتلال الجنود الروسية
لهذه الولاية مع امارة بلغاريا مدة تسعة أشهر. ولما كانت
الوحدة الدينية هي سبب تداخل روسيا في بلاد البلقان
وهي الرابطة القوية المتينة التي تربط الروسيين بالبلغاريين عمل

وانه لا يمكننا ان نجزم بأن السياسة الروسية تبقى أبد
الدهر مصافية للدولة العثمانية . فان الدول كلها تسير سياستها
على حسب ما تقتضيه مصالحها ومنافعها . فهذه المانيا حاربت
النمسا واخذت منها مقاطعتين عظيمتين ثم اتحدت معها . وهذه
ايطاليا ثارت ضد النمسا وانفصلت عنها ثم اتحدت معها ونسيت
مساعدة فرنسا لها وعادتها بعد ان كانت أول دولة وفية لها .
وهذه فرنسا حاربت روسيا في حرب القرم ثم صارت الان
متحدة معها . وهكذا شأن الدول كلها لا تخدم الا مصالحها
ولا تعمل الا لمنافعها فان اتحدت المصلحة اتحدت الدول وان
اختلفت افترقت

ومما لا مرء فيه ان للروسيا وتركيا مصلحة مشتركة ضد
انكلترا ويمكن لكل انسان ان يجزم بان العلائق بين الدولة
العلية والروسية تبقى ودية حمية ما دامت السياسية العثمانية
لا تخدم المصالح الانكليزية والاغراض البريطانية . وقد أدرك
سواس بريطانيا هذه الحقيقة حتى ذهب بعضهم الى القول
بان ثورة الهند الحاضرة مدبرة بالاتفاق بين تركيا والروسيا

وتحسينا عظيما في روابطهما . فان روسيا تبقى مصافية للدولة العلية ما دامت وجهة سياستها التقدم في الشرق الاقصى والعمل على اسقاط نفوذ انكلترا في البلاد الأسيوية. وتزداد هذه المصافاة كلما ازدادت العداوة بين الدولة العلية وانكلترا فان الدولتين الواقفتين امام بعضهما في كل أزمتا المسئلة الشرقية انما هما انكلترا والروسيا حتى صح ان تسمى المسئلة الشرقية بمسئلة الخلاف بين انكلترا والروسيا في الشرق . فاذا ظهرت انكلترا نصيرة تركيا اشتدت العداوة بين تركيا والروسيا واذا ظهرت انكلترا بمظهر عدوة تركيا تمكنت المحبة بين تركيا والروسيا .

واني لا أجهل أن روسيا بعد مؤتمر برلين اجتهدت كثيرا في ضم الرومالي الشرقى الى بلغاريا وتقوية نفوذها الدينى والسياسى في بلاد البلقان ولكن العالم كله رأى تغير السياسة الروسية نحو الدولة العلية في هذه السنين الاخيرة . وخصوصا في المسئلة الارمنية وفي مسئلة الحرب بين الدولة العلية واليونان

الى التقرب منها بعد ذلك لتمتنع روسيا عن الاعتداء على
المانيا والسكى يزداد نفوذ المانيا في الشرق وتتقدم فيه تجارتها
ولقد تنهت روسيا الى سياسة (بسمارك) وحاولت
أنظارها نحو فرنسا وعملت على تمكين المودة بينها وبين الجمهورية
الفرنسية حتى لا تكون السكامة في أوروبا لالمانيا وحدها.
ويمكننا أن نقول أن الحجر الاول لاساس التحالف الفرنسي
الروسي قد وضع عقب مؤتمر برلين

أما علاقات روسيا مع انكلترا فقد تكدر صفاؤها بعد
مؤتمر برلين وأيقن سواس روسيا ان كل حروب دولتهم
مع الدولة العلية لا تفيد غير انكلترا أحدا . فان لهذه الدولة
مصلحة تبقى ما بقى الوجود في ان روسيا تحارب تركيا
لتضعف كلاتها فتبقى لها السيادة في الشرقين الادنى والاقصى
كما أن لها مصلحة أبدية في وجود العداوة بين فرنسا والمانيا
لتبقى صاحبة الكلمة النافذة في أوروبا

وقد أوجدت عداوة روسيا لانكلترا وعداوة تركيا
لانكلترا بعد مؤتمر برلين تقربا بين روسيا والدولة العلية

وكان (بسمارك) يعلم ان لسواس فرنسا وقتئذ ميلا شديدا
الاستيلاء على البلاد التونسية كما انه كان يعلم علم اليقين ان
تقوية نفوذ فرنسا في تونس يضر بالمصالح الإيطالية ضررا
عظيما ويوجد عداوة لدودة بين فرنسا وإيطاليا

وما علم سواس فرنسا بأن المانيا ترى بعين الرضى
تقوية السلطة الفرنسية في (تونس) حتى قرروا ارسال حملة
على البلاد التونسية لفتحها ورفع الحماية عليها وانتهى الامر
برفع حماية فرنسا على هذه البلاد العثمانية التعسة الحظ
وسقوطها في أيدي دولة أوروبية. وقد بلغ (بسمارك) بهذه
الحماية غايته التي كان يسعى اليها حيث استحكمت العداوة
بين فرنسا وإيطاليا وانضمت إيطاليا الى التحالف الالماني
النمساوى تشفيا من فرنسا وانتقاما منها

ولما تم تشكيل التحالف الثلاثى اجتهد البرنس (بسمارك)
فى تحسين علائق دولته مع الدولة العلية وتقوية نفوذها فى
الاستانة. وهكذا اقتضت مصلحة بلاده أن يعمل ضد الدولة
العثمانية ويساعد الدول الأخرى على سلبها أملاكها ثم يعود

(بسمارك) لدى سواس النمسا آذانا صاغية واستعدادا تاما لقبولها . وبذلك استطاع بسمارك إيجاد العداوة والبغضاء بين النمسا والروسيا

ولما انتهت الحرب وتحققت أفكار (بسمارك) وصار سواس روسيا وسواس النمسا على طرفي نقيض في الاميال والآراء ساعد رجل السياسة الالمانية دولة النمسا على الاستيلاء على البوسنة والهرسك حتى تقرر ذلك في مؤتمر برلين وازداد حنق روسيا على النمسا . ولم يمض زمن قليل بعد المؤتمر حتى اتحدت النمسا والمانيا وتم فوز (بسمارك) في سياسته الماهرة

وقد رأى (بسمارك) ان ما بين ايطاليا وفرنسا من الروابط المتينة والعلائق التاريخية ربما أدى الى عقد تحالف بين هاتين الدولتين يكون بانضمام روسيا اليه تحزبا دوليا ضد المانيا والنمسا وأن لاسلامة للتحالف الالمانى النمساوى لا بانضمام ايطاليا اليه فأوعز الى سواس فرنسا بالاستيلاء على (تونس) لتقوية السلطة الفرنسية في شمال أفريقيا .

البرنس (بسمارك) ان مصلحة المانيا تقضى عليها بالمحافظة على استقلال الدولة العلية لتبقى الى الأبد شغلا شاغلا للروسيا ومانعا حصينا أمامها وسببا قويا للمشاكل بينها وبين انكلترا مما يمنع الروسيا من الأعتداء على المانيا. فكانت مصلحة المانيا تحتم على البرنس (بسمارك) أن لا يقف أمام الروسيا في بادىء الامر وان لا يساعدوا كل المساعدة ضد الدولة العلية . فلذلك شجع الروسيا عند ما قامت ثورة البوسنة والهرسك واضطربت الاحوال في البلقان . ولكنه رأى ان الروسيا تستسخط عليه ولا محالة بعد انتهاء الحرب لعدم مساعدته لها حسب مرامها ووجد من صالح دولته ايجاد العداوة بين الروسيا والنمسا والاتحاد مع هذه الدولة الاخيرة اتحاد يضمن لالمانيا السلام وعدم اعتداء الروسيا عليها . فاخذ يحرض النمسا بكل الوسائل على الاهتمام بمسائل البلقان ومنافسة الروسيا . ومن حسن حظه ان امبراطور النمسا كان ميالا للاستيلاء على بعض أملاك تركيا لتوسيع نطاق مملكته التى استولت المانيا على مقاطعتين منها وانفصلت عنها ايطاليا تماما فوجدت نصائح

(ستامبولوف) قابضاً على أزمة الوزارة البلغارية
ولقد كان الشأن الاول في حوادث هذه الازمة التي
نحن بصددھا للبرنس (بسمارك) فانه هو الذي شجع روسيا
في بادىء الامر وهو الذي كان يرشد النمسا في سياستها
وهو الذي كان له الصوت الاعلى والرأى الاول في مؤتمر
برلين . وبالجملۃ هو الذي خلق أغلب البلايا التي نزلت بالدولة
العلية في هذه الازمة الشديدة . وما كان عاملاً الا لمصلحة
بلاده وخير وطنه شأن سائر عظماء الرجال . فانه رأى في
مبدأ الازمة أن روسيا طامعة في ضم أملاك تركيا اليها
وحل المسئلة الشرقية بابتلاع الدولة العلية وآھا مؤملة
مساعدة ألمانيا لها مكافأة على رعايتها لها في عامي ١٨٦٦ و ١٨٧٠
ضد النمسا وفرنسا . وسبق أننا بينا ان روسيا والمانيا والنمسا
كانت متفقة اتفاقاً ثلاثياً فأدرك البرنس (بسمارك) انه اذا
وقف في وجه روسيا من بادىء الامر وعارضها في أغراضها
أمكن لهذه الدولة أن تتحد مع النمسا وان تضم اليهما فرنسا
وتؤلف اتحاداً ثلاثياً ضد ألمانيا . وكان من الامور البديهية عند

لمملكة النمسا بسبب استيلاء هذه المملكة على البوسنة
والهرسك مع طموح أنظار كل من هاتين الامارتين الى
الاستيلاء عليهما . وأخذت بلغاريا بعد مؤتمر برلين تستعد
لضم الروملي الشرقى اليها وتكوين وحدتها بالرغم من
قرارات الدول ولو أدى ذلك الى الاضطراب والحرب .
وأخذت اليونان كذلك تستعد للاستيلاء على تساليا وأيبرا
ولو اضطرت الى استعمال القوة واشتعال نيران الحرب .
فصارت بذلك بلاد البلقان بعد مؤتمر برلين مضطربة الاحوال
لا تعرف السلم ولا السلم يعرفها

وقد كانت روسيا تعمل لساخ بلاد البلقان من الدولة
العلية أملا منها في نشر سيطرتها عليها وتسييرها حسب أهوائها
ولكنها تحققت بعد مؤتمر برلين أنها أوجدت بنفسها أعداء
لها في البلقان وأنه يستحيل عليها استخدام هذه البلاد الناشئة
في سبيل أغراضها . وبلاد بلغاريا نفسها التي بذلت روسيا
أقصى مجهوداتها في جعلها مستقلة وضم الروملي الشرقى اليها
اتبعت طويلا سياسة مخالفة لمقاصد روسيا حينما كان

الدخلاء والاعتماد في كل أمور الدولة وفي الجيش قبل كل شيء على العثمانيين الحقيقيين . فكم من عثماني وكم من مسلم كان يقضى الليل والنهار أيام الحرب العثمانية اليونانية قلقا خائفا وجود دخيل في الجيش يخونه ويعرض به للانهزام . ولكن (أدهم باشا) ورجاله برهنوا على ان الخليفة الاعظم معتمد في أمور الدولة على أبنائها الحقيقيين الصادقين وأن ليس للدخلاء اليوم من نفوذ في الدولة

رأى القارئ ان الحرب مع روسيا قامت في عام ١٨٧٧ بسبب بلاد البلقان . فكان من الواجب على أوروبا ان تجعل مرمى أنظارها تأييد الامن والسلام في هذه البلاد وتوطيد أركان السكينة فيها . ولكن قرارات مؤتمر برلين ولدت البغضاء والشحناء بين أمم البلقان وبين بعضها وأوجدت أسباب العداوة والكراهة المستمرة . فان رومانيا عادت روسيا وقلبت لها ظهر المجن بعد مؤتمر برلين لاعتداء هذه الدولة عليها وعدم اعترافها لها بالجميل على مساعدتها لها بالمال والرجال . واشتدت كذلك كراهة الصرب والجبل الاسود

استقلالها وسلامتها

وعندى أن سبب وثوق الدولة العلية وقتئذ بانكلترا
وانخداها لها هو ما كان للدخلاء فيها من السلطة والنفوذ
وبعبارة أصرح وأجلى ان سبب مصائب الدولة العلية هو
انتشار الدخلاء فى جسمها . فقد رأى القارئ فى خلال هذا
الفصل ان رجلا روسى الاصل اسمه الحقيقى (شارل دترو)
استطاع ان يصل الى رتبة قائد عثمانى وان يستلم زمام الجنود
العثمانية بدل البطل العثمانى المشهور المرحوم (عبد الكريم
باشا) . نعم الاصل فى اضمحلال الدولة العلية الدخلاء .
وكيف تستطيع هذه الدولة الارتقاء فى المدنية والحضارة
والتقدم الى الامام والانتصار على خصومها ومصالحها بأيدى
الدخلاء تدبر كيف يشاؤون وكما تقتضى الغايات والاهواء .
فقد كانت مصالحها مسلمة فى مؤتمر برلين الى (قره تيودورى
باشا) اليونانى (ومحمد على باشا) أو (شارل دترو) الروسى ؟؟
ولارىب ان اكبر عمل يقوم به جلالة السلطان الاعظم
(عبد الحميد خان) نحو الدولة والملة انما هو تطهير الدولة من

قورنت بقرارات الدول في مؤتمر برلين . ولو كانت الدولة
العلية سمعت أصوات الذين كانوا ينادونها بان دولة انكلترا
خداعة في ودها . لا تعمل الا لمنفعتها وتضحى كل مودة وكل
صداقة في سبيل الوصول الى غايتها لكانت نجت من المصائب
الجسام التي أسقطت عليها بسبب الحرب وبعدها

وان الانسان ليندهش غاية الاندهاش من ان الدولة
العلية آمنت بالانكليز بعد انتهاء الحرب وبعد خداعهم لها
وأعطتهم (قبرص) مؤملة مساعدتهم لها في مؤتمر برلين . بل
ويزداد اندهاشه واستغرابه ويقف حيران عند ما يعلم أنه بقي
للالانكليز تفوذ عند الدولة وكلمة مسموعة بعد مؤتمر برلين
نفسه . نعم ان تفوذ الانكليز في الاستانة لم يبق طويلا بعد
مؤتمر برلين ولكنهم استطاعوا ان يخذعوا الدوما بأقبح صفة
وأسفل وسيلة في مسألة مصر

ومن غرائب الامور ان الكونت (دي بيكو نسفيد) لم
يخجل من أن يقول امام البرلمان الانكليزي بعد عودته من
مؤتمر برلين ان هذا المؤتمر قوي سلطة الدولة العلية وأيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تابع الازمة الرابعة)

﴿ ما بعد الحرب ﴾

(بين الدولة والروسيا)

لقد فقدت الدولة العلية ما لم تفقد مثله في حرب أخرى
ولم ير العالم من يوم تقسيم بولونيا واتحاد الدول ضد فرنسا
عام ١٨١٥ اعتداء على حقوق مملكة مثل ماراى عام ١٧٨٨
فان دول أوروبا كلها كانت ضد الدولة العلية وكانت كل
واحدة منها تعمل للاستيلاء على شىء من أملاكها . وماضى
الدولة العلية الا حسن ظنها بدولة انكلترا فانها عملت بنصائحها
واتبعت آراءها ورفضت مطالب أوروبا في مؤتمر الاستانة
مؤملة مساعدة انكلترا لها وقت قيام الحرب . مع أن مطالب
الدول في مؤتمر الاستانة كانت لا تعد شيئاً مذكوراً اذا

المسئلة الشرقية

﴿ تأليف المرحوم ﴾

مصطفى كامل باشا

الجزء الثاني

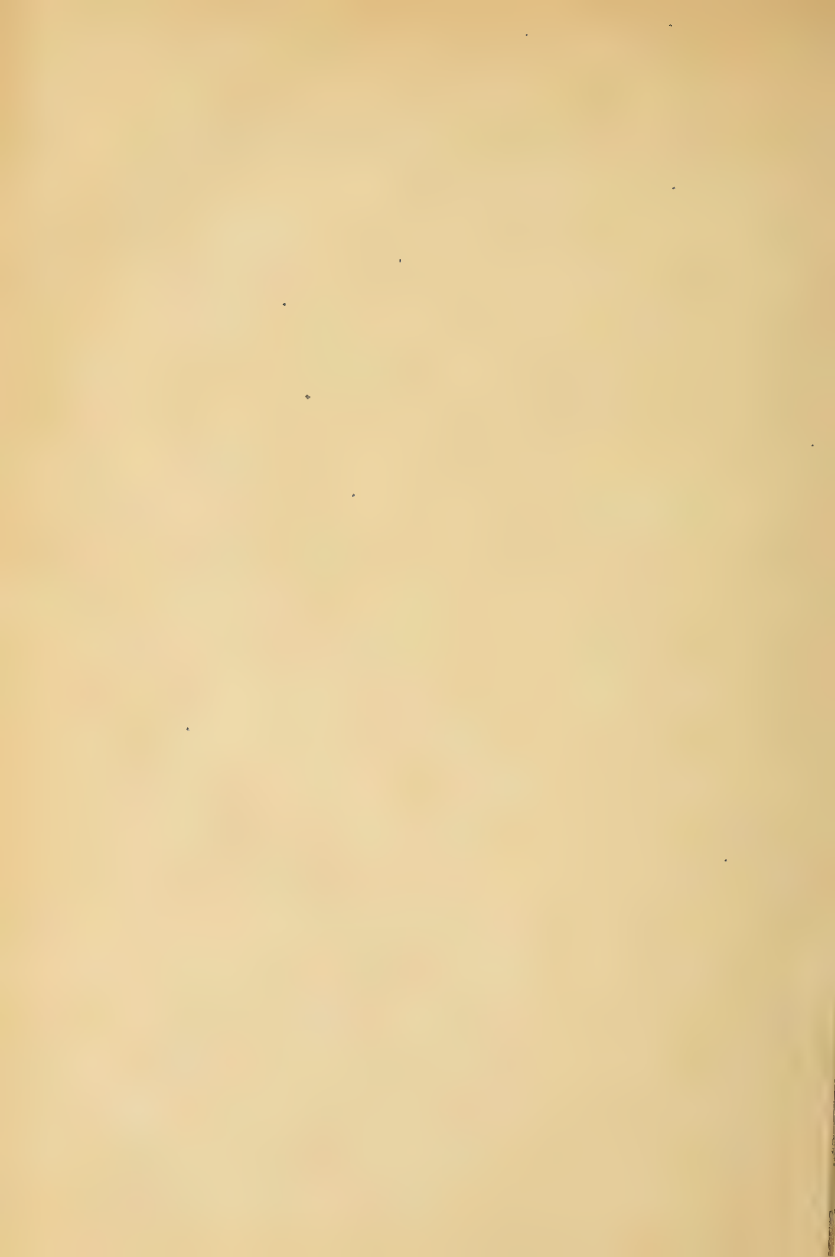
﴿ الطبعة الثانية ﴾

« حقوق الطبع والنشر والترجمة »

محموطة للورثة

﴿ مطبعة اللواء بشارع الدواوين بمصر ﴾





١٨٧٨ لاعضاء المؤتمر فاندعش مندوبو روسيا غاية الاندهاش وتحقق العالم كله ان انكلترا قد خدعت الدولة العلية اكبر خدعة وانه خير لها أن تعتمد على ألد أعدائها من أن تعتمد على دولة الانكليز . ولم يندعش البرنس (بسمارك) ولا الكونت (اندارشى) من اعلان الكونت (دى بيكونسفيلد) استيلاء انكلترا على قبرص لانهما كانا عالمين بالامر ولم يعارضا فيه لنعهد (بيكونسفيلد) بمساعدتهما في تقرير استيلاء النمسا على (البوسنه والهرسك)

وقد طلب البرنس (غورتشاكوف) مندوب روسيا قبل انفضاض المؤتمر تقرير الوسائل الفعالة التى تستطيع بها دول أوروبا اجبار تركيا على تنفيذ قرارات مؤتمر برلين واستمرت المناقشة فى هذا الطلب ثلاثة أيام ولكنها انتهت برفضه وخرج البرنس (غورتشاكوف) من مؤتمر برلين منهزماً شراً هزيمته سياسية

وفى ١٣ يوليو عام ١٨٧٨ أمضى مندوبو المؤتمر على معاهدة برلين وانتهت بذلك جلسات المؤتمر

مندوبو تركيا بأن دولتهم تحترم كل الديانات في بلادها وتعامل
رعاياها على السواء فقرر المؤتمر جعل المساواة في الحقوق بين
المسلمين والمسيحيين تامة وجعل المسيحيين في بلاد الدولة
العلية تحت حماية أوروبا المعنوية

ولم يبق امام المؤتمر بعد المسائل السالفة الذكر الا مسألة
استيلاء روسيا على بعض بلاد ومواقع في آسيا فتعهدت
الروسيا بالتنازل عن مدينة (بايزيد) للدولة العلية مقابل تنازل
الدولة عن مدينة «خوتور» للعجم وتعهدت كذلك بعدم
تحصين ثغر (باطوم) وجعله ثغراً حراً للتجارة . وقد قرر
المؤتمر أيضاً ان الاصلاحات المزمع اجراؤها في أرمينيا تعرض
على الدول الأوروبية كافة وان حرية بوغازي البسفور
والدردانيل تبقى كما قررتها معاهدة باريس عام ١٨٥٦ ومعاهدة
لונدره عام ١٨٧١

ولما رأى مندوبو انكلترا ان أعمال المؤتمر قد انتهت
وان الساعة آذنت بآعلان استيلاء دولتهم على جزيرة
(قبرص) أعلن الكونت (دي بيكونسفيلد) ذلك في ١٨ يوليو عام

لليهود الذين أساءت اليهم حكومة رومانيا في معاملتها معهم
كما أساء اليهم أهلوها كل الاساءة . وقد سمع المؤتمر
مندوبي رومانيا « المسيو براتينو والمسيو كوجولنيسانو »
كما سمع مندوبي اليونان فطلبوا منه عدم تقرير سلخ أى جزء
من أراضى رومانيا وعدم سرور الجنود الروسية في بلادهم
وأن يقرر أن روسيا تدفع غرامة لرومانيا مقابل ماتكبدته
من الخسائر أثناء الحرب . ولكن المؤتمر لم يستطع قبول
هذه الطلبات لما فيها من المساس بمصالح روسيا واكتفى
بتقرير اعطاء رومانيا ألفى كيلومتر مربع فى إقليم الدبروجة
وقد نظر المؤتمر بعد ما تقدم فى مسألة الملاحه فى نهر
الطونة فقرر بقاءها على ما كانت عليه قبل الحرب ومنح النمسا
بعض امتيازات . وقرر المؤتمر فى مسألة الغرامة الحربية عدم
جواز استبدالها بأراض أو ببلاد عثمانية واعتبار روسيا آخر
دائن لتركيا أى أنه لا يجوز لها أن تتقدم فى المطالبة بالغرامة
لحربية قبل الدائنين السابقين لتركيا
أما ما يتعلق بالمسيحيين فى الدولة العلية فقد صرح

وبعد ذلك نظر المؤتمر في مسألة الصرب والجبل الاسود فأعلن استقلالهما تمام الاستقلال وقرر اعطاءهما بعض الاراضى لتوسيع نطاقهما ولكن أقل مما قرره عهدة اسطفانوس. وفي ذلك الوقت قرر المؤتمر سماع مطالب اليونان فدخل المسيو « ديليانيس » والمسيو « رانجاييه » وقرأ الاول مطالب حكومته وهي تشتمل على اعطاء اليونان ألبانيا وأييرا وتساليا وكريت. فاتفق أعضاء المؤتمر على تقرير جعل المناقشة في مطالب اليونان بين اليونان والدولة العلية نفسها وعلى انه اذا لم يحصل الاتفاق بين الحكومتين على تحديد حدود جديدة بينهما يعرض الامر عندئذ على الدول الاوروبية وأقروا على تنظيم المقاطعات اليونانية الباقية تحت حكم الدولة العلية على نسق الروملى الشرقى وجعل تنظيمها تحت مراقبة اللجنة الدولية

ولما جاءت مسألة رومانيا أعلن المؤتمر استقلال هذه البلاد كصربيا والجبل الاسود وقرر المساواة التامة بين كل أهاليها على اختلاف دياناتهم . وهذا القرار جاء مفيدا جدا

ولما دارت المناقشة بشأن (البوسنة والهرسك) قام الكونت (اندراشي) مندوب النمسا وقرأ تقريراً طويلاً أبان فيه أن بقاء هاتين المقاطعتين تحت يد الدولة العلية أى تحت حكم المسلمين يكون سبباً لاستمرار الاضطرابات والثورات فيهما وأظهر ما في ذلك من الضرر بمصالح الدولة النمساوية وما انتهى من كلامه حتى وقف الماركيز (سالسبورى) وأيد أقواله وسأل المؤتمر تقرير احتلال الجنود النمساوية لمقاطعتي البوسنة والهرسك احتلالاً لأجل له . وهكذا ساعدت انكسار الدولة العلية وبرهنت لها على صدق اخلاصها : وقد احتج مندوبو تركيا على هذا السؤال الغريب فأجابهم البرنس بسمارك — الذي كان الموعز للكونت (اندراشي) وللماركيز (سالسبورى) بما طلباه — بأن الأرض من مؤتمر برلين ليس رعاية المصالح العثمانية بل رعاية مصالح أوروبا والمدنية ! : وقد اتفق مندوبو المؤتمر بالاغلبية على جعل البوسنة والهرسك تحت حكم النمسا واعطاها حق احتلال إقليم « نوفي بازار » . وهو إقليم على طريق سالونيك

كيلومتر مربعاً بعد أن كانت في اتفاقية سان اسطفانوس .
١٦٣.٠٠٠ كيلومتر مربع . وصار عدد سكانها مليوناً ونصف
مليون بعد أن كان في عهدة اسطفانوس أربعة ملايين . وبذلك
بقيت سواحل الارخبيل في أيدي الدولة العلية خلافاً لشروط
عهدة اسطفانوس . وقرر المؤتمر جعل احتلال الجنود الروسية
لبلاد بلغاريا لمدة تسعة أشهر فقط لا لسنتين كما قرره عهدة
اسطفانوس وجعل تنظيم بلغاريا تحت مراقبة لجنة دولية لا
تحت مراقبة مندوب روسي

وقرر المؤتمر كذلك انشاء ولاية جديدة في جنوب البلقان
بين مقدونيا وأثرنه تكون عاصمتها مدينة (فيليبوبوليس)
وتسمى بالروملي الشرقي وتكون ادارتها الداخلية مستقلة
وأن لا يجوز للجنود العثمانية أن تقيم في داخلها بل يكون لها
الحق فقط في الدفاع عن حدودها . ولم يرض أعضاء مؤتمر
براين تسمية الروملي الشرقي ببلغاريا الجنوبية ولكنهم كانوا
يرمون ولا محالة الى ضم هذه الولاية الجديدة الى بلاناريا
بعد زمن قليل من عام ١٨٧٨

وكان قصد مندوبي انكلترا من هذه المساعدة معا كسة روسيا التي يسوءها تقوية العنصر اليوناني لما في ذلك من الضرر بالعنصر السلافي . وكأن مندوبي انكلترا كانوا يجهلون ان مساعدتهم لليونان تضر بالدولة العلية أكثر من ضررها بالروسيا . ولكن مصالح الدولة العلية كانت لاهتمامهم مطلقا بعد ان تحققت أمنيتهم بالاستيلاء على (قبرص) !

وكانت تنحصر مطالب اليونان في اظهار ضرورة استيلائها على تساليا وأييرا وألبانيا وكريت . وقد قرر المؤتمر قبول مندوبي اليونان في آخر جلسات المؤتمر وسماع مطالبهم وأول مناقشة دارت بين أعضاء المؤتمر كانت على مسألة بلغاريا واستغرقت أربع جلسات . وقد انتهت المناقشة باتفاق أعضاء المؤتمر — بالرغم من معارضة مندوبي روسيا — على جعل مساحة بلغاريا أقل بكثير مما اتفقت عليه روسيا مع الدولة العلية في سان اسطفانوس بجعل حدودها عند جبال البلقان واعطائها (صوفيا) كعاصمة لها مع بعض الاراضي في جنوب البلقان . وقرر المؤتمر بذلك جعل مساحتها ٦٤٠٠٠

أن تكسبها المودة الانكليزية الكاذبة أقل فائدة

*
* *

وقد دعا البرنس بسمارك رسميا في ٣ يونيو عام ١٨٧٨ مندوبي الدول الاوروبية للاجتماع ببرلين فحضر المندوبون وعقدت الجلسة الاولى للمؤتمر في ١٣ يونيو . وكان أهم مندوبي المانيا البرنس (بسمارك) وأهم مندوبي النمسا الكونت (اندراشي) وأهم مندوبي فرنسا ماسيو (وادنجتون) وأهم مندوبي انكلترا الكونت (بيكونسفيلد) والمركيز (دى سالسبورى) وأهم مندوبي ايطاليا الكونت (كورتى) . وكان مندوبو روسيا البرنس (غورتشا كوف) والكونت (شوفالوف) والبارون (دوبريل) . أما مندوبو الدولة العلية فكانوا (قره تيودورى باشا) و (محمد على باشا) الروسى الاصل و (سعد الله بك)

وقد أرسلت حكومة اليونان مندوبين من قبلها لعرض مطالب اليونان على المؤتمر وكان مندوبو انكلترا مساعدين لهم . كل المساعدة فطلبوا من المؤتمر قبولهم لسماع أقوالهم .

ان لا ينظر في هذا المؤتمر الا في المسائل المختصة بالحرب بين
تركيا والروسيا . ثالثاً أن لا يبحث أعضاء المؤتمر في شؤون
مصر والشام وأن لا يناقش أحد في المؤتمر في حقوق فرنسا
على الاماكن المقدسة . فقبلت الدول كلها هذه الشروط
ورضيت بذلك فرنسا أن تشترك معها في المؤتمر

وقد ظهر للقارىء مما سبق ان انكلترا كانت متظاهرة
بالمودة للدولة العلية وكانت تهدد روسيا بأعلى صوت ولسان
ولم يكن قصدها من ذلك خدمة تركيا أو مساعدتها بل التعبير
بها وخذعها . فانها وعدتها بالمساعدة في مؤتمر برلين ضد روسيا
وعرضت عليها عقد اتحاد معها تعهد فيه انكلترا بالدفاع عن
تركيا اذا مستها روسيا بسوء — ولو كانت انكلترا صادقة
في مودتها لكانت تحالفت مع الدولة العلية قبل الحرب —
وتأخذ منها مقابل ذلك جزيرة (قبرص) فأنخدع رجال الدولة
العلية لسواس بريطانيا وأحسنوا الظن بهم وعقدوا معهم
هذه المعاهدة في ٤ يونيو عام ١٨٧٨ أى قبل عقد مؤتمر برلين
بأيام قلائل وبذلك فتمت الدولة العلية جزيرة قبرص بدون

ولما رأت روسيا انه لا استطاعة لها على محاربة النمسا وانكسرتا بعد محاربتها لتركيا طلبت من الوزارة الانكليزية أن تعرفها عن التغييرات التي تريد اجراءها في عهدة سان اسطفانوس وجرت المحادثات في ذلك بين اللورد سالسبوري وبين الكونت « شوفالوف » سفير روسيا بلوندره . وفي ٣٠ مايو عام ١٨٧٨ أمضيا اتفاقية سرية تتضمن التعديلات التي طرأت على عهدة سان اسطفانوس ولم يكن لهذه التعديلات الجديدة التي أحدثتها الوزارة الانكليزية في عهدة اسطفانوس أهمية لان المؤتمر الدولي كان من شأنه أن ينظر في كل شروط الصلح وأن يقرر ما يمتنع عليه فيه بالاغلبية أمافرنسا فقد كانت خطتها في المسئلة من بادىء الامر خطة الدولة الراغبة في السلام العديمة الاطماع في أخذ شيء من أملاك الدولة العلية ولما عرضت عليها الدول الاوروبية الاشتراك معها في مؤتمر يعقد للفصل النهائي بين تركيا والروسيا اشترطت على الدول . أولا اشتراك كل الدول التي أمضت على معاهدة باريس عام ١٨٥٦ في هذا المؤتمر . ثانيا

الروسيا انها اذا صممت على تنفيذ عهدة سان اسطفانوس قامت الحرب بينهما . وكان القابض في الحقيقة على مفاتيح السلم والحرب حينئذ هو البرنس (بسمارك) لان المانيا كانت بين الدول في موقف الحكم فلما اذا كانت انضمت الى روسيا كانت اضطرت النمسا الى العدول عن محاربة روسيا وبذلك كانت فشلت انكائرا وبلغت روسيا مرامها واذا كانت وقفت على الحياد بدون ان تساعد روسيا وتركها امام انكائرا والنمسا كانت خسرت روسيا أهم مكاسبها في عهدة اسطفانوس . وقد سألت روسيا المانيا مساعدتها مذكرة أياها برعايتها لها ضد النمسا في عام ١٨٦٦ ومساعدتها لها ضد فرنسا في عام ١٨٧٠ حيث منعت النمسا من مساعدة فرنسا . ولكن البرنس (بسمارك) أبى مساعدة روسيا بمجنود المانيا معتذرا بان المانيا في حاجة مستمرة لمراقبة فرنسا والاستعداد لمحاربتها فاغتاظ قيصر روسيا واغتاظ سواسها أشد الغيظ من المانيا ووزيرها وابتدأت العداوة السكامة بين الدولتين من ذلك الحين في الظهور

أنفذت شروط عهدة سان اسطفانوس . وكانت أشد الدول
تهيجا ضد روسيا هي النمسا التي خدعت في اتفاقيتها التي
عقدتها مع روسيا في يناير عام ١٨٧٧ فخبرت انكلترا وافقت
معها على معارضة روسيا كل المعارضة وطلبتا منها عرض عهدة
سان اسطفانوس للمناقشة بين مندوبي الدول في المؤتمر المزمع
عنده فاجاب القيصر في ٢٦ مارس سنة ١٨٧٨ بأنه لا يرضى
بأن دول أوروبا تتناقش في الشروط التي لا تخص الا روسيا
وتركيا . وقد أمل القيصر عندئذ الاتفاق مع النمسا فأرسل
الى فيينا الجنرال (اغناطييف) ولكن الاتفاق كان مستحيلا
لتباين آميال روسيا والنمسا

وقد استفادت انكلترا من خيبة الجنرال (اغناطييف)
في مأموريته بفيينا واعتمدت على مساعدة النمسا لها ضد
روسيا وأعلن اللورد سالسبورى وزير الخارجية الانكليزية
وقتئذ أن عهدة سان اسطفانوس تجعل البحر الاسود تحت
سلطة روسيا ورحمتها وتهدد استقلال الدولة العلية وسلامتها
وتضر بمصالح انكلترا . أي أن انكلترا أرادت ان تسمع

وان جلالة السلطان يصدر عفوا عاماً عن الثوار والمجرمين السياسيين . وتتضمن العهدة غير ذلك ان الدولة العلية تدفع للروسيا غرامة حربية قدرها ١٤٠٠ مليوناً من الروبل . وقد رضيت روسيا بأن تتنازل للدولة عن مبلغ ١١٠٠ مليوناً من الروبل مقابل تنازل الدولة لها عن باطوم وأردهان وقارص وبازيد في آسيا وعن اقليم (الدبروجه) في أوروبا . وهذا الاقليم أضيف الى مملكة رومانيا مقابل استيلاء روسيا على اقليم (بسارابيا) الذي سلب منها في عام ١٨٥٦ .

وتشتمل العهدة على تعهد الدولة العلية برعاية الرعايا الروسين في بلادها ووضع حقوق القسوس الارثوذكس تحت حماية القيصر واعادة تنفيذ المعاهدات التجارية التي كانت بين روسيا وتركيا قبل الحرب وفتح بوغازى الدردانيل والبوسفور في كل وقت للسفن التجارية

وما علمت الدول الأوروبية بهذه العهدة حتى اعترف سواها بان روسيا اعتدت على حقوق الدولة العلية شرعاً . وأما دول أوروبا تفقد موازناتها ويضيع بالمرّة التوازن العام اذا

وفي هذه الاثناء كان الجنرال « اغناطييف » يتخابر مع مندوبى تركيا فى شروط الصلح وفى ٣ مارس أمضى معهم عهدة سان اسطفانوس التى هى اكبر المعاهدات ضررا بالدولة العلية . فهى تتضمن جعل بلاد الجبل الاسود مستقلة تمام الاستقلال من الدولد العلية مع توسيع نطاقها واعطائها غرين على البحر الادرياتيكي وتتضمن جعل بلاد رومانيا مستقلة تمام الاستقلال وجعل بلاد العرب مستقلة مع اضافة اراضى (نيش) الى بلادها وتتضمن جعل بلاد البلغار مستقلة استقلالا نوعيا وتعيين حاكم روسي لها ينظمها ويحكمها لمدة سنتين يكون لها بعدها الحق فى انتخاب أمير عليها وتتضمن العهدة كذلك احتلال العساكر الروسية لبلاد البلغار مدة سنتين وهدم كل القلاع والحصون الموجودة على نهر الدانوب (الطونة) وجعل الملاحة فى نهر الدانوب حرة . وتتضمن العهدة أيضا ان الادارة فى البوسنه والهرسك تكون موافقة لما طلبته الدول فى مجتمع الاستانة وتوضع تحت مراقبة الروسيا والنمسا وأن أرمينيا تمنح بعض امتيازات وبعض حقوق جديدة

التي جبرت روسيا الدولة العلية على قبولها ماسة بحقوقها
وبمصلحتها في البلقان وعلى شواطئ نهر الدانوب فأعلنت
الدول الأوروبية بأنها تعتبر كل اتفاق يقع بين المتحاربين
لاغيا لا عمل له وان أوروبا كلها يجب عليها أن تجتمع في مؤتمر
للفصل بين تركيا وروسيا

أما انكلترا فقد أظهرت عندئذ ميلها للدولة العلية
وتظاهرت بالحبّة والصداقة لملك آل عثمان وأرسلت بأسطولها
الى مياه البوسفور وهددت روسيا بانزال العساكر
الانكليزية الى الاستانة. وسيرى القارىء الى أى غاية كانت
ترى انكلترا عندئذ وهل كانت صادقة في تظاهرها بالمودّة
للدولة العلية أو غير صادقة

وقد أجابت الحكومة الروسية على اعلان النمسا بأن
ليس لأوروبا حق في ان تتداخل في أمور لا تمس مصالحها
مطلقا وان روسيا تعرض على الدول عقد مؤتمر أوروبي
للنظر في شروط الصلح . فوافق البرنس « بسمارك » على
جواب روسيا وعرض على الدول عقد مؤتمر ببرلين

رجالاً يلوثون انتصارهم بما يركبونه من منكرات الفظائع
والمذابح ؟ ؟ »



لما رأت الدولة العلية ان أوروبا كلها ضد ها وأن لا نصير
لها بين الدول وان اطالة الحرب مضرّة بها طلبت من روسيا
ايقاف الحرب وعقد هدنة للمخاطبة في شروط الصلح فقبلت
الروسيا ذلك بغاية الامتنان وعقدت الهدنة بين المتحاربين
في (أدرنه) بتاريخ ٣٠ يناير عام ١٨٧٨ واشترطت روسيا
عند عقد الهدنة ان القواعد الاولى للصلح يجب أن تكون
استقلال الصرب ورومانيا وتنازل الدولة العلية لهما وللجبل
الاسود عن بعض الاراضي وجعل بلغاريا مستقلة استقلالاً
ادارياً وجعل الادارة في البوسنة والمهرسك مستقلة وتقدير
غرامة حربية تدفعها تركيا للروسيا

وما اتشر خبر هذه الاتفاقية التي عقدت في أدرنه بين
المتحاربين حتى هاجت الخواطر في النمسا ضد الروسيا وراّت
حكومة الامبراطور (فرنسوا جوزيف) ان هذه الشروط

ويستدل من أجوبتهم ان ماحل بهم هو من معاملة
الروسيين والبلغاريين ويستنتج من كلامهم أيضا ان معظم
سكان القرى من المسلمين ذبحوا كما تذبح الاغنام . ونحن
الممضون أدناه نقر ان أغلب الجرحى من النساء والاطفال
الامضات

وكتب مكاتب التيمس — وقد صحب هذا المكاتب
الجنرال جوركو ورأى بعينه ماحل بالاتراك الابرياء — من
معسكر جنوب البلقان في ١٢ يوليو سنة ١٨٧٧ ما يأتي

ان هذه الحرب ليست من الحروب الانسانية بل هي
هول على هول وفظائع على فظائع لان الجندي الروسي يرى
التركي كحيوان يجتهد في صيده ليقتله وأما البلغاري فكيفما
تمكن من القتل قتل . وهذا هو البرنس ويتشتنستين يقول
ان البلغاريين يقتلون جرحى الاتراك ويسلبون القتلى أموالهم
فماذا يعمل الانسان ذو العواطف الحية حينما يرى اخوانه
يتحمسون لشرب الدماء عند ما يسمعون انه قبض على أسرى
من الاتراك ؟ أم كيف يتسنى للابطال ان ينظروا بعين الرضى

مكاتبي الجرائد الاجنبية الآتية وهي

(كولونيا غازت) (جرنال الديبا) (نيوفراى برسيه)
 (ستندارد) (دايلي تلغراف) (المستراند لندن نيوز) (مانشستر
 جارديان) (التيمس) (فرانكفور ترزايتنج) (مورن
 بوست) (ريپبليك فرانك) (بسترلويد) (فاينر تاجبلاط)
 (مورن ادفر تيسر) (سكوتسمان) (نيويورك هرالد)
 (منشستر اكزامر) . والقرار هو الآتى :

الممضون أدناه الذين يمثلون الصحافة الأوروبية والمجتمعون
 فى مدينة شمال يرون ان من واجباتهم ان يمضوا الرسائل التى
 أرسلها كل واحد منهم الى جريدته عن القسوة البربرية التى
 ارتكبها ويرتكبها البلغاريون ضد السكان المسلمين الابرياء وأن
 يشهد كل منا اننا رأينا بأعيننا جراح النساء والشيوخ والاطفال
 وسألنا فى مدينتى راسجراروشملا النساء والاطفال والشيوخ
 عما حل بهم من الجراحات العنيفة بالسيوف والحراب فضلا
 عن البنادق التى ربما ظن أنها أصابتهم أثناء اشتعال نار
 الحرب .

المتكلم هو خليل أوغلي المذكور ولقد استمر في حديثه
وعلامات الحزن والاسف بادية على وجهه ولكنه حينما
أراد أن يتكلم عما حصل لعائلته بكى بكاء مرا وصار يتنهد
كما تنهد الشكلى ثم خففته العبرة فلم يقدر على الكلام وبعد
مدة طويلة أمكنه أن يعبر لنا عما حصل لأختيه اللتين كان يعنى
بأمرهما لأن زوجيهما كانا في الجيش وقال لنا انه رأى بعينه
عائلته وقد كانت تزيد عن احدى عشرة نسمة ترمى في النار
واحدا بعد واحد . »

ولما عبر الروسيون نهر الدانوب سنة ١٨٧٢ قبضوا
على نساء الاتراك وأطفالهم الذين كانوا يحاولون الهروب من
وجه أعدائهم وأحضروهم الى مدينة شمالا بحالة تذيب الافئدة
وتقطع الاكبدة وهناك رآهم بعض مكاتبي الجرائد الاوربية
فكتبوا قراراً بهذا الشأن وأمضوا عليه

ولقد أرسل وزير خارجية الدولة العلية هذا القرار الى
السفارة العثمانية في باريس بتاريخ ٢١ يوليو سنة ١٨٧٧ قائلاً
(انى أرسل اليكم القرار الآتي باجماع وامضاءات

سمعوا بوصول الروسيين لمقابلة قوادهاولكن الكوسا كز
حاصروا القرية وطالبوا من السكان تسليم أسلحتهم وفي اليوم
الثاني حضر ألابان آخران من الكوسا كز وأحاطوا
كأخوانهم بالقرية وكان يصحبهم في هذه المرة عدد لا يقل
عن الفين أو ثلاثة آلاف من البلغاريين الذين يسكنون القرى
المجاورة وجميعهم متقلدون بالنبايت والسكاكين والبنادق
والسيوف المختلفة الاجناس فابتدأ هؤلاء الاوغاد في طرد
أهل القرية وحيواناتهم ونهب الناس وسلبهم من كل شيء
يستحق الاخذ ثم أشعلوا النار في القرية في أماكن عديدة
وكلما حاول أحد الخروج من لظى النار ولا سيما الاطفال
والنساء حملوا عليه وزجوه فيها

أما الكوسا كز فانهم وقفوا بعيدا على شكل كوردون
حول القرية غير متألمين مما يجري امام أعينهم بل كانت علام
السرور بادية على وجوههم ولولا اننا (خليل أوغلي ومن
معه) هجمنا على الكوردون بقلوب شجعها اليأس وقطعناه
في طرف القرية ما تمكنا من الفرار من لهيب النار » وكان

ولعمري ان مثل هذا التغيير لا يضارعه مثيل في القسوة
وانفطاعة البهيمية واني لأشك أنهم قتلوا الضعفاء الابرياء
وذبحوهم كما تذبح الاغنام . ولقد مضى شهران على الروسيين
وهم مقيمون ومع ذلك لم يسمع ان تركيا أساء الى أحد
المسيحيين . ومما يحكي ان ضابطا روسيا اشترى من أحد
الفلاحين المسيحيين ديكين روميين بمبلغ نصف شان ثم سأل
الفلاح قائلا « أليس الناس في سرور لمقابلة اخوانهم المسيحيين »
فأجابه « فلننظر حتى نرى ان كنتم تعاملونا كما كان يعاملنا
الاتراك بالحسنى »

وقد سأل المستر ادموند قنصل انكلترا في (فيلوپوپوليس)
خليل أوغلي حسين ومصطفى أوغلي عبد الله وسليمان أوغلي
رشيد وهم من سكان (بالقان) التي تبعد بمسافة سير ثلاث
ساعات من ترنافو عما جرى لهم من الاهانات فأجابوا
بما يأتي

« في صباح السبت الماضي (٧ يوليو) وصل الأيوان
من الكوسا كنز الى قرية (بالقان) فخرج كبارها حين

وبكاء النساء وزفرقة العواصف وقرقة عجلات العربات مما
يزيد المنظر فظاعة وبشاعة ومع الأسف الزائد ان هؤلاء
المساكين التعساء يروحون فريسة الظلم وليس من يرحمهم
أو يشفق عليهم

وقد كتب مكاتب الستندرد الذى سار مع الدوق نيقولا
وجاب الجزء الشمالى من بحيث جزيرة البلقان مانصه

« لم أترك لنفسي مجالاً للتكلم عن كثر الفظائع كما يجب
ان نسميها وأقول الآن ان المتوحشين لا يفعلون مع الفارين
الهاربين كما فعل البلغاريون مع جيرانهم الا تراك من القساوة
البربرية والمعاملة الوحشية وما حمل هؤلاء المسيحيين على فعل
هذه المنكرات سوى حب نفوسهم الخبيثة للفتك بعباد الله
وظمئها الى شرب دماء جيرانهم الابرياء الذين لا سلاح
بأيديهم . ولقد سمع تابع لى رجلاً بلغارياً فى احدى حوانيت
الخمير فى (سيستوف) يقول وهو حامل سكينه هائلة « كنت
أحمل معى بندقية ولكن هذه السكينة اللطيفة أفادتني اكثر
من البندقية لاني ذبحت بها عشرة منهم كما تذبح الاغنام »

وينتكون بأغلبهم . ولم يهرب الا القليل الى بلاد الترك وانه
ليحق للعالم ان يسمى الطريق بين فيلوبيوبوليس وهرمنلي
(طريق الموتى) لكثرة ما فقد فيه من الارواح البريئة

ولقد رأينا في طريقنا الى قسطنطينية من أمثال هذه
المناظر الفظيعة كثيرا وكم رأينا أناسا من الضعفاء يسـيرون
سريعا لا يلتفتون وراءهم خوفا من أعدائهم واذا سألتهم الى
أين يسـيرون لم يجيبوك من شدة ضعفهم وانتهاك قواهم كأنهم
لا يعرفون الى أى طريق هم سائرون . وانما غاية ما يتصورون
انه يجب عليهم الفرار حتى يأمنوا على أرواحهم ومن شدة
فزعهم وهلعهم كانوا يتركون أمتعتهـم حين تكسر لهم عربة
ويفرون وحدهم

واني بينما أكتب هذه الاسطر أرى امام عيني كثيرا
من العربات تغدو بأصحابها بين هضاب متراكمة من الثلج
وأغلب النساء يسرن حفاة عراة خائرات القوى من الضعف
والتعب

ولذلك ضوضاء يصحبها صراخ الاطفال وعويل الاولاد

وكلمنا سرنا خطوة بعد (هاسكيوى) رأينا مناظر
أبشع وأفظع فكم رأينا امرأة وزوجها مقتولين نائمين بجانب
بعضهما وطفلين بقربهما على الثلوج وشيوخا متكسرة جماجمهم
وكل هذا فضلا عن خراب القرى وسلب ونهب مالا أصحابها
من الخيرات والاشياء النافعة . ومن المناظر التى تولد الحسرة
وتحزن النفوس أننى رأيت شيخا هراما من الترك ملقى على
الارض وبجانبه مصحف قرآن شريف مفتوحا وملوثا بدمائه
وذلك بينما كان البلغاريون يسلبون الناس أموالهم ويحملونها
على عرباتهم ثم يجرونها فوق جثث القتلى لتدهس العجلات
لحومهم وتفتت عظامهم وتهشم جماجمهم بلا رحمة ولا شفقة
بل وبلا تأثر لمثل تلك المناظر البشعة الفظيعة فأين المدنية
وأين حب الانسانية ؟ ؟ ؟

وانى أقول ان عدد الذين فتك بهم البلغاريون من
الابرياء الآمنين كثير جدا وقد ترك بيوتهم نحو الخمسة
وسبعين ألفا هروبا من المعاملة القاسية البربرية ولكنهم
لا يكادون يفرون من القتل حتى ينقض عليهم البلغاريون

وكما مررنا على قرية رأيناها خاوية على عروشها ليس بها
الا بقايا المذبوحين والمقتولين ولقد سألنا بعض البلغاريين :
من قتل هؤلاء ؟ فأجابونا بصوت الشامت المسرور « اننا
ونصراءنا قتلناهم شر قتلة »

أما في هاسكيوى فكنت ترى كثيراً من الجنود التركية
مقتولين وفضلاً عما أصابهم من الجراح القاتلة فان فلاحى
البلغار لم يشفقوا عليهم بل رجموهم بالحجارة ليفنوا عظام هؤلاء
الشهداء الابطال

ولقد سألت احدى العائلات التركية من أين جاءت
والى أين تسير ؟ فقالت لى انها تركت (بلفنه) من خمسة
شهور مضت وهي على مثل حالها من الفقر المدقع تسير ليلاً
ونهاراً لا غذاء لديها سوى ما تجده من لحوم الحيوانات التى
تموت فى الطرق وكانت هذه العائلة مكونة من أب وأم علي
صدرها طفل صغير وولد يبلغ العاشرة من العمر وكلهم حفاة
عراة الارض فراشهم والسماء غطاؤهم وليس لديهم سوى
بعض خرق يسترون بها سواآتهم وقدرة يطبخون فيها اللحم

تأتمون نوما طبيعيا أو كأنما جعلت من الثلوج الناصعة البياض
سراثرهم وأيديهم الناعمة البيضاء بارزة من المياه الذائبة
ولا أشك ان أمهاتهم لما رأينهم أمواتا على صدورهن
من شدة البرد وان لا أمل في عودتهم للحياة رمينهم في الثلوج
ليخفن حملهن وفارقن حشاشات أكبادهن بالرغم عنهن
والدموع تسيل من عيونهن حتى اذا أدركت الحدود تحولت
يردا من شدة الزمهرير

« واني لم أشعري بأس زائد وبلاء عظيم في حياتي الا عند
ما رأيت بعيني الفظائع والمصائب التي حلت على بني الانسان .
فلقد رأيت امرأة تسير بجانب طفلة تناهز العاشرة من عمرها
وهما تجدان في المسير فرارا من معاملة الروسيين وقساوتهم
البربرية ولكن الابنة لم تقو على المشي لان أقدامها العارية
تعبت غاية التعب من المسير على الثلج فسقطت ميتة بين
أيدي أمها الخنونة ولقد دام الام الليل بظلامه الحالك وبرده
القاتك فسقطت طريحة بجانب ابنتها

وان الطريق الى (هاسكيوى) مملوءة بحش عديده

تغطى بالبسط والفرش وكنا نخترق صفوفنا من جثث القتلى
ورمم الحيوانات مسافة لا تقل عن خمسة وثلاثين ميلا. فرأينا
نساء ملقاة في الثلوج وأولادا وأطفالا مرماة في البرك
ورجالا ممزقة أجسادهم مما أصابهم من الجراحات القتالة .
ورأينا الثلج محمرا من أثر الدماء المنهطة وأظن ان أغلب
النساء متن من البرد القارس لان نضارة الحياة كانت بادية
على وجوههن فكانن نيام للراحة من عناء هذا العالم
ومعاملة أهله البربرية باسم المدنية

اما الرجال فكنت تراه واحدا بجانب الآخر تظهر
عليهم علام العظمة حتى مع الموت وذقونهم ملوثة بدمائهم .
وأيديهم موضوعة على صدورهم كأنما يحافظون على قلوبهم
الشريفة من أن تدوسها أعداؤهم باقدام الخيل

اما الاطفال والاولاد فهم كالنساء مات أغلبهم من
شدة البرد القارس والثلوج المتركمة . فكنت ترى أوجهم
لطيفة بعضها باد وبعضها مغطى بالثلج وكانت تلوح عليهم
نضارة الطفولية وتظهر عليهم الطهارة والبراءة التامة كأنما هم

عدد ٨ فبراير سنة ١٨٧٨ جاء فيها بالحرف الواحد :
 ادريا نوبل في ٢٧ يناير سنة ١٨٧٨ لمكاتبنا في الحرب
 « ان المسافة التي بين (فيلويوبوليس) و (هرمنلي)
 تبلغ سبعين ميلا قد كانت بالامس مرتعا لآلاف من العائلات
 واليوم أصبحت قاعا صفصفا خاوية على عروشها ليس بها
 سوى جيف الموتى وعظام القتلى وبقايا المذبوحين . فتحولت
 نضارتها السابقة الى منظر مخيف وأطلال دوارس وذلك نتيجة
 ما حصل من الفظائع المنكرة التي تقشع من هولها الابدان .
 ولا يمكن لاي انسان أن يتصور مهما اجتهد ان يحاول تلك
 الالهوال التي وقعت في تلك البقعة والحالة التي وصلت اليها »
 وكتب هذا الكاتب نفسه :

« بينما نحن نسير من (فيلويوبوليس) كنا نرى جثث
 الفلاحين مغطاة بالثلوج ولا شك ان بعضها قد لبث على هذه
 الحالة الشنيعة المحزنة أسبوعين أو ثلاثة ولم تزل آثار الدماء
 على ملابس بعضهم . وهكذا كنا نسير بين رمم القتلى وآثار
 الخيام والارض حولنا مغطاة بالجثث وبقايا المعسكرات كما

مرت بأرض خربتها وغيرت معالمها . فليقرأ المنصفون ماعمله
الروسيون وصنائعهم البلغاريون في هذه الحرب مع المسلمين
الابرياء الذين لم يكن لديهم أسلحة يدافعون بها عن أنفسهم
بل كانوا آمنين مطمئنين يحسبون الحرب بشرية انسانية
لا بهيمية بربرية

وقد أتى السير اشמיד برتلت في كتابه الحديث (مواقع
تساليا) على تاريخ كثير من هذه الفظائع . وانا نذكر للقراء
الكرام شيئا منها :

لما عبر الجنرال سكوييف نهر شيبكا في يناير سنة ١٨٧٧
وجد معسكرا يحتوى على مائة ألف من نساء الاتراك نازلا
بقرب هرمنلى فلم يكن من جنوده سوى انهم فتكوا بهن
وطردوهن امامهم على ثلوج نهر ميرتزا الى جبال رودب
حتى مات أكثرهن من البرد والجوع

وانا استشهد على هذه المعاملات البربرية واعتداء
الروسيين والبلغاريين على الابرياء من المسلمين بما جاء في
جريدة الدالى نيوز وقد كانت اذ ذاك منتصرة للروسيا . ففي

الاسود ضدها كانت انتصرت تركيا ولا محالة وخابت
الروسيا وهزمت شر هزيمة

واذا أضاف القارىء الى ماتقدم أن تركيا كانت تضع
ثقتها في رجال من الدخلاء يعملون بأوامر الاجنبي ويعرضون
بمصالح الدولة للدمار وانه كان بين قواد جيشها قائد روسي
الاصل علم فضل تركيا في انتصارها على الروسية في بعض
مواقع مهمة

ولا بد لنا من ان نذكر للقارىء أيضا ان جنود الجبل
كانت تعاكس جنود الدولة أثناء الحرب وان الصرب انضم
جيشها لجيش روسيا بعد سقوط (بلفنه) . فكانت الدولة
العلية بذلك مشغولة من كل جانب برد الاعداء عن ديارها
ولم يكن لها نصير ينصرها على أعدائها بل كانت وحدها امام
أعداء عديدين وكان اعتمادها على محض قوتها



طالما ادعى أعداء الدولة العلية انها اذا فتحت بلادا
نشرت فيها جنودها راية السلب والنهب والقتل بأهلها واذا
(١٦)

له ان هذا الدفاع يعد من الاعمال الحربية النادرة المثال في تاريخ البشر

وبالجملة فلم تنتصر روسيا على تركيا في هذه الحرب. الا بالدسائس العديدة التي دسها ضدها في البوسنة والمهرسك وفي بلاد البلقان . فقد رأى القارىء ان الدولة العلية اضطرت الى قمع ثورة عظيمة في البوسنة والمهرسك ومحاربة الصرب والجلب الاسود ووقع ثورة بلغاريا مما أراق دماء كثيرة من دماء العثمانيين وأمات أبطالا من جنود الدولة وحملها الاموال والمصاريف الطائلة

ومع ان الثورة في البوسنة والمهرسك وبلغاريا والحرب مع صربيا والجلب الاسود أضعفت جيوش الدولة فان هذه الجيوش الفخمة حاربت روسيا بكل قوة وشهامة وانتصرت عليها في مواضع مختلفة . ولم تحارب روسيا تركيا بجيوشها وحدها بل استعانت برومانيا التي قدمت لها نحو المائة الف مقاتل . ولو كانت روسيا حاربت تركيا من بادىء الامر قبل أن تهيج البوسنة والمهرسك وبلغاريا والصرب والجلب

خائفة نيرانهم ولا مقدوفاتهم بل جاعلة وجهها الاستحكامات
التي كان أقامها الروسيون حول (بلفنه) على ثلاثة خطوط
متعاقبة واستولت على مدافع الخط الاول والثاني وكادت
تستولى على الخط الثالث غير ان الغازى (عثمان باشا) وقع
جريحاً فظنه قومه ميتاً وانتشر خبر موته بين الجنود العثمانية
فنبطت همهم وانحلت عزائمهم . ودخل الروسيون فى هذه
الاثناء (بلفنه) واضطر قواد الجيش العثمانى للتسليم والاتفاق
مع قواد الجيش الروسى على ايقاف الحرب بالقاء الجيش
العثمانى للسلاح وقد فقد الجيش الروسى فى محاصرة (بلفنه)
٢٨٠٨٠ رجلاً وفقد الجيش العثمانى ١٤٣٠٠ رجلاً

ولم يعتبر رجال العسكرية فى أوروبا سقوط (بلفنه)
انتصاراً للروسيين على العثمانيين بل أعجب كل انسان
بالعثمانيين أكثر من اعجابه بالروسيين فان الروسيين كان
عددهم مائة وخمسين الف مقاتل وكان عدد العثمانيين ثلثهم
أى خمسين الفا فقط . وقد أظهر القيصر اسكندر الثانى نفسه
للغازى (عثمان باشا) عظيم اعجابه بدفاعه عن (بلفنه) وقال

وفي يوليو وأغسطس وسبتمبر عام ١٨٧٧ هاجمت الجنود الروسية مدينة (بلغنه) المرة بعد الأخرى وارتدوا على أعقابهم خاسرين لما أقام حولها الغازي (عثمان باشا) من المعاقل والحصون المنيعة

ولكن سوء حظ الدولة العلية قضى عليها بالألا ترسل مايلزم من المدد للغازي (مختار باشا) بعد أن فقد جيشه الرجال الإبطال . فسقطت منه لذلك (قارص) في أيدي الروسيين في شهر نوفمبر عام ١٨٧٧ . وسار بعد ذلك الجنرال الروسي (مليكوف) على (أرضروم) . أما (بلغنه) فقد أعتت معاقلها وحصونها الروسيين خاصروها حصاراً شديداً . وشهدوا قوة الأتراك وشهامتهم وأعجب قيصر الروس نفسه . بمهارة الغازي (عثمان باشا) وقوة ادراكه . وقد طالت محاصرة (بلغنه) حتى انقطع المدد عن الأتراك ونفذ كل ما عندهم من الذخائر فعزم الغازي (عثمان باشا) على الخروج من (بلغنه) مع جنوده الأشداء وفي ١٠ ديسمبر عام ١٨٧٧ خرج بالفعل وصرت الجنود العثمانية من وسط الأعداء غير

المجريون يتظاهرون في الشوارع وفي المجتمعات ضد الروسيا وينادون بحجة تركيا التي ساعدت ثوارهم عام ١٨٤٩ وأخذوا يسألون حكومتهم مساعدة تركيا بالفعل . الا ان النمسا التي ييدها زمام القيادة العامة للجيش المجري والنمساوى كانت على الحيادة وكان (بسمارك) يسمعها من وقت الى آخر انه نصيبها من أملاك تركيا سيكون (البوسنة والهرسك) . فكانت راضية بالحرب غير حاسبة لتقوية نفوذ الروسيا في بلاد البلقان حسابا

وبالجملة لم يكن لتركيا في أمم أوروبا محب يخلص الحب لها غير الامة المجرية ولكنها لم تستطع ان تعمل شيئا ما في صالحها .

وقد ظن سواس أوروبا ورجال العسكرية فيها ان الروسيا ستستمر سائرة في طريق النصر ولكن الاخبار مالت أوروبا بعدئذ ان الجنود العثمانية انتصرت على الجنود الروسية انتصاراً باهراً (في قارص) بفضل البطل الشهير الغازى (أحمد مختار باشا) واضطر الروسيون لرفع الحصار عن هذه المدينة .

مع رومانيا (التي أعلنت عندئذ استقلالها التام عن الدولة العلية) في ١٤ مايو عام ١٨٧٧ اتفاقا دفاعيا هجوميا وانضمت جنود رومانيا الى جنود روسيا وعبرت بلغاريا الشمالية. وفي أواسط يوليو احتلت مدينة نيكوبلي واحتل الجنرال (جوركو) مضائق البلقان الموصلة لمضيق شيبكا الشهير . وقد أحدثت هذه الاخبار تأثيرا شديدا في الاستانة وفي أوروبا كلها وازداد اهتمام الباب العالي بأحوال الجيش . لأنه من سوء حظ الدولة وشى بعض الدخلاء بالشهم المشهور (عبد الكريم باشا) فعزلته الدولة وعزلت رديف باشا ناظر الحربية وعينت بدل عبد الكريم باشا (محمد علي باشا) وهو ضابط روسي الاصل اعتنق الاسلام ودخل في عسكرية الدولة ولما علم دولة الغازي (عثمان باشا) بانتصار الجيوش الروسية والرومانية أتى بجيشه الى مدينة (بلفنه) وحصنها أحسن تحصين

وقد هاجت الخواطر في بلاد المجرحين ذاك هيجانا شديدا لا تتصار روسيا على تركيا في بعض مواقع وصار

والفوز عليها الا اذا عبرت جيوشها بلاد رومانيا عقدت في ١٦ ابريل مع هذه الامارة - خلافا لاتفاقها مع النمسا - اتفاقية تسمح للجنود الروسية بعبور اراضي رومانيا . وفي ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٧ أعلنت روسيا رسميا الحرب على تركيا مبينة في اعلانها ان غرضها بالحرب نصرة المسيحيين : فلما علمت انكلترا بان الحرب لا بد منها سألت روسيا عدم المساس بمصالحها في الشرق واحترام صواالحها . فأجابتها روسيا على ذلك . وهذه هي المساعدة التي قدمتها انكلترا للدولة العلية !

وقد اتخذت الجنود الروسية في القرم وفي البحر الاسود خطة دفاعية وجعلت خطتها الهجومية في جهة القوقاز والدانوب

وسار الجيش الروسى في آسيا تحت قيادة الجنرال (لويس منيكوف) وبعد مجهودات عظيمة وقتال عنيف استولى في ١٩ مايو على مدينة أردهان وسار في أوائل يونيه الى مدينة (أرضروم) . أما في أوروبا فقد اتفقت روسيا

تنفذ الاصلاحات التي طلبتها منها الدول وان تجعل عساكرها في حالة السلم بان تقلل عددها العظيم الذي جمعه للحرب . وأنذرتها الدول بانها كلها مستعدة لان تتحد وتقرر الوسائل الفعالة ضدها ان لم تقبل مطالبها في أقرب وقت . وبذلك اشتركت أوروبا كلها اشتركا معنويا في معاداة روسيا لتركيا وتهيجها أمم البلقان عليها وتحملت مسؤولية كل ماعملته روسيا ضد تركيا

وقد أرسلت روسيا بانفرادها انذاراً آخر للباب العالي أشد لهجة من الانذار الدولي فعرض الباب العالي هذين الانذارين على مجلس المبعوثان ليرى رأيه فيهما فرفضهما في ٩ ابريل سنة ١٨٧٧ وفي ١١ ابريل أعلن الباب العالي الدول الأوروبية رفضه لهما . ومن ذلك اليوم صارت الحرب على أبواب تركيا وأخذت الدولة العلية من جهة والروسيا من جهة أخرى تتم تجهيزاتها الحربية وترسل جيوشها على الحدود

ولما رأت الروسية انها لا تستطيع التغلب على تركيا

بمسوء . ثالثا اذا اوجدت روسيا امارة سلافية جديدة يجب
ألا يكون ذلك ضد مصلحة البلاد الغير سلافية والا تدعى
الروسيا حقوقا على بلغاريا التى يجب ألا يحكمها أمير روسى
ولا أمير نمساوى . رابعا ألا تمر الجنود الروسية من
بلاد الصرب .

ولم تكف روسيا باتفاقها مع النمسا ومساعدة ألمانيا
لها من أول الازمة كل المساعدة بل أرادت أن تتحقق من
مساعدة بقية الدول الاوروبية لها مساعدة معنوية فأرسلت
الجنرال (اغناطييف) الى عواصم أوروبا فزارها عاصمة بعد
عاصمة حتى لوندرد نفسه . وفى كل عاصمة من عواصم أوروبا
قبول بالترحاب ووعد بعدم معارضة روسيا فى شىء وفى
لوندرد اتفق مع الوزارة الانكليزية على عقد مؤتمر دولى فى
لوندرد لارسال انذار أخير للباب العالى . وبالفعل اجتمع
المؤتمر وفى ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ أرسل الانذار الدولى للباب
العالى متضمنا انه يجب على الدولة العلية أن تتم عقد الصلح
مع الجبل الاسود وان تترك له الاراضى التى يطالب بها وان

وفي ٢٠ يناير عام ١٨٧٧ أعلن صفوت باشا مندوبى
الدول رسميا بان الدولة العلية رفضت مطالبهم لمساها بمصالحها
الجهورية . فانقض بذلك المجتمع الدولى وترك مندوبو الدول
كافة الاستانة اظهارا لغضب دولهم وانقطاع العلائق السياسية
وفي ٣١ يناير من السنة نفسها كتب الميسو (غورتشا كوف)
وزير روسيا الاول الى الدول الاوروبية يسألها عن الوسائل
التي ستتخذها مع تركيا لاجبارها على قبول مطالبها ويعلمها
بأن روسيا مستعدة للعمل وحدها ضد تركيا . وفي الوقت
نفسه اتفق القيصر مع (فرنسوا جوزيف) امبراطور النمسا
على بقاء النمسا على الحيادة أثناء الحرب بين الدولة العلية
والروسيا وقبل القيصر الشروط الآتية : أولا الا تدعى
احدى الدول الاوروبية ان لها وحدها حق حماية المسيحيين
فى الدولة العلية وان يكون لدول أوروبا كلها القول الفصل
بين تركيا والروسيا بعد نهاية الحرب . ثانيا الا تأخذ
الروسيا شيئا ما من الاراضى الواقعة على الشاطئ الايمن لنهر
الطونة وان تحترم استقلال رومانيا والالتمس الاستانة

جعل البوليس كله في البوسنة والهرسك مسيحيا وقبلوا ان يكون من المسيحيين ومن المسلمين وانهم قبلوا اعتبار اللغة التركية في البوسنة والهرسك رسمية كاللغة السلافية . وحددوا للباب العالي مدة ثلاثة أشهر لتنفيذ ما بقى من مطالب الدول وقد أمضى مندوبو انكارترا على هذا القرار مع بقية مندوبي الدول ولكنهم كانوا ينصحون لسواس تركياسراً برفض مطالب الدول

ولكى تعلم الامة العثمانية ان جلالة السلطان الاعظم لا يعرض بمصالحها للخطر وأنه يستشير في صغائر الامور وكبائرها كبار الامة وعملاءها جمع جلالة السلطان الاعظم مجلسا عاليا مكونا من مائة وثمانين عضوا من كبراء الامة ورؤساء الطوائف والمذاهب وعرض عليهم مطالب الدول وسألهم رأيهم في الامر فرفضوها بالاجماع وأشاروا على جلالة السلطان برفضها فقرر جلالتة رفضها عملا برأى كبراء الامة ورؤساء المذاهب والديانات وحفظاً لكرامة الدولة وصيانة لشرعها

وقد كانت انكلترا وحدها تتظاهر للدولة العلية بالحبّة
والولاء ولكنها أضرت بها كغيرها بل أكثر من غيرها
لان الدولة العلية انخدعت بتظاهر سواس الانكليز بالميل لها
وحسبت ان بريطانيا مساعدة لها ضد روسيا وقت الحرب
فلما جاءت الحرب علمت تركيا ان انكلترا كانت ترمى فقط
الى تشجيعها على معارضة أوروبا مع علمها باتحاد أوروبا ضدها
وكذلك خدعت انكلترا تركيا عند عقد مؤتمر برلين حيث
أخذت منها قبرص كما سيري القارىء

ولما رأى مندوبو فرنسا ان الدولة العلية عازمة على
رفض مطالب المؤتمر عرضوا على بقية الاعضاء تعديل الطلبات
فقبلوا ذلك وأبلغوا الباب العالى انهم يتركون مسألة تنازل
الدولة العلية للصرب والجبل الاسود عن بعض الاراضى
لخبرة أخرى وانهم لا يسألون الباب العالى ان يستشير الدول
في تعيين حاكم البوسنة والهرسك الا في الخمس سنين الاولى
وانهم عدلوا عن طلبهم بشأن تقسيم بلغاريا الى قسمين وجعل
سم منها مستقلا استقلا اداريا وانهم عدلوا عن طلبهم بشأن

والهرسك تصيران مستقلتين استقلالاً ادارياً وأن يعين لهما
 لمدة خمس سنوات حاكم يجب أن يكون تعيينه بموافقة الدول
 وأن يكون البوليس في البوسنة والهرسك مسيحياً وأن يترك
 لهاتين المقاطعتين نصف ايرادهما وأن تكون لغة البوسنة
 والهرسك هي اللغة الرسمية فيهما ويتضمن القرار غير ذلك
 أن القسم الموجود في شمال البلقان من بلاد بلغاريا يصير
 مستقلاً استقلالاً ادارياً كالبوسنة والهرسك وأن تحتل الجنود
 البلجيكية هذه المقاطعات السالفة الذكر لحين تنفيذ قرار
 الدول وأن تعين لجنة دولية لمراقبة تنفيذ هذا القرار

ولا ريب أن قرار الدول هذا كان في الحقيقة اعلاناً
 لتركيا بأن دول أوروبا كلها متعصبة ضدها وانها متحدة في
 العمل على الاضرار بها . فان الدول الأوروبية كانت تعلم علم
 اليقين ان هذه المطالب ترفضها تركيا رفضاً باتاً لما فيها من
 المساس بحقوقها . وكيف كانت تستطيع تركيا أن تقبلها بعد
 أن أقمعت الثورة في البوسنة والهرسك وهزمت جنود
 الصرب والجبل الاسود شر هزيمة ؟

ولما رأت انكلترا ان روسيا تهدد الدولة العلية على
لسان الجنرال (اغنايف) أرادت أن تظهر لتركيا مودتها
لها لتنتفع من هذه المودة عند الحاجة كما سيري القارى .
فأمرت أسطولها بالسفر الى مياه الشرق والوقوف في
(بزيكا) أى في مدخل الدردانيل . وعندئذ اتفقت الدول
على عقد مذاكرة بينها وبين بعضها في الاستانة



وقد اجتمع مندوبو الدول بالاستانة في أوائل ديسمبر
عام ١٨٧٦ وقرروا عدم اشتراك تركيا في مداوالاتهم
ومناقشاتهم بل ارسال قرارهم النهائى اليها بعد اتمام المداوالات
والاتفاق عليه . وهى أول مرة اجتمع مؤتمر دولى في عاصمة
بلاد لم تشترك في هذا المؤتمر ! . وفي ٢٣ ديسمبر تم اتفاق
مندوبى الدول على وضع قرار نهائى وفي ٢٤ منه أبلغ هذا
القرار الى الباب العالى . وهو يتضمن أن الدولة العلية تتنازل
لببلاد الصرب والجبل الاسود عن بعض الاراضى ليتسع
نطاق امارتيهما . كأنهما الغالبتان لتركيا ! ويتضمن ان البوسنة

تكون لمدة ستة أشهر حتى تستطيع جنودها أن تستريح من
أنصاب الحرب وبأن يمنع وصول الأسلحة والذخائر لثوار
البوسنة والمهرسك والصربيا والجبل الأسود وقت الهدنة .
فلم تقبل الدول طلب الدولة العلية العادل وأرسلت روسيا
في ١٥ أكتوبر الجنرال (اغناتيف) للاستانة حاملا اذارا
للباب العالي يتضمن هذه الشروط :

أولا عقد هدنة لمدة ستة أسابيع بلا شرط : ثانيا منح
البوسنة والمهرسك وبلغاريا استقلالا اداريا : ثالثا ضمانه الدول
الاوروبية لحقوق هذه المقاطعات

وما وصل (اغناتيف) الى الاستانة حتى وصلتته أخبار
انهزام الجيش الصربي امام الجيش العثماني الظافر . فقد
انتصرت الجنود العثمانية انتصاراً عظيماً في (دليجراد)
و « الكسيناتس » و « باتوا » على مقربة من « بلغراد » عاصمة
الصرب التي صار أمر سقوطها في أيدي العثمانيين محققا .
فقدم في الحال (اغناتيف) اذاره للباب العالي وقبلت الدولة
العية عقد الهدنة في ٢ نوفمبر عام ١٨٧٦

ضدها فبذل أقصى جهده في تنظيم الامور واصلاح الاحوال
ودفع المصائب والايثار

وقد عرض الكونت (دي بيكونسفيلد) الوزير
الاول لانكلترا على الدولة العلية عقد هدنة لمدة ستة أسابيع
للمخبرة فيها في شروط الصلح وبقاء الحالة على ما هي عليه في
صربيا ومنح البوسنة والهرسك استقلالاً ادارياً فرفضت
الدولة هذه الطلبات خصوصاً وان القيصر أوعز الى صربيا
باستئناف الحرب مرة ثانية فجمعت جنودها وجندت من لم
يجند منهم . وفي ١١ أكتوبر سنة ١٨٧٦ أرسل القيصر الى
(فرنسوا جوزيف) امبراطور النمسا كتاباً سريراً سأل فيه
اتحاد النمسا مع روسيا لاحتلال بلاد البلقان كلها فرفض
امبراطور النمسا طلب القيصر خوفاً من نتائج عمل خطير
كهذا .

وفي ٥ أكتوبر طلبت انكلترا من الدولة العلية عقد
هدنة لمدة ستة أسابيع وفتح مذاكرة بين الدول وقت الهدنة
بشأن عقد الصلح فأجابت الدولة العلية بأن الهدنة يجب أن

واجبات الخضوع والتابعة للحضرة السلطانية وليستلم فرمان
تعيينه أميراً على الصرب

فرأت الدول ان هذه الشروط قاسية جداً وان قبولها
يضر بالصرب ضرراً بليغاً على ان القارىء اذا تذكر الطلبات
التي اتفقت عليها روسيا والنمسا والمانيا في برلين بشأن البوسنة
والهرسك وطلبتهما من الباب العالي لوجد شروط الدولة العلية
مع الصرب أخف كثيراً من طلبات الدول مع ان الدولة
غلبت الصرب وانتصرت عليها انتصاراً باهراً . فطلبت الدول
من انكلترا التي كانت تدعى مساعدة تركيا - وما كانت
تعمل في الحقيقة الا على تشجيع رجال تركيا في معارضتهم ضد
الدول مع علمها باتفاق الدول كلها ضد تركيا - ان تعرض
على الباب العالي شروطاً أخرى

وفي هذه الاثناء جلس جلالة مولانا السلطان الاعظم
والخليفة الاكبر ﴿عبد الحميد خان﴾ على أريكة المملكة
العثمانية حيث المصاعب تحيط بها من كل جانب وأعداؤها
يدسون لها الدسائس في كافة انحاءها والدول كلها متحدة

باشا والمرحوم عبد الكريم باشا وهزموهم في (زيتشار)
هزيمة اهتزت لها أوروبا ومادت لها محافلها ونواديهـا . ولما
شعرت صربيا بأن بلغراد عاصمة بلادها صارت نفسها في
خطر طلبت من الدول بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٦ ان
توسط بينها وبين الدولة العلية فسألت الدول الأوروبية
الدولة العلية ان تعرض عليها الشروط التي تقبل معها عقد
الصلح فأجابتها بهذه الشروط :

أولا ان تعود الاحوال في صربيا الى ما كانت عليه
قبل عام ١٨٦٧

ثانياً ان تهدم القلاع التي بنتها صربيا بعد عام ١٨٦٧
ثالثاً ان ترد القلاع التي كانت محتلة لها تركيا من قبل اليها
رابعا ان تدفع صربيا غرامة حرية أو أن تقبل ازدياد
الخراج السنوي الذي تدفعه لتركيا

خامسا ألا يزيد عدد الجيش الصربي عن عشرة آلاف
مقاتل

سادسا ان يسافر أمير الصرب الى الاستانة ليقدم

وفي ٢ يوليو أعلنها الجبل الاسود
ولما كانت الروسيا تعلم ان تظاهر صربيا والجبل الاسود
برغبة احتلال البوسنة والهرسك من شأنه أن يكدر النمسا
التي تريد تقوية نفوذها في البلقان وتطمح الى الاستيلاء على
هاتين المقاطعتين سافر القيصر (اسكندر الثاني) بنفسه الى
(ريشتاد) في بوهيميا وتقابل مع (فرنسوا جوزيف)
امبراطور النمسا وتحدث معه طويلا في أمور الشرق . ويحقق
كثيرون من المؤرخين بأن القيصر وعد امبراطور النمسا
باعطائه البوسنة والهرسك بعد انتهاء أزمة المسئلة الشرقية
فبقيت النمسا بذلك على الحيادة وقت الحرب بين الدولة
العلية وبين صربيا والجبل الاسود

وقد كان يظن سواس أوروبا وكتابها ورجال الحرب
فيها ان الدولة العلية ستقهر في هذه الحرب امام صربيا والجبل
الاسود ولكنهم علموا بعدئذ ان جنود تركيا لا يزالون ليوتا
في الحرب وآسادا في معامع القتال فقد انتصروا على عساكر
الجبل الاسود وجنود صربيا نصراً مبيناً بقيادة الغازي عثمان

المسلمين فاتوا من الفظائع والجرائم ما لا يستطيع وصفه قلم
وصار أنصار الضلال في أوروبا يكذبون على العالم كله ويدعون
ان الدولة تذبجهم هم ونسأؤهم وأطفالهم مع انهم كانوا المعتدين
على الابرياء من المسلمين

وقد استعدت كذلك صربيا والجبل الاسود لمحاربة
الدولة فاتحد أميراهاتين الامارتين ضد الدولة وحشدا الجنود
بكثرة وأرسلت الروسية ضابطا من أمهر ضباطها (تشرنايف)
لقيادة الجيش الصربي . فلما علمت الدولة العلية باستعدادات
صربيا والجبل الاسود الحربية أرسلت الى أميريهما في ٩ يونيو
عام ١٨٧٦ تسألهم عن سبب هذه الاستعدادات فاجابت
الصرب بأنها تطلب من الباب العالي ان تنجلي العساكر
العثمانية من مقاطعتي البوسنة والهرسك وان تحتل العساكر
الصربية مقاطعة البوسنة وان تحتل عساكر الجبل الاسود
مقاطعة الهرسك . فرفض الباب العالي هذا الطلب الغريب
بغاية الشدة والشهامة وأرسل بجيشه الى حدود الصرب والجبل
الاسود . وفي ٣٠ يونيو أعلنت الصرب الحرب على تركي

الثورة هو طلب لا تستطيع ميزانية تركيا ان تقوم به وتهديد
الدول للدولة باتخاذ طرق القوة والقهر معها ان لم تنفذ طلباتها
هو تشجيع لكل أمم البلقان على الثورة ضد الدولة العلية
ومن سوء حظ الدولة ان أسقط عن عرش السلطنة
العثمانية في هذا الوقت الممتلئ بالاضطرابات والاضطراب
المرحوم السلطان (عبد العزيز خان) وأجلس مكانه السلطان
(مراد الخامس) الذي لم يحكم الا خمسة أشهر

*
* *

وبديهي ان الروسية كانت ترمى الى اضعاف تركيا
بالثورات والاضطرابات والحرب مع أمم البلقان حتى اذا
ثبطت عزيمتها وقلت هممتها تحولت ضدها برجالها وقوتها .
وهي سياسة لا يمكن لمؤرخ عادل ان يقول انها سياسة شريفة
لان الروسية كان يجب عليها ان تحارب تركيا من بادىء
الأمر لأن تهيج ضدها البوسنة والهرسك وصربيا والجبل
الاسود وبلغاريا

فقد قام البلقاريون في وجه الدولة وجعلوا غايتهم قتل

غير هذه الطلبات ان تمنح تركيا للشوار هدية
شهرين وهددتها بانها ان لم تنفذ هذه الطلبات مدة
الشهرين اتخذت معها طرق القوة والقهر
وقد قبلت فرنسا وايطاليا التوقيع على هذه المذكرة أما
انكلترا فرفضت التوقيع عليها بالمرّة

ولا شك ان المطالع لهذه الشروط يقف مندهشا
مستغربا من معاملة دول أوروبا للدولة العلية واعتدائها عليها
بأشنع الصور وأقبحها ويدرك من نفسه ان هذه الشروط لو
كان يطلب تنفيذها من أحقر دول الارض لكانت رفضت
قبولها ولو أدى رفضها الى دمارها وخرابها . فموت فيه شرف
خير من حياة تلتاخ بالعار . ولذلك كان يستحيل على الدولة
العلية ان تقبل هذه الشروط ولو لحظة واحدة . فان طلب
الدول بقاء الجنود العثمانية في جهات مخصوصة وقلاع معينة
مع بقاء المسيحيين مسلحين هو تشجيع للشوار عظيم وطلب
الدول اعطاء الحكومة العثمانية للمسيحيين كل ما يحتاجون اليه
من المساعدات المادية واصلاح المنازل التي دمرت بسبب

مذكورة (اندراشى) التى أرسلت فى ٣٠ يناير عام ١٨٧٦ بل
طلبت جل ما أراد ثوار البوسنة والمهرسك فاشتملت مذكراتها
على الطلبات الآتية :

أولاً ان يصلح الباب العالى المنازل التى دمرت بسبب
الثورة وان يقدم كل ما يلزم للفلاحين من الثيران
والآلات وان يعفى أهالى البوسنة والمهرسك من
الضرائب مدة ثلاث سنوات

ثانياً ان يعين الباب العالى لجنة من أعيان أهالى البوسنة
والمهرسك المسيحيين لتوزيع المساعدات المادية
التي يقدمها

ثالثاً ان يسحب العساكر التركية من بلاد البوسنة
والمهرسك والا يتركها تحتل غير عشر قلاع معينة
رابعاً ان يترك المسيحيين مسلحين لغاية اتمام الاصلاحات
واعادة الامن والسكينة الى بلاد البوسنة والمهرسك

خامساً ان يكون لقناصل الدول أو لمندوبيها الحق فى
مراقبة تنفيذ هذه الطلبات . وطلبت الدول الثلاث

و (ستولاز) و (فوكا) و (تريين) و (بيوجلي)
و (مستار) وان ترسل النمسا والروسيا مندوبين
من قبلهما في هذه البلاد لمراقبة تنفيذ هذه الشروط
خامساً نزع السلاح من المسلمين
سادساً ضمانة الدول الأوروبية لتنفيذ هذه الشروط
ولما رأت صربيا وبلغاريا والجبل الأسود ان الروسية
والنمسا والمانيا تشجع ثوار البوسنة والهرسك أصغت
لارشادات المهيجين وقامت مستعدة لمحاربة تركيا والانتقام
من الاسلام باسم الصليب . ولما أرادت الروسية أن تعجل
بالحرب وبإسقاط المصائب على تركيا دعت النمسا والمانيا
للاشتراك معها في تقديم انذار جديد للباب العالي فاجابت
النمسا والمانيا طلبها واجتمع البرنس (غورتشاكوف) عن
الروسيا والكونت (اندراشى) عن النمسا مع البرنس
(بسمارك) في برلين وتم اتفاقهم في ١١ مايو سنة ١٨٧٦ على
انذار ترسله دولهم الى الباب العالي
ولم تطلب الدول الثلاث من الباب العالي ماطلبته في

اللايقاع بالدولة والاضرار بها . واني لست ممن يستبعدون ان اسلام هذه الفتاة المسيحية كان مصطنعا وان الحادثة مدبرة من اولها لا آخرها . فكل من طالع شيئا من أعمال أرباب الدسائس في الدولة يعلم انهم قادرون على ايجاد حادثة كهذه وأكبر منها

وقد عرض في هذه الاثناء ثوار البوسنة والهرسك على دول أوروبا انهم ينكفون عن الثورة ويعيدون السكينة الى بلادهم اذا أنفذت الشروط الآتية :

أولا أن تعطى الدولة العلية للمسيحيين ثلث الاراضى التى بيد المسلمين

ثانياً أن تصاح لهم المنازل التى هدمت بسبب الثورة وان تساعدهم بالمال وان تقدم لهم الثيران اللازمة لحرق الارض

ثالثاً أن تعفيهم من الضرائب مدة ثلاث سنين
رابعا ان تنجلى العساكر التركية النظامية من بلاد البوسنة والهرسك وان تبقى فقط فى (نيكشيش)

اسلامها بصفة شرعية فلم المسيحيون بالامر وتجمعوا في طريق الفتاة حتى اختطفوها عند مرورها وأخفوها في بيت أحد المسيحيين فهاج المسلمون لذلك وذهبوا الى الحاكم طالبين تخلص الفتاة ثم اجتمعوا في مسجد للمداولة في الامر ويذمهم مجتمعون اذ دخل عليهم قنصلا ألمانيا وفرنسا فاعتدى عليهما بعض الحاضرين لاعتبارهم دخول القنصلين في المسجد اهانة لهم وضربوهما ضربا قسى عليهما في الحال . فانتشر خبر الحادثة في أوروبا وما انتشر حتى نادى أعداء الدولة بالويل والثبور وحملوا على الاسلام ودولته العزيزة حملات شديدة وهاجوا الرأي العام ضد الحكومة العثمانية حتى اضطرت الدول كلها لارسال سفن حربية الى ميناء سالونيك ولم يستطع الباب العالي ان يفهم أوروبا ان القنصلين اخطأ في الذهاب الى المسجد بل طلبت منه الدول معاقبة المعتدين ولمالم يجد سبيلا لرفض طلب الدول عاقب من ثبت عليهم الاعتداء على القنصلين بالاعدام وانتهت بذلك هذه الحادثة وهي حادثة من حوادث عديدة خلقتها يد الدسائس والاغراض

معها ضد الدولة فصارت بذلك بلاد البلقان كلها قائمة على قدم
وساق ضد الدولة . وبلغت الفوضى حدها في هذه البلاد
فاعتدى المجرمون على الأبرياء وصار كل واحد من الثوار
يفخر الآخرين بما نهب وسلب من المسلمين . وصار الذين
لا سلاح بأيديهم من المسلمين يدافعون به عن أنفسهم فريسة
للمجرمين من السافكين للدماء من ثوار المسيحيين

رأى المسلمون في بلاد البلقان مارأوا من الإهانة والسلب
والنهب وأسيلت دماء الأبرياء من الكثيرين منهم وأنصار
الباطل والضلال في أوروبا يشيعون في كل مكان أن الدولة
العلية دولة بربرية تسفك دماء المسيحيين وتهتك أعراض
نسائهم وتخرب بيوتهم وكنائسهم وغير ذلك مما يكرره
أعداء الدولة وأعداء الحقيقة في كل خلاف يقع بين المسيحيين
والمسلمين في بلاد الدولة

وقد عمل أعداء الدولة على تهيج الرأي العام الأوروبي
ضدها بكل الوسائل وحصل أن فتاة مسيحية اعتنقت الدين
الإسلامي في ضواحي سالونيك وذهبت لهذه المدينة لإثبات

في مذكرتها واجابتها عليها في ١١ فبراير من السنة نفسها
فلما رأت روسيا ان الدولة العلية قمعت الثورة أولا ولم
ترفض مطالب الثوار ثانيا ولم ترفض مطالب الدول ثالثا
وتحقت من انه يستحيل عليها خلق سبب سياسي من المحابرات
يقيم في وجه تركيا أوروبا والرأى العام الاوروبي بذلت
جهدا ووجهت كل عنايتها لجعل الثورة عامة في بلاد البلقان
حتى تضعف الدولة وترتبك أحوالها من جهة وحتى يسهل
عليها ان تشيع في أوروبا الاشاعات الكاذبة عن معاملة
الأتراك للمسيحيين وتهيج بذلك الرأى العام الاوروبي ضد
الدولة العلية وضد المسلمين . فاجتمع ثوار البوسنة والهرسك
في (كوسيروفو) في ٢٨ فبراير أى بعد قبول الدولة لمطالب
الدول وقرروا بايعاز روسيا الاستمرار على الثورة والعصيان
وعدم الخضوع للدولة

وقد توصلت روسيا الى تهيج بلاد الصرب ضد الدولة
العلية فهاج أهلها واجاهروا بمعاذاة الدولة وطلبوا من حكومتهم
محاربتها . فخبرت حكومتها حكومة الجبل الاسود واتفقت

الثوار الذين هاجتهم ضد الدولة بالركون الى السكينة
وبالامثال لاوامر الحكومة العثمانية . ولكنها كانت تعمل
لبث الفتن والثورات فأوعزت الى الثوار بعدم نزع السلاح
وبالاستعداد للكفاح

وفي ٣٠ يناير عام ١٨٧٦ قدمت الدول جميعها بما فيها
فرنسا وايطاليا مذكرة للباب العالي طلبت منه فيها منح
أهالي البوسنة والمهرسك تمام الحرية الدينية وتقرير مساواة
الاديان وتخفيف الضرائب وجعل الشرطة أهلية وتشكيل
لجنة من أهالي البوسنة والمهرسك مكون نصفها من مسيحيين
والنصف الآخر من مسلمين لمراقبة تنفيذ ما جاء في الارادة
العلية التي أصدرها السلطان في ١٢ ديسمبر عام ١٨٧٥

وأول من وضع هذه المذكرة هو الكونت « اندراشي »
وقد سميت باسمه . وهو مجرى أغضبت خطته نحو الدولة
العلية في هذه الحوادث الامة المجرية لشدة تعلقها بالدولة
العلية واعترافها بالجميل للعثمانيين

ولم تتأخر الدولة العلية عن قبول مطالب الدول المذكورة

وأرسلت لهم من النمسا الاسلحة والذخائر سرّاً . فلما علمت الدولة العلية بذلك أرسلت الى البوسنة والهرسك جيشاً قوياً بقيادة القائد الشهير والبطل العظيم الغازي (مختار باشا) فقمع الثورة ورد كيد الثائرين ولكن دول روسيا والنمسا وألمانيا التي كانت تريد كما قدمنا استمرار الثورات والاضطرابات في الدولة توسطت بين الثائرين وبين الباب العالي وطلبت من الدولة أن تقبل مطالب الثوار بتخفيف الضرائب عنهم وبتركهم يعينون الشرطة (البوليس) من نفس أبناء البوسنة والهرسك . فوعد المرحوم السلطان (عبدالعزيز خان) بالنظر في هذه المطالب وبمنح رعاياه على اختلاف دياناتهم ما يطلبونه من الامتيازات وما يراه موافقاً لهم وللدولة . وفي ١٢ ديسمبر عام ١٧٧٥ أصدر السلطان ارادة عالية بقبول مطالب أهالي البوسنة والهرسك وبرهن بذلك على عدم تعصب الدولة ضد رعاياها المسلمين . ولو كانت الدول راغبة حقيقة في خير المسيحيين وغير قاصدة ضرر الدولة واضعافها لكانت اكتفت بهذه الارادة السلطانية وساعدت الدولة على تنفيذها وأمرت

ولما تحققت روسيا من أن المانيا والنمسا مستعدتان
لمساعدتها وان ايطاليا دولة ناشئة لا يخشى منها وأن فرنسا
ضعيفة بعد الهزيمة خافت صوتها وان ليس لها في دول أوروبا
من يستطيع معارضتها غير انكلترا وانها وحدها لا تستطيع ان
تضرها بشيء — فضلا عن ان روسيا كانت تعلم ان انكلترا
لا تفيد تركيا شيئا لان مبادئها في كل أطوار سياستها ان تنفع
من غيرها ولا تنفع غيرها — اجتهدت (أى روسيا) في
تهيج أمم البلقان وأرسلت في كل انحاء بلاد البلقان زعماء
ينادون بالثورة ضد الدولة العلية وينشرون مبدأ اتحاد السلافيين
تحت راية القيصر ويدعون أقوام البلقان كافة للعصيان باسم
الدين الارثوذكسى ضد الحكومة العثمانية الاسلامية. وكان
من مصلحة النمسا أن تهيج بلاد البوسنة والهرسك ضد الدولة
العلية لما كان عندها من الامل في الاستيلاء عليها فساعدت
مهيجى روسيا وأخذت تهيج كذلك أهالى هذه البلاد حتى
هاج المسيحيون كافة في بلاد البوسنة والهرسك وصارت
المساعدات تأتيهم جهارا من بلاد الصرب والجبل الاسود

حملت روسيا على ترك البروسيا تحارب النمسا وتقمهرها وتحارب فرنسا وتقمهرها وتأخذ من كل دولة من الدولتين مقاطعتين عظيمتين وتكون بذلك وحدتها ويصير ملكها امبراطوراً لالمانيا بدون أن تعارضها في أعمالها بل بقيت على الحيادة مظهرة ارتياحها لنجاح البروسيا ضد النمسا وفرنسا اللتين عاكستاها (أى روسيا) في حرب القرم

ومن ذلك يرى القارئ ان روسيا والنمسا والمانيا اتفقت بعد حرب عام ١٨٧٠ التى قامت بين فرنسا والبروسيا واتفق امبراطرتها على العمل بالاتحاد فاهتمت روسيا لتغيير الشرط المتعلق بحريتها فى البحر الاسود الذى اتفقت عليه الدول فى مؤتمر باريس عام ١٨٥٦ ودعت الدول لعقد مؤتمر للنظر فيه . فأجابت الدول دعوتها واجتمع مندوبوها فى عاصمة بلاد الانكليز فى ١٣ مارس سنة ١٨٧١ واتفقوا (ولم تشترك فرنسا مع الدول لاشتغالها بعقد الصلح مع البروسيا) على تغيير هذا الشرط واعطاء روسيا الحرية التامة فى الملاحة بالبحر الاسود وتسيير سفنها فيه

— ❧ الازمة الرابعة ❧ —

﴿ الحرب بين تركيا والروسيا وما قبلها وما بعدها ﴾

« من عام ١٨٧٥ الى عام ١٨٧٨ »

أبنا في ختام الفصل السابق أن نتيجة حرب القرم على النمسا كانت وخيمة حيث فقدت هذه الدولة بعدها مقاطعاتها الايطالية وأخذت البروسيا منها في حرب عام ١٨٦٦ مقاطعتين مهمتين ونالت المجر استقلالها النوعي أى ارتفعت سلطة النمسا عنها . فطمعت هذه الدولة في أخذ شيء من أملاك الدولة العلية يعوض عليها بعض خسائرها فتقربت من المانيا أعدوتها اللدودة التي قهرتها وكونت وحدتها بانتصارها عليها وعلى فرنسا عوضا عن أن تستعد للأخذ بالشار منها واسترجاع المقاطعتين اللتين أخذتهما منها . وصارت كذلك النمسا تستميل روسيا اليها وتوعز لها بمحاربة تركيا

وأوضحنا كذلك أن العلائق بين روسيا والبروسيا صارت جيدة متينة وان مساعدة البروسيا للروسيا في حرب القرم

وبيوت عامرة . وكان ذلك عقب فتنة صغيرة قام فيها بعض المسلمين على بعض المسيحيين وأصيب فيها قنصل فرنسا وقتلت زوجته . ولم يكن لعمل انكلترا معنى ولا ضرورة لان الدولة العلية كانت قد أرسلت مندوبا عاليا من لديها لتحقيق الامر ومعاينة المعتدين

أما فرنسا فقد استعملت تفوذها في تركيا الذي ازداد بعد حرب القرم كما قدمنا لاعلاء كلمتها في الشرق فأرسلت جيشا فرنساويا الى الشام عام ١٨٦٠ بحجة مساعدة الدولة العلية على قمع الفتنة التي أحدثها الخلاف والشحناء بين المارونية والدروز مع أزجيش الدولة كان كافيا لاعادة الامن والسكينة في هذه الديار . ولم تخرج العساكر الفرنسية من الشام الا في ٥ يونيو عام ١٨٦١

هذه هي النتائج الخطيرة التي أنتجتها حرب القرم ومنها يعلم القارىء حظ كل دولة في هذه الحرب وخطة الدول نحو الدولة العلية وكنه مقاصد كل واحدة منها وحقيقة أغراضها

بقوذهما في الاستانة فاستعملتاه في سبيل مصالحهما . فان
الهنود كادوا يطردون الانكليز من بلادهم في ثورة سيباى
الشهيرة عام ١٨٥٦ لولا تدخل المرحوم السلطان (عبدالمجيد
خان) فانه أصدر منشورا — بناء على رجاء انكلترا —
لمسلمى الهند امرهم فيه بالركون الى السكينة والطاعة لحكومة
جلالة الملكة (فيكتوريا) . ومعلوم أن المسلمين في الهند
أقوياء ولهم شأن عظيم وكلمة نافذة وكلهم يحترمون خليفة
الاسلام ويجلوناه أعظم اجلال . فلما وصل اليهم منشور جلالته
وضعه على رؤوسهم وعملوا بما أمرهم به . فألقوا أسلحتهم وانتهت
بذلك الثورة وتوطدت سلطة الانكليز في الهند بعد اضمحلالها
وانه ليتبادر للذهن ان انكلترا شكرت الدولة العلية على
عمل سلطانها الاعظم أو اعترفت لها بالجميل . نعم انها اعترفت لها
بالجميل ولكن بمعاداتها والاعتداء على بلادها ! فانها سلطت
في عام ١٨٥٨ — أى بعد عامين من ثورة سيباى — احدى
سفنها الحربية الضخمة على ثغر (جدة) فاستمرت تدمر فيه
نحو عشرين ساعة أسيلت فيها دماء كثيرة وخربت منازل

فانها أرسلت الى مؤتمر باريس كما قدمنا الكونت (كافور)
الشهير الذي استلقت أنظار مندوبي الدول الى حالة ايطاليا
ومظالم النمسا وحمل على الحكومة النمساوية حملة شديدة
كان لها رنة ودوى في كل أصقاع العالم . ومن حسن حظ
البيمونتي ان (نابليون الثالث) كان مغرما بتحرير البلاد
النازعة للاستقلال وكان ميله لايطاليا أشد من ميله لسواها
خصوصا وان بغضه للنمسا كان عظيما بعد حرب القرم لتلاعب
هذه الدولة في سياستها وعدم وفائها في وعودها مع فرنسا
وانكلترا . ولم تمض الا سنون قلائل بعد حرب القرم حتى
نالت ايطاليا استقلالها وتكونت وحدتها . فكانت بذلك
حرب القرم سببا لسقوط مقاطعتين مهمتين من أملاك النمسا
في قبضة البروسيا وسببا لاستقلال المجر استقلال اداريا وسببا
 لخروج ايطاليا من تحت نير النمسا واستقلالها وتكوين وحدتها
وبالجملة كانت حرب القرم سببا لضعف النمسا وتقويض
أركان مملكتها

وقد اكتسبت انكلترا وفرنسا من هذه الحرب ازدياد

الاسرود لم تكن الا معاكسة وقتية كما أظهرته جليا لحوادث
بعد مؤتمر باريس

أما الدولة التي استفادت كثيرا من هذه الحرب فهي
دولة البروسيا فانها استمات اليها الروسيا بخطتها نحوها
وأوجدت عندها كراهة شديدة للنمسا التي لم تساعد ضد
تركيا كما ساعدتها هي في قمع الثورة المجرية عام ١٨٤٩
وأحدثت البروسيا بين النمسا وبين حكومات الاتحاد
الجرماني شقاقا كبيرا . فحمل البروسيا كل ذلك على محاربة
النمسا عام ١٨٦٦ هذه الحرب التي ساعدت الروسيا فيها
البروسيا مساعدة مغنوية وانتهت باستيلاء البروسيا على
مقاطعتين من أملاك النمسا وقد تمت نتائج هذه الحرب
بهزيمة فرنسا أمام البروسيا عام ١٨٧٠ وتكوين الوحدة الالمانية
ومن أهم نتائج حرب عام ١٨٦٦ على النمسا غير فقدتها
مقاطعتين مهمتين استقلال المجر منها استقلال اداريا . وهي
أيضا نتيجة من نتائج حرب القرم
وقد استفادت كذلك من حرب القرم حكومة البيمونتي

الاسباب التي تحتم ضرورة بقاء الدولة العلية
واذا كانت الدولة العلية قد اكتسبت من حرب القرم
هذه النتيجة المهمة فانها لم تكسب غيرها شيئاً ما فقدت
المال والرجال وأضاعت نفيس وقتها ولم تأخذ من بلاد الروس
بلداً واحداً بل انسلخت عنها في الحقيقة (الافلاق والبغدان)
وقد خدعتها الدول بمنحها امتيازات أثبتت الحوادث بعد انهم
لا يفيدونها شيئاً مذكوراً . فقد تعهدت الدول كلها بضمانة
استقلال الدولة العلية وسلامتها وأرنتنا الحوادث أن دول
أوروبا نفسها سلخت من الدولة العلية جملة بلاد باسم هذا
المبدأ نفسه مبدأ ضمانه استقلال الدولة العلية وسلامتها .
واتممت الدول كذلك على اعتبار الدولة العلية دولة أوروبية
وقبولها في المجتمع الاوروبي . ولم تر الدولة لهذا الامتياز
فائدة ما بل كانت نتيجة جرب البلايا عليها بازدياد تداخل
أوروبا في شؤونها الداخلية

وقد خرجت روسيا من هذه الحرب سليمة لم تخسر
فيها غير المال والرجال شيئاً . ومعاكسة الدول لها في البحر

انتهت هذه الحرب بنتائج مختلفة نأتى عليها واحدة
بعد أخرى

تبين للقارىء ان هذه الحرب أصلها مشكلة الاماكن
المقدسة والخلاف بين الكاثوليكين والارثوذكس . وطالما
كانت تؤمل كل دولة من الدول الاستيلاء على الشام والقبض
على زمام الكنائس بيت المقدس فجاء الخلاف بين فرنسا
والروسيا بشأنها دليلا على أن هذه الاماكن المقدسة يجب
أن تبقى الى الابد فى أيدي الدولة الاسلامية العظمى لانها
الدولة الوحيدة التى تقدر أن تحفظ الموازنة بين كل الديانات
فى بيت المقدس وتعطى كل ذى حق حقه . وانه لو تركت
الاماكن المقدسة لدول أوروبا لوقع بينها وبين بعضها شقاق
عظيم وقامت حرب دموية لنزوع كل واحدة منها الى امتلاكها
ورغبة كل دولة فى سبق غيرها الى الاستيلاء عليها .

فدفعنا لهذا الخطر الجسيم يجب أن تبقى هذه الاماكن
فى أيدي الدولة العلية العادلة الامينة . وقد أدرك سواس
أوروبا ذلك وعلموا أن مشكلة الاماكن المقدسة هي من أهم

العلية في هذا المؤتمر

وقد اتفق مندوبو الدول في هذا المؤتمر بغير صعوبة على الشروط التي عرضتها من قبل فرنسا وانكلترا والنمسا والتي أتينا عليها ولم يختلفوا الا في قبول طلب (نابليون الثالث) بشأن ضم الافلاق والبغدان الى امارة واحدة فقرروا النظر في هذا الامر بعد انتهاء المؤتمر

ولم يمض على مؤتمر باريس عامان حتى قررت الدول في باريس نفسها بتاريخ ١٩ أغسطس سنة ١٨٤٨ جعل هاتين المقاطعتين امارة واحدة تحت ضمانه الدول

وقد أمضت الدول الاوروبية على عهدة باريس في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ وأعلن قفل المؤتمر في ١٦ ابريل من السنة نفسها بعد ان تناقش أعضاؤه في جملة مسائل أهمها المسئلة الايطالية التي عرضها على المؤتمر الكونت (كافور) ووجه أنظار الدول اليها ولكن المؤتمر لم يقرر شيئاً في هذه المسائل واكتفى بالاتفاق على بعض شروط خارجية عن عهدة باريس مختصة بالملاحة والتجارة

ضرر باستقلال السلطان وسيادته العالية
خامسا جواز وضع شروط جديدة اذا اقتضت مصلحة
أوروبا ذلك

فأجابت روسيا على انذار دول فرنسا وانكلترا
والنمسا في ٥ يناير عام ١٨٥٦ بقبول الشروط الاربعة الاولى
ورفض الشرط الخامس لابهامه ولكن البروسيا خافت
اشتعال نيران حرب عمومية في كل أوروبا تقوم معها الثورات
والاضطرابات فنصحت روسيا بقبول المطالب الخمسة
والخروج من هذه الازمة الخطرة عليها وعلى مصالحها .
فاتبعت روسيا نصيحة البروسيا وأبلغت الدول رسميا في
١٦ يناير عام ١٨٥٦ قبولها لشروطها كلها

فاجتمع عندئذ المؤتمر الدولي بباريس في ٢٥ فبراير عام
١٨٥٦ وعقدت جلساته تحت رئاسة الكونت (والوسكى)
وزير خارجية فرنسا واشتركت الدولة العلية والروسيا فيه كما
اشتركت حكومة اليمونتي التي أرسلت نائبا عنها الكونت
(كافور) الشهير . وكان (عالى باشا) مندوبا عن الدولة

على صورة الانذار وأرسلته بالفعل لقيصر روسيا بتاريخ ١٦
دسمبر عام ١٨٥٥ وأعلنته بوجوب قبوله قبل تمام شهر أى
قبل ١٧ يناير عام ١٨٥٦ . وهذا الانذار يشتمل على الشروط
الآتية

أولاً جعل المقاطعات الدانوبية تحت رعاية الدول
العظمى وضمانتها ومنع الدولة العلية من ارسال
جنودها اليها بدون تصريح الدول . وتعديل
الحدود من جهة البسارايا

ثانياً تقرير حرية الملاحة في نهر الدانوب تحت ضمانات الدول

ثالثاً جعل البحر الاسود حراً . ويعمل لذلك اتفاقية

خصوصية بين روسيا والباب العالي تضمنها

الدول بعد . وقبول الدولة العلية في المجتمع الاوروبي .

وعرض كل خلاف يقع بينها وبين احدي الدول على

بقية الدول وتقرير مبدأ قفل بوغازى الاستانة

والدردانيل

رابعاً تأكيد حقوق المسيحيين في تركيا بدون الحاق

الاولى نحوها ولما كان من صالح انكلترا ان تضعف نفوذ
الروسيا في بحر البلطيق اتحدت هي وفرنسا اتحاداً دفاعياً مع
حكومة السويد التي كانت ألد عدوة للروسيا وقتئذ وكانت
تطمح لاسترجاع (فنلندا)

وجرى في هذه الاثناء ان (فيكتور امانويل) ملك
البيمونتي ذهب الى باريس برفقة وزيره الشير (كافور) فانتهز
الامبراطور (نابليون الثالث) هذه الفرصة للانتقام من النمسا
التي خدعته وخذعت انكلترا في حرب القرم فاستقبل ملك
البيمونتي ووزيره أحسن استقبال ووعدهما بالمساعدة على
تحرير ايطاليا وتكوين وحدتها فاضطربت الحكومة النمساوية
وخافت شر العاقبة وأبلغت في الحال حكومتى فرنسا وانكلترا
أنها مستعدة لان ترسل معهما انذارا للروسيا تهددها فيه
بإعلان الحرب عليها اذا رفضت مطالب الدول الثلاث .
وسألت الحكومة النمساوية فرنسا وانكلترا أن تمضيا معها
على اتفاقية تضمن امام العالم استقلال الدولة العلية وسلامتها
فقبلت فرنسا وانكلترا طلب النمسا واتفقت الدول الثلاث

وانتهى بسقوط (سباستوبول) في أيدي الجيوش المتحدة
وقد أحدث سقوط (سباستوبول) تأثيراً هائلاً في كل
أوروبا وانتظر العالم كله إيقاف الحرب وعقد الصلح بين
الروسيا ودول تركيا وفرنسا وانكلترا. ولكن الحرب بقيت
مستمرة واحتلت الجيوش المتحدة جملة مواقع مهمة منها مدينة
(قبرون) ولولا اقبال الشتاء لاستمرت الحرب بلا انقطاع
وفي أثناء الحرب استولت الاساطيل الفرنسية والانكليزية
علي ميناء (بتروباولوسك) واحتلت في بحر البلطيق
(بومارسند) وضربت (سفيابورج)

فلما رأت الروسية أن لا استطاعة لها على استمرار الحرب
بذلت جهدها في استمالة فرنسا لها وحل عقدة الاتفاق بين
هذه الدولة وبين انكلترا وأرسلت الى باريس جملة من عمالها
وصنائعها ليستميلوا اليها رجال السياسة الفرنسية والقابضين
على أزمة الرأي العام من الكتاب والخطباء فأظهر الامبراطور
(نابليون الثالث) استعدادة لمساعدة الروسية ولكنه وجدها
ترفض مطالب الظافرين فاضطر الى الاستمرار على خطته

الفرنساوية والانكليزية على اصدار أوامر جديدة لقواد
جيوشهما ببلاد القرم أمرتاهم فيها بأن يحملوا الحملة الاخيرة
على (سباستوبول) وعينت الحكومة الفرنسية في القرم
الجنرال (بيليسيه) بدل (كاروبر) على قيادة الجيش
الفرنساوي وأمرته بالزحف على قلاع ومعقل العدو فاستولى
بجيوشه في ٧ يونيو عام ١٨٥٥ مع مساعدة جيوش الدولة
العلية له على قلعة (ماملون فير) المعروفة بالقمة الخضراء .
وهجم في ١٨ يونيو على حصن (ملاكوف) فصدت الجيوش
الروسية عنه جيش فرنسا . فاستاءت لذلك فرنسا وانكلترا
وتركيا وجمعت قواها واتفق قواد هذه الجيوش المجتمعة
(عمر باشا) و (بيليسيه) و (سمبسون) و (لامارمورا) على
عمل مشترك للاستيلاء على (سباستوبول) فهاجمت الجيوش
المجتمعة في ٨ سبتمبر عام ١٨٥٥ مدينة (سباستوبول) حيث
احتل الجنرال الفرنسي (ماك ماهون) قلعة (ملاكوف)
ابعد موت الكثيرين من جنود الدول المتحدة ومن جنود دولة
الروسيا . وكان ذلك اليوم مشهوداً ومن أكبر أيام الحروب

مرة جديدة تحديد عدد سفن روسيا في البحر الاسود وضمانها مع الدول لاستقلال الدولة العلية وعرض على دول أوروبا قفل بوغازى الاستانة والدردانيل كما تعهدت به الدول في معاهدة عام ١٨٤١ واعطاء الباب العالى حق فتحهما عند الحاجة لسفن الدول المتحالفة معه . فلم يحصل بذلك الاتفاق بين مندوبي الدول وأوقفت جلسات المؤتمر للمرة الثانية في ٢٧ ابريل عام ١٨٥٥ . وفى أوائل يونيه أعيد عقد المؤتمر للمرة الثالثة ولكن مندوبى الدول تضاربت آراؤهم كما حصل في المرة الاولى والثانية ولم يجدوا سبيلا للاتفاق فأعلن قفل المؤتمر نهائيا بلا نتيجة تذكر

*
* *

وقد رأت فرنسا وانكلترا أنهما صارتا في أشد حاجة للاتفاق بعد خيبة المؤتمر الدولى فسافر الامبراطور (نابليون الثالث) الى لوندرة لزيارة الملكة (فيكتوريا) حيث قوبل فيها بغاية الاجلال والاكرام . وبعد زمن قليل من زيارته ردت له الملكة زيارته بباريس . وبعدئذ اتفقت الحكومتان

الكثيرون من نصاحه ووزرائه

وفي ٢ مارس من السنة نفسها (١٨٥٥) توفي القيصر
(نيقولا الاول) وتولى بعده القيصر (اسكندر الثانى)
فأعلن لاوروبا رغبته فى السلم وميله الى عقد الصلح مما اطمأنت
له خواطر الكثرين من رجال السياسة وحمل فرنسا على
طلب عقد مؤتمر دولي جديد بفيينا حيث قبل طلبها وعقد
المؤتمر في ١٦ مارس

ولما عقد المؤتمر اتفق مندوبو النمسا وانكلترا وفرنسا
وتركيا والروسيا على شرطى اعلان عدم حماية روسيا للمقاطعتى
الافلاق والبغدان وحرية الملاحة فى نهر الدانوب . أما ما يختص
بضمانة استقلال الدولة العلية وسلامتها فقد صرح مندوبو
الروسيا بأن دولتهم تحترم استقلال تركيا ولكنها لا تقبل
الاشتراك مع الدول فى أمر ضمانته وقد رفضت روسيا
كذلك الشرط الرابع وهو المتعلق بتحديد عدد سفنها فى
البحر الاسود . فأوقفت بسبب ذلك جلسات المؤتمر فى ٢٧
مارس عام ١٨٥٥ . ولما أعيد عقد المؤتمر رفض (غورتشاكوف)

للصدور وقتئذ ضد النمسا المسيو « دى بسمارك » الطائر
الصيت وكان عضواً بالمجلس المشترك لحكومات الاتحاد
الجرماني بفرانكفور ومسموع الكلمة عند حكومته
« البروسيا » وقد أظهر بمهارته السياسية الفائقة لحكومة البروسيا
وحكومات الاتحاد الجرماني ان خير وسيلة لمساعدة روسيا
هى جمع العساكر البروسيانية والجرمانية على الحدود امام
الحدود الفرنسية لتخشى فرنسا شأنها ويرجع « نابليون
الثالث » عما كان عزم عليه من ارسال جيش جرار الى
النمسا مخترقاً به البلاد الجرمانية لمحاربة الروسيا وجعلها بين
نار جيوشه من جهة مقاطعتى الافلاق والبغدان وبين نار
الجيوش المتحدة من جهة القرم. وقد أفلحت سياسة « بسمارك »
وعدل (نابليون الثالث) عن مشروعه عند ما علم بوقوف
الجنود البروسيانية والجرمانية امام حدود فرنسا .

وقد خطر على بال (نابليون الثالث) عندئذ أن يسافر
بنفسه الى الشرق ويتولى القيادة العامة على جيوش تركيا
وفرنسا وانكلترا ولكن انكلترا عارضته فى رغبته كما عارضه

لتكوين الوحدة الايطالية وأصلا لها . وما عقدت هذه
الاتفاقية حتى سافرت الى تركيا الجنود البيمونتية تحت قيادة
الجنرال (لامارمورا)

وفي هذا الوقت نفسه تقدم القائد العثماني (عمر باشا)
الى مدينة (ايباتوريا) — التي هي أيضا ثغر من ثغور
بحيث جزيرة القرم — وانتصر على الجيوش الروسية فيها
نصراً مبیناً في ١٧ فبراير عام ١٨٥٥ وانضم بعد هذا النصر
الى جيوش الدولة وجيوش فرنسا وانكلترا المحاصرة لمدينة
(سياستوبول)

ولما رأت النمسا أن فرنسا وانكلترا أساءتا الظن بها
ورضيتا بمساعدة البيمونتية اجتهدت في ارضائهما والاشتراك
معهما في العمل فعرضت على البروسيا وحكومات الاتحاد
الجرماني أمر استعدادها للحرب وعزمها على ارسال جنودها
ضد روسيا فرفضت طلبها بأشنع صورة ووجهت اليها الملام
العنيف على اتباعها ارشادات فرنسا وانكلترا بدون مراعاة
مصلحة البروسيا والحكومات الجرمانية . وكان الموغر

أى تفسير الدول الواضحة للقرار واستمرت المناقشات طويلاً قبل عقد المؤتمر نفسه

وقد أحس مندوبو فرنسا وانكلترا أن النمسا تخدع دولتيهما وتعمل على عدم الوفاء بتعهداتها . فأبلغوا حكومتيهما بذلك وأشاروا عليهما بعقد اتفاق بينهما وبين حكومة « اليمونتي » انتقاماً من النمسا . وقد كانت الامراض والحميات أضرت بالجيش الفرنسي والانكليزية ضرراً بليغاً وشدة البرد عطلت الاعمال الحربية . فاتفقت فرنسا وانكلترا مع « فيكتور راما نويل » ملك اليمونتي على مساعدة حكومته لهما ضد الروسيا وارسال ثمانية عشر الف مقاتل . وأمضى (كافور) الشهير وزير اليمونتي على هذه الاتفاقية في ٢٦ يناير سنة ١٨٥٥ . وقد سر (كافور) بها سروراً عظيماً لعلمه بأن اشتراك اليمونتي مع فرنسا وانكلترا في الحرب ضد الروسيا يجعل لبلاده شأنًا يسمح له بعرض المسئلة الإيطالية على الدول وقت المناقشة في شروط الصلح بعد اتمام الحرب ولذلك يعتبر المؤرخون اتفاقية ٢٦ يناير عام ١٨٥٥ مصدراً

وعاملة على انقاذها فلما علمت باتفاق النمسا مع فرنسا وانكلترا
خند روسيا سعت في تأخير تنفيذ هذا الاتفاق لتكتسب
الروسيا زمنا تستطيع فيه تحسين أحوال جيشها وتقويته وليسهل
للبروسيا حل الاتفاق بين النمسا وفرنسا وانكلترا أو على
الأقل اضعافه فأشارت على الحكومة الروسية أن تعلن النمسا
يقبولها لقرار ٨ أغسطس عام ١٨٥٤ وتسألها عقد مؤتمر بيننا
للمناقشة فيه . فسرت النمسا بذلك وحسبت روسيا صادقة
في بلاغها وطلبت من فرنسا وانكلترا ارسال مندوبين من
قبلهما لحضور المؤتمر . فرضيت الدولتان بذلك ولكنهما
طلبتا من النمسا ارسال مذكرة مشتركة للبرنس (غورتشاكوف)
الذي كان عين سفيراً للروسيا ببنينا توضح فيها الدول الثلاث
معنى قرار ٨ أغسطس السالف الذكر . فلم تجد النمسا مناصا
من القبول وحررت المذكرة وأرسلتها في ٢٨ ديسمبر عام
١٨٥٤ مفسرة لمعنى قرار ٨ أغسطس . وبعد عشرة أيام من
تاريخ ارسالها أجاب البرنس (غورتشاكوف) بمذكرة فسر
فيها قرار ٨ أغسطس تفسيرا يناقض تفسير الدول الثلاث

الاشتراك معهما في الحرب ضد روسيا . ويعلم كل مطلع
على التاريخ أن النمسا كانت تبغض حكومة (اليمونتي)
الاطالية أشد البغض لعملها على تحرير ايطاليا كلها من تحت
نير النمسا . فلما علمت حكومة فيينا بأن (اليمونتي) على
وشك الاتحاد مع فرنسا وانكلترا خافت من مساعدة هاتين
الدولتين فيما بعد لهذه الحكومة الصغيرة وأبلغتهما أنها مستعدة
للاتفاق معهما وعقدت معهما بالفعل في ٢ ديسمبر عام ١٨٥٤
اتفاقا تضمن ان النمسا تتبع قرار ٨ أغسطس الذي أقرت عليه
الدول الثلاث وانها لا تتخابر بمفردها مع روسيا وانها تدافع
عن مقاطعات الافلاق والبغدان وصربيا ضد كل اعتداء وان
فرنسا وانكلترا تتعهدان للنمسا بمساعدتهما ماديا اذا قامت
الحرب بينها وبين روسيا . وانه اذا لم يتم الصلح قبل أول
يناير عام ١٨٥٥ بالشروط التي قررتها الدول الثلاث في ٨
أغسطس عام ١٨٥٤ اجتمع مندوبوها وتداولوا في الوسائل
الفعالة التي توصلها الى مرامها

ويعلم القارئ مما سبق ان البروسيا كانت ميالة للروسيا

الاتحاد الجرمانى على هذا القرار ولكنها لم تقبل منه الا الشرطين الاولين ورفضت الآخرين وأعلنت النمسا انها لا تتحد معها الا اذا تعهدت بمنع الجيوش التركية والفرنساوية والانكليزية من الهجوم على المقاتلين أو محاربة الروسيا من هذه الجهة . فخارت النمسا فى أمرها لانه كان لا يمكنها قبول هذا الطاب بغير تكدير علائقها مع حكومات تركيا وفرنسا وانكلترا

وفى هذه الاثناء انتصرت الجيوش التركية والفرنساوية والانكليزية على الجيوش الروسية انتصارات باهرة فقهرتها على شواطىء نهر (ألمانيا) واستولت على مواقع مختلفة وفى ٢٥ اكتوبر عام ١٨٥٤ هزمت الجيوش المتحدة جيوش القيصر فى (بلاكلاوا) وفى ٥ نوفمبر هزمتها فى (انكرمان) وكان حصار (سباستوبول) لا يزال مستمرا

وقد رأت فرنسا وانكلترا ان النمسا تماطلهما كثيرا فى أمر الاتفاق معهما اتفاقا نهائيا صريحا فافتكرتا فى طريقة تحملها على الاتفاق معهما وهى دعوة حكومة (البيمونتي) الى

لوضع هاته الشروط . فلما وصل هذا الخبر الى ملك البروسيا
أوعز الى امبراطور الروسيا باعلان اخلاء المقاطعتين من الجنود
الروسية مؤملا بذلك تعطيل أعمال مندوبي الدول الثلاث
بفينا . ولكنهم لبشوا مجتمعين بضعة أيام قرروا فيها (يوم
٨ أغسطس عام ١٨٥٤) ان العلاقات السياسية بين تركيا
والروسيا لا تعود لجراها الاول : أولا اذا بقيت حماية الروسيا
على مقاطعات الافلاق والبغدان وصربيا واذا لم توضع
الامتيازات التي منحها الباب العالي لهذه المقاطعات تحت
ضمانة الدول كلها . ثانيا اذا بقيت الملاحة في الدانوب غير
حرة . ثالثا اذا لم تغير الدول معاهدة ١٣ يوليو عام ١٨٤١
رابعا اذا استمرت الروسيا مدعية ان لها حق حماية المسيحيين
كلهم أو بعضهم في الدولة العلية واذا لم تضمن أوروبا كلها
استقلال الدولة العلية وسلامتها

وقرر مندوبو الدول بألا تحيد دولهم بعد عن هذا
القرار والا يعقد الصالح الا بقبوله
وقد أرادت النمسا ان تصدق البروسيا وحكومات

المقاطعتين . واتفقتا عندئذ على تجريدة (القرم) والهجوم على مدينة (سباستول)

وقد انقذت روسيا من اخطار هائلة وخسائر جمة بتحول الجيوش الفرنسية والانكليزية بعد التركية عن مقاطعتي الافلاق والبغدان اتباعا لرجاء النمسا . والفضل في ذلك للبروسيا التي أوعزت لحكومات الاتحاد الجرمانى باشتراط هذا الشرط على حكومة النمسا

فلما تحققت روسيا من ميل البروسيا وحكومات الاتحاد الجرمانى اليها أرسلت للنمسا بتاريخ ٢٩ يونيو عام ١٨٥٤ جوابها على انذارها مبينة انها لا تستطيع الرضاء باخلاء المقاطعتين من جنودها الا اذا قدمت لها النمسا ضمانات كافية وأعلنت عدم اتحادها مع فرنسا وانكلترا وتعهدت بمنعها من محاربة الروسيا فى الافلاق والبغدان . فرأت النمسا عندئذ ضرورة الاتفاق مع فرنسا وانكلترا على شروط جديدة لتسوية الخلاف بين الروسيا وتركيا تكون بمثابة انذار جديد للروسيا . وجمعت بفيينا مندوبى فرنسا وانكلترا مع مندوبىها

ولما لم يستطع (غورتشاكوف) الاستيلاء على
(سيلستريا) رفع عنها الحصار وسحب جيوشه عائدا الى
الوراء وعندئذ اتفقت النمسا مع الباب العالي بتاريخ ١٤
يونيو سنة ١٨٥٤ على احتلالها لمقاطعتي الافلاق والبغدان
وصد هجمات الروسية عنهما ومساعدة عساكر فرنسا
وانكلترا في حركاتهما الحربية الا ان البروسيا كانت عاملة
كما قدمنا على معاكسة النمسا في خططها فأوعزت الى حكومات
الاتحاد الجرمانى باشتراط جملة شروط للتصديق على الاتفاقية
التي عقدت بين الروسية والنمسا في ٢٠ ابريل فعملت هذه
الحكومات الصغيرة بايعاز البروسيا واشترطت عدة شروط
منها اشتراكها في المخبرات التي ستجرى بين الدول بشأن
المسئلة الشرقية ومنها انه اذا كانت النمسا ستجبر روسيا على
اخلاء مقاطعتي الافلاق والبغدان يجب عليها كذلك ان
توقف سير انكلترا وفرنسا وتجبرهما على الامضاء على هدنة .
فاضطرت النمسا لقبول هذه الشروط ورضيت فرنسا
وانكلترا بناء على رجائها بالانسحاب لجيوشهما من جهة

كانت على الدانوب وكان يسهل التغلب عليه وقهره اذا ساعدت النمسا دول تركيا وفرنسا وانكاثرا غير ان النمسا كانت تأبى العمل ضد روسيا قبل اتفاقها على ذلك مع البروسيا فخبرت هذه الدولة التي كان من صالحها خدمة روسيا بدون أن يدرك ذلك أحد وطالت المخابرات بينهما وانتهت بعقد اتفاقية بين النمسا والروسيا بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٨٥٤ تضمنت ان النمسا ترسل لحكومة روسيا انذارا بعدم تقدم جنودها وبانسحابها من مقاطعتي الافلاق والبغدان وان النمسا والبروسيا تعلنان الحرب على روسيا اذا عبرت البلقان أو أعلنت استيلاءها على المقاطعتين

وقد وجهت البروسيا عنايتها بعد عقد هذه الاتفاقية الى ابطال مفعولها مع بقاءها وأخرت ارسال النمسا للانذار المتفق عليه مؤملة استيلاء الجيوش الروسية في هذه الاثناء على مدينة (سيليستريا) التي كانت محاصرة لها والتي لم تستطع الاستيلاء عليها . ولم ترسل النمسا انذارها للروسيا الا في ٣ يونيه عام ١٨٥٤

عليه من الدولتين . فعقدت فرنسا وانكلترا عندئذ في ١٢ مارس سنة ١٨٥٤ تحالفا مع الدولة العلية ضد روسيا اشترط فيه باديء بدء ان فرنسا ترسل خمسين ألف جندي الى تركيا وان انكلترا ترسل خمسة وعشرين ألفا ولكن الحرب اقتضت ارسال جنود كثيرة حتى ان فرنسا وحدها فقدت في ساحة القتال فوق المائة ألف جندي واشترط في هذا التحالف ان دولتي فرنسا وانكلترا تسحبان جنودهما في مدة خمسة أسابيع بعد عقد الصلح مع روسيا . واشترط كذلك ان دولتي فرنسا وانكلترا ترسلان أساطيلهما الى البحر الاسود . وبالفعل استولت فرنسا وانكلترا على البحر الاسود وأرسلتا جيوشهما الى الدانوب . ولقمع الثورة في تساليا وييرا أرسل جزء من هذه الجيوش الى هايتيك الجهات فقمعت الثورة في زمن يسير وعادت السكينة بعد الاضطراب



وبعد ان اتفقت فرنسا مع انكلترا ضد روسيا اجتهدت الحكومتان في استمالة النمسا اليهما لان قوة الجيش الروسى

في ضم النمسا والبروسيا اليهما ضد روسيا . غير ان ملك
بروسيا رفض الاشتراك في الحرب ضد روسيا وأبلغ
حكومات فرنسا وانكلترا والنمسا بانه مستعد للاتفاق معها
على بعض قواعد سياسية تكون فيما بعد أساساً لتسوية
الخلاف بين روسيا وتركيا . فقبلت الدول الثلاث ذلك
 واجتمع مندوبو البروسيا والنمسا وانكلترا وفرنسا في فيينا
مرة رابعة وأمضوا على بروتوكول (مذكورة) ٩ ابريل
سنة ١٨٥٤ المشتمل على القواعد الآتية : أولا استقلال
الدولة العلية . ثانياً انجلاء العساكر الروسية من مقاطعتي
الافلاق والبغدان . ثالثاً استقلال الحكومة العثمانية في
أعمالها وترك الحرية التامة لها في منح رعاياها المسيحيين
الامتيازات اللازمة . رابعاً الاتفاق على الضمانات اللازمة
لتنظيم العلاقات السياسية للدولة العلية مما يضمن سلامة
التوازن الاوروبي

وعند ما وصل انذار فرنسا وانكلترا السابق الذكر الى
القيصر (نيقولا الاول) رفضه رفضاً باتاً وقبل اعلان الحرب

ووعده بالبقاء على الحيادة اذا قبلت روسيا هذا الشرط
ولكن روسيا وجدت قبوله يضر بها ضررا عظيما في الحرب
فرفضته وحملت بذلك النمسا على أن ترفض طلبها البقاء على
الحيادة وان تحفظ لنفسها حرية تامة في العمل

وقد رفضت البروسيا أيضا طلب روسيا بالرغم عن
قراة القيصر (نيقولا الاول) للملكها وتحقيق القيصر عندئذ
أنه لا نصير له بين دول أوروبا وانه سيحارب تركيا وحده .
فرفض مذكرة الدول الاربع التي أرسلت اليه في ١٣ يناير
سنة ١٨٥٤ وأجاب على كتاب ودى أرسله اليه (نابليون
الثالث) امبراطور فرنسا نصحه فيه بقبول مطالب الدول
بان شرف روسيا يحتم عليها الحرب . وبقي بذلك على عناده
الاول غير حاسب لنتائج الحرب حسابا

فلما علمت الحكومة الفرنسية والحكومة الانكليزية
بنوايا القيصر أرسلتا الى حكومته بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٨٥٤
انذارا هددتاها فيه بوجود اخلاء مقاطعتي الافلاق والبغدان
والا أعلنتا عليها الحرب واجتهدت فرنسا وانكلترا بعد ذلك

وانكلترا والنمسا والبروسيا لهذا الاستقلال . ثانيا انجلاء
العساكر الروسية من مقاطعتي الافلاق والبغدان . ثالثا
تجديد الضمانات المقدمة من أوروبا للدولة في عام ١٨٤١ .
رابعا احترام أوروبا كلها وفي مقدمتها روسيا لاستقلال
الحكومة العثمانية في كل أعمالها داخلية كانت أو خارجية .

فلما عرضت هذه الشروط على سفراء البروسيا والنمسا
بفرنسا بفيينا قبلوها وصدقوا عليها وكانوا حكومة النمسا
في ١٣ يناير سنة ١٨٥٤ بتبليغها للروسيا . وبقيت الدول
منتظرة جواب روسيا على انذار فرنسا وانكلترا أولا وعلى
مذكرة الدول الاربع ثانيا الا أن القيصر (نيقولا الاول)
كان لا يزال مؤملا مساعدة البروسيا والنمسا فarsل الى
برلين البارون (دى بودبرج) والى فيينا الكونت (أورلوف)
ليسألا الحكومتين البروسية والنمساوية ان تبقيا على الحيادة
أثناء الحرب ويعدهما القيصر مقابل ذلك بدعوتهما بعد
الاشتراك معه في حل المسئلة الشرقية . فطلبت النمسا من
الكونت (أورلوف) ألا تعبر الجنود الروسية نهر الدانوب

الانكليزية الى البحر الاسود . فازداد تهيج الرأي العام الانكليزي واضطر (أبردين) الى دعوة بالمرستون لسحب استعفائه والعودة للوزارة تاركاً له قيادة السياسة الانكليزية كما يرى ويشاء فأرسل (بالمرستون) الاساطيل الانكليزية الى البحر الاسود حسب طلب الدولة العلية . وفي ٢٧ ديسمبر أرسلت فرنسا وانكلترا مذكرة مشتركة للروسيا أعلنتها فيها بوجوب سحب مراكبها وسفنها من البحر الاسود وبأن أساطيلها داخلية الى هذا البحر وبأنهما تسمحان للدولة العلية بترك مراكبها وسفنها فيه . فكان الاعلان في الحقيقة اعلاناً للحرب من فرنسا وانكلترا على روسيا . ولم ترض حكومتا الدولتين التصريح به علناً لاشتغالهما بأمر اتمام التجهيزات الحربية .

كل هذه الحوادث كان من شأنها ازدياد حيرة النمسا فعادت هذه الدولة مرة ثالثة الى مخابرة الدولة العلية وبقية الدول في أمر منع الحرب فطلبت من الدولة ايضاح الشروط التي تطلبها لعقد الصلح فأجابتها الدولة بأن شروطها أربع : أولاً اعلان استقلال بلادها وأراضيها وضمان دول فرنسا

بقيادة (عبدنه باشا) مأتاه مثيله بقيادة (عمر باشا) حيث دخل الاراضى الروسية وهزم جنودها واحتل قلعة (سانت نيقولا). فازعجت القيصر هذه الانتصارات الباهرة وانتقاما من تركيا أمر أسطوله بالبحر الاسود أن يدمر أسطولها ففاجأه في ميناء (سينوب) وأرسل عليه نيرانه حتى دمره بعد مجهودات عظيمة

فلما وصل خبر واقعة (سينوب) الى المرحوم السلطان (عبد المجيد خان) أرسل الى دولتي فرنسا وانكلترا يسألهما ارسال أساطيلهما الى البحر الاسود لحماية الموانى العثمانية. فأجابت الحكومة الفرنسية الطلب بدون امهال بخلاف الحكومة الانكليزية فانها تأخرت لعدم ميل (أبردين) رئيس الوزارة الانكليزية الى الحرب وأمله في حل المسئلة خلا سلميا. غير ان رأى انعام الانكليزى كان ميالا الى الحرب متهيجا ضد روسيا وكان (بالمرستون) وزير خارجية انكلترا من أكبر أنصار الحرب فقدم استعفاؤه في ١٥ دسمبر عام ١٨٥٣ عند مارأى تأخر (أبردين) فى ارسال الاساطيل

أظهر لدول أوروبا ميله للسلم ورغبته في تسوية المسئلة تسوية سلمية . وكان قصده بذلك اغفال الدولة العلية عن اتمام تجهيزاتها الحربية واضعافها بالاضطرابات والثورات . وقد اغترت النمسا بتصريحات القيصر وحسبتها صادرة عن اخلاص جمعت سفراء الدول بفيينا ثانية في مؤتمر . وقررت معهم في ٥ ديسمبر سنة ١٨٥٣ أمرين الاول المحافظة على استقلال الدولة العلية والثاني استقلال الحكومة العثمانية تمام الاستقلال في ادارتها وأعمالها الداخلية . وأرسلت النمسا مع هذا القرار مذكرة للباب العالي سألته فيها أن يخبر الدول في أقرب وقت على أى شروط يقبل المخاربة مع روسيا في أمر الصلح

ولكن جيوش الدولة كانت قد سارت تحت قيادة (عمر باشا) وهزمت الجنود الروسية هزيمة عظيمة اهتزت لها أوروبا كلها وانتهت باسترجاع الدولة لمقاطعة الافلاق الصغرى وبإبعاد الجيوش الروسية من صربيا التي كان يجتهد الروسيون في تهيجها ضد الدولة . وفي آسياء أتى الجيش العثماني

الروسية بانجلاء العساكر الروسية من مقاطعة الافلاق
والبغدان وحدد له خمسة عشر يوماً أجلاً للجلء تبتدىء
الحرب بعدها اذا لم ينفذ البرنس (غورتشاكوف) طلب
(عمر باشا)

وقد كان القيصر « نيقولا الاول » مؤملاً قهر تركيا
ليس فقط بقوة جيوشه الجرارة بل بفضل الاضطرابات
والثورات التى كان يعمل عماله وصنائه لاحداثها فى الدولة
العلية . فان جملة من مهيجى اليونان قاموا فى مقاطعة تساليا
وايرا اللتين كانتا تحت حكم الدولة بتحريرى الاهالى على
العصيان فى وجه الحكومة العثمانية . وساعدت الحكومة
اليونانية وقتئذ هؤلاء المهيجين وسمحت لعدد عديد من
ضباطها وجنودها بالسفر سراً الى تساليا وايرا لنشر لواء
الثورة بالفعل . وكان القيصر يحرص من جهة أخرى شاه
العجم على محاربة الدولة العلية

ولما كان أمل القيصر وظيفدا فى نجاح ثوار اليونان
والوصول الى احداث الاضطرابات فى الدولة من كل جانب

وانكاثرا فاعتذر امبراطور النمسا عن قبول هذا الطلب مظهرا
للقصر أسفه من عدم امكانه مساعدته . فلما لم يجد من
امبراطور النمسا اقبالا على مساعدته طلب من ملك بروسيا
مقابلته وقابله وعرض عليه كذلك الاتحاد معه ولكن نتيجة
مسهاه عند ملك بروسيا كانت كنتيجة مسهاه عند امبراطور
النمسا

أما الدولة العلية فقد اهتمت باتمام تجهيزاتها الحربية ولم تغفل
شيئا من لوازم الحرب . وكان رأى العام العثماني متهيجا جدا
ضد الروسيا والمسلمون في حالة قلق وهياج عظيمين خصوصا
وان منشور القيصر لشعبه أبان لهم ان الحرب دينية صليبية
فاجتمعوا مئات وألوف امام سراى السلطان وطلبوا بأعلى
أصواتهم اعلان الحرب فلبت الدولة طابهم وبعد جلسة عقدت
من وزراء الدولة وكبرائها تحت رئاسة المرحوم السلطان
الغازى (عبد المجيد خان) وأعلنت الدولة الحرب على الروسيا
بتاريخ ٤ اكتوبر سنة ١٨٥٣ . وفي ٨ منه أنذر (عمر باشا)
قائد الجيوش العثمانية البرنس (غورتشاكوف) قائد الجيوش

وبرهن بذلك للعالم كله على عظيم اعتداله وسلامة أمياله مما شجع النمسا على دعوة الدول لعقد مؤتمر بفيينا . وقد أجابت الدول دعوة النمسا واجتمع مندوبوها بفيينا في ٢٤ يوليو سنة ١٨٥٣ ولم تقبل روسيا الاشتراك في هذا المؤتمر بل اكتفت بأن وعدت الدول بقبول ما تقرره فيه أن وافق مصالحها .

وقد أقر هذا المؤتمر على قرار مبهم العبارة والمعنى كان يسهل لسواس روسيا أن يفسروه حسب أهوائهم وأغراضهم فرفضته الدولة العلية منعاً للمشاكل . فلما رأت فرنسا وانكاثرا ان الاتفاق مستحيل وان الروسية عاملة على منعه وايقاد نيران الحرب أمرتا أسطوليها بعبور الدردانيل والوقوف أمام الاستانة . وكان ذلك بناء على طلب الباب العالي ورغبته وفي آخر سبتمبر سنة ١٨٥٣

وفي هذه الاثناء تقابل القيصر (نيقولا الاول) في مدينة (اولوتز) مع الامبراطور (فرنسوا جوزيف) امبراطور النمسا وطلب منه الاتحاد معه ضد تركيا وفرنسا

مقاطعتي الافلاق والبغدان واحتلتها بعد أيام قليلة فاستولى
بذلك القلق على أفكار سواس الدول الأوروبية وعلى الخصوص
دولة النمسا التي كان موقفها حرجا للغاية فانها كانت لا ترضى
معارضة روسيا لما لهذه الدولة عليها من الايادي البيضاء في
قمع الثورة المجرية عام ١٨٤٩ ولانها الدولة الوحيدة التي تستطيع
مساعدها ضد الثورات فضلا عن ان روسيا كان في قدرتها
أن تهيج العنصر السلافي في بلاد النمسا ضد الحكوم
النمساوية . وكان من جهة أخرى اعتداء روسيا على الدول
الغربية مخالفا لمصلحة النمسا كل المخالفة وكان سواسها يعلمون
علم اليقين انها لو ساعدت روسيا استطاعت فرنسا وانكلترا
ان تهيج ضدها ايطاليا والمجر وبولونيا . فلذلك بقيت النمسا
حائرة في أمرها مضطربة في سياستها وغاية ما أقر عليه سواس
انهم سألوا الباب العالي الاّ يجعل جوابه على احتلال الروس
لمقاطعتي الافلاق والبغدان اعلان الحرب عليها بل مجرد
احتجاج على هذا الاحتلال حتى يسهل للنمسا مخاربة الدول
في حل المسئلة حلا سلمياً . فقبل الباب العالي سؤال النمسا

على الحكومة الروسية التي بقيت على عنادها ولم ترجع عن
قصدها

وعند ما علم القيصر (نيقولا الاول) بارسال الاساطيل
الفرنساوية والانكليزية الى الدردانيل غضب غاية الغضب
وزاد غضبه رفض الباب العالي للانذار الذي أرسله اليه المسيو
(دي نسلرود) وزير روسيا الاول فأصدر الى الشعب الروسي
بتاريخ ٢٥ يونيو من السنة نفسها منشورا بين له فيه انه أشهر
على تركيا حربا يجب عليه اعتبارها حرباً صليبية وجهاداً في
سبيل الارثوذكسية . وبعث كذلك (دي نسلرود) بمذكرة
الى الدول الاوروبية أظهر لها فيها ان الدولة العلية وانكلترا
وفرنسا جبرت روسيا على الحرب بأعمالها العدائية ضدها .
كأن وزير القيصر أراد أن يغالط أوروبا بهذه المذكرة أو
كانه نسي ان دولته هددت تركيا باحتلال مقاطعتي الافلاق
والبغدان وان فرنسا وانكلترا ما أرسلتا بأسطوليهما الى مياه
الدردانيل الا عند توقع اشتعال نيران الحرب

وقد هاجمت الجيوش الروسية في ٤ يوليو سنة ١٨٥٣

الافلاق والبغدان حتى هاج الرأي العام في انكلترا وفرنسا
واندهش ساسة الحكومتين من جرأة روسيا الغريبة
واقدامها على هذا العمل الخطير النتائج . فاتفقتا على مساعد
الدولة العلية ضدها وأرسلتا اسطوليهما الى فرضة « بزيكا
أى الى مدخل الدردانيل ليسهل لهما ان تساعدا الحكوم
العثمانية مساعدة فعلية عند ميسس الحاجة

واظهارا لما جبلت عليه العائلة السلطانية المعظمة من محبة
رعاياها على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم وحسن رعايتها لهم
على السواء أصدر الباب العالى خطا شريفا بتاريخ ٦ يونيو
سنة ١٨٤٣ منح فيه سائر المسيحيين فى الدولة العلية الحرية
الدينية التامة أى أكد لهم استمرار الحكومة العثمانية على
احترام هذه الحرية التى تمتعوا بها دائماً وأسلافهم من قبل
وعرضت فرنسا من جهة أخرى على الدول الأوروبية مشروع
عقد مؤتمر لازالة الخلاف بين روسيا والدولة العلية
فبرهنت بذلك الدولة العلية ونصيرتها الاولى فرنسا على
اعتدالها وميلها للسلم وتركنا مسئولية الحرب وسفك الدما

العالى ان يرسل رسالة للحكومة الروسية يصرح لها فيها
بقبول مطالبها وبذلك لا تطلب منه روسيا عقد اتفاقية بهذه
المطالب . فأجاب (رشيد باشا) على هذا السؤال الجديد
بالرفض وكان ذلك في ٢٠ مايو سنة ١٨٥٣ . فانقطعت المحادثات
وعاد (منشيكوف) الى سان بطرسبورغ . وفي ٣١ مايو من
السنة نفسها أرسل (نسلرود) وزير روسيا الاول انذاراً
جديداً للباب العالى بمعنى انذار « منشيكوف » وأعلن فيه
بان روسيا تحتل مقاطعتى الافلاق والبغدان اذا رفض
الباب العالى قبول مطالبها . وقد كان ورفض الباب العالى
رفضاً جديداً قبول هذه المطالب فأرسل (نسلرود) فى ١١
يونيو سنة ١٨٥٣ الى وكلاء روسيا لدى الدول الاجنبية
منشوراً يبين لهم فيه الاسباب التى حملت روسيا على الشروع
فى احتلال الافلاق والبغدان أى على اعلانها الحرب على
الدولة العلية



ما انتشر خبر تهديد روسيا للدولة باحتلال مقاطعتى

سنة ١٨٥٣ للباب العالي انذاراً شديداً العبارة طلب فيه أن يجيبه في ظرف خمسة أيام على طلبه بشأن عقد اتفاقية بين الدولتين يضمن فيها الباب العالي للكنيسة اليونانية حريتها الدينية وامتيازاتها الدينية ويجعل للروسيا عليها حماية حقيقية وأعلن « منشيكوف » الباب العالي في انذاره بأنه ان لم يقبل مطالب الروسية قامت الحرب بين الدولتين . فأجاب الباب العالي بان الكنيسة اليونانية متمتعة بتمام حريتها وبأنه مستعد مع ذلك لان يؤكد امام العالم كله لساائر رعاياه المسيحيين ضمانته لحريتهم الدينية وبأنه يرفض رفضاً باتاً جعل الكنيسة اليونانية تحت حماية الروسية مميناً للبرنس (منشيكوف) أنه لا يستطيع قبول هذا الطلب بدون تعريض استقلال الدولة للخطر ووضع ادارتها الداخلية تحت مراقبة أجنبية (أى تحت مراقبة الروسية)

وفي ذلك الحين عين (رشيد باشا) صدراً أعظم ووزيراً خارجية الدولة وكان معروفاً بكرامته الشديدة للروسيا فتظاهر (منشيكوف) ببعض اعتدال في خطته وسأل الباب

حماية روسيا على الكنيسة اليونانية الا حمايه حقيقية على هؤلاء المسيحيين .

وقد أبلغت الدولة العلية سرّاً وكلاء الدول الاوروية طلب روسيا هذا ووصل عندئذ للاستانة سفيراً فرنسا وانكلترا بها وكلفا من قبل حكومتيهما بالعمل بالاتفاق . وبما ان البرنس (منشيكوف) كان لا يزال يجاهر بان مأموريته تنحصر في حل مسئلتى الجبل الاسود والاماكن المقدسة اتفق السفيران على تعجيل حل هاتين المسئلتين حتى يضطر « منشيكوف » الى مبارحة الاستانة واعلان انتهاء مأموريته أو التصريح بنوايا القيصر الحقيقية . وسبق اننا ذكرنا ان مسألة الجبل الاسود انتهت بتوسط النمسا لدى الباب العالي . أما مسألة الاماكن المقدسة فقد رضيت فرنسا بتسويتها بما فيه ترضية للقيصر وتمت هذه التسوية في ٤ مايو سنة ١٨٥٣ ولم يبق هنالك سبب ظاهرى لبقاء « منشيكوف » بالاستانة . الا ان القيصر بقى على نيته الاولى وكان لا يزال يظن ان انكلترا لا تساعد الدولة ضده فقدم « منشيكوف » في ٥ مايو

الدول الأوروبية لا ترضى بأمر خطير كهذا وإن تقسيم الدولة العلية ليس بالأمر السهل وعلى فرض وقوعه فإنه يجرأ كبر المصائب على العالمين فضلا عن أن هذا التقسيم لا يفيد في الحقيقة غير روسيا

وفي ٢٨ فبراير سنة ١٨٥٣ وصل البرنس (منشيكوف) إلى الاستانة بين رجاله وضباطه وفي أبهة أراد بها التأثير على أفكار رجال الباب العالي . وصار في كل أفعاله يعمل على خلق سبب لإعلان روسيا الحرب على الدولة العلية فطلب أولا عزل (فؤاد باشا) ناظر الخارجية العثمانية الذي كان عدوا لروسيا لتسهيل له المخبرات . ثم عرض على الباب العالي مشروع عقد تحالف دائم بين روسيا والدولة العلية تعترف فيه الدولة بحماية القيصر على الكنيسة اليونانية . فاندesh رجال الدولة من هذا المشروع الغريب وأدركوا أن روسيا تريد إعلان الحرب لأنها تعلم جيدا أنه يستحيل على الدولة قبول هذا المشروع فإن لرؤساء الكنيسة اليونانية سلطة دنيوية على نحو الخمسة عشر مليوناً من المسيحيين وما

حكومتها في أمر . وجمعت روسيا على نهر (بروث) جيشا
مكونا من خمسين ألف عسكري وبدأت جلها لكل أوربارغبة
الروسيا في الحرب بل عزمها على اعلانها

وكان يظن القيصر « نيقولا الاول » ان البروسيا والنمسا
تساعدانه ضد الدولة العلية وان انكلترا لا تعارضه في شيء وكان
لا يخاف مساعدة فرنسا لتركيا ولا يظن ان انكلترا وفرنسا
تتحدان مع تركيا ضده . وكان سفيره بلوندره يمثل له
الحكومة الانكليزية مياله للسلم والرأي العام الانكليزي
مضادا للحرب والعلائق بين انكلترا وفرنسا غير متينة لا
يخشى معها من عقد اتفاق بين هاتين الدولتين . كل ذلك
حمل القيصر (نيقولا الاول) على الاستعداد للحرب وعدم
البالاة بنتائجها

وقد سعى القيصر طويلا في الاتفاق مع انكلترا على
تقسيم الدولة العلية بين دولته وبينها فتحدث في هذا الصدد
كثيراً مع السير (هاميلتون سيمور) سفير انكلترا
بسان بطرسبورغ ولكنه لم يفلح لان انكلترا كانت تعلم ان بقية

أما ما يخص بمسئلة الاماكن المقدسة فقد أرادت فرنسا ان تتساهل مع روسيا خصوصاً وانها بلغت مرامها واكتسب (نابليون الثالث) ميل الكاثوليكين اليه فسألت الباب العالي ان يمنح القسوس الارثوذكس بعض امتيازات في كنائس أورشليم وخابرت الحكومة الروسية في أمر عقد لجنة بسان بطرسبورغ من مندوبي الحكومتين للنظر في مسئلة الاماكن المقدسة فقبلت روسيا وكان يخيّل وقتئذ للعالم كله ان الخلاف بين روسيا وفرنسا أوشك أن ينتهي بسلام



غير ان القيصر « نيقولا الاول » أمر في الوقت نفسه البرنس منشيكوف بالسفر الى الاستانة ليخلق سبباً لاعلان الحرب على الدولة العلية . وكانت مأموريته ظاهرها انه مكلف بتسوية مسئلتى الجبل الاسود والاماكن المقدسة مع الباب العالي . وقد سافر (منشيكوف) من سان بطرسبورغ في ١٠ فبراير سنة ١٨٥٣ مصحوباً بضباط عديدين خلافاً للعادة الجارية عند سفر أحد السياسيين الى احدى العواصم لمخاطبة

و « ادرنه » تخولان لها هذا الحق ولكن الباب العالي أبقي
فرمان ٩ فبراير بالرغم عن الحاح روسيا ومعارضتها
وفي آخر عام ١٨٤٢ تعين لويس نابليون (نابليون
الثالث) امبراطورا على فرنسا فعمل على رفع شأن بلاده في
الشرق وسر لهذا الخلاف الناشئ بين دولته وبين روسيا
ليدافع فيه عن مصالح الكاثوليكية ويستميل بذلك رجال
الدين اليه

وقد خافت النمسا وقتئذ ان يتسع الخرق على الراقق
وتشتعل نيران الاضطرابات في البلقان ونيران الحرب بين
الروسيا والدولة العلية فبذلت جهودها في تسوية مسألة الجبل
الاسود وأرسلت في يناير عام ١٨٥٣ الى الاستانة الكونت
دى (لينجن) يرجو الباب العالي باسم النمسا توطيد السكينة
في هذه الجهات المضطربة والعفو عن ثوار الجبل الاسود
ومكافأة المسيحيين الذين لم يثوروا ولحقهم الضرر في هذه
الاضطرابات فأجاب الباب العالي رجاء النمسا وتأيدت
السكينة والطمأنينة في الربوع المضطربة .

وفي هذه السنة نفسها حدث خلاف عظيم بين روسيا
وفرنسا بشأن الاماكن المقدسة في الشام وذلك ان لفرنسا
بمقتضى معاهدات قديمة وحقوق ثابتة حماية معنوية على
الكاثوليكين في الشرق . وقد توصلت بهذه الحماية الى جعل
مفاتيح كنائس (أورشليم) بأيدي الكاثوليكين . فأرادت
الروسيا أن ترفع كلمة الدين الارثوذكسى بتسليم مفاتيح
الكنائس بأورشليم الى القسوس الارثوذكس ليزداد نفوذها
في الشرق مما يخالف مصلحة فرنسا في الشرق وشرفها كل
المخالفة فلذلك احتجت الحكومة الفرنسية على رغبة
الروسيا وطلبت من الباب العالي ان يفصل في هذا الخلاف
بمقتضى الحقوق والمعاهدات فعين الباب العالي لجنة للتحقيق .
وبعد بحث طويل أقرت اللجنة على ان للكاثوليكين وحدهم
الحق في امتلاك الكنائس بأورشليم . وبناء على هذا القرار
أصدر الباب العالي فرمانا بذلك بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٨٥٢
فاستاءت روسيا من هذا فرمان غاية الاستياء وألحت على
الحكومة العثمانية بإبطاله مدعية ان معاهدتي « قينارجة »

الصليب والدين الارثوذكسى للقيام فى وجه الدولة فلبوا
تدائه وثاروا أجمعين

فلما علمت الحكومة العثمانية بذلك سیرت جيشاً عظيماً
بقيادة عمر باشا (وهو قائد عثمانى جليل اشتهر بقمهر بلاد
البوسنة) لقمع ثورة أهل الجبل الاسود . فصار الجيش
ووقعت بينه وبين الثوار مواقع دموية فى جبال هذه البلاد
حتى قهر الثوار وتم له الظفر والنصر . وقد كان لهذه الحادثة
تأثير شديد فى أوروبا فاهتمت كل الدول بالامر وعلى
الخصوص النمسا فانه كان يهملها عدم اضطراب الاحوال فى
البلقان ولكنها كانت مدينة للروسيا بمساعدتها فى عام ١٨٤٩
فى قمع الثورة المجرية فاضطرت للتظاهر بمساعدة أهل الجبل
الاسود لدى الباب العالى وكان غرضها الحقيقى توطيد
السكينة والسلام فى البلقان واحباط مساعى روسيا . فسألت
الباب العالى فى آخر عام ١٨٥٢ ان يعتدل فى انتقامه من
أهالى الجبل الاسود حتى لاتجد روسيا حجة خلق مشاكل
جديدة

أحوالها . ولذلك أوعز الى المسيحيين الارثوذكس في الدولة بمعارضة « التنظيمات » والعمل على ايقاف تنفيذها . وبالرغم مما بذله الارثوذكس من معارضة التنظيمات الجديدة فان الحكومة العثمانية التي كان على رأسها وقتئذ (رشيد باشا) ابتدأت في تنفيذها واستبشر كل العثمانيين بقرب فلاحها تمام الفلاح ونيل ثمارها . الا ان ذلك كان من شأنه ازدياد حقد القيصر (نيقولا الاول) على الدولة العلية . فأمر باجراء التجهيزات الحربية اللازمة واستعد لمحاربة الدولة مؤملا اضعافها وايقافها في طريق الاصلاح

ولايجاد المشاكل بين روسيا والدولة العلية أوعز القيصر (نيقولا الاول) الى القس « دانيلو » الذي كان حاكما على الجبل الاسود وتابعا للدولة العلية بان يرفع راية العصيان في وجه الدولة ودعاه قبل ذلك للسفر الى سان بطرسبورغ فسافر اليها وقوبل فيها باحتفاء عظيم وأهداه القيصر المال والنياشين وحرضه ضد الدولة بكل أنواع التحريضات حتى عاد الى الجبل الاسود ونادى أهله باسم

❧- الازمة الثالثة ❧-

﴿ حرب القرم ﴾

تبين للقارىء من الفصل السابق ان انكلترا حلت محل
الروسيا فى النفوذ لدى الباب العالى وصارت وحدها
المسموعة الكلمة فى الازمة الاخيرة عند رجال الدولة وانها
توصلت الى ابطال معاهدة (خونكار اسكلهسى) التى خولت
للروسيا حق ارسال جيوشها الى قلب الدولة العلية عند الحاجة
فاستاءت روسيا لذلك وعقدت النية على الانتقام من الدولة
العلية التى أحلت انكلترا محلها وقد كان المرحوم السلطان
الغازى (عبد المجيد خان) عاملا على اصلاح أحوال الدولة
وتنظيم ادارتها فأصدر فرمان الكاخانة الشهير الذى اشتمل
على اصلاحات عديدة كانت تكفى لتقويم أحوال الدولة
وتقويتها فى ظرف قليل من السنين . فساء ذلك القيصر
(نيقولا الاول) لان سياسته كانت تقتضى تهتمر الدولة على
الدوام وعدم تمكنها من اصلاح شؤونها وتقويم المعوج فى

ولقد كنت أود أ كلف أحد ضباطي العظام المعول
عليهم بحمل هذا الكتاب الى أعتاب جلالتيكم . ولكن
الصعوبة وطول القورتيته حملتاني على تكليف الكونت
« والوسكي » بتوصيله الى جلالتيكم اه

(محمد علي)



كلا . وليست القوة التي يعدونها ضدي هي التي ترهني
بل ان الذي يرهني هو أن أكون سبباً لحرب عمومية وأن
أجبر فرنسا التي أنا مدين لها كثيرا الى حرب لا يكون لها
داع غير فوائدى ومصالحى الشخصية

ولهذا فاني أعرض حقيقة الامر على أنظار جلالتم
واعترافى لي بالجميل يجعل ذلك فرضا وواجبا على . فضلا عن
انى معجب وواثق بملك فرنسا ذاك الاعجاب وهذه الثقة
اللتين تحمل العالم كله عليهما حكمة جلالتم وذاؤكم العالى .
واننى بهما أضع حظى بين يديكم

ومهما كان قرار الملك فانى أقبله بشكر وامتنان مادامت
جلالتم مشتركة فى المعاهدة التى سيتفق عليها بين الدول
العظيمة والتى تقرر حظى ومستقبلى

وأخيرا مهما وقع ومهما كان الامر فانى أرجو الملك
أن يسمح لي بأن أقول له « ان اعترافى بالجميل نحوه ونحو
فرنسا سيبقى فى قلبى الى الابد واني أتركه ارتا لا بنائى وأبناء
أبنائى من بعدى كواجب مقدس »

حكمة جلالكم العالية الى ان زمن التساهل والتنازل قد فات
وان المحافظة الشديدة واجبة فاني مستعد للكفاح الى آخر
لحظة من حياتي أنا وسائر أولادى . وان جيشى فى الشام
لا يزال عظيما ودمشق وحلب وكل المدائن المهمة لا تزال تحت
سلطتى وجيشى الذى فى الحجاز هاهو عائد نحو مصر وقد
وصل قسم منه الى القاهرة ويصل القسم الآخر قريباً . وبين
يدى شيوخ ذوو نفوذ هم نازعون الآن الى جبل لبنان
متعهدين بأن يخضعوا لسلطتى الدروز والمارونيين . ولدى
أربعون باخرة مستعدة للسفر لاول اشارة من جلالكم
وعليه فأؤمل ان أسباب مسعاى لا تبقى مجهولة بعد
اليوم حتى لا يظن انسان ما أن الخوف صار قائدى الآن فان
حياتى كلها براهين داحضة لمثل هذه الدعوى . ولو كان
الخوف يقودنى لجاز أن أرى ضعيفا واهنا ولكنك تنازلت
منذ ١٥ يوما حيث كان وجودى مهدداً بالخطر . ولكن
اليوم وقد أنقذ وجودى السياسى باعلان فرنسا فاني لا أخطر
بشيء كبير ان طالت الحرب

أولئك الذين كانوا يظنون أنهم يخدمون استقلال تركيا
بأحداثهم الاضطراب في احدى ولاياتها نجحت هذه المرة
لا في اثاره خواطر البلاد فقط بل وفي اقامة الامة ضد
بعضها فثارت بذلك الحروب الاهلية

وان دواعي المصلحة العمومية التي كانت ترغبني في
الحفاظة على الشام وجعلها تحت حكومتى زالت اليوم بالمرّة
ولم تبق هنالك الا مصالحى الخصوصية ومصالح عائلتى وانى
مستعد لحياطة هذه المصالح بكل ما يصل اليه جهدى في سبيل
سلامة العالم . فاترك اذن الامر للحكمة العالية واضع بين
يدى ملك فرنسا حظي فهو الذى يسوى كما تقتضيه رغبته
الخلاف الحالى

واذا وافق ما أعرض على جلالتم فانى أرضى من الشام
بعك لانها البلد التى قاومت بكل الوسائل مساعى التهيج
التى عملت لانارتها ضدى . وقد يجوز ان جلالتم ترى من
العدل ان تترك لى جزيرة (قنديه) التى صارت تحت سلطة
حكومتى حسنة زاهية من عهد بعيد . ولكن اذا أرشدتمكم

مواربة ولا شائبة قصد سيء . وكذلك أرجو ان تعتقد
جلالتكم ان حبي لبلادى هو الذى كان دائما الدافع لى
والقائد لزمائى

وعلى ذلك استطعت بعد المجاهدات العظيمة والاحوال
المتناقضة تأييد الامن فى الشام خل فيها اليوم السلام محل
الفوضى والاضطراب . واذا كنت قد أظهرت عظيم رغبتى
فى بقاء هذه البلاد تحت حكومتى فذلك لاني معتقد بأنها اذا
نزعت من يدي عادت اليها المصائب التى استأصلت جراثيمها
منها . ومن جهة أخرى أرى ان الشام تصير اذا بقيت فى
يدى عنصر قوة أستطيع به وقتئذ مساعدة مولاي السلطان
ودولتى العلية مساعدة فعلية حقيقية ولكنها لما كانت فى يد
الدولة العلية — وذلك ما أتجاسر على القول به — كان
الاضطراب والفوضى والحروب الاهلية مستحكمة فيها .
وها قد تحققت اليوم شيئا مما كنت أخافه . فاقدمساعد النفوذ
الاجنبى عناصر الشقاق والاضطراب حيث لم يكن يفلح
أول الامر مسمى الذين كانوا يهيجون الامة . ولكن مساعى

فلقد ألفت نحوى حكومة جلالة الملك من أمد بعيد
أنظار رعايتها واليوم تتوج جلالتيكم ماآثرها علىّ باعلانها
للدول ان وجودى السياسى ضرورى للموازنة الاوروبية
وان هذه العواطف الجديدة من شأنها أن تحدد لي
واجبات أعرف القيام بها . وأول هذه الواجبات هو أن
أوضح لملك فرنسا بكل صراحة أسباب سلوكى الحالى
واحداً بعد آخر

لقد كانت فى سائر الازمان سعادة الدولة العثمانية أصدق
أمنية أتمناها من صميم فؤادى حيث أنا أود أن أراها دائماً
سعيدة قوية آمنة . وكانت قصارى آمالى ومرامى انظارى
موجهة نحو مساعدتها على أعدائها أولاً والمحافظة على كل
ماملكته يدي بعد المجاهدات العظيمة فى سبيل الدفاع
عنها ثانياً

أما الذى حيينى نحو فرنسا - وأقول ذلك بكل صراحة -
وحملنى على اتباع نصائحها دائماً فهو ما تبينته من انها أكثر
الحكومات رغبة فى خير الدولة العثمانية بلا خديعة ولا

كتاب

من (محمد علي) أمير مصر

الى

(لويس فيليب) ملك فرنسا

نأتى هنا على ترجمة كتاب أرسله عزيز مصر الى ملك فرنسا
بشأن حوادث الشام ومسئلة الخلاف بينه وبين الدولة العلية.
وكنا قد نشرناه فى جريدة المؤيد الغراء عقب خطبة القيناها
بالاسكندرية وأشرنا فيها اليه .

ومن هذا الكتاب يعرف القارىء حقيقة أفكار
المرحوم (محمد علي باشا) وأمياله وقت الازمة السالفة الذكر
القاهرة فى ١٦ رمضان سنة ١٢٥٦ هجرية (نوفمبر
سنة ١٨٤٠) أيها الملك العظيم

انى أشعر بالحاجة لاطهار شكرى لجلالتكم . ذلك
الشكر الذى يجيش فى صدرى

الدولة العلية حماها الله

وأنه ليجب على كل مصرى صادق وعلى كل عثمانى
يخلص الحب لبلاده ان يحبط أعمال الذين ييشون الدسائس
بين مصر والدولة العلية ويلقون بذور الشقاق بين جلالة
ال خليفة الاعظم وسمو الخديوى الانخم فان أولئك العاملين
على خلق الشحناء والبغضاء بين المتبوع والتابع لاشد خصوم
الدولة والد أعدائها



المصائب والبلايا فواجب على بنى الدولة وبني مصر أن يعتبروا به وان يجعلوا الوفاق والاتفاق رائداهم في كل أعمالهم . فمصر من الدولة روحها ومن الخلافة فؤادها ولا حياة لهذا الجسم العظيم الا بالاتفاق بين أعضائه في العمل
واذا كانت دول أوروبا تتحد وتتفق مع قوتها وعظمتها عند ما يهجم المسيحية أمر فكيف لا تتحد معاشر المسلمين وبلادنا واقعة في أشد البلاء والاضطراب محدقة بها من كل جانب وأعداؤها يكيدون لها أعظم كيد كلما سنحت لهم الفرص .

لأسلامة للدولة العلية ولمصر الا بالوفاق والاتحاد وقد أدرك هذه الحقيقة المصريون عن بكرة أبيهم مقتدين بالعباس أميرهم المحبوب فتقربوا من الدولة العلية وجأهروا بحبها في السراء والضراء واعترف العالم كله بأن أهل مصر أصدق المخلصين للدولة العلية وللعرش الشاهاني اذ ثبت ذلك بأجلى بيان في الحرب الاخيرة . ولا ريب عندي ان أمة مصر العزيزة ثابتة في أميالها لا تتحول أبد الدهر عن اخلاصها

باشا) كان يعلم علم اليقين ان انكسارها هي أول عدوة له وللمصر
وانها لذلك تعا كسه بكل مافي وسعها . وكان لا يغيب عنه
ان الروسية لا يروق لها استيلاؤه على الشام وتأسيس دولة
اسلامية جديدة يكون لها من القوة والحول ماتستطيع معه
الدولة العلية يوماً من الايام ان تقهر الروسية وتردها عن
ديارها .

وعلى أى حال فهذه الازمة المشؤومة يجب أن تكون
درسا أبديا للعثمانيين والمصريين بل ولسائر المسلمين . فان
هذا الخلاف القديم كان سببا لمصائب جمة تساقطت على مصر
وعلى الدولة العلية . وفي أغلب الملمات التي نزلت بالدولة أو
بمصر يرى الانسان أثراً من آثار ذلك الشقاق المنحوس
وقد يعمل بعض المفسدين على احياء الضغائن في صدور
رجال الدولة العلية بايها مهم ان مصر طامحة الآن وفي كل
آن الى ما طمح اليه مؤسس العائلة الخديوية . وهي دسيصة
لا يقصد بها الا الاضرار بمصالح الدولة وبمصالح مصر
فاذا كان الخلاف القديم قد جر على الدولة وعلى مصر

المملكة العثمانية أمر لا يكون الا اذا زال هذا الوجود وان
دولة روسيا القوية العظيمة لم تستطع بلوغ هذه الغاية .
فكيف به وما كان الا أمير مصر ؟

كلا . اني لست ممن يرون بأن مؤسس العائلة الخديوية
الكريمة كان يؤمل أو يحلم ان يقبض على زمام الدولة العثمانية
ولكنه كان يريد أن يحكم الشام مع مصر . وهاهي رسائله
الى (لويس فيليب) ملك فرنسا مدونة في المستندات الرسمية
والتاريخية تثبت ان غاية أمانيه كانت الاستيلاء على الشام .
ولو كان يعلم عزيز مصر بالتأج السيئة والعواقب الوخيمة
التي تنشأ عن دخوله الشام ووقوع الخلاف بينه وبين الدولة
العلية لكان ولا محالة عدل عن أمنيته وعمله . ولا جرم أن
(محمد علي باشا) تندم طويلا على هذا الخلاف المشؤم وتحسر
على ما فرط منه

وقد يذهب الانسان عند ما يقبب صحائف تاريخ هذه
الازمة المشؤمة الى ان هنالك أسراراً لم يكشفها لنا التاريخ
دفعت بعزيز مصر ضد الدولة العلية . فان المرحوم (محمد علي

ولا تكمل له سعادة بغير الشام وكذلك صاحب الشام لا تؤيد
امارته ولا تقوى سلطته الا باستلامه زمام أمور مصر فطمح
لذلك مؤسس العائلة الخديوية لجعل الشام تحت حكمه وانتهز
فرصة رفض والى (عكا) قبول طلبه بارجاع المصريين
المهاجرين من مصر الى وطنهم لفتح الشام وتحقيق أمانيه .
ومما سهل له ذلك علمه بارتباك أحوال الدولة عندئذ واشتغال
المرحوم السلطان (محمود الثانى) بتنظيم جيش جديد

وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان (محمد على باشا)
كان يؤمل القبض على زمام الخلافة الاسلامية والسلطنة
العثمانية والجلوس على أريكة ملك آل عثمان . ولكنى لست
ممن يرون هذا رأى بل ولا ممن يظنونه ظناً . فان (محمد
على باشا) الذى وهبه الله من الذكاء النادر والفكر الحاد
والنظر الصائب والبصيرة الصادقة ما جعله فى نظر الكثيرين
فوق « نابليون » رأياً وعملاً أبعد من أن يؤمل مثل هذا
الامل المستحيل وان ذلك الذى سخرت له الرجال وذلت
أمامه صعاب الاعمال كان يعلم أكثر من كل انسان ان زوال

(محمد على باشا) والياً على مصر وجعل اماره مصر لا بنائه
من بعده الارشد فالارشد . وبان يتفق بعد بين مصر والباب
العالي على مبلغ ترسله مصر سنوياً للدولة العلية

فقبل المرحوم (محمد على باشا) هذه الشروط في ١٠
مايو سنة ١٨٤١ ولم يعد لانكلترا وسفيرها بالاستانة حجة
لخلق المشا كل ومد أجل الشقاق وبذلك أمضت الدول
كلها في لوندرد بتاريخ ١٣ يوليو من السنة نفسها على اتفاقيتين
الاولى معلنة قفل باب المسئلة المصرية (حين ذاك) والثانية
متعلقة بقفل بوغازى الدردنيل والبوسفور أمام سفن الدول
الحرية

وبذلك انتهت هذه الازمة المشثومة



لا ريب ان المرحوم (محمد على باشا) كان يعمل لتوسيع
نطاق ملكه وكان مولعاً بأن يتولى اماره مصر والشام لتم
له الكلمة فى الشرق وفى البحر الابيض المتوسط . وكأنه
رأى مارآه قبله نابليون من ان صاحب مصر لا يهنأ له عيش

وقد أقرت فرنسا مع الدول في لوندرة على اتفاقية
البوغازات التي تضمنت قنصل بوغاز الدردنيل والبوسفور
لكل سفن الدول الحربية بلا استثناء

وقبل أن تمضى الدول على هذه الاتفاقية أصدر الباب
العالى - متبعا في ذلك نصيحة السفير الانكليزى
« بونسونى » خطأ شريفا أعلن فيه أن حكومة مصر تبقى
وراثية لعائلة « محمد على باشا » ولكن الدولة تحتم انتخاب
من تشاء من أعضاء العائلة لامارة مصر عند وفاة أميرها
الحاكم والا تجند مصر أكثر من ثمانية عشر ألف
عسكرى وان تؤخذ الضرائب بنفس الطريقة التى تؤخذ بها
في تركيا وأن يرسل للدولة منها الربع . فرفض عزيز مصر
هذه القيود كما رفضتها فرنسا وعاد الهياج والاضطراب فى
فرنسا الى ما كانت عليه . فاهتم « مترنيخ » وزير النمسا
الاول بالامر وسعى فى عزل الصدر الاعظم « رشيد باشا »
الذى كان يعمل بنصائح السفير الانكليزى فعزلته الدولة
وعينت مكانه (رفعت باشا) وأصدرت ارادة جديدة بتعيين

فلما علمت فرنسا بذلك عرضت حكومتها على مجلس النواب مشروع تحصين مدينة باريس أى اتمام الاستعدادات الحربية فأقر المجلس على المشروع بارتياح تام وأيد الحكومة فى خطتها ودفاعها عن حقوق مؤسس العائلة الخديوية . فاضطربت حكومة النمسا وحكومة البروسيا عندما تحققت ان استعدادات فرنسا للحرب حقيقية وان الاعتداء على حقوق (محمد على باشا) وسلالته فى مصر يكون سببا لحرب عمومية فى أوروبا . واتفقتا على منع الحرب بكل الوسائل وتأيد « محمد على باشا » وسلالته من بعده فى اماره مصر وجبرتا بالفعل انكلترا والروسيا على تقديم مذكرة مشتركة معهما للباب العالى طلبت فيها الدول الاربع جعل اماره مصر ل محمد على باشا وسلالته من بعده . وقد قدمت هذه المذكرة فى ٣١ يناير سنة ١٨٤١ وأخذت النمسا بعد تقديمها تجتهد فى استماله فرنسا للاشتراك مع بقية الدول فى أمر تسوية المسئلة المصرية . فقبلت فرنسا ذلك ولكنها اشترطت عدم التعرض لاتفاقية لوندرد التى أبرمت بالرغم عن معارضتها وتم منفعولها

علي باشا) وأبنائه من بعده وأنها مستعدة للدفاع عن حقوقه في مصر ولو اضطرت الى الحرب . فأدركت أوروبا من لهجة الحكومة الفرنسية ان قبول اقتراح بانرستون يكون داعية لحرب عامة وأصلا لمصائب جمة فرفضته ارضاء لفرنسا ومنعاً للحرب وعواقبها الوخيمة

ولم يخضع المرحوم (محمد علي باشا) لأوامر الدول الأوروبية الا عندما رأى ان فرنسا غير قادرة على مقاومة أوروبا كلها وان الأميرال الانكليزي (نايبه) يهدد تغز الا سكندرية ان بقي مستمرا على المقاومة وعدم الامتثال لأوامر الدول . فأمضى معه اتفاقية تعهد فيها بسحب الجنود المصرية من الشام وتعهد له فيها الأميرال (نايبه) بجعل امارة مصر له ولاً بناءً من بعده . وما وصل خبر هذه الاتفاقية الى الاستانة حتى أشار « بونسوني » سفير انكلترا بها على الباب العالي برفضها فرفضها وصرح بأنه لا يقبل جعل امارة مصر وراثية لعائلة (محمد علي باشا) بل له وحده مدة حياته

لفرنسا ولعزير مصر

وفي ذلك العهد جاءت الاخبار من الشام مؤيدة آمال
بالمرستون فان الاسطول الانكليزي والاسطول النمساوي
استوليا على أهم المواني السورية وخرجت (عكا) نفسها من
أيدي الجنود المصرية في ٢ نوفمبر سنة ١٨٤٠ - ولم يستطع
المرحوم (محمد علي باشا) قمع الهيجان الذي أحدثته الدسائس
الانكليزية ضده في الشام . فسر بالمرستون بهذه الاخبار
وأراد ان يزيد الطين بلة ويجعل الاضطراب عاما في كل انحاء
أوروبا فاقترح على الدول الاوروبية عزل (محمد علي باشا)
من امارة مصر نفسها واخراجه هو وعائلته من الديار
المصرية . فازداد لذلك الهياج في فرنسا ازديادا هائلا وحمل
المسيو (تيرس) في مجلس النواب الفرنسي على الوزارة
حملة شديدة متهمها اياها بترك انكلترا تنتقم من (محمد علي
باشا) صديق فرنسا الحميم فأجاب المسيو (جيزو) وزير
خارجية فرنسا على اعتراضات (تيرس) وغيره من الخطباء
بأن فرنسا لا تقبل أبدا نزع امارة مصر من أيدي (محمد

تهيجها الشعب ضد دول أوروبا . فتهيجت فرنسا كلها منادية
بالانتقام لها ولا مير مصر من دول أوروبا

وفي ١١ سبتمبر سنة ١٨٤٠ ضرب الاميرال الانكليزي
(نايبه) ثغر بيروت وجبر (ابراهيم باشا) على اخلاء هذا
الثغر . وبعد اخلائه بثلاثة أيام أعلن الباب العالي عزل (محمد
علي باشا) من اماره مصر نفسها وكان ذلك بناء على ايعاز
(بونسوني) سفير انكلترا بالاستانة . فأحدث هاتان
الحادثتان في فرنسا تأثيراً شديداً وهياجاً عظيماً مما جعل عناية
الحكومة الفرنسية بتتبع استعداداتها الحربية عظيمة
شديدة وصير الحرب قاب قوسين أو أدنى

وقد استعفى بعد ذلك بقليل المسيو (تيرس) من
رئاسة الوزارة الفرنسية وعين مكانه المرشال (سولت)
وتقلد المسيو (جيزو) سفير فرنسا بانكلترا منصب وزارة
الخارجية . فبذل أقصى جهده في تعديل اتفاقية ١٥ يوليو
التي عقدت بين الدول الاربع في لوندرة ولكنه لم يفلح في
مسعاه لشدة كراهة (بالمرستون) وزير خارجية انكلترا

الأربع في لوندرة بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ على اتفاقية
مختصة بالمشكلة المصرية

وهذه الاتفاقية تضمنت ان (محمد على باشا) يرد الى
الدولة جزيرة كريد وبيت المقدس وأطنه وبلاد الشام الشمالية
وان يحفظ له ولا بنائه من بعد مصر ويتولى ولاية « عكا »
مدة حياته . وانه ان لم يخضع لاوامر الدول في مدة عشرة
أيام من تاريخ ارسال الانذار الدولي اليه لا تترك الدول له
غير مصر وان لم يخضع في مدة عشرة أيام أخرى لا تترك له
مصر نفسها وتضمنت هذه الاتفاقية غير ذلك ان الدول
تشارك في بوغازي الاستانة والدردانيل ضد كل اعتداء

وقد اتفق مندوبو الدول في هذه الاتفاقية على انها
تنفذ قبل توقيع دولهم عليها اذا اقتضى الحال ذلك
وما علم (لويس فيليب) ملك فرنسا بهذه الاتفاقية
حتى أعلن غضبه وسخطه ووافق وزيره الاول (تيرس)
على الاستعداد للحرب فخذ هذا الاخير الجنود الفرنسية
وجمع الرديف واشتغل بتحسين الحدود وساعد الجرائد على

مندوبين من قبائهما لحضور مؤتمر يعقد بلوندره لحل المشكلة المصرية . وقد اشتركت فرنسا في هذا المؤتمر غير ان سفيرها بلوندره المسيو « جيزو » الشهير وجه عنايته كلها لمد أجل المؤتمر ومنع الدول من الوصول الى اتفاق نهائي لأن الحكومة الفرنسية وايه كانت مشغولة سرا بالتوسط بين تركيا ومصر وكانت تؤمل بلوغ نتيجة مرضية لعزير مصر بدون تدخل الدول الاخرى .

وقد نجحت فرنسا في مخابراتها السرية مع مصر والباب العالي بعض النجاح وتوصلت الى عزل « خسرو باشا » الصدر الاعظم . الا ان « بونسونى » سفير انكلترا بالاستانة علم بمخابرات فرنسا السرية وأبلغ حكومته هذا الخبر العظيم الاهمية . فهاج (بالمرستون) لذلك واغتاض كثيرا وصمم على الانتقام من فرنسا فدرس الدسائس ضد (محمد على باشا) في الشام وأقام أهلها ضده وعمل على عقد اتفاق بين انكلترا والروسيا والنمسا والبروسيا أى بين كل دول أوروبا ماعدا فرنسا . وبالفعل عقد هذا الاتفاق وأمضى مندوبو الدول

وأرسلت لهذا الغرض البارون دي (برونو) للرندره .
ولكن بعض وزراء الحكومة الانكليزية كانوا يخالفون
بالمستون رأيا وكانوا يودون الاتفاق مع فرنسا . فلم يتم لهذا
السبب بين انكلترا والروسيا الاتفاق وعاد البارون دي
(برونو) الى سان بطرسبورغ ليتلقى تعليمات جديدة

وقد زاد وقتئذ تهيج الشعب الفرنسي في صالح عزيز
مصر ازديادا هائلا وخاف « لويس فيليب » ملك فرنسا من
عواقب هذا التهيج فأمر بارجاع بقايا « نابليون الاول »
من جزيرة سانت هيلينه ودفنها بباريس في موكب حافل
ليشغل الشعب الفرنسي عن مصر وأميرها بذكرى نابليون
الاول وذكرى فتوحاته وانتصاراته العديدة . وبالفعل جرى
بحثة نابليون الاول وسارت في باريس في موكب لم ير له مثل
لا في جلاله ولا في فخامته . مما حول أنظار الشعب الفرنسي
عن مصر كثيرا لقليل

أما انكلترا فقد اتفق سواها مع البارون دي « برونو »
بعد عودته من روسيا ودعوا الدول الاوروبية لارسال

اشتركت فرنسا مع بقية الدول في ارسال هذه المذكرة ولم
يكن قصدها بذلك الاشتراك معها ضد (محمد على باشا)
بل منع اتفاقها ضده اتفاقا حريبا

وبناء على رجاء فرنسا لم يتقدم « ابراهيم باشا » بعد
« نصيين » بل وقف عندها

وقد عرض وقتئذ بالمرستون وزير خارجية انكلترا
على الدول الاوروبية ان ترسل جميعها انذارا لعزيز مصر
تأمره فيه بسحب جنوده من الشام والاكتفاء بأمارته على
مصر وتهدهه بأنها تنفذ مطالبها بالقوة ان لم يرض بها ويذعن
اليها . فعارضت فرنسا مطلب بالمرستون أشد المعارضة وطلبت
باسم (محمد على باشا) تعيينه أميرا على مصر والشام وبلاد
العرب واستمر الجدل بين حكومتى باريس ولوندره طويلا
واشتدت لهجة السياسيين من الجانبين كما اشتدت لهجة جرائد
الدولتين وتكدرت عقب ذلك العلاقات بين الحكومتين .
فسعت روسيا في ان تضم اليها انكلترا وتجعل ما بين هذه
وفرنسا من الخلاف أساسا لوافق يوضع بينها وبين انكلترا

نفوذها بمثل هذا التداخل . ورفضت فرنسا كذلك طلب
النمسا منعاً لاتفاق الدول ضد (محمد علي باشا)

وبينما الدول مشغولة بهذا الخلاف الخطير اذ انتشر خبر
واقعة (نصيين) أو « نزيب » التي انتصر فيها الجيش المصري
بقيادة « ابراهيم باشا » على الجيش التركي في ٢٤ يونيو سنة
١٨٣٩ . وبعد هذه الواقعة بأسبوع واحد توفي المرحوم
السلطان (محمود الثاني) ولم تكن وصلته أخبار واقعة « نصيين »
لعدم وجود الاسلاك البرقية وقتئذ . وتولى بعده علي الاريكة
العثمانية ابنه السلطان الغازي (عبد المجيد خان)

وفي ٤ يوليو من السنة نفسها شرع أحمد باشا التتويج
الاول للاسطول العثماني في تسليم هذا الاسطول لعزير مصر
وسبب ذلك انه كان يبغي خسر و باشا الصدر الاعظم بغضاً
شديداً ويميل كثيراً الى عزير مصر . فلما علمت الدول
الاوربية بهذا النبأ الغريب أرسلت مذكرة الى الباب العالي
بتاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٨٣٩ تنفيدها بمهمة كلاً على مساعدته
في هذه الازمة ودفع الخطر عن المملكة العثمانية . وقد

(محمد علي باشا) واضعاف تفوذ الروسية في الدولة العلية .
ولكن فرنسا لم تقبل الاتفاق مع انكلترا ضد عزيز مصر
لما كان له عندها وعند الشعب الفرنسي من الاحترام
العظيم والكلمة العليا

وقد قام وقتئذ الخطباء على منبر مجلس النواب الفرنسي
بالقاء الخطب البليغة دفاعا عن أميال عزيز مصر وأغراضه
السياسية سائلين حكومتهم مساعدته ومنع كل عمل عدائي
ضده . ولم يظهر الرأي العام الفرنسي قوته وشدة تأثيره
على حكومته في ظروف كثيرة مثل ما أظهر في مسألة الخلاف
بين مصر والدولة العلية فانه كان منتصرا لعزيز مصر أشد
الاتصاف

وقد أدى رفض فرنسا لطلب انكلترا الى اتفاق هذه
الدولة مع الروسية اتفاقا مبدئيا ضد عزيز مصر
أما النمسا فقد عرضت على الدول مشروع عقد مؤتمر
يفيينا لحل المشكلة المصرية . فلم تقبل الروسية هذا الطلب
خوفا من تدخل الدول في شؤون تركيا الداخلية واضعاف

وأمرها وتركت فيها حوادث الشام آلاما كبارا
وقد نجحت انكلترا في هذه السياسة وعقدت مع
الباب العالي اتفاقا تجاريا يخول لها كل ما للروسيا من الحقوق
والامتيازات وقابلت ثقة تركيا بها بان استعدت لاحتلال
(عدن) كأمرها أرادت ان تعرف الحكومة العثمانية مقدار
ثمن المودة الانكليزية

ومع ذلك فقد أتبعَت الدولة العلية آراء الانكليز
ونصائحهم وسيرت جيشا جرارا الى آسيا تحت قيادة (حافظ
باشا) . فعبر هذا الجيش نهر الفرات في ٢١ ابريل سنة ١٨٣٩
وفي ٧ يونيو من السنة نفسها أعلنت الدولة العلية الحرب على
جيوش مصر . وقد كان المرحوم (محمد علي باشا) علم من
قبل باستعداد الدولة لمحاربتة واخرجه من الشام فتأهب
للقِتال واستعد أكل استعداد

فلما علمت الدول الاوروبية باستعداد الدولة العلية
للحرب اهتمت كلها بالمشكلة وأخذت انكلترا تبذل الجهد
في استمالة فرنسا اليها والاتفاق معها على مساعدة تركيا ضد

عسكري ان تقفل بوغاز الدردنيل أمام أساطيل الدولة أو
الدول المحاربة للروسيا

وقد علمت فرنسا وانكلترا بهذه المعاهدة وعملت
كلتاهما على ابطالها ولكن مسعاهما لم ينجح وتكدرت بذلك
علائقهما مع روسيا

*
* *

ولم يسر حكم هذا الاتفاق طويلا فان انكلترا التي
كان يسوءها استتباب السكينة والسلام في الشرق والتي
اقتضت سياستها في كل أطوار المسئلة الشرقية اضعاف سلطة
المسلمين عملت على تحريض الدولة العلية على الاخذ بالشار
والانتقام من عزيز مصر . وفضلا عن اهتمام انكلترا باضعاف
السلطة الاسلامية في الاستانة ومصر فانه كان يروق لها ان
تأخذ المركز الاول في النفوذ لدى الباب العالي وتخفض من
نفوذ روسيا وسلطتها . فلذلك استمرت تحرض الدولة على
الانتقام من (محمد علي باشا) ووجدت عنيد رجال الدولة
آذانا صاغية لان قلوبهم كانت قد تغيرت من جهة مصر

الآخري في داخل بلادها أو في خارجها حسب الظروف .
ولا شك ان ظاهر هذه المعاهدة لا يفيد شيئاً غريباً ولا يمكن
التأمل يرى ان الدولة الروسية كانت غير واقعة وقتئذ تحت
خطر . فكان من المستحيل ان ترسل الدولة العلية يوماً ما
جيشاً تركيا لداخل البلاد الروسية بخلافها فانها كانت واقعة
تحت خطر ظاهر وكان احتمال دخول الجنود الروسية الى
قلب المملكة العثمانية حاصلاً . ذلك فضلاً عن ان روسيا
كان في استطاعتها ان تحدث في قلب الدولة من الاضطرابات
ماتشاء لما كان لها فيها من الآلات القوية . أى انه كان
يمكنها ان ترسل بجنودها الى داخل الدولة في أى وقت تريد .
والذى يثبت ان دخول الجيوش العثمانية الى قلب المملكة
الروسية كان مستحيلاً حتى في حالة قيام الحرب بين روسيا
وبين احدى الدول خلافاً لظاهر معاهدة (خونكاراسكلسى) .
ان روسيا اشترطت في آخر المعاهدة ان الدولة العلية غير
ملزمة بارسال مدد عسكري اليها في حالة وقوع الحرب بينها
وبين احدى الدول بل يكفيها عوضاً عن ارسال مدد

الاسراع بالاتفاق مع عزيز مصر وابعاد العساكر الروسية عن اراضي الدولة . فقبل المرحوم السلطان « محمود الثاني » طلب الدول الثلاث وبعد مخاضات مختلفة أعلنت الدولة العلية في أوائل مايو سنة ١٨٣٣ بخطين شريفين أنها عينت أمير مصر واليا على الشام وعلى ولاية « أطنه » . وقد سمي هذا الاتفاق الذي صدر به الخطان الشريفان باتفاق « كوتاهية » نسبة الى المدينة التي كان محتلا لها « ابراهيم باشا » عند عقد هذا الاتفاق

ولما صدر هذان الخطان الشريفان سألت الدول الأوروبية الدولة الروسية ان تسحب أسطولها من مياه البوسفور وجنودها من اراضي الدولة فأجابت الطلب ولكنها لم تنفذه الا بعد ان أمضت مع الدولة العلية على معاهدة « خورنكار اسكلهسي » التي جعلت للروسيا في الدولة العلية نفوذا قويا وسلطة عظيمة

ومضمون هذه المعاهدة ان الدولة العلية تتحالف مع الروسية تحالفا دفاعيا وان تتعهد كل واحدة منهما بمساعدة

فلما علم المرحوم السلطان « محمود الثانى » بذلك سأل
الروسيا فى آخر يناير سنة ١٨٣٣ أن ترسل اليه بأسطولها
فوعده بذلك . وفى هذه الاثناء عاد « مورافيف » من
الاسكندرية وكان قد نجح فى مأموريته لدى « محمد على باشا »
بعض النجاح فأعلن الباب العالي أن أمير مصر وعده وأصدر
أمره لابنه بالوقوف عن التقدم فى فتوحاته . فلما علمت
الدول الاوروبية بذلك رأيت ان مجيء الاسطول الروسى
الى مياه البوسفور صار غير لازم فسألت الباب العالي ان
يجعل وقوفه ببلاد القرم ولكن الروسيا كان يهمها ان يظهر
أسطولها فى مياه الشرق ويعلم المسلمون قبل المسيحيين انها
صارت الحامية للمملكة العثمانية والامينة على مصالح دولة
آل عثمان !!!

جاء الاسطول الروسى الى مياه البوسفور وجعل
مرساه امام سرأى السلطان وبعد وصوله بأيام قليلة وصل
جزء من الجيش الروسى الى الاستانة وأقام بها . فهاجت
لذلك انكلترا والنمسا وفرنسا وطلبت من الدولة العلية

الا ان سفير فرنسا في الاستانة كان يخاف سقوط نفوذ دولته في المملكة العثمانية بقدر ارتفاعه وازدياده في مصر فعرض على الباب العالي ان يتوسط بينه وبين أمير مصر وكتب الى المرحوم « ابراهيم باشا » يرجوه باسم فرنسا الا يتقدم في فتوحاته وكتب الى المرحوم (محمد علي باشا) يسأله ان يقبل الشروط التي أرسل بها اليه المرحوم السلطان (محمود الثاني) مع خليل باشا . وهذه الشروط كانت تنحصر في تنازل الدولة لعزير مصر عن ولايات (عكا و نابلس وصيدا وبيت المقدس) . ولكن (محمد علي باشا) كان يريد الاستيلاء على الشام كلها وكان قنصل فرنسا بمصر يشجعه على أمياله وأغراضه . فلذلك لم يقبل عزير مصر الشروط السلطانية التي عرضها عليه خليل باشا ولم يلق رجاء سفير فرنسا بالاستانة عنده قبولا لانه اعتبره مجاملة لتركيا وغير صادر عن تعليمات سياسية وارادة من الحكومة الفرنسية . وأمر ابنه المرحوم (ابراهيم باشا) بالتقدم في فتوحاته فصعد بالامر وتقدم الى ان وصل مدينة « كوتاهيه »

الروسيا ومساعدتها فالتزموا لهذا السبب الحياد واختاروا سياسة مراقبة الحوادث والانتظار

اما انكارترا فقد كانت أميالها من بادىء الامر ضد أميال عزيز مصر . ولكنها كانت تخاف اضعاف نفوذها في تركيا بتقوية نفوذ روسيا فكانت تريد العمل ضد روسيا ومساعدة تركيا في آن واحد غير ان ايرلندا كانت في ذلك الحين قائمة بالثورة ضد بريطانيا رغبة في نيل حريتها واستقلالها فبقيت لذلك انكارترا مترددة في سياستها

ولم يكن لعزيز مصر بين الدول الاوروبية دولة تريد نصرته في السر والجهر غير فرنسا . فان رأى العام فيها كان يحب (محمد على باشا) حباً شديداً وكانت أعمال عزيز مصر ومجهوداته في سبيل رفع شأن مصر وتمدينها معروفة في فرنسا ومقدرة فيها حق قدرها لاسيما وان أغلب عمال عزيز مصر في تمدين مصر كانوا من الفرنسيين . وكان بين (لويس فيليب) ملك فرنسا وبين (محمد على باشا) مودة شديدة وصداقة متينة .

لاقناع المرحوم (محمد على باشا) بضرورة الاتفاق مع الدولة
والرجوع عن نواياه ومشروعاته ضدها

وبالفعل ذهب (مورافيف) الى الإستانة فاستقبل
رجال الدولة بلاغه بالرضى مع الحزن الشديد على هذه الحالة
التي وصلوا اليها بسبب الشقاق المشؤم بين المتبوع الاعظم
والتابع أى بين خليفة الاسلام وأكبر أمرائه

وقد سافر الكونت (مورافيف) من الإستانة الى
الاسكندرية فى يناير عام ١٨٣٣ بقصد اقناع عزيز مصر
بوجوب حل المشكلة حلا سلمياً

هذه كانت سياسة روسيا وسيرى القارىء نتائجها
السيئة على الدولة العثمانية . أما البروسيا فلم تتدخل فى الامر
بل تركت بقية الدول الاوروبية مشغلة بالمسئلة وانتظرت
النتيجة . وقد ود بعض سواس النمسا أن تتدخل دولتهم فى
هذه الازمة المهمة لتحول دون أغراض روسيا ولكن
القابضين على أمور المملكة النمساوية حينئذ رأوا ان الثورة
تهدد دولتهم من كل جانب وانهم فى حاجة شديدة لعضد

على ما كان لمصر وقتئذ من القوة الهائلة وتحمل الانسان من جهة أخرى على التساؤل كيف تقهر الاتراك الابطال في هذه المواقع . فالجواب على ذلك ان المرحوم السلطان (محمود الثاني) كان قد ألغى طائفة الانكشارية كما قدمنا وكان مشغولا بتنظيم جيش جديد عند ما قام المرحوم (محمد علي باشا) باحداث هذه الازمة المشؤمة ولم يكن الجيش التركي الجديد مستعدا تمام الاستعداد للقتال

وكان من نتيجة هذا الخلاف المشؤم بين مصر والدولة العلية ان المرحوم السلطان (محمود الثاني) اضطر للاستنصار بالدول الاوروبية . فانهزت الروسية هذه الفرصة لتقوية نفوذها في تركيا وجعل سيطرتها عظيمة على الباب العالي . فأظهرت للدولة العلية استعدادها لمساعدتها ضد عزيز مصر وأرسلت الى الاستانه الكونت (مورافيف) أحد ضباط القيصر الخصوصيين مكافا بتبليغ الباب العالي ان الحكومة الروسية تقدم اليه اذا أراد أسطولا قويا وجيشا عظيما لنصرة الدولة ضد عزيز مصر ومكافا كذلك بالسفر الى الاسكندرية

حيث لم يرض والى (عكا) بأن يعيدهم الى مصر طبقا لرغائب
المرحوم (محمد على باشا) . فأمر عزيز مصر ابنه المرحوم
(ابراهيم باشا) بالسفر الى بلاد الشام علي رأس جيش جرار
للانتقام من هذا الوالى فسافر واستولى في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢
على (عكا) وبعد الاستيلاء عليها دخل هو وجيشه دمشق
وحصن وعبر جبال طوروس بعد معارك مختلفة بين الجيش
المصرى والجيش التركى

وقد انتهت سنة ١٨٣٢ بوصول المرحوم (ابراهيم باشا)
الى قلب آسيا الصغرى حيث وقعت بين عساكر مصر
وعساكر الدولة واقعة (قونية) الشهيرة التى انتهت بسقوط
هذه المدينة فى أيدي المرحوم « ابراهيم باشا » . وكان ذلك
في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢ - وقد وقع فى هذه الواقعة أسيرا
فى أيدي المصريين المرحوم « رشيد باشا » الذى كان يقود
الجيش التركى امام « ابراهيم باشا » والذى كان من قبل فى
بلاد اليونان مكلفا بقمع الثورة اليونانية

ولا شك ان هذه الانتصارات المتوالية تدل من جهة

الازمة الثانية ❧ -

﴿مسئلة الشام﴾

(بين مصر والدولة العلية)

ان هذه الازمة هي الازمة التى اذا تذكرها العثمانيون
والمسلمون امتلأوا حسرة وأسفا اكثر من كل أزمة سواها
لانها أعظم شقاق وقع بين التابع والمتبوع وبين مصر والدولة
العلية أى بين قلب الخلافة الاسلامية وهذه الخلافة نفسها
وبين روح المملكة العثمانية وهذه المملكة

وسيجد القارىء في هذا الفصل تفاصيل هذه الازمة
المشؤمة وما جرت على الدولة ومصر والاسلام من الاضرار
والمصائب مما يبقى أبدا الدهر درسا للعثمانيين والمسلمين ونذيرا
بأن الشقاق بين أعضاء مجموع واحد يعود على المجموع كله
وعلى أعضائه عضواً عضواً بالمصائب العظام والبلايا الجسام
ابتدأت هذه الازمة بخلاف وقع بين عزيز مصر
ووالى (عكا) بسبب مهاجرة بعض المصريين الى الشام

من الجنيهاً . وان الدولة العلية تقبل ما اتفقت عليه الدول
بشأن اليونان

وهذا الاتفاق بين الدول بشأن المسئلة اليونانية لم يكن
مشملاً الا على جعل بلاد اليونان مستقلة تمام الاستقلال !
وقد أمضت الدول في لوندرد بتاريخ ٣ فبراير سنة ١٨٣٠ على
معاهدة بهذا المعنى

وبذلك انتهت هذه الازمة الشديدة وتم استقلال
اليونان . وان القارىء يجد من خلال هذه السطور ومن
مطالعة هذه الحوادث الحكم الصحيح على خطة الدول نحو
الدولة العلية ويرى كيف انها أخرجت من تحت حكم الدولة
بلاد اليونان بحجة المسيحية والمدنية مع ان الروسية جزأت
من قبل مع البروسيا والنمسا بلاد بولونيا ولم ترع للمسيحية
حرمة ولا للمدينة مقاماً !

وهكذا الغرض في كل الامور يعمي الدول كما يعمي
الافراد

في هذه الحرب بتقهقر نابليون في عام ١٨١٢

وقد استمرت الحرب في عام ١٨٢٩ . ولكن الجنود
العثمانية التي كانت مشكلة حديثاً كما قدمنا لم تستطع مقاومة
الجيش الروسي تمام المقاومة فاستولى هذا الجيش على مدينة
(اسكى استانبول) واجتاز جبال البلقان وبلغ في ٢٠ أغسطس
سنة ١٨٢٩ مدينة (أدرنه) . وبالرغم عن هذه الانتصارات
فان القيصر نيقولا الاول كان يخاف الهزيمة لما رأى عند
الجيش العثماني من الدراية والكفاءة في سنة ١٨٢٨ ولذلك
سأل ملك بروسيا أن يتوسط في أمر الصلح بينه وبين الدولة
العلية . فقبل ملك بروسيا ذلك وتوسط بالفعل في أمر الصلح
وفي ٤ سبتمبر من السنة نفسها أمضت روسيا والدولة العلية
على معاهدة (أدرنه) . وهي تتضمن استيلاء الروس على جملة
مواقع اسيوية وضمانه حقوق الافلاق والبغدان وصربيا
وحرية مرور السفن الروسية من بوغازى الدردنيل والبوسفور
وحرية التجارة للرعايا الروسيين وتتضمن أيضاً ان الدولة
العلية تدفع للروسيا غرامة حرية تبلغ الخمسة ملايين ونصف

الوطن العزيز فصدع بأمر والده وعاد لمصر . حيث احتلت
الجنود الفرنسية المواقع والبلاد التي أخذتها جنود مصر
وبذلك يرى القارئ ان الدول الثلاث كانت تعمل في
آن واحد ضد الدولة العلية وكانت الدولة بلا نصير ينصرها
ولا صديق يساعدها وكانت النمسا تعضدها بالقول في
الباطن وتعلن في الظاهر صداقتها للروسيا شأنها في سياستها
على الدوام . فضلا عن ان الجيش العثماني كان حديث
التشكيل لان المرحوم السلطان (محمود) قد ألغى طائفة
الانكشارية

ومع ذلك فقد أظهرت الجنود العثمانية في الحرب مع
الروسيا من الشهامة والثبات ما حير رجال الحرب في أوروبا
وأدهش الروسيين . فان الجيش الروسي مع عظيم استعداده
وكثرة عدده لم يستول على « وارنا » الا بعد صعوبات جمة
ولم يستطع أخذ مدينة شوملا : واضطر للرجوع الى الورا
في شهرى اكتوبر ونوفمبر بعد ان خسر الخسائر الجمة . وقد
قارن وقتئذ (مترنيخ) وزير النمسا الاول تقهقر الروسيين

اتفاق لوندرة السالف الذكر . وأخذت روسيا من ذلك العهد تعمل لاعلان الحرب بينها وبين الدولة العلية . وبتاريخ ١٦ ابريل سنة ١٨٢٨ أشهرت بالفعل اعلانها الحرب لتركيا . وفي ٧ مايو اجتازت الجنود الروسية نهر (بروث)

ولا شك ان الدولة العلية كانت وقتئذ في أشد الاخطار وكانت أزمته شديدة قوية فان روسيا أظهرت عداها لها باسهار الحرب عليها . وانكلترا أظهرت عداها لها بمساعدة اليونانيين في السر والجهر وبترك أسطولها واقفا في مياه الشرق يهدد موانيها وبعقد المؤتمرات المختلفة لاعلان استقلال اليونان بالرغم عن اخضاع (ابراهيم باشا) لثورويهم وانصاف نار الفتنة . وفرنسا اشتركت في هذه العداوة بارسال جيش جرار تحت قيادة الجنرال « ميزون » الى بلاد اليونان

وقد رأى عندئذ المرحوم « محمد علي باشا » بنظره الصائب ان الدول الثلاث متفقة كلها ضد الدولة العلية وأن مأمورية مصر قد انتهت بقمع الثورة اليونانية فأصدر أمره الى ابنه المرحوم (ابراهيم باشا) بالعودة هو وجنوده الى

المتعددة الى وزارة البحرية الفرنسية وقد قال في كتاب
من كتبه (ان عدد السفن التي اعتدى اليونانيون عليها
وسرقوا ما بها بلغ في شهر واحد ستين سفينة) فليعجب
القارئ بقوم تحارب أوروبا بالاجلهم وتخون عهدها حبا فيهم
ويلطخ قواد أساطيلها شرفهم وشرف دولهم بمذبحة (ناورين)
وهم يجيئونها على هذا التناهي في الاحسان بالتناهي في اساءة
رعاياها وسرقة أمتعتهم وأموالهم ومتاجرهم ومصانعهم !!!



وقد طلبت الحكومة العثمانية من الدول الثلاث ترضية
علنية لمذبحة « ناورين » فرفضت الدول طلبها ولم تكثف
يرفضه فقط بل طلبت منها ان تقبل مطالبها المشتركة بشأن
اليونان وان تعلن استقلالها فأجابت الدولة على هذا الطلب
الغريب بالاندهاش والاستغراب والرفض . فبارح عندئذ
سفراء انكلترا والروسيا وفرنسا الاستانة بتاريخ ٨ ديسمبر

سنة ١٨٢٧

وفي ١٢ ديسمبر من السنة نفسها تجدد بين الدول الثلاث

بالاميرال الانكليزى انه طلب من الاميرال التركى ان
يسلمه امرأة من نسائى ؟ »

وانه ليسهل على القارىء ان يحكم بعد اطلاعه على أقوال
« ابراهيم باشا » أى الرجلين صادق . ابراهيم ذلك البطل
النادر المثال الذى عامل ثوار اليونان بعد انتصاره عليهم
النصر المبين بالرافة والرحمة وما سفك للابرياء دما . ذلك
الذى احترم عهده . أم كدرنجتون الذى تولى أمر تدمير
أساطيل لم تعاده أقل عدااء وخان بذلك عهده وكلامه وشرفه
بل لطخ أوروبا والمدنية الغربية بدنس الفضيحة والعار .



ويدما كانت الدول الثلاث تتداخل لصالح اليونانيين
وتسفك دماء الابرياء لاجلهم وتدمر الاساطيل غدرا
لمساعدتهم ونصرتهم كان اليونانيون يجمعون على سفن التجارة
الاوروبية ويسرقون كل ما فيها من المتاجر والمصانع والاموال .
وقد أيد هذه الحقيقة الاميرال الفرنساوى « دى رينى » نفسه
وكتب جملة كتب على هذه السرقات الفظيعة والتعدييات

تصريحات « ابراهيم باشا » بشأن تهم الاميرال كودرنجتون .
كتب المسيو بوجول مترجمته :

« قال لي (ابراهيم باشا) عند زيارتي له : انهم يتهمون
ابراهيم بأنه خان العهد ولم يحترم كلامه ولكنني مستعد لان
أسافر لباريس وللو ندره اذا اقتضى الحال ذلك لاطهر الحقيقة
ولكي يحمل الذين أسالوا دماء الابرياء وحدهم النضيحة
والملامة . وما أنشئت السفن الا لتكون فريسة النار أو
البحار فلذلك لست اليوم آسفا عليها . ولكن اتهاى بانى
خنت عهدى هو وشاية سافلة . وانى أعتمد على شرفك
يا حضرة الضابط لتباعد بكلمة بكامة الى أميراك ماقلته لك

فقل له ان ثانى يوم لواقعة « ناورين » دعا الاميرال
الانكليزى الاميرال التركى الى مركب انكليزية ووشى له
بانى قدمت اليه مبالغ طائلة ليساعدنى على الاستقلال بمصر
من الدولة العلية ومن التابعة للحضرة السلطانية وقال له بانى
خائن وأشار عليه بتبليغ ذلك للضباط والبحارة الاتراك .
فماذا يقال عن هذا السلوك وعن هذا الغش ؟ أولم تبلغ الواقعة

« كودرنجتون » لما علم بعدم موافقة حكومته على مذبحه
« ناورين » : « ان الوزراء يضحوننى ليحفظوا مراكرهم »
أما (ابراهيم باشا) فقد عاد بعد المذبح ولا يسألن
القارىء عن تحسره الشديد على أسطوله العظيم الذى تركه
زاهيا قويا وعاد فوجده أثرا بعد عين وعن عظيم اندهائه
من هذا العمل الفظيع الذى قام به دعاة المدنية وأنصار الحرية
والانسانية . وقد احتج (ابراهيم باشا) أشد الاحتجاج على
هذا العمل الوحشى وزاد احتجاجه واندهائه عند ما علم
بالمطاعن السافلة التى كان يوجهها اليه الاميرال (كودرنجتون)
وبان هذا الانكليزى الذى دمر الاساطيل المصرية والتركية
بأسفل الطرق وأدنى الوسائل ادعى انه - أى ابراهيم باشا -
هو الخائن للعهد الناكث لشروط الهدنة وانه المسبب لواقعة
(ناورين)

وقد كتب الضابط الفرنساوى البحرى المسيو (بوجول)
تاريخ مذبحه « ناورين » وأتى فيها على كل ما قاله له (ابراهيم
باشا) عقب المذبحه . وانا نأتى هنا على ترجمة فصل يتضمن

مذبحة (ناورين) بواقعة المجد والفخار . أما أنصار الحقيقة
فقد قضوا عليها شر قضاء ووجهوا الملام أشد الملام الى
حكومات فرنسا والروسيا وانكلترا التي قامت باسم المدينة
بأمر ليس فيه الا العار والشنار . وقد قال امبراطور النمسا
وقتئذ عن حادثة « ناورين » بانها « مذبحة » !! ونعم التسمية
وقال عنها جورج الرابع نفسه ملك انكلترا انها « حادثة
مشثومة »

وقد تهيج الاحرار في انكلترا ضد الاميرال « كودرنجتون »
واعتبروا عمله وحشيا لاشرف فيه ولا نخار فاضطرت
الحكومة الانكليزية لان تعان عدم موافقتها على عمل
« كودرنجتون » ولكنها لم تعلن عدم موافقتها على هذا
العمل الفظيع الوحشى الا بعد حدوثه ويتضح من المستندات
الرسمية التي لاتزال باقية في وزارة البحرية الفرنسية والتي
أتى على بعضها المسيو « الفريدليتر » في كتابه عن استقلال
اليونان ان حكومات فرنسا والروسيا وانكلترا كانت متفقة
من قبل على كل ماأتاه قواد أساطيلها . وقد قال الاميرال

في المورده فانتبهز قواد الاساطيل الدولية فرصة غيابه عن الاساطيل المصرية العثمانية وأجمعوا على تدميرها . فأصدر الاميرال (كودرنجتون) الانكليزي — الذي كانت له القيادة العامة على الاساطيل الفرنسية والروسية والانكليزية — أمره باستعداد السفن الدولية وعين لكل سفينة مكانها وألقى التعليمات اللازمة لكل ضابط يقود مركبا . وفي يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧ ادعى الاميرال (كودرنجتون) ان مركبا من المراكب المصرية قتل أحد بحارته انكليزيا من سفينة انكليزية . وجعل هذه الجريمة المختلقة سببا لتدمير المراكب المصرية والتركية فسلط عليها الاساطيل المتحدة الدولية حتي دمرتها عن آخرها وزالت هذه الاساطيل الفخمة في يوم واحد حيث كان قومندانها الاول وأميرها الاعظم (ابراهيم باشا) متغيبا عنها ظانا أن قواد الاساطيل الاوروبية يحترمون كلامهم وعهودهم !

ويقدر المؤرخون عدد الذين ماتوا من بحارة مصر في هذه المذبحة الشهيرة بستة آلاف بحري . وقد عد أنصار اليونان

لحين ورود أوامر الدولة وأوامر أبيه

ولكن قواد الاساطيل لم يعملوا باتفاقهم مع (ابراهيم باشا) بل أخذوا يراقبون حركاته وسكناته ويشجعون خلافا لشروط الهدنة كل ضابط يوناني أو أوروبى فى خدمة اليونان على مهاجمة المدائن والمواقع التى وقعت فى قبضة (ابراهيم باشا) وجنوده فشجعوا اللورد كوشران على مهاجمة قلعة (فازيلادى) كما شجعوا غيره من الضباط . وقد احتج (ابراهيم باشا) على هذه الاعمال ولما رأى ان احتجاجه لدى قواد الاساطيل الاوروبية لم ينفذ شيئا وتحقق من تشجيعهم اللورد كوشران على مهاجمة مدينة (باتراس) خرج من ميناء (ناورين) مع بعض مرابطيه لانتفاذ تلك المدينة التى كان بها فوق الالف مصرى . ولكن الاسطول الانكليزى أنذر (ابراهيم باشا) بالعودة الى (ناورين) فعاد هو وأسطوله احتراماً للهدنة التى كان يذكره بها قواد الاساطيل الاوروبية وكانوا لا يذكرون بها أنفسهم وجرى عندئذ ان (ابراهيم باشا) نزل الى البر وتوغل

وقد اجتهدت انكلترا بعد عقد هذه المعاهدة في استمالة فرنسا لها وللروسيا وتوصلت الى عقد اتفاق بينها وبين الدولتين لمساعدة اليونان ضد تركيا أمضى عليه في لונدره بتاريخ ٦ يوليو سنة ١٨٢٧



وقد كان هذا الاتفاق أساساً لواقعة (ناورين) الشهيرة فان الدول الثلاث لما رأّت ان (ابراهيم باشا) فاز في المورة وانتصر نصراً مبيناً واخضع اليونانيين كافة وان الثورة قاربت الانتهاء وأخذ لهيبها في الانطفاء أمرت كل واحدة منها أميرال أسطولها بأن ينذر (ابراهيم باشا) بالوقوف عن كل عمل عدائي ضد اليونانيين وبالعودة الى الاسكندرية مع رجاله وأسطوله . فرفض (ابراهيم باشا) هذا الطلب أو هذا الانذار قائلاً لكل أميرال انه لا يتبع غير أوامر أبيه وأوامر الدولة العلية . ولكنه لما رأى من قواد الاساطيل الاوروبية استعدادهم لاشهار الحرب لاسطوله وعدم برفع بلاغهم الى الاستانة والى والده الجليل . واتفق معهم على هدنة وقتية

وهكذا كانت انكلترا تفهم معنى صداقتها لتركيا ومعنى
اخلاصها لملك آل عثمان؛

ولما رأى المرحوم السلطان (محمود الثاني) ان انكلترا
والروسيا متفقتان ضده اضطر الى قبول مطالب روسيا
منتظرا الفرص المناسبة. وأرسل مندوبين من قبله للمخاطبة
مع مندوبي روسيا في أمر عقد معاهدة بين الدولتين. وقد
اجتمع المندوبون في (آق كرمان) ووضعوا بها في سبتمبر
عام ١٨٢٦ عهدة سميت باسم هذه المدينة تضمنت ان يكون
للروسيا حق الملاحة في البحر الاسود والمرور من البوغازين
بدون ان تفتش الدولة سفنها وأن تكون بلاد الصرب مستقلة
تقريبا وتضمنت كذلك بعض شروط مختلفة بامتيازات
الافلاق والبغدان

ويقول بعض المؤرخين ان الذي حمل تركيا على قبول
هذه المعاهدة غير اتفاق انكلترا والروسيا ضدها هو تعهد
الروسيا صريحا للحكومة العثمانية بعدم التدخل في صالح
اليونان

نيران الحرب

فانهزت انكلترا هذه الفرصة للتقرب من روسيا وأرسلت في بادئ الامر الى بلاد اليونان ثم الى الاستانة سفيرا يعرض توسط انكلترا بين الدولة العلية واليونان فرفضت الدولة طلبه بعد ان قبله اليونانيون الذين كانوا في أسوأ الحالات بفضل (ابراهيم باشا) بطل مصر وابن عزيزها فاغتازت انكلترا من الدولة وعدلت على الاضرار بمصالحها والانتقام منها وأرسلت (والنجتون) الشهير - بطل واترلو التي هزم فيها نابليون - الى سان بطرسبورغ ليتفق مع القيصر على المسئلة اليونانية ضد الدولة العلية وبالفعل اتفق معه وأمضى بينهما اتفاق يتضمن ان روسيا تقبل توسط انكلترا بين الدولة العلية واليونان وان بلاد اليونان تصير مستقلة استقلالاً نوعياً وانها تختار بنفسها حاكماً عليها

ومن الغريب ان انكلترا لما لم تفلح في أمر التوسط بين الدولة العلية واليونان أرادت أن تتوسط بالقوة والقهر وبالرغم عن الدولة العلية نفسها مستعينة في ذلك بالروسيا.

ورحلوا جميعا عنها بعد ذلك

وقد كتب المؤرخ الانكليزي (فني) في كتابه (تاريخ اليونان) عن خطة (رشيد باشا) ودخوله آتينا ما تعريه :

« لقد اكتسب (رشيد باشا) في سقوط آتينا بخطة التي جرى عليها شرفا أبديا . وظهر فوق السير (روبرشرش) شهامة في الحرب ورأيا في السلم . ولم يترك العثمانيون وسيلة من وسائل الاحتراس الا أتوها . ولم ينتقموا أقل انتقام من اليونانيين »



وقد توفي في أول ديسمبر عام ١٨٢٥ القيصر اسكندر الاول وتولى بعده (نيقولا الاول) . وما جلس هذا القيصر علي أريكة الملك حتي أعلن عداؤه لتركيا وأرسل للحكومة العثمانية بتاريخ ١٧ مارس سنة ١٨٢٦ انذارا يطلب منهافي جملة طلبات مختصة بالافلاق والبغدان وبلاد الصرب وترك لها مهلة ستة أسابيع لقبول طلباته وأنذرها بأنها ان لم تقبل هذه الطلبات انقطعت العلائق السياسية بين الدولتين واشتعلت

الامثال لاوامر السير (شرش) أى لاوامر قائدهم ورئيسهم
 فلما رأى ذلك (رشيد باشا) كتب الى المسيو (لوبلان)
 قومندان مركب (جومون) كتابا فى غاية اللطف والرفقة
 أظهر فيه انه عمل كل ما فى وسعه للمحافظة على أرواح الابرياء
 اليونانيين القاطنين بأتيننا ولكن خطة ثوارهم تحمله على اتخاذ
 طريقة أخرى للاستيلاء على أتيننا . وعندئذ أعلن السير
 (شرش) ثوار أتيننا بأنه يتركهم وأنفسهم لعدم امثالهم
 لاوامره . فوقعوا فى حيص بيص وارتبكوا أشد الارتباك
 وانتهزوا فرصة وجود مركب نمساوية فى الميناء فسألوا
 قومندانها التوسط بينهم وبين (رشيد باشا) فى أمر تسليم
 المدينة وقلاعها بطريقة سلمية . فسلم هذا الضابط النمساوى
 طلبهم للمسيو (دى رينى) قومندان مركب (سيرين)
 الفرنساوية فاستلم هذا الاخير الطلب وأخذ يخبر (رشيد
 باشا) مدة ثلاثة أيام حتى قبل القائد العثمانى دخول آتيننا
 بالسلم وعدم سفك الدماء . وفى يوم ٥ يونيو سنة ١٨٢٧
 أمضى زعماء الثورة اليونانية بآتيننا على شروط تسليم المدينة

بقبول (رشيد باشا) لهذه الشروط فرح كثيرا واندھش غاية الاندھاش من هذا الاعتدال العظيم الذي أظهره ظافر كبير كرشيد باشا

ولكن ثوار اليونان أرادوا أن يظهروا شيئا من الشھامة التي كان يترنم بها أنصارهم في أوروبا فرفضوا هذه الشروط وأبوا تسليم قلاع أتيننا . ولو كان (رشيد باشا) رجلا وحشيا كما قال عنه ذلك كذبا أنصار اليونان في أوروبا لكان دخل أتيننا جوابا على وقاحة ثوار اليونان وشھامتهم الكاذبة وقضى عليهم وعلى جنودهم وضباطهم شر قضاء ولكنه تأنى في الامر واستعمل الذعة التي جبل عليها رعاية للبرياء من سكان أتيننا الا ان (رشيد باشا) أنذر السير (شرش) بأنه اذا لم تسلّم أتيننا وقلاعها للجيش العثماني في أقرب زمن هاجم المدينة وكان جراً في عمله غير ملوم . فأرسل السير (شرش) بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٨٢٧ اعلانا لثوار أتيننا وضباطها أمرهم فيه بوجوب التسليم وأنذرهم بسوء العاقبة ان خالفوا أمره . ولكن ثوار أتيننا جروا على خطتهم الاولى ورفضوا

التاريخ . فقد جمع هذا القائد العثماني الجليل بين منتهى الشهامة
العثمانية ومنتهى الانسانية التي أمر بها الشرع الشريف
وان انتصار جيش (رشيد باشا) على ثوار اليونان في
آتينامن الانتصارات المعدودة في تاريخ الحروب البشرية .
فقد كاد السير (روبرشرش) نفسه يقع أسيرا في قبضة
العثمانيين لولا انه عند الهزيمة ألقى بنفسه الى البحر حتى أدرك
مركباً كانت بالقرب من الشاطئ

ولما رأى القائدان الانكليزيان ان لامناص من التسليم
وسقوط آتينا وقلاعها في أيدي العثمانيين سألوا قومندان
مركب (جومون) الفرنسي ان يتوسط بين اليونانيين
والعثمانيين في أمر الصلح فاجاب مسؤولهما وكتب بذلك الى
(رشيد باشا) فقبل القائد العثماني الشروط التي عرضها عليه
المسيو (لوبلان) قومندان مركب (جومون) وهي نزع
السلاح من الجنود اليونانية وترك الحرية المطلقة لكل من
أراد السفر من آتينا ومعاملة الذين يريدون البقاء فيها بالحسن
وعلى الخصوص الجرحى منهم . ولما علم السير (شرش)

(ابراهيم باشا) وجنوده تنهبوا للامر وأطلقوا الرصاص عليهم فحصل بين اليونانيين فزع شديد وولوا الادبار وفي فجر يوم ٢٣ ابريل من السنة نفسها أى في اليوم التالى سقطت مدينة (ميسولونجى) فى أيدى الجنود العثمانية .

وفى شهر يونيو سنة ١٨٢٧ استولى الجيش العثماني على مدينة (آتينا) عاصمة اليونان الحالية . وقد أعجب كل منصف محب للانسانية بالخطة التى جرى عليها العثمانيون فى دخولهم آتينا حيث عاملوا أهلها بالرفق ولم يقتلوا ولم يهينوا أحدا ما بخلاف ما عمله اليونانيون مع المسلمين عند استيلائهم فى أول الثورة اليونانية على المدائن والقرى

وتفصيل أخذ آتينا بالعثمانيين ان اليونانيين استدعوا اليهم اللورد (كوشران) والسير (روبرشرش) الانكليزيين ليقودا جيوشهم وعصابتهم فأجابا الطلب وسافرا الى اليونان وتوليا رئاسة الجيش اليونانى المحاصر فى آتينا

وقد أبدى الجيش العثماني بقيادة (رشيد باشا) فى محاصرة آتينا من المهارة والشهامة ما أبقي له ذكرا عاطرا فى

باشا مما أطل الحصار وأضر بالجيش العثماني ضرراً بليغاً .
ولما علم بذلك (ابراهيم باشا) سافر بجنوده الى (ميسولوجي)
وكانت الجنود المصرية وصلت عندئذ من مصر برفقة خسرو
باشا فقوى عدد الجيش المصري التركي المحاصر لهذه المدينة .
وفي ٩ مارس سنة ١٨٢٦ استولى الجيش على قلعة (فازيلياى)
وفي ١٣ منه سقطت (اتاليكون) فى أيدي العثمانيين ولما
رأى قواد الجيش المصري التركي ان (ميسولوجي) واقعة
فى أيديهم لا محالة وانها ان وقعت بغير التسليم من سكانها
أسيلت فيها الدماء كتبوا الى أهلها بتسليم المدينة والاسلحة
وخروج من يشاء الخروج منها وأعلنوا كل من يريد البقاء
فيها انه يبق آمناً مطمئناً

وقد جاء عندئذ (مياوليس) بأسطوله ووقف فى خليج
(باتراس) ولكن الاسطول المصري التركي هزمه شرهزيمة
وقضى بهذه الهزيمة على كل آمال اليونانيين

وقد أراد اليونانيون المقيمون بميسولوجي الهجوم على
الجيش المصري التركي فى مساء ٢٢ ابريل سنة ١٨٢٦ ولكن

مدينة (أرجوس)

وقد جعل اليونانيون دأبهم وقتل حرق مساكنهم
ومعاقلهم ومنازلهم وتخريب المدائن والقرى . وكان أنصار
اليونان في أوروبا يكذبون على العالم كله ويدعون أن ابراهيم
باشا هو الذى يخرب مدائن اليونان . وقد بلغت قحمة بعضهم
أن سماه بالسفاح !

أما خسرو باشا فقد صدرت اليه أوامر الدولة بأن
يسافر بأسطوله الى الاسكندرية حيث يستعد المرحوم (محمد
على باشا) لارسال مدد جديد . فسافر اليها وكان المرحوم
(ابراهيم باشا) أرسل كذلك بأسطوله اليها وبقى هو وجنوده
في الموره . فاهتم أمير مصر رحمه الله بتجنيد الجنود حتى
تهيئوا جميعاً وكان عددهم احدى عشر ألف مقاتل وسافروا
من الاسكندرية بتاريخ ٢٣ اكتوبر سنة ١٨٢٥ . وكان فى
ذلك الحين (رشيد باشا) محاصراً لمدينة « ميسولونجى » التى
كان المدد يصلها من اليونانيين من جهة البر وكانت محاطة
ببرك عفنة لتشتت منها الامراض والحميات فى جيش رشيد

اليها حسين بك الجريدلى المشهور بشهامته العظيمة ونظره
الصائب فى مسائل الاستحكامات العسكرية. فقهر جنود هذه
الجزيرة اليونانية واستولى عليها . وما مضى الا ثلاثة أيام على
استيلائه عليها حتى فتح أهالى (بيلوس) أبوابها وسألوا
(ابراهيم باشا) أن يتركهم يهربون بدون أن يلحق بهم الاذى
فقبل ذلك (ابراهيم باشا) وكانت نتيجة تسامحه الجميل ان
أهالى (ناورين) لما تضايقوا من طول الحصار ويئسوا من
الامر خابروه فى أمر تسليم المدينة اليه بعين الشروط التى
سلمت بها (بيلوس) فرضى ابن عزيز مصر بطلبهم وسقطت
(ناورين) فى أيدي المصريين فى شهر مايو سنة ١٨٢٥

ولما رأى (ابراهيم باشا) ان اليونانيين امتلأت قلوبهم
بالخوف منه ومن جنوده الاعزاء شرع فى مهاجمة مدائن
المورد ومعاقبتها فاستولى بدون صعوبة تذكر على (نيزى)
و (كالاماتا) وبلغ (تريوليتسا) التى تركها اليونانيون
وتركوا فيها ذخائرهم من شدة تسرعهم فى الهروب منها .
وفى ٢٦ يونيو من سنة ١٨٢٥ استولى (ابراهيم باشا) على

أما (ابراهيم باشا) فقد أتم كل تجهيزاته ومعداته وسار
بأسطوله وجنوده قاصداً (مودون) بالمورة حيث وصلها في
٢٤ فبراير سنة ١٨٢٥ . وما استقر بها حتى أخذ يهيء الجيش
للقـتال والحرب . وفي ٢٥ مارس من السنة نفسها بدأ المصريون
بمحاصرة مدينة (ناورين) الشهيرة ومدينة (بيلوس)
ولا يسـل القارىء عن مقدار الاحتقار والازدراء الذى
كان يظهره اليونانيون نحو الجنود المصرية المظفرة فقد كانوا
يظنونهم نساء فى الحرب يهربون من ساحة القتال لا ول طلقة
نارية . ولكنهم لما اقتربوا منهم عرفوا أن أمامهم شجعانا
كبارا وأبطالا يحق لمصر على مدى الدهر أن تقتخر بهم
كل الفخار وحق لمحمد على ولائـه الكـريم وقتئذ ويحق
لسـالـتـهـما من بعد ان تفاخر بهم جنود أعظم الامم المتمدنة
وفى كل واقعة حدثت بين المصريين واليونانيين كان
اليونانيون يولون الادبار ويهربون مسلمين البلاد والمواقع !
وقد رأى (ابراهيم باشا) ان الاستيلاء على (ناورين)
لا يكون الا بالاستيلاء على جزيرة (سفاكـتـيرـيا) فارسل

وفي أول سبتمبر عام ١٨٢٤ اجتمع المصريون والأتراك
في خايخ (بودرون) تحت القيادة العامة لخسرو باشا. فلما علم
(مياوليس) رئيس بحرية ثوار اليونان باجتماع هذه القوى
العظيمة جمع سفن الثوار كلها بين (كوس) وجزيرة (كاباري)
فوجه عندئذ (ابراهيم باشا) أسطوله الى جزيرة كريد حيث
كان وصلها من الاسكندرية جنود أخرى وأسلحة وذخائر
جديدة وجرى حين ذاك ان البحارة اليونانيين الذين كانوا
تحت قيادة (مياوليس) طالبوه بماهياتهم وممتلكاتهم الماضية
وأذروه بأنهم يعودون الى جزائرهم ولا يبقون بسفنه اذا لم
يعطهم هذه المرتبات. فخار (مياوليس) في أمره مع هؤلاء
القوم الذين كان يظنهم شجعاناً أبطالا وخداماً للوطن اليوناني
والذين كان يسميهم أنصار اليونان في أوروبا برجال الحرية
والاستقلال وبورثة اليونانيين القدماء !!!

فاضطر عندئذ (مياوليس) الى الذهاب الى مدينة
(بوبيلى). وقد كانت هذه المدينة مركز حكومة اليونان
الثورية

حرية عظيمة ومن ثمانية آلاف جندي مصرى من خيرة الرجال . وكان مع الاسطول والجيش ذخيرة سنتين كاملتين وبعد مبارحة الجنود المصرية لشغل الاسكندرية وقفت بحزيرة (كاكسوس) وأخضعها وقهرت أهلها الذين كان أغلبهم يعيش من النهب والسلب . وبعد ذلك بقليل استولى الاميرال التركى خسرو باشا على « ايدسارا » التى أتى أهلها من قبل اخضاع الدولة لها من الفظائع ما يعجز القلم عن وصفه حتى أنهم قتلوا الكثيرين من أهل ساموس لعدم رضاهم بدفع شبه جزية لهم

وما أخذ المصريون والاتراك هذين الموقعين المهمين حتى نادى أنصار اليونان فى أوروبا بالويل والثبور ونشروا الأكاذيب والمفتريات عن دخول العثمانيين فى هذين البلدين مدعين أنهم ذبحوا الأبرياء وقتلوا الأطفال والنساء . هذه العبارات نفسها التى تذكر فى كل خلاف يقع بين المسلمين والمسيحيين فى الدولة العلية والتى لا تتغير وإن تغيرت الظروف والحوادث

على كل بلادهم حتى ارتفعت أصوات أنصار اليونان في أوروبا
ضدهم وسموا بطل مصر المرحوم (ابراهيم باشا) بالسفاح
اظهاراً لغيظهم من رجل قام بالواجب عليه نحو دولته وأمته
وملته .

وقد قدمنا فيما سبق ان البحرية العثمانية كان أغلب
عمالها من اليونانيين وكانت غير قادرة على قطع دابر اللصوص
من الارخبيل وحدها فلما طلب المرحوم السلطان (محمود)
من عزيز مصر ان يمدد برجاله وسفنه أمر المرحوم (محمد
على باشا) بارسال أساطيل مصر الفخمة الى مياه الارخبيل
فاستعدت البواخر في الاسكندرية . ورأى عندئذ هذا
الميناء الزاهر مظهر جلال مصر وقوتها في البحر مما لم تر له
طول حياتها مثيلاً . وكان الرأي المنتشر حين ذاك بين قناصل
دول أوروبا في مصر ان مصر بقوتها وسلطانها تقهر وحدها
بلاد اليونان وتعيدها خاضعة للدولة العلية قبل تمام ستة أشهر
وقد أتمت مصر تجهيزاتها الحربية في ٩ يونيو سنة ١٨٢٤
وكان الاسطول المصري مركباً من ثلاث وستين مركباً

المرحوم (ابراهيم باشا)

وفي أثناء تأهب المصريين للدخول في بلاد اليونان كانت الدول الأوروبية تتناقش في سان بطرسبورغ في أمر المسئلة اليونانية ولكن انكلترا كانت تعمل على عدم نجاح المؤتمر حتى يكون لها حرية تامة في العمل . وغاية ما أقر عليه هذا المؤتمر هو ان الدول الأوروبية تطالب من الباب العالي ان يعطى أمة اليونان شيئا من الحرية والاستقلال في ادارتها . وقد أجاب الباب العالي على هذا الطلب بأنه لا يهب اليونانيين حقا جديدا الا بعد تمام خضوعهم وانه لا يقبل مطلقا تدخل أية دولة أوروبية أو كل الدول بينه وبين رعاياه

*
**

أما المصريون فقد أتوا في بلاد اليونان من الاعمال ما يخلده لهم التاريخ وما يحق لمصر ان تفتخر به في كل آن وفي كل زمان . فانهم خدموا الدولة العلية أكبر الخدم وأجلها وبرهنوا على ان المصري اذا تعلم وتربى يقوم بأشرف الاعمال وأعظمها . فتد هزم المصريون اليونانيين شرهزيمة واستولوا

واستخدامها في سبيل سياستها قاموا في وجهها وردوها عن
محاربة تركيائهم تظاهروا بعدئذ بنصرة اليونان أكثر منها
حتى حول اليونانيون أنظارهم الى بريطانيا وصار للانكليز
النفوذ الاول في اليونان . حيث شكلوا في لوندرة الجمعيات
العديدة لمساعدة اليونان ونصرتهم ولم يتأخر ماليا انكلترا
عن تسليف مبالغ طائلة لحكومة اليونان الثورية . فصارت
انكلترا بذلك أول عدوة للدولة العلية وأول دولة منتصرة
اليونان .

وفي أوائل عام ١٨٢٣ صار حاكم الجزائر اليونانية
الانكليزي الذي كان يعامل قبل هذا الحين ثوار اليونان
بغاية القساوة والشدة يحميهم ويساعدهم ويتركهم يتآمرون في
جزائره ضد الدولة العلية .

ولما رأت الدولة ان الاضطرابات قد كثرت في بلاد
اليونان وان الثورة قد عمت كل انحاءها طلبت من المرحوم
(محمد علي باشا) عزيز مصر ان يمددها بالرجال فأجاب الطلب
وأرسل جيشا جرارا على أساطيل مصر تحت قيادة ابنه

الشرف والشهامة غير خائفة تهديها ووعيدها . فترك عندئذ
سفير روسيا الاستانة وأعلن في ٨ أغسطس سنة ١٨٢١
انقطاع العلائق السياسية بين الدولتين فيما رأت النمسا ذلك
خافت النتائج الهائلة والعواقب الوخيمة التي تنتج عن الحرب
بين تركيا وروسيا واتفقت مع انكلترا على مقاومة روسيا
ومعارضة أغراضها واتحدت معها على منع الحرب بين الدولة
العلية وبينها بكل الوسائل فكتبت وزارة لوندرد كما كتبت
وزارة فيينا الى القيصر تعارض مشروعاته وتعهده بالتوسط
مع النمسا لدى الباب العالي لنوال ترضية للروسيا . فقبل
القيصر توسط النمسا وانكلترا وأطاع نصائحهما . وبالنعل
توصل ساسة النمسا وانكلترا الى منع الحرب بين روسيا
وتركيا

ولا يحسن القارىء ان توسط انكلترا مع النمسا لمنع
الحرب بين الدولة العلية وروسيا كانت تقصد به انكلترا
خدمة تركيا أو مساعدتها . بل الحقيقة ان الانكليز لما رأوا
الروس يتسعون لجعل بلاد اليونان تحت حمايتها المعنوية

العلية بانها تذبح الابرياء وتسفك الدماء . فأرسل عندئذ
القيصر (اسكندر) انذارا للدولة العلية على يد سفيره بالاستانة
المسيو (ستروجونوف) جاء فيه

« ان الباب العالي يجبر المسيحية على أن تتسائل اذا
كانت تستطيع أن تنظر بغير حراك الى اباداة أمة مسيحية
وترضى بهذه الالهانات الموجهة للدين المسيحى » . وطالب
القيصر من الدولة العلية فى مذكرته هذه طلبات ملؤها
التهديد والوعيد

وفى الوقت نفسه أرسل الى الدول الاوروبية مذكورة
يفسر فيها لها خطته وسلوكه ويسألها عن الخطة التى تنوى
كل واحدة منها اتباعها اذا قامت الحرب بين روسيا والدولة
العلية . وعلى أي صورة ترضى كل منها تقسيم الدولة
العلية

فكان القيصر اسكندر الاول يريد بثورة اليونان تقسيم
الدولة العلية وبلوغ أمانيه من الاستانة والبوسفور
أما الدولة العلية فقد أجابت على انذار روسيا بغاية

لحياج الشعب ضده . فغادر الاستانة على باخرة عثمانية قاصدا
بلاد الحجاز . ولما وصلت الباخرة الارخيل هجمت عليها
بعض السفن اليونانية وضايقتها من كل جانب حتى أسرتها
وأخذت ما فيها من الاموال والخيرات . ولما رأى البحارة
اليونانيون ان شيخ الاسلام وعائلته بين ركاب السفينة
قبضوا على بناته وذبحوهن أمامه وألقوا بهن الى البحر ثم قتلوا
كل من بالسفينة على مشهد منه حتى صار وحده أمامهم
فقتلوه شر قتلة جزاء له على نصحه المسلمين بالسكينة وعدم
الاعتداء على الابرياء من بنى اليونان !!



وقد أحدثت مذابح اليونان تأثيراً شديداً في روسيا
فقام القسس ورجال الدين يحرضون الاهالى ورجال الحكومة
على أن يطلبوا من القيصر الانتقام من الهلال للصليب وطردهم
الاتراك المسلمين من بلاد اليونان المسيحية . ومع ان اليونانيين
هم الذين اعتدوا على المسلمين وأتوا الفظائع الجسام فان أنصار
اليونان في أوروبا مלאوا الارض بكاء وعويلاً واتهموا الدولة

وسوء القصد على رجال يعملون لجمع الاموال بدعوى
الانسانية وانه يجب ان يكون الانسان هنا ليعتقد ذلك »
وقد استعملت هذه الوسائل في جهات مختلفة وأهاج
ثوار اليونان كل المسيحيين في البلاد اليونانية اما بدعوى
الدين واما بالتهديدات والانذارات

أما في الارخبيل فقد جعل اليونانيون همهم الاكبر
السرقه والصوصية والقتل والسلب والنهب . وقد كانت
الدولة العلية استخدمت الكثيرين من أبناء اليونان في بحريتها
ثقة منها بهم كثقتها بكل رعاياها على اختلاف دياناتهم
وأجناسهم . فلما قامت الثورة اليونانية ترك البحرية العثمانية
كل اليونانيين الموظفين بها فعاق ذلك الدولة العلية عن قمع
الثورة في الارخبيل كما قمعها بعد في بلاد اليونان نفسها

وقد قدمنا فيما سبق ان شيخ الاسلام أصدر منشورا
بالاستانة نصح فيه المسلمين بالسكينة وعدم الاعتداء على
الابرياء من اليونانيين وقتلنا ان مكافأته من هؤلاء كانت
القتل . وذلك ان المرحوم السلطان (محمود) عزله من منصبه

وقد انتشر بعض أعضاء الهيئتين في أزمير وجعلوا
 غايتهم جمع الاموال بأدنى الوسائل وأسفل الطرق والقاء
 الخوف والرعب في نفوس اليونانيين المقيمين بأزمير .
 فأشاعوا الاشاعات المختلفة عن نوايا الدولة العلية نحو اليونانيين
 حتى اضطرت العائلات اليونانية كلها الى المهاجرة من أزمير
 فاستفاد أعضاء الهيئتين من هذه المهاجرة انهم جمعوا أموالاً
 كثيرة وأوهموا أوروبا بأن سبب هذه المهاجرة ظلم الدولة
 العلية وسوء معاملتها لليونانيين !!!

ومما يؤكد ذلك ان أحد رجال فرنسا بعث من أزمير
 بكتاب الى وزير البحرية الفرنسية في ذلك الحين جاء فيه :
 « وقد أشاع في كل أنحاء المدينة رجال يعملون على جمع
 الاموال بكل الوسائل الدينية الاشاعات المزعجة للخواطر
 بشأن نوايا الاتراك . فحتى علم الاهالى بأن أحد بواخرنا
 تقصد ميناء الارخبيل تأتينا العائلات اليونانية وتسألني من
 كل جانب السفر على هذه البواخر . وقد يطول بي الامر
 اذا أردت أن أشرح لسعادتكم كل الوسائل التي يملها الشره

جداً وهاج الأهل طالين عقاب اليونانيين الذين لهم يد
في جمعية الهيترى . فقام عندئذ شيخ الاسلام ونصح المسلمين
بالسكينة والاعتدال وعدم الاعتداء على الأبرياء انتقاماً من
الآفكين (وسيرى القارىء ان اليونانيين كافأوا شيخ
الاسلام هذا بأن قتلوه هو وعائلته بعد ندائه فى صالح
الأبرياء منهم)

فلما علم المرحوم (السلطان محمود) بما عمله اليونانيون
بدسائس جمعية الهيترى أمر بتفتيش منازل بعض اليونانيين
المشتبه فيهم وعمل تحقيق تام على كل الذين اشتبه فى أمرهم .
فأبان التحقيق ادانة الكثيرين من اليونانيين ومنهم
(موروزى) الذى كان للسلطان به ثقة عظيمة فاستعملها فى
تبليغ أعضاء الهيترى أسرار السياسة العثمانية . والبطريق
(جريجورىوس) فأمر السلطان باعدام الجميع عبرة لغيرهم من
المفسدين والثوار

أما فى آتينا فقد اتبع اليونانيون خطهم الدموية بنفسها
فأسالوا الدماء بكثرة عظيمة ولم يرحموا أحداً من المسلمين

طويل على مدينة (تريبوليتزا) . وانه يستحيل على كاتب شرقى أو غربى مهما كانت بلاغته وقوة انشاءه وعظيم تأثيره ان يصف المذابح الهائلة البهيمية - أو التى لا اسم لها - التى أتاها اليونانيون . بل يكفى القارىء ان يعلم ان اليونانيين ذبحوا فى (تريبوليتزا) ثمانية آلاف من الرجال وفوق ذلك من النساء وان المذابح استمرت ثلاثة أيام كاملات حتى فسد الجو وتغير الهواء وانتشر من بعدها الوباء حيث عم كل بلاد اليونان وجاء من المنتقم الجبار منتقماً للأبرياء الشهداء من الظالمين المحرمين السافكين للدماء

وقد كتب أغلب كتاب أوروبا الا من أعمام الغرض والتعصب على هذه الفظائع ووصفوها كما تستحق فقال عنها الكاتب الانكليزى (فنلى) المشهور - وكان قد شهد الحادثة بعينه - فى كتابه (تاريخ اليونان) :

« ان منظر هذه المذابح لا يعادله منظر فى تاريخ البشر لاني فظاعته ولا فى طول مدته »

وقد أحدثت هذه الفظائع فى الاستانة تأثيراً شديداً

مشرقاً لآنوار الحكمة والعرفان ؟؟

وقد استولى ثوار اليونان في ١٩ أغسطس سنة ١٨٢١
على مدينة (ناورين) الشهيرة وأتوا فيها من الفظائع ما لم ترو
عين ولم تسمع به أذن
وكتب عن هذه الفظائع القس الارثوذكسي (فرانتريس)
ما ترجمته

وكانت البنات التي تريد الهروب من أيدي القتلة تجري
نحو شاطئ البحر وعلى أجسادها أثر الرصاص . ومع ذلك
كانت ترمى وتقتل . وكانت النساء يحمل أكثرهن الاطفال
على الذراع فيمزق المعتدون ملابسهن . والتي كانت تلقى
بنفسها الى البحر لتستر عورتها كانت ترمى كذلك
بالرصاص وتقتل . وقد هشمت رؤوس بعض الاطفال الذين
اختطفوا من أمهاتهم . وألقى اليونانيون في عميق البحار بناتا
وأطفالا لم يتجاوز أغلبهم الرابعة أو الخامسة من العمر كأنهم
قطع من لحوم الكلاب »

وفي ٥ أكتوبر نفسها استولى ثوار اليونان بعد حصار

اليونانيون ضرب هاته العائلات بالرصاص . ولم تنج من أيديهم الا بفضل المسيو « دى بونفور » الذى هدد اليونانيين وأخذ كل الاتراك الموجودين بهذه الجهة فى سفينة مخاطبا ضباط اليونانيين بأن ماعملوه هم ورجالهم لا يأتى به الا لصوص البحار ! »

وهذا التقرير وحده يشهد بأبدع بيان على أن أنصار اليونان فى أوروبا كذبوا على العالم كله الا كاذب الشنيعة وان الجرائم والفظائع الدموية التى جرت فى بلاد اليونان لم يأتها الا يونانيون ضد المسلمين

وان الفيلسوف ليقف مندهشا امام هذه الدنيا والجرائم ويعجب كيف ان شعراء أوروبا وكتابها كانوا ينتصرون لقوم لا تغذى أرواحهم الا بذبح الابرياء ولا تستريح نفوسهم الا الى الجرائم . فهل كان ينتظر شعراء أوروبا وكتابها من هؤلاء القوم الذين كتب عنهم ضباط أوروبا نفسها وبعض من أفاضل كتابها ماقرأه القارئ أن يعيدوا الربوع اليونان مجدها السالف وأن يردوا للوجود أتيناً

اليونانيين وهم متساحون بأنواع السلاح ويتمثل مناظر المعارك
الدموية التي تجرى بينهم ودفاع الموت الذي يدافع به
المسلمون عن نسائهم وأطفالهم

وقد كتب الكونت أيرال الفرنسي (هاجان) في
عام ١٨٢١ تقريراً عن دخول اليونانيين الى (مونبازيا)
جاء فيه

« وقد وجد في قلعة مونبازيا ثلاثمائة يوناني لم يكتف
الأتراك أيام الحصار بمعاملتهم بالحسنى بل عاملوهم كاخوتهم
الحقيقيين أثناء المجاعة واحترموا كنائسهم كل الاحترام .
ولكن يونانيوالموره لم يعاملوا الأتراك بنفس هذه المعاملة
عند ما أخذوا المدينة . بل أتوا بأشنع القبائح وأفظعها في
مساجد الأتراك

« أما المسجونون فقد أرسلوا بغير زاد الى « كاسوميس »
ووجدت على الأرض العائلات الاسلامية التعسة تنازع
نزاع الموت من الجوع والعطش وهى نائمة على الاحجار . وحوالى
الجزيرة وجدت جثث القتلى . وبالرغم عن ذلك كله فقد أراد

المسمى (محطة الشرق) فقد جاء بالرغم عن شدة تعصب المؤلف ضد المسلمين بحقائق ينجل منها كل انسان يحترم الانسانية ومحبتها .

ولما كانت المورة كما قدمنا منبعاً للشورات والاضطرابات حاصر اليونانيون مدينة (مونبازيا) فقاوم أهلها الحصار طويلاً حتى فقدوا كل الذخائر والمأكولات . وكان يقود اليونانيين وقتئذ (ديمتريوس ايسيلانتى) فاستعمل الخداع للاستيلاء على هذه المدينة وأعلن أهلها بأنه يحترم أملاكهم وأموالهم ويحترم قبل كل شيء أرواحهم اذا سلموا المدينة وأنه يساعدهم على الرحيل منها اذا أرادوا ذلك . فصدق أهل هذه المدينة الشقية كلام (ايسيلانتى) وسلموا القلعة والاسلحة ندخل اليونانيون المدينة وأول شيء قاموا به هو انهم لم يحترموا رئيسهم قولاً ولا عهداً بل هتكوا الاعراض ونهبوا الاموال وقتلوا النساء والاطفال قبل الرجال

وأنه ليس سهل على القارىء أن يتمثل قوماً لا سلاح بأيديهم ولا قوة تحميهم يهجم عليهم جماعة من أشرار

والمنكرات ووافق عليها باسم الانتقام من الاسلام والمطالبة بالحرية :

وقد كانت جمعية الهيترى تهدد الاغنياء من اليونانيين بالقتل ان لم يساعدوها بالمال — وقد اتبعت هذه الخطة نفسها جمعية ثوار الارمن مع اغنياء الطائفة الارمنية — وحصل ان (ايسيلانتى) المذكور لما جاء مدينة (ياسى) علم بوجود يوناني عظيم الثروة اسمه (بول اندرياس) فألقى القبض عليه بدعوى انه اختاس أموالا كثيرة من أموال الهيترى فأدرك الرجل ان هذه التهمة ألقيت عليه ليقتل لا ايسيلانتى شيئا من المال فتعل ذلك وكان فى فعله نجاته

وقد أحدثت هذه النظائم التى جرت فى (ياسى) فى كل بلاد اليونان فرحا شديدا واشتاتت نفوس أهاليها للسلب والنهب وذبح المسلمين باسم الحرية والدين ! وقد يجد الانسان فى بعض الكتب المنتصر أصحابها لليونان فصولا طويلة على هذه المذابح المختلفة والجرائم العديدة ومن هذه المؤلفات أشهرها مؤلف المسيو (بوكفيل)

(جالاثر) — وهو ميناء من رومانيا على الدانوب — وهجم على قلعتها برجاله العديدين حيث نهبوا وسلبوا وقتلوا من في المدينة كلها وأسالوا الدماء وخرّبوا المنازل . وقد أشاع اليونانيون عندئذ في كل اصقاع العالم ان ما أتوه في هذا الميناء الصغير الذى لا يكاد يوجد به جنود يعد انتصارا كبيرا على الدولة العثمانية وعملا عظيما . وهاج كذلك أعضاء الهيئتين بمدينة (ياسى) واحتالوا على حرسها وكان مكونا من خمسين رجلا فأفهموهم ان الاهالى عازمون على الثورة وقطع دابر الاتراك ولكنهم ان تجردوا من أسلحتهم وبنادقهم توطد الامن فى المدينة وعادت الامور الى السكينة والسلام فاغتر رئيس الحرس وظن ان أعضاء الهيئتين صادقون فى أقوالهم فأجاب طلبهم وأمر الجنود بالتجرد من السلاح والذخائر الحربية . فقابل اليونانيون هذا العمل بأن نشروا لواء النهب والسلب فى المدينة ورفعوا راية الفتك بالمسلمين فقتلوا الكثير منهم بلا تمييز بين الرجال والنساء والاطفال . ولما جاء (ايسيلانتى) زعيم جمعية الهيئتين استحسن هذه الفظائع

منه الجيش العثماني . فلم يجد له مخرجاً من ورطته الا حرق مدينة « يانينا » والالتجاء الى جزيرة كان بنى فيها قلعة حصينة جمع فيها كل ذخائره وأمواله

وقد كان يقود الجيش العثماني ضده خورشيد باشا حاكم الموره فوصل بمهارته وحكمته الى دخول القلعة التي كان ملتجئاً اليها هذا المتمرّد ولما لم يجد على باشا لنفسه سبيلاً غير التسليم سلم نفسه لخورشيد باشا الذي أنفذ أمر الدولة بقتله عقاباً له على تمرده وعصيانه . وفي أوائل فبراير سنة ١٨٢٢ أرسل برأسه الى الاستانة لتعلق في مكان عام انذاراً لكل عدو للدولة ولكل خائن



وقد انتهز اليونانيون فرصة عصيان على باشا والى يانينا وأخذوا يسلبون وينهبون في كل انحاء اليونان وجعلوا المورة منبع الثورات والاضطرابات خللوا من العدد الكافي من الجنود العثمانية . وفي ٥ مارس عام ١٨٢١ دخل من يدعى (كارافيا) وهو يوناني تعلم الجندية في الروسية في ميناء

وقد علمت الدولة وقتئذ بان الانكليز يشجعون على
باشا على رفع لواء العصيان ضد الدولة العلية ووقفت على كل
مراسلاته مع اليونانيين فامتلات غيظا منه واعتبر خائنا
للدولة والملة وأصدر شيخ الاسلام منشورا للمسلمين باعتباره
خارجا على الدولة كافرا بنعمتها.

وقد أمرته الدولة بالحضور الى الاستانة في ظرف
أربعين يوما فخالف أمرها وصمم على معاداتها والقيام في
وجهها . وصار يجتهد في استمالة المسلمين اليه فلما لم يفلح لانهم
جميعا اعتبروه خائنا وخارجا من دين الاسلام مال الى
اليونانيين وصار يتقرب منهم ويستنصر بهم ضد الدولة ويوزع
الاموال عليهم ولما أراد الانتفاع بهذا الود سألهم بتارخ
٢٤ مايو سنة ١٨٢٠ تكوين جيش ينصره ضد الدولة. ولكن
اليونانيين الذين كانوا يعرفون أخذ الاموال وسماع المدائح
وبدائع الاقوال من هذا الطاغية كانوا يعرفون من أنفسهم
انهم عاجزون عن تقديم الاسلحة والرجال فلم يجيبوا للعاصي
طلبا ولم يلبوا له نداء بل بقى يناديهم وهم صامتون حتى اقترب



وقد انتهز اليونانيون فرصة قيام (على باشا) وإلى
يأنيه ضد الدولة العلية لاجداث الاضطرابات والهيجان في
كل انحاء بلاد اليونان . فقد طغى هذا الباشا وعصى الدولة
العلية وأراد الاستقلال والخروج من تحت السلطة الشرعية
فصار يعمل لاستمالة اليونانيين اليه ضد الدولة العثمانية .
ولكن أطماعه الشديدة وأخلاقه الشرسة أكثر من
أعدائه بالرغم عن تعلقه لليونانيين ونفاقه

وسبب عصيانه على الدولة ان اسماعيل باشا اكبر
أصدقائه وأول المقربين اليه وقع بينه وبينه خلاف شديد
أدى الى هروب اسماعيل باشا الى الاستانة حيث تعين فيها
بالحرس السلطاني وأبلغ رجال الدولة أعمال هذا الرجل وسوء
نواياه . فقررت الدولة عزل ابنه الذي كان حاكما لتساليا .
فاغتاز على باشا من ذلك وأرسل أحد أتباعه من الالبانيين
الى الاستانة لقتل اسماعيل باشا . وبالفعل قتله هذا الالباني
عند ذهابه للصلاة

المسلحون للصوص البحار . ولولا تداخل الدول خضع
اليونانيون جميعا هذا العام . واعترافا بالجميل نحو أمم أوروبا
لا يزال للصوص اليونانيون يعتدون على تجارة هذه الامم
نفسها ! »

وكتب الامير (ريني) أميرال الاساطيل الفرنسية
بالبحر الابيض المتوسط من أزمير بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٨٢٦
ماتعريبه :

لقد تغش أوروبا بشأن كل مايختص بثورة اليونانيين
ضد تركيا . فقد تنقص المستندات الرسمية و ليس من عادة
الاتراك ان ينشروها . والتقارير اليونانية ليست الامراسلات
خصوصية تجسم فيها الامور وتمر على (زانت) و (كورفو)
والنمسا قبل أن تلونها الجرائد في لوندرد وباريس بالالوان
الساطعة البهية . ولكنها في أغلب الاحيان ألوان كاذبة . ولا
شك ان هذا هو اللازم للتأثير على أفكار العالم . ولكن هذا
لا يكفي لانارة أفكار الذين يقودون زمام الامور

كانوا سافروا الى بلاد اليونان لنصرة الثائرين فيها الى أميرال البحرية الفرنسية بالبحر الأبيض المتوسط يسألونه فيها أن يردهم الى فرنسا. وهذه العريضة تترجم للتقاريء عن الحقيقة وعن أكاذيب أنصار اليونان وقد جاء فيها : « وقد وصفوا لنا اليونانيين قبل سفرنا من فرنسا بشجعان وأبطال يفوقون آباءهم الأولين شهامة ومجداً. فما وجدنا هنا الا رجالا يحملهم حب المال على حب الجرائم وأناس لا يزالون في ظلمات الجهالة والوحشية »

وقد كتب القومندان (بوجول) في مذكراته عن ثورة اليونان بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٢٧ ما تعريبه :

وقد جئت الشرق وأنا من أكبر أنصار هذه الأمة (اليونانية) ولم يتغير اعتقادي فيها واحساسى نحوها الا بالتجربة. فهى مجردة عن الوطنية والشجاعة والاتحاد وهم كل رئيس من رؤسائها أن يكون غنياً وقد بلغت الفوضى حدها فى بلاد اليونان. وأغلب أعضاء حكومتها — وكلهم محقرون أشد الاحتقار — معروفون من الجميع بأنهم

سبيل شروق شمس الحكمة والعرفان من أتيننا »

ومن الغريب ان أغلب أنصار اليونانيين ان لم نقل
كلهم كانوا يجهلون تمام الجهل بلاد اليونان وأهلها . على
أنهم لو كانوا أرسلوا بعض الوفود لزيارة هذه البلاد
والوقوف على حقيقتها وحقيقة أهلها لكانوا أدركوا أنهم
مخطئون خطأ كبيراً وان آمالهم البعيدة حلم لا حقيقة له
ويستحيل أن يكون له وجود

وقد أنصف بعض الكتاب الاوروبيين الدولة العلية
وأظهروا للعالم المتمدن الحقيقة التي لامراء فيها وفضحوا
أعمال اليونانيين حتى خجل أنصارهم . وفي مقدمة هؤلاء
الكتاب الفضلاء (الفريدلتر) الفرنساوى فقد وضع
كتاباً على استقلال اليونان كشف فيه الغطاء عن أمور عديدة
تشرف الدولة العلية وترفع من مقامها أمام التاريخ وتشهر
أكاذيب أنصار اليونان الجمة

ومن المستندات الرسمية العديدة التي أوردها حضرة
المؤلف السالف الذكر عريضة رفعها جماعة من الفرنسيين

الكتاب الذين لا دين لهم ولا عقيدة في أفئدتهم يدافعون عن
اليونانيين باسم الدين المسيحي ويوجهون الى الاسلام أقبح
الساباب وأدنى الشتائم

وكان أنصار اليونانيين يحسبونهم كأبائهم الاولين متى
نالوا حريتهم واستقلالهم بزغت شمس المعارف والآداب
والفلسفة من بلادهم وعادت أتيننا مشرقاً لانوار الحكمة
والعرفان . والذين كانوا ينتصرون لليونانيين مؤملين هذا
الامل كانوا اما متعصبين في الدين ضد المساميين يحملهم بغضهم
على اعتقاد فاسد كهذا أو كانوا سليمي النية . فلقد برهن
اليونانيون بعد استقلالهم على ان بينهم وبين اليونانيين
القدماء بونا بعيدا وفرقا عظيما

ولا ريب ان أولئك الذين كانوا ينتظرون شروق أنوار
الحكمة والفلسفة العالية من أبناء أتيننا الحاليين تحسروا
طويلا واندeshوا منتهى الاندهاش من خطئهم في آمالهم
هذا الخطأ الكبير واعتدائهم بغير حق على السلطنة السنية
التي كانوا يقولون عنها انها المانعة لترقي اليونان والواقفة في

لهم كبرلمان يوناني



وما انتشر في أوروبا خبر قيام اليونانيين بالثورة ضد الدولة العلية حتى تظاهر الكثيرون من الكتاب والشعراء بتعريضهم والانتصار لثورتهم ضد المسلمين . وأول من جاهر بالانتصار لليونانيين وبالنداء باستقلالهم هو اللورد (بيرون) الشاعر الانكليزي . فقد هاجر من بلاده وعاش غريباً ينشد مجد اليونان السالف وينادي أوروبا بمساعدة أبناء اليونان ونصرتهم . وقد أثرت كتاباته وأشعاره في أغلب بلاد أوروبا وجرى على سنته الكثير من شعراء فرنسا وكتابها وفي مقدمتهم (فيكتور هوغو) الشاعر الشهير . وأسست اللجان المختلفة في فرنسا وانكلترا لمساعدة اليونانيين بالمال والرجال . وسافر المتطوعون من كل بلد في أوروبا ومن كل جانب

وقد قامت الحركة كلها في بلاد أوروبا باسم معارف اليونان وأنوارها القديمة وباسم الدين المسيحي . فكنت تجد

للقيصر اسكندر الاول مقدار الخطر الذى ينتج عن اشتعال نار الفتنة والثورة فى بلاد اليونان مبيناً له ان تعضيده لثورة اليونان يكون داعياً لا تتشاور الثورة فى كل أنحاء أوروبا ضد الملوك . فأثرت هذه الاقوال على القيصر اسكندر الاول وأعلن رسمياً غضبه وسخطه على ايسيلانتي ووجه سلامه لليونانيين ناصحاً لهم بالسكينة والانصياع لحكم الدولة العلية ولكن هذه التصريحات العلنية لم تكن الا ترضية وقتية للنمسا التى كانت مضطربة الاحوال لاشتغالها بقمع الثورة الايطالية التى قامت وقتئذ فى وجهها . ولم يرجع القيصر اسكندر الاول عن عزمه بل صار يتظاهر علناً بحجة السلم والميل الى الانصاف مع الدولة العلية وهو يكمن لها فى الباطن السوء والضرر منتظراً الفرص المناسبة

أما ايسيلانتي فقد هزمته الدولة هو ورجاله شر هزيمة واضطر الى الهروب فى ترانسلفانيا حيث قبضت عليه النمسا وسجنته لغاية عام ١٨٢٧ . وقد أسس ثوار اليونان بالرغم عن سقوط ايسيلانتي فى قبضة النمسا مجالس أهلية ومجلساً عمومياً

وأعمالها السرية

أما انكلترا فكانت خطتها في بادئ الامر التظاهر بمساعدة تركيا ضد روسيا ومقاومة الحركة اليونانية أشد المقاومة . ولكن الدولة العلية أظهرت شكها في نوايا بريطانيا لعلها بطمعها وجشعها وكرهاتها الحقيقية للاسلام . خصوصاً وان سوء قصدها كان قد ظهر باستيلائها على الجزائر اليونانية . وقد جاءت الايام مبرهنة بأسطم برهان على ان الدولة العلية كانت مصيبة في سوء ظنها بالانكليز فقد انقلبت انكلترا في مسألة الثورة اليونانية ضد الدولة العلية كل الانقلاب وغيرت كراهتها الاولى لليونانيين بالحبة العلنية والمساعدة الظاهرة

ولما علمت النمسا بأعمال روسيا ومساعداتها لليونانيين بذل وزيرها الاول (مترنيخ) الشهير أقصى جهده لدى القيصر اسكندر الاول ليعيد السكون الى بلاد اليونان ويأمر الثورويين بعدم القيام في وجه حكومة المرحوم السلطان محمود والامثال والخضوع لاوامر الدولة . وقد أظهر مترنيخ

المطالبة باستقلال اليونان . وكان (اسكندرايسيلانتي) و (ديمترىوس ايسيلانتي) أهم أعضاء الهيئتين في خدمة القيصر الشخصية . وكان (كابوديستريا) زعيم الثورة اليونانية أحد وزراء القيصر اسكندر الاول

وكان ابتداء الثورة اليونانية دخول (ايسيلانتي) في المقاطعات اليونانية في عام ١٨٢١ محرّضا على الثورة بلاد اليونان كلها . وقد اعتبر هذا العمل بايعاز من روسيا . وكان من البديهيّات أن (ايسيلانتي) الذي كان ضابطا بجمعيّة القيصر عمل ماعمل بأمر القيصر أو برضاه . وقد أتى (ايسيلانتي) نفسه بما يدل على ذلك حيث كتب في دعوته للثورة . واذا اعتدى أحد من الاتراك على أراضى بلادكم فلا تخشوا له بأسا فان دولة عظيمة مستعدة لمعاقبة المعتدين عليكم»

ولم يكن بين دول أوروبا دولة تعارض هذه الحركة اليونانية مثل دولة النمسا فانها كانت تحيط الباب العالى علما بكل دسائس ثورويي اليونان وبكل تشجيعات روسيا لهم

حصد السلطنة العثمانية وأضر الآلات لاعداء الدولة في قلبها
وقد بلغت ثقة الدولة العلية برعاياها على اختلاف
دياناتهم وأجناسهم وحسن نواياها نحو المسيحيين المحكومين
بها أنها عينت لمقاطعات صربيا والافلاق والبغدان حكاما
من اليونانيين مؤمنة أنهم يخدمونها بصدق وأمانة كما
أكرمتهم وأكرمت أمتهم فكانوا الاعداء الألداء في ثياب
الاصدقاء الامناء وعوضاً عن أن يقوموا بالواجب عليهم
نحو دولة رفعتهم الى أسمى المناصب استعملوا سلطتهم ونفوذهم
في تهيج أهالي هذه البلاد ضد الدولة العلية والقاء بذور
الثورات والاضطرابات فيها



وقد أسس المييجون من اليونانيين جمعية في بلاد روسيا
اسمها (هيتري) — أى الجمعية اليونانية الوطنية — غرضها
استقلال اليونان والانتقام من الدين الاسلامي . وقد ساعد
القيصر هذه الجمعية كل المساعدة وأخذت تنمو وتنتشر
وأخذ الكثير من أعضائها يقتلون ويسلبون باسمها وبدعوى

آل عثمان أكراماً لهم واحتراماً لدينهم ولرجال دينهم حتى
انه لما انتخب بطريقهم بعد فتح الاستانة قال له المرحوم
السلطان محمد الثاني : « كن بطريقاً لليونان والله يحميك :
وفي كل الاحوال والظروف اعتمد على مساعدتي وتمتع بكل
الامتيازات التي كانت لأسلافك من قبل »

وقد كانت هذه المعاملة الاسلامية فريدة في نوعها
غريبة في بابها فان الكاثوليكين أنفسهم كانوا يعاملون
اليونانيين بالاحترار والازدراء . ويستحيل على المؤرخين
أن ينكروا على محمد الفاتح وعلى المسلمين هذه الصفات العالية
والمكارم الجليلة التي ظهرت في الاستانة بعد الفتح كشمس
تبدد الظلمات وآية من أكبر آيات الدين الاسلامي الباهر

وقد أدى هذا الاعتدال الديني الى نمو التجارة في أيدي
اليونانيين فصاروا بفضل الدولة العلية وبفضل تساهلها الديني
أغنياء أثرياء عائشين في أتم الراحة والهناء ولكنهم لم يحفظوا
للدولة العلية عهداً ولم يرعوا لها نعمة بل أنكروا المعروف
والجميل وصاروا في الصف الاول من أرباب الدبائس العاملين

— ❧ المسئلة الشرقية ❧ —

في

❧ القرن التاسع عشر ❧

ليس غرضنا أن نأتي في هذا الفصل على تاريخ الدولة العلية في القرن الحاضر بل على أشهر وأهم أزمات المسئلة الشرقية فلذلك نهمل الحوادث الصغار ونفصل الازمات الشدادأزمة بعد أخرى

❧ الازمة الاولى ❧

❧ استقلال اليونان ❧

كل من قرأ تاريخ الدولة العلية يعلم أن المرحوم السلطان الغازى (محمد الثاني) لما فتح الاستانة أمن الناس على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم على أموالهم وأرواحهم ودياناتهم وتقائدهم حيث اتبع أوامر الشرع الشريف ونشر راية الاعتدال الدينى . فنال اليونانيون من هذه المعاملة الحسنة ما لم يكن يخطر لهم على بال من السعادة والرفاهية ورأوا من سلطان

وبذلك انتهت هذه الأزمة الشديدة التي جاءت في
أواخر القرن الثامن عشر وكانت عنواناً لأزمات شداد
توالى بعد بعضها في القرن التاسع عشر . نأتى عليها الواحدة
بعد الأخرى



الضرب ومدينة بلغراد

وقد مات حين ذاك جوزيف الثانى امبراطور النمسا وعقبه على سرير المملكة النمساوية ليوبولد الثانى فسعى فى عقد الصلح مع الدولة العلية تخوفا من قيام النمساويين بالثورة ضده تقليدا للامة الفرنسية التى كانت تأثرة وقتئذ ثورتها الاولى الكبيرة ضد لويس السادس عشر . فعقدت عهدة بين النمسا والدولة العلية فى أغسطس سنة ١٧٩١ بمدينة « زشتوى » وقد ردت النمسا الى الدولة العلية بمقتضى هذه المعاهدة بلاد الصرب وبلغراد التى كانت فى قبضتها ولم تخسر الدولة العلية من هذه الحرب مع النمسا خسارة تذكر

أما روسيا فقد استمرت بمفردها على محاربة الدولة العلية حتى توسطت بينهما البروسيا وانكلترا وهولاندا فأمضيت بينهما معاهدة بمدينة « ياش » أخذت روسيا بمقتضاها بلاد القرم نهائيا وبسارايا والبلاد الواقعة بين نهري بوج دينستر ومدينة « أوتشاكوف »

ولما كانت النمسا متفقة مع روسيا على مساعدتها
ضد تركيا أرسل جوزيف الثانى امبراطور النمسا جيشاً
عظيماً لمحاربة الاتراك والاستيلاء على مدينة (بلغراد) فانهزم
جيشه أمام العثمانيين واضطر للعودة الى مدينة (تمسوار)
ببلاد المجر حيث اقتفى أثره الجيش التركى وهزمه هزيمة
عظيمة

أما الجيش الروسى فقد استولى فى هذه الاثناء على
مدينة « أوزى » وبينما الجيش العثمانى يقاوم جيش روسيا
والنمسا اذ مات المرحوم السلطان (عبد الحميد الاول) فى ٧
ابريل سنة ١٧٨٩ وتولى بعده السلطان الغازى (سليم خان
الثالث) حيث أمور الدولة مرتبكة والحرب قائمة على قدم
وساق . وقد انتهز الروسيون فرصة انتقال الملك فى الدولة
العلية واتحدوا مع النمساويين فى الحركات العسكرية وتولى
القيادة العامة قائد واحد ، فانتصر الجيشان على جيش الدولة
واستولى الروسيون على مدينة « بندر » واحتلوا جزءاً عظيماً
من بلاد الافلاق والبغدان وبسرايا ودخل النمساويون بلاداً

العمل المخالف لشروط معاهدة (قائنا رجه) وأرادت اعلان الحرب ضد روسيا ولكنها رجعت عن عزمها بنصائح فرنسا التي كانت تعلم ان روسيا والنمسا متفقتان على تفويض أركان السلطنة العثمانية

ولكن روسيا كانت تبذل أقصى الجهد للوصول الى اعلان الحرب بينها وبين تركيا فأرسلت مبعوثين من عندها لتهيج بلاد اليونان والافلاق والبغدان ضد السلطنة السنية ونشرت الجواسيس في أنحاء الدولة العلية ليحدثوا فيها القلاقل ويخلقوا الاضطرابات فلما رأت الدولة العلية ذلك وأن لا مناص لها من الحرب طلبت من سفير روسيا بالاستئانة أن يخبر دولته في تسليم حاكم الافلاق الذي عصى أمر الدولة والتجأ الى روسيا وفي عزل قناصل روسيا المهيجين للاهالي في بلاد الدولة وفي منح الدولة العلية حق تفتيش مراكز الروسية التجارية التي تمر من بوغاز الاستانة

فرفضت روسيا هذه الطلبات وكان ذلك الرفض اعلانا للحرب بينها وبين الدولة العلية

ولما لجيشهم من القوة الهائلة ولما بين الدول الأوروبية من
الشقاق والاختلاف بشأن أمور تركيا ومسائل الشرق
أما النمسا فقد انتهزت فرصة اشتغال روسيا وتركيا
بأمر الصلح ووضعت يدها على جزء مهم من البغدان
وعرضت على روسيا مقابل ذلك مشروعاً يتضمن تحالفها
معيها ضد الدولة العلية !

ولم توقع الحكومة العثمانية نهائياً على معاهدة (قائنارجة)
الا يوم ٢٤ يناير سنة ١٧٧٥

ولم يمض على هذه المعاهدة زمن يسير حتى أحدثت
الروسيا في بلاد القرم الاضطرابات بفضل الدخلاء العاملين
بأمرها وأرسلت جيشاً جراراً الى داخل البلاد بدعوى
تسكين الاضطرابات. ولكن غرضها الحقيقي كان الاستيلاء
على بلاد القرم وبالفعل استولت عليها وظهر للعيان أن روسيا
انما كانت تعمل لاجراج هذه البلاد من حوزة الدولة العلية
وان بذل جهدها في سبيل اعلان استقلالها لم يكن الا ليسهل
لها الاستيلاء عليها. وقد احتجت الدولة العلية ضد هذا

وشروط هذه المعاهدة ان الدولة العلية تتنازل للروسيا
عن الكاباردا وتضع مقاطعات الدانوب تحت حمايتها وتعلن
استقلال بلاد القرم تحت ضمانتها وتتنازل لها عن (أزوف)
(وكرتش) و (ينى قلعة) وتعطيها حق الملاحة في البحر
الاسود وشبه حماية معنوية على رعايا الدولة العلية المسيحيين
عموما والارثوذكسيين منهم خصوصا

وهذا الشرط الاخير كان ولا يزال آفة الدولة العلية في
علاقاتها مع دول أوروبا فكلما تتدخل في شؤون الدولة باسم
المسيحية واذ اقامت الحرب بينها وبين احدى الدول كانت العلة
المسيحية وحقوقها. وان سياسة روسيا مع الدولة العلية في القرن
الثامن عشر كانت كسياستها مع مملكة بولونيا التعسة تخلق لنفسها
حزبا في قلب المملكة يخلق لها الاضطرابات والمشاكل عند
الحاجة لتتدخل في شؤون المملكة الداخلية باسم هذا
الحزب وبمحجة نصرته. ولكن هذه السياسة التي افلحت
في بولونيا تماما بفضل النمسا والبروسيا لم تفلح في تركيا تماما
كما كانت تؤمله روسيا لما عند العثمانيين من الشهامة الحقيقية

أهلية قامت في روسيا تحت قيادة رجل اسمه (بوجاتشيف) كانت تهدد القيصرية وملكها . فلذلك طالبت روسيا من النمسا التوسط بينها وبين الدولة العلية في أمر الصلح مقابل جزء تعطاه من أملاك تركيا نفسها

وفي ذلك الحين توفي المرحوم السلطان (مصطفى الثالث) وتولى بعده السلطان (عبد الحميد الأول) فأمر باستمرار الحرب ولكنها عادت بخسائر جمة علي الدولة لان الجيش كان غير مستعد للقتال بعد الحروب الطويلة التي قام بها . فاضطر الصدر الاعظم الى عرض الصلح علي الجنرال (روماتسوف) . وتم الاتفاق بينهما في ١٠ يوليو سنة ١٧٧٤ وأمضيا بعد ذلك في ٢١ يوليو سنة ١٧٧٤ علي عهدة الصلح بمدينة (كوتشك قاينارجه) . وهي أشهر عهدة أمضت عليها الدولة العلية والحجر الاول للمسئلة الشرقية وعنوان النزاع بين المسيحية والاسلام وأصل الحروب الطويلة التي وجهت ضد الدولة في القرن التاسع عشر والازمات الشداد التي وقعت فيها

الدولة العلية كانوا يرفضون طلب روسيا أشد الرفض لانهم كانوا يرون - ولاحق معهم - أن أخذ هذين الموقعين يجعل الاستانة في خطر مستمر من جهة روسيا ولذلك أقفل باب المخبرات وعادت الحرب بين الدولتين. فأمرت القيصرية (روماتسوف) جنرال الجيش الروسى بأن يسير وراء الدانوب ويحمل على العثمانيين فسار بأمرها الجيش الروسى يوم ١٣ يونيو سنة ١٧٧٢ وحمل على (سيلستريا) (وهى مدينة ببلاد البلغار) ولكن الجيش العثماني انتصر عليه انتصاراً عظيماً وقطع عليه خط الرجعة حتى فقد الجيش الروسى معظم رجاله . فقام عندئذ الجنرال فيسمان الروسى بعمل جملة مناورات اضطرت الاتراك للرجوع الى الورا . وقد مات فى هذه المناورات الجنرال فيسمان نفسه ولكنه أعاد للجيش الروسى بعض قوته

وقد رأت روسيا عندئذ ان مصلحتها تقضى عليها بعقد الصلح مع الدولة العلية خصوصاً وان جيوشها انهزمت هزيمة شديدة بالقرب من (وازنا) وان أهل القرم أظهروا ميلهم للانضمام مع جلالة السلطان ضد روسيا . فضلاً عن أن ثورة

سائر الشروط الا على شرط استقلال الترتار . فقد طلب مندوبو تركيا بقاء الترتار تحت سلطة الدولة العلية لان جلالة السلطان بصفته خليفة المسلمين لا يمكنه التنازل عن السلطة عليهم . فرفض الروسيون هذا الطلب وبذلك انحل المؤتمر . وبعد انحلاله بزمن عرضت روسيا على الدولة العلية عقد مؤتمر آخر فقبلت الدولة وعقد المؤتمر بمدينة (بخارست) بعد أن عقدت هدنة ثانية جعلت آخر أجلها ٢١ مارس سنة ١٧٧٣ . وقد اتفق مندوبو روسيا وتركيا في هذا المؤتمر على مسألة الترتار فرضيت روسيا ببقائهم تحت سلطة جلالة السلطان . ولكنها طلبت من تركيا التنازل لها عن (كرتش) و (ويني قلعة) . فلم تقبل تركيا ذلك وانحل هذا المؤتمر أيضا - كما انحل المؤتمر الاول بغير نتيجة - في أوائل يناير سنة ١٧٧٣

وقد عادت المحادثات مرة أخرى بين الدولتين بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٧٧٣ ولكن الاتفاق كان مستحيلا لان روسيا كانت تطالب بعزم ثابت بكرتش ويني قلعه وساسة

المملكة وضد الذمة والعقيدة » .

وقد تم اتفاق روسيا والبروسيا والنمسا على تقسيم بولونيا وانتهى الامر بتقسيم هذه المملكة بنفضل دسائس الدخلاء وانقسام أهلها على بعضهم . وذهبت هذه الأمة البولونية الشريفة المشهورة بالوطنية الفائقة والشهامة العظيمة ضحية مطامع الدول الثلاث وفريسة الدسائس الاجنبية والشقاق الاهلي

وقد امتنعت الدولة العلية عن ارسال المدد المالى للنمسا لما رأت تلاعبها معها وتلونها في سياستها . فجعل (كونيترز) عدم ارسال المدد المالى سببا لحل التحالف بين دولته وتركيا ! ولما علمت الدولة العلية بأن روسيا قابلة لعقد الصلح بدون استيلائها على مقاطعتي (البغدان والافلاق) رضيت بالصلح وعقدت مع حكومة روسيا هدنة بتاريخ ١٠ يونيو سنة ١٧٧٢ . واتفق رجال الدولتين على اجتماع مندوبين من قبلهما بمدينة « فوكتشاني » للمناقشة في شروط الصلح . فاجتمع المندوبون ولبثوا مجتمعين عشرين يوما اتفقوا فيها على

والدته على خطة كونيتر . وكان ذلك في أوائل عام ١٧٧٢
وفي يوم ٢٨ يناير سنة ١٧٧٢ كتب (كونيتر) الى
حكومة روسيا يبلغها قبول النمسا لمشروع تقسيم بولونيا
ولمطاب القيصرة نحو الدولة العلية . مظهراً أمله وأمل
حكومته في أن النمسا تأخذ من أملاك الدولة العلية شيئاً
كما أخذت من بلاد بولونيا أي أن تقسم الدولة العثمانية
كما قسمت بولونيا !!

وبذلك يرى القارىء أن النمسا بعد ان تحالفت مع
تركيا على ان ترد روسيا عن أملاكها بواسطة المخبرات
السياسية أو بواسطة الحرب وان تدافع عن استقلال بولونيا .
وبعد ان قدمت اليها الدولة العلية ماطلبت من المال .
عرضت بنفسها على روسيا والبروسيا في يناير عام ١٧٧٢
تقسيم بولونيا وتجزئة الدولة العلية !!

وهي نتيجة اعترفت (ماري تيريزيا) نفسها بانها
لا تشرف المملكة النمساوية . وقالت عنها في رسائلها السياسية
« انها سياسة جرت عليها النمسا ضد الشرف وضد مجد

تطلب من تركيا التنازل لها عن بعض مدائن منها « بندر »
و « أو تشا كوف » وتعلمه بأنها قبلت تقسيم بولونيا واعطاء
البروسيا ماطلبه منها أى بولونيا البروسية و (فارميا) وتطلب
القيصرة مقابل ذلك من ملك بروسيا أن يسير عشرين ألف
جندى على مقاطعتى (الافلاق والبغدان) اذا قامت النمسا
بمحاربة روسيا

وعند وصول هذا الكتاب الى فريدريك الكبير ملك
البروسيا كان همه موجها الى تقسيم بولونيا وتوسيع دائرة
أملاك بلاده ففرح غاية الفرح بكتاب القيصرة . وانتهى
الامر باتفاق روسيا والبروسيا على تقسيم بلاد بولونيا
التعسة . وصارت النمسا بهذا الاتفاق بين أمرين اما الوفاء
بالعهد لتركيا وفرنسا ومعارضة مشروع تقسيم بولونيا واما
الاتفاق مع روسيا والبروسيا وعدم احترام عهودها نحو
تركيا وفرنسا . فاختار كونيتر الامر الثانى عاملا بالمبدأ
السياسى القائل « بأن لاعهد ولا شرف فى السياسة » .
ووافق الامبراطور جوزيف والامبراطورة مارى تيريزيا

سفير دولته في باريس وهذا أخبر سفير البروسيا بها
فلما علم فريدريك الكبير بهذا الخبر بعث به في الحال الى
القيصر وكتب الى سفيره بالاستئذان يأمره بأن يرشد
وزراء الدولة العلية الى حقيقة أغراض النمساويين وبين
لهم انها تعمل للاضرار بمصالح حكومة جلالة السلطان .
وكتب كذلك فريدريك الى سفيره بباريس يأمره أن
يعرض على الوزارة الفرنسية أن تطلب عقد مؤتمر بالاستئذان
لعقد الصلح بين روسيا وتركيا كل ذلك قصد به فريدريك
الكبير أن يظهر النمسا لدول أوروبا بمظهر الدولة الخداعة
في ودها الخائنة لعهدا مع تركيا وفرنسا في آن واحد
وقد كانت الحرب مع تركيا أضعفت الجيوش الروسية
كثيرا وقتالها في بولونيا جعلها في أشد حاجة للراحة والسكينة
فضلا عن أن المال كان ينقص وقتئذ الدولة الروسية .
فكتبت (كاترينا) امبراطورة روسيا بتاريخ ٦ ديسمبر
سنة ١٧٧١ الى فريدريك الكبير ملك بروسيا تخبره أنها
تنازلت عن مطالبها بشأن « البغدان والافلاق » ولكنها

الى نوال مآربها وأغراضها بدون حرب وقتال . وقد كانت سياسة (كونيتر) ترمى الى عقد اتفاق ينفيد النمسا فائدة عظمى امام مع روسيا ضد تركيا أو مع تركيا ضد روسيا . فذلك كان يؤجل كل مرة أمر التوقيع على معاهدة التحالف مع تركيا أملا منه في الوصول الى عقد اتفاق مع روسيا يكون أكبر فائدة وأعظم نفعا . وكان يخشى (كونيتر) انه اذا أمضى على معاهدة الاتحاد مع تركيا تقسم روسيا والبروسيا بلاد بولونيا بين دولتيهما بدون أن تأخذ النمسا شيئا منها

ولما رأى كونيتر أن الدولة العلية تلح كثيرا في أمر التوقيع على عهدة التحالف كتب الى الحكومة العثمانية بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٧٧١ كتاب صدق واخلاص قال لها فيه « ان دولته محافظة على عهودها وفية في تحالفها » ولكنه لم يرسل مع ذلك بالعهد موقعا عليها

وفي هذا الاثناء علم سفير انكلترا بالاستتانة اللورد (موري) بأمر المبلغ الذي أرسلته الدولة العلية للنمسا فأخبر

وما على شواطئ البحر الاسود للروسيا مع استقلال التاتار
وقدم الكونت (ماسين) غير ذلك مشروعات أخرى تتعلق
بتقسيم بولونيا بين روسيا والنمسا والبروسيا

وقد اطلعت النمسا على هذه المشروعات كلها وتباحثت
فيها واحداً بعد آخر في وقت كانت تعذ فيه متحالفة مع تركيا
تحالفا يقتضى رد روسيا عن أملاك الدولة العلية وبقاء تركيا
سليمة كما كانت قبل الحرب والمحافظة على احتلال بولونيا..
وبينما كانت النمسا تتباحث في هذه المشروعات الغربية
كان فريدريك الكبير ملك بروسيا يسعى لتقسيم بولونيا مع
بقاء مقاطعات الدانوب تحت سلطة الدولة العلية . أى حل
المسألة الشرقية في بولونيا كما قدمنا

أما الدولة العلية فقد قامت بما تعهدت به نحو النمسا
وأرسلت الى حكومة فيينا بتاريخ ٢٥ يوليو سنة ١٧٧١ جانبا
من مبلغ المليون جنيه الذى فرضته على نفسها . وقد طلبت
الدولة العلية جملة مرآت التوقيع على معاهدة التحالف غير
أن النمسا كانت تهمل طلب الدولة رغبة منها فى الوصول

حملها على مخبرته في شأن تقسيم الدولة العلية . وقد كان ذلك وأرسلت روسيا الكونت (ماسين) حاملا لجملة مشروعات تختص بالدولة العثمانية ومكلفا من قبل القيصرة بعرضها على (كونيتز) . ومن ضمن المشروعات مشروعان يشتملان على عقد اتحاد بين النمسا والروسيا يكون غرضه الوحيد اخراج الاتراك من أوروبا وتقسيم الدولة العلية . فالمشروع الاول يبين صورة تقسيمها بين الدولتين بأن تأخذ النمسا صربيا والبوسنة والهرسك والباينا ومقدونيه ويترك للروسية بقية أملاك الدولة العلية بما فيها الاستانة . وفي المشروع الثاني تأخذ النمسا الافلاق وصربيا وبلغاريا والهرسك وتأخذ روسيا مقدونيه والباينا ورومانيا وقسما عظيما من الارخبيل وآسيا الصغرى والاستانة . وتأخذ كذلك روسيا الاراضى الواقعة على شمال الدانوب وشواطىء البحر الاسود . أما بلاد القرم والموره فتبقى مستقلة

والمشروع الثالث يتضمن بقاء الترك على الشاطىء الشمالى للدانوب واعطاء صربيا والبوسنة والهرسك للنمسا

ان خضعت تاتار بلاد القرم لاروسيا وصارت كتاتارالبسرايى
فاضطرت الدولة بهذا السبب لتعجيل الاتفاق مع النمسا وقبول
معاهدة التحالف . فأمضت المعاهدة مساء يوم ٦ يوليو
سنة ١٧٧١ . وشروط هذه المعاهدة ان النمسا تتعهد بمساعدة
تركيا ضد الروسيا وعدم سلب أى جزء من الاملاك العثمانية
والمحافظة على استقلال بولونيا مراعاة لشرف الدولة العلية .
وان تتعهد تركيا بدفع مبلغ ١١٣٥٠٠٠٠ فلورينو للنمسا
(لا ٣٤ مليوناً كما طالبت النمسا أولاً) أى نحو المليون جنيتها
وبالتنازل للنمسا عن أراضى (الافلاق) . وبمساعدة الرعايا
النمساويين فى بلاد الدولة العلية على ترويج تجارتهم وصنائعهم
واشترط بين الدولتين المتعاهدتين ان هذه المعاهدة يكتم
أمرها خصوصاً على فرنسا حليفة النمسا اذ ذاك

وقد رفع (توجوت) صورة هذه المعاهدة الى حكومة
دولته وطلب التوقيع عليها

فلما وصلت صورة المعاهدة الى (كونيترز) اطمأن من
جهة الدولة العلية وأخذ يهدد الروسيا مؤملاً بهذا التهديد

الحقيقة يغشها ولا يخدم الا مصاحبة النمسا وطنه) بذل أقصى جهده من حين علم بهذا المشروع على احباط مسعى فرنسا فأبان لرجال الدولة العلية ان مساعدة الاسطول لا تفيدي شيئا ما لان الحرب برية محضة لا بحرية . وان قصد فرنسا ليس مساعدة الدولة العلية بل معاداة روسيا ومد أمد الحرب الى ما شاء الله . فأفلح (توجوت) واقتنع رجال الدولة بصدق أقواله وصحة أفكاره ورفضوا مشروع فرنسا

وقد كان رجال الدولة العلية يؤملون ان اتفاق فرنسا مع الدولة يحمل النمسا (حليفة فرنسا) على مساعدة تركيا . ولكن النمسا كانت تخشى هذا الامر لما فيه من التقييد لها ولعلمها بانها لا تستطيع أن تخدع تركيا اذا كانت فرنسا متحدة معها بخلاف ما اذا كانت هي المتحدة مع الدولة العلية دون غيرها . ولذلك كان فشل مشروع فرنسا مضرا بالدولة العلية مفيدا للنمسا حليفة فرنسا !!!

ولما فشل مسعى فرنسا عمل (توجوت) على عقد التحالف بين النمسا وتركيا . ومن حسن حظ النمسا وقتئذ

فيها ان تركيا تدفع سنويا للنمسا ٣٤ مليوناً من الفلورين أو أي
فوق الثلاثة ملايين من الجنيهات . وان تتنازل لها عن
(الافلاق) ومدينة بلغراد وان تجعل للنمساويين في ممالك
الدولة العلية أهم الامتيازات التجارية . وفضلاً عن كل هذه
الشروط تقدم للنمسا في حالة الحرب من خمسين الى ستين
ألف مقاتل . وتشترط النمسا على نفسها مقابل ذلك أن
تحارب روسيا مع تركيا اذا لم ترض القيصرة بطريق المخبرات
اعادة البلاد التي استولت عليها الى الدولة العلية

وقد سعى (كونيتر) عندئذ لدى فريدريك ملك
بروسيا أن يبقى على الحياد اذا قامت الحرب بين النمسا
والروسيا ولكن فريدريك اتبع طريق المراوغة فلم يجب
بجواب صريح

أما فرنسا حليفة النمسا فكانت تعمل في هذا الحين
على مساعدة تركيا بأسطولها مقابل عوض مالى . ولكن
(توجوت) سفير النمسا (الذى كان يكاتب سرا الحكومة
الفرنساوية كجاسوس لها مقابل أجره شهريه وكان في

وانها تعتبر اعلان حرب للنمسا . وقد كتب بنفسه للقيصرة بتاريخ ٥ يناير سنة ١٧٧١ انها اذا كانت تريد اجتناب الحرب مع النمسا يجب عليها أن تكثف بأخذ أزوف والكاباردا وبحرية الملاحة في البحر الاسود

وفي أثناء ذلك كانت القيصرة كاترينا تتحدث مع البرنس هنرى بسان بطرسبورغ في أمر تقسيم بولونيا . فلما كتب البرنس هنرى الى أخيه بذلك سر ملك بروسيا حيث جاء هذا الامر موافقا لرغائيه . واجتهد في جعل حل المسئلة الشرقية في بولونيا فقط لعلمه بما لبقاء الدولة العلية من اللزوم والاهمية . فأراد تقسيم بولونيا على شرط ان الروسيا لا تأخذ البغدان والافلاق

وقد جرى عندئذ ان النمسا طمحت لمخالفة تركيا ضد الروسيا والعمل للاستفادة من هذه المخالفة ولو ضد تركيا نفسها . فبعث (كونيتر) رئيس الوزارة النمساوية الى الميسيو « توجوت » سفير النمسا في الاستانة يأمره بمخاطبة رجال الدولة العلية في أمر عقد مخالفة بين النمسا وتركيا يشترط

عن جزيرة للروسيا في الارخبيل وعفوا عام عن كل اليونانيين
الذين تاروا ضد الدولة العلية أثناء الحرب

فلما اطلع فريدريك على هذه الشروط اندهش غاية
الاندهاش من مطالب روسيا وأطماعها. وقد حصل وقتئذ
أن رئيس أفندي (وهي وظيفة كانت في الدولة العلية بمثابة
وظيفة ناظر الخارجية) أخبر سفيرى النمسا وبروسيا أن الدولة
العلية لا تقبل المخاطرة مع روسيا مباشرة بشأن الصلح
ولكنها تقبل توسط النمسا والبروسيا وأبلغهما أنه أعلن
ذلك للجنرال رومانتسوف

وقد كتب فريدريك لما اطالع على شروط الصلح
المبعوثة اليه من القيصرية الى أخيه البرنس هنرى — الذى
كان لا يزال بسان بطرسبورغ — بتاريخ ٣ يناير سنة ١٧٧١
« لقد اندهشت اندهاشا عظيما لما اطلعت على الشروط التى
تقدمها روسيا للصلح وانه يستحيل على أن أقدمها للاتراك
أو للنمساويين لأنها شروط لا يمكن قبولها » وأبان فريدريك
في كتابه لأخيه أن هذه الشروط لا يمكن لدول أوروبا قبولها

أرادت أن تعرقل مساعي البروسيا والنمسا فأمرت الجنرال روماتسوف بتاريخ ٢٦ سبتمبر سنة ١٧٧٠ أن يكتب الى الصدر الاعظم بأن الروسية مستعدة للمناقشة مع الباب العالي مباشرة في أمر الصلح متى أطلق سراح (أوبرسكوف) سفير الروسية في الاستانة . وبذلك منعت الروسية البروسيا والنمسا من التداخل في أمر الصلح مدعية بأن تداخل هاتين الدولتين يدعو لتداخل فرنسا . وهو الامر الذي ترفضه القيصرية رفضا باتا

وفي هذه الاثناء استولى الجيش الروسى على مدينة بندر واکرامان وبرايلا . ولما طال أمر المراسلات بشأن الصلح بين فريدريك وكاترينا كتبت قيصرية الروس الى ملك بروسيا بتاريخ ٢٠ سبتمبر من السنة نفسها توضح له الشروط التى تشترطها لعقد الصلح . وهى الاستيلاء على أزوف وكاباردا مع استقلال البغدان والافلاق أو بقاء هاتين المقاطعتين تحت حكم الروسية مدة ربع قرن كغرامة حرية . واستقلال ترنار البسرابى والقرم وحرية الملاحة فى البحر الاسود والتنازل

على الباب العالى توسطها فى الحرب مع ان لها سفنا فى
الاسطول الروسى حاربت ضدنا . ولذلك نحن نعتقد ان طلبها
التوسط فى الحرب ليس الا ستارا لاغراض أخرى ينويها
العدو (أى الروسيا) . فلتعلن انكترا خطتها وسلوكها
بدون مراوغة حتى يعلم الباب العالى مع أى المتحاربين هى
أمره أو ضده ؟ . وقد أحدثت هذه المذكرة الخازمة تأثيرا
شديدا لدى الانكليز وأفهمتهم أن الاتراك خيرون بسياستهم
وبما فيها من الغش والنفاق فاضطروا لسحب ضباطهم
وعساكرهم من الاساطيل والجيش الروسى ولكن ذلك
جاء بعد ان قضت الحرب معظمها

ولما طلبت الدولة العلية من بروسيا والنمسا التوسط
فى أمر الصلح أبلغت انكترا الروسيا هذا الطلب لتأخذ
حذرهما فكانت وظيفة انكترا فى هذه المسئلة اشبه بوظيفة
جاسوس على الدولة العلية لاروسية

*
* *

ولما علمت الروسيا بواسطة الانكليز بأمر طلب الصلح

فرنسا الاكبر أن يضرب المراكب الروسية بالعمارة الفرنسية
وقدم بذلك مذكرة لمجلس نظار فرنسا ولكنها رفضت وقبل
رفضها أعلنت وزارة لندره ان كل عمل يعمل ضد روسيا
يعد اهانة لانكلترا واعتداء عليها . وهو قول يبين مقدار
ميل الانكليز للدولة الروسية في ذلك الحين أو بعبارة أوضح يبين
مقدار المكاسب العظيمة التي كانت تكسبها انكلترا من روسيا
ومن اكبر الاسباب التي جعلت انكلترا ضعيفة الصوت
في مسائل الشرق في ذلك الحين هو اضطرابات الداخلية
وقيام الأمريكيين بالثورة ضدها مطالبين بالاستقلال الذي
نالوه بدماء أبطالهم أي بأعز الاثمان

ومن غريب أمر السياسة الانكليزية انها مع محباتها
للروسية كل المحاباة أرادت أن تظهر لتركيا بمظهر الصداقة
كما قدمنا فعرضت عليها في صيف عام ١٧٧٠ أن تتدخل
بينها وبين روسيا لعقد الصلح فأجابت الدولة العلية سفير
انكلترا بالاستانة (السير موري) بمذكرة حكيمة جاء فيها
« انه لمن الامور المدهشة الخارقة للعادة ان انكلترا تعرض

منه دوجة . فكانت تساعد روسيا في الحرب كل المساعدة
وتظهر للدولة العلية بمظهر الصديقة لتقف على أسرارها حيث
تطلع روسيا عليها . ولما قامت الحرب بين الدولتين العلية
والروسية كانت انكلترا مشغلة بأمور الهند التي كانت
استولت عاها منذ بضع سنين من قبل

ولما كانت روسيا مصافية لانكلترا وغير ميالة وقتئذ
الاستيلاء على الهند وسلبها من أيدي الانكليز وكانت فرنسا
هي العدو اللدود لانكلترا والدولة الوحيدة التي كانت
تخاف منها انكلترا على الهند - وقد كانت الهند من قبل ملكا
لفرنسا ومستعمرة من مستعمراتها - اتبع الانكليز سياسة
التقرب من روسيا والتودد اليها ومعاداة فرنسا والدولة العلية
وفضلا عن الاسباب السياسية الداعية لذلك فهناك
أسباب تجارية دفعت الانكليز لمحاباة روسيا فقد كانت
انكلترا تتاجر وحدها في الشمال وكانت واردات روسيا
كلها من انكلترا . وكان الكثيرون من البحارة الانكليز
موظفين في المراكب الروسية . وقد أراد (شوازيل) وزير

العظيم . أى مشروع تقسيم بولونيا بين الدول الثلاث •
وقد بعث فريدريك الكبير بأخيه البرنس هنرى الى
سان بطرسبورغ لزيارة القيصر فوصل عاصمة روسيا يوم
١٢ اكتوبر سنة ١٧٧٠ وقد تحدث كثيراً مدة وجوده فى
بطرسبورغ مع القيصرة ورجال السياسة الروسية فى مشروع
عقد تحالف ثلاثى بين روسيا والبروسيا والنمسا بقصد تقسيم
بولونيا . فوجد لهذا المشروع قبولا عند الروسين لم يكن
عندهم من قبل

وقد بذلت البروسيا فى ذلك الحين جهدها فى اقناع
الدولة العلية بضرورة ايقاف الحرب والتوسط فى الصلح حتى
رضيت الدولة العلية وطلبت بمذكرة تاريخها ١٢ أغسطس
سنة ١٧٧٠ من بروسيا والنمسا التوسط بينهما وبين روسيا
فى أمر عقد الصلح

يرى القاريء مما تقدم سياسة كل من دول فرنسا
والنمسا والبروسيا فى المسئلة الشرقية فى القرن الثامن عشر
أما انكثرا فقد جرت فى هذا القرن الماضى على سياسة

العمل على تقسيم بولونيا . فرأى لنوال هذه البغية أن يتجنب الى النمسا ويتحد معها اتحاداً سرّياً يوقع الروسيا في الارتباك واللبال فتضطر الى قبول آرائه وتدرّك فائدة التحالف معه والعمل بنصائحه . وبالفعل تقابل في مدينة (نيس) مع (جوزيف الثاني) امبراطور النمسا وابن (ماري تيريزيا) الشهيذة وتوصل الى عقد اتفاقية ودية معه في شهر أغسطس عام ١٧٦٩

فكانت نتيجة هذه الاتفاقية ان الروسيا صارت في لبال زائد كما أراد فريدريك . فانها كانت تجهل مضمونها وكانت تظن انها اتفاقية عقدت للعمل ضدها في المسئلة الشرقية فاضطرت الى تجديد محالفتها مع البروسيا يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٧٦٩ واشترط جعل أجلها ممتدا الى غاية عام ١٧٨٠ فنالت بذلك البروسيا ما كانت تتمناه وهو ان الروسيا عرفت مقدار تحالفها معها وصار لا رأيها عندها تقدير القبول والرضى وباتفاقها مع النمسا اتفاقية ودية صارت حليفة الروسيا وصديقة النمسا ووضعت بذلك الاساس لمشروعها

وقد قلنا ان فريدريك الكبير كان يرى في بقاء الدولة
العلية فائدة عظيمة لبروسيا وكان يستطلع بحدة ذهنه وقوة
بصيرته من خلال الايام الآتية ان مودة روسيا لبروسيا
لا تدوم أبد الدهر وان بقاء الدولة العلية قوية يكون كحاجز
حصين امام روسيا وكصخرة عالية واقفة امامها وبالجملة
تكون لبروسيا قوة عظيمة يمكن الاعتماد عليها حسب مقتضى
الحوادث

وقد برهنت الايام على ان فريدريك الكبير — وهو
أول عامل على توسيع نطاق بروسيا وأول واضع لمشروع
الوحدة الالمانية الذي تم على يدي غليوم الاول وبسمارك —
نظر نظرة بصير خفاء من سلالة جلالة الامبراطور غليوم
الثاني مدركا أهمية التودد للدولة العلية وتوثيق الروابط بينه
وبينها فاستفاد العالم من هذه المودة المزدوجة واستفادت
المانيا منها كثيرا

ولما علم فريدريك الكبير بجواب وزير روسيا
تخوف منه كما قدمنا ولكنه لم يرجع عن عزمه الاول وهو

الروسي البروسي أهميته الأولى . وقد وجد عندئذ فريدريك بدهائه الغريب وذكائه العالي طريقة مثلى لفصل النمسا من فرنسا ومنعها من معاداة روسيا في الشرق وفي بولونيا ولبقاء التحالف الروسي البروسي بأهميته الأولى . فوضع لذلك مشروع تحالف ثلاثي بين روسيا وبروسيا والنمسا يكون غرضه حل المسئلة الشرقية لاثي تركيا نفسها بل في بولونيا بأن تقسم هذه المملكة بين هاته الدول الثلاث

وهذه الامنية كانت أكبر أماني فريدريك الكبير أيام حكمه لانه كان يرى في تقسيم بولونيا ربما كبيرا للبروسيا واتساعا لنطاقها بضم بولونيا البروسية لها

وأول مرة فاتح المسيو (سولس) سفير بروسيا في سان بطرسبورغ المسيو (بابين) وزير روسيا الاكبر في مسئلة تقسيم بولونيا كان جواب الوزير الروسي ان تحالف الدول الثلاث يجب أن يرمى أيضا الى تقسيم الدولة العلية . فلما سمع فريدريك هذا الجواب تخوف منه وأهمل أمر التحالف الثلاثي في الظاهر

وعملت في الوقت نفسه على الاتفاق مع الروسيا ضد تركيا !!
وأما البروسيا فقد كان ملكها وقتئذ « فريدريك الكبير »
المشهور بدهائه السياسي وقدرته الفائقة على الاستفادة من
كل حادث أوروبي . وقد جعل سياسته في المسئلة الشرقية
الاستفادة من الحرب بين الدولة العلية والروسيا مع المحافظة
على استقلال الدولة العلية . وكتب في مذكراته السياسية
الشهيرة « انه يوحد لنا طريقتان أمام تقدم الروسيا واتساع
أملاتها . الاولى ايقافها في تقدمها وفتوحاتها . والثانية
- وهي أحكم طريقة - الاستفادة من تقدمها واتساع أملاتها
وفتوحاتها بمهارة » وقد اتبع فريدريك الكبير الطريقة الثانية
كما كتب في مذكراته فكان متحالفا مع الروسيا وعلى تمام
الصفاء مع تركيا وبذلك كان يستفيد أكثر من غيره

ولما قامت الحرب بين الدولة العلية والروسيا كان
اشتغال فريدريك الكبير منحصرا في الوقوف على الخطة
التي ستجرى عليها النمسا . هل تبقى وفية لفرنسا حليفها أى
مصافية لتركيا وبولونيا أو تنخدع للروسيا فينفقد التحالف

انتصارات متبادلة من الجانبين حتى يضعف الخصمان بدرجة واحدة . واذا ساعدتنا الايام تكون لنا الفرص كلها والفوائد أجمعها)

أما النمسا فكانت قد عقدت مع روسيا في عام ١٧٥٣ معاهدة ضد الدولة العلية ولكنها بطلت عام ١٧٦٢ بسبب تحالف روسيا مع البروسيا ولما أعلنت الحرب بين الدولة العلية والروسيا عام ١٧٦٨ اتبعت النمسا في بادئ الامر سياسة الحياد مع مسألة الدولة العلية

وفي ختام عام ١٧٦٩ كلفت النمسا سفيرها في الدولة العلية المسيو (توجوت) أن يعرض على وزراء جلالة السلطان رغبة النمسا للتدخل في عقد الصلح بين المتحاربين . ولم تكن رغبة النمسا الحقيقية من هذا التدخل عقد الصلح بل كان غرضها الوصول الى امتلاك مقاطعة من أملاك تركيا وتوسيع نطاق المملكة النمساوية

وسيجد القارئ في خلال هذا الفصل الخطة التي جرت عليها النمسا مع الدولة العلية وكيف انها حالتها ضد روسيا

اتفقت في آخر الامر كما سيراد القارىء على تجزئة بولونيا
فكان من المستحيل على فرنسا مساعدة تركيا مساعدة فعلية
خوفا من اشتعال نار الحرب بينها وبين الدول الاوروبية .
ولكن ما كانت تخافه لنفسها تشجع الدول العلية على الاتيان
به فهي كانت تخشى الحرب ولكنها كانت أول محرصة للدولة
العية عليها . وهكذا الدول كلها والامم جميعها متى رأت في
عمل من الاعمال احتمال الخير والشر تفضل أن يقوم به غيرها
فان أنتج خيرا استفادت منه وان أنتج شرا اجتنت أضراره
وكان « شوازيل » وزير فرنسا الاكبر ذا سياسة خرقاء
حيث كانت النمسا ساخرة من تحالفها مع فرنسا لا تقبل منها
نصيحة ولا تنفع لها رأيا . وكانت سياسة « شوازيل » ترمى
الى اضعاف روسيا وتركيا في آن واحد كما يتضح ذلك جلليا
من مذكرة رسمية أرسلها في شهر ديسمبر عام ١٧٦٩ الى
البرنس (كونيترز) وزير النمسا وجاء فيها (وترى فرنسا أن
أحسن شيء يعود على تحالفنا (أي تحالف فرنسا والنمسا)
بالفائدة هو ان تستمر الحرب بين روسيا وتركيا مع

في البحر الأبيض المتوسط في آخر سنة ١٧٧٠ أسطولين
الأول تحت (قيادة سيروتوف) الروسي والثاني تحت قيادة
(ألفنستون) الانكليزي وقد تجمعت عندئذ جماعات اليونان
وتظاهرت بالقيام في وجه الدولة ولكنها تفرقت شذر مذر
عند تقدم الاتراك والالبانيين . فرجعت روسيا بخفي حنين
ويئست من تخليص اليونان في ذلك الحين

ثم أرادت روسيا أن تنتقم من الدولة العلية لفشل
مساعدتها في اليونان فعما كست مراكبها وأسطولها ولم تأخذ
بعد حرب و قتال عنيفين إلا بعض السفن العثمانية في
« تشمسه »



ولقد كانت سياسة كل دولة من الدول الأوروبية في
هذه الحرب مختلفة عن الأخرى . فكانت فرنسا مصادقة
للدولة العلية ومعادية للروسيا وكانت الدولة الوحيدة المنتصرة
لبولونيا . ولكن صداقتها للدولة العلية وانتصارها لبولونيا لم
ينتجاً أقل نتيجة لأن الدول الثلاث الروسية والبروسية والنمسا

والتحضير ولم تقم الحرب الحقيقية الا في شهر يوليو عام ١٧٦٩ على شواطىء نهر (الدينستر) وقد اُقتتل الجيشان طويلا حول (خوتين) واختلف المؤرخون في اثبات وجود فرق بروسية بين الجيش الروسى فقال بعضهم بوجودها بمقتضى المعاهدة التى بين روسيا والبروسيا وأنكر البعض الآخر وجودها . ولكن الرأى الاول أقرب الى العقل والحقيقة

وفى يوم ١٦ سبتمبر هجم الجيش العثمانى على الجيش الروسى ووقعت بينهما معركة هائلة انتهت بانتصار الروسين واستيلائهم على مقاطعة (البغدان) . وأخذوا بعد هذه الواقعة قلاع خوتين وأزوف وتاجانروج . ثم احتلت العساكر الروسية يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٧٩٦ مدينة (بخارست) التى هى عاصمة رومانيا الحالية . أما مقاطعة البغدان فهى تكوّن مع مقاطعة الافلاق مملكة رومانيا نفسها

وقد اغترت الروسية بهذا الانتصار وأرادت فصل اليونان من أملاك تركيا — وكانت أرسلت من قبل بطلا اسمه (أورلوف) ليهيج اليونانيين ضد الدولة العلية — فأرسلت

الحرب يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٧٦٨ وكان ذلك بالقاء الدولة العلية سفير روسيا في القصر المعروف (بقصر السبعة أبراج) وبهذه الصورة كانت تعلن الحرب في القرن الماضي وقد أرسلت الدولة عندئذ منشوراً للدول الأوروبية بتاريخ ٣٠ أكتوبر سنة ١٧٦٨ أبانت فيه أسباب إعلانها الحرب للدولة الروسية قائلة « لقد تجاسرت روسيا وقضت على حرية بولونيا وأجبرتها على قبول ملك ليس من عائلة ملوكية ولم تنتخبه الأمة ملكاً عليها طبقاً لقوانينها وشرائعها. وأسالت الروسية الدماء وذبحت كل من خالف سياستها وأغراضها وخربت الأراضى والأماكن »

وقد أدهش إعلان الحرب بهذه الصورة كل رجال السياسة الأوروبية وجعل كل همه الانتفاع منها . أما المسيو (دى فرجين) سفير فرنسا فقد أعاد الى حكومته الثلاثة ملايين وكتب اليها « ان رجال تركيا لا تشتري ذممهم لانهم يعملون بمقتضى مصلحة بلادهم وشرف دولتهم »

ومضت أشهر طويلة اشتغل فيها كل خصم بالتجهيز

وحصل ان بعض قسوس روسيا جاءوا بلاد الدولة
وأخذوا يهيجون أهالى اليونان وكريد والجبل الاسود باسم
الدين حاملين بأيديهم وعلى صدورهم الصليب . وقام وقتئذ
قسيس اسمه « ستيفانويكولو » فى شهر اكتوبر عام ١٧٦٧
يدعو أهالى الجبل الاسود للقيام ضد المسلمين فهاجت الاهالى
هياجاً شديداً

فلما رأت الدولة ذلك ووقفت على النظائم العديدة التى
جرت فى بولونيا أنذرت الدولة الروسية بالخروج من بولونيا
فرفضت وكان ذلك سبب الحرب

وقد كانت الامّة العثمانية ميالة الى البولونيين
حتى ان المسيو « زيجلين » سفير بروسيا بالاستانة كتب الى
حكومته بتاريخ ٢٦ يوليو سنة ١٧٦٨ يقول « انه وان كانت
الحكومة العثمانية مطلقة النفوذ والسلطة فى بلادها ولكن
للرأى العام صوتا اذا ارتفع لا تقدر الحكومة على مخالفته »

وعند ما علمت روسيا باستعداد الدولة العلية للحرب
أرسلت عساكرها واحتلت « كاركوفيا » . وقد أعلنت

٢٥ نوفمبر من السنة نفسها سفيراً الروسية والبروسيا من حكومة بولونيا جملة طلبات تخالف المصلحة البولونية فرفضها مجلس نواب بولونيا وكان رفضه هذا سبباً لتدخل الروسية فدخلت بولونيا بجيوشها الجرارة وأسالت الدماء وأثمت على الكثيرين من الأبرياء واستمرت الثورات في بولونيا تبعاً والعالم كله ناظر إليها بلا حراك حتى بلغت الروسية مرامها من هذه الديار التعسة وصارت بولونيا مستقلة في الظاهر محكومة في الباطن بأهواء الروسية وأغراضها

وفي هذه الاثناء تعين المسيو (شوازيل) وزيراً لخارجية فرنسا وكان ألد أعداء الروسية . وعلى الخصوص كان عدواً شخصياً لكاترينا فكتب الى المسيو « دى فرجين » سفير فرنسا من الاستانة يأمره بعمل كل ما في ساعته خلق المشكلات بين الدولة العلية والروسية وأرسل اليه ثلاثة ملايين من الفرنكات ليشتري بها ذمم بعض رجال الدولة وكان الوطنيون البولونيون حين ذاك يستغيثون بالدولة ليلاً ونهاراً

واحداث الاضطرابات في بلادهم بواسطة هذا الملك الجديد
فعمل عندئذ الوطنيون البولونيون لدى الباب العالي
مستغيثين به لاجباط مساعي روسيا في تعيين (ستانيسلاس)
ولكن سفير روسيا والبروسيا بالاستانة بذلا ضد هؤلاء
الوطنيين كل جهدهم

وكان من صالح النمسا وفرنسا عدم نجاح روسيا
والبروسيا في مساعهما لتعيين (ستانيسلاس) فخرصتا الدولة
العلية ضد روسيا والبروسيا وأظهرتا لها فائدة تداخلها في
صالح البولونيين ولكن المرحوم السلطان (مصطفى الثالث)
كان يعجب بنفريدريك ملك البروسيا اعجاباً زائداً فلم يرض
لذلك العمل ضده . سيما وان تعيين (ستانيسلاس) كان
لا يضر بمصالح الدولة مطلقاً . فتم تعيين هذا الرجل ملكاً
بولونيا يوم ٧ سبتمبر سنة ١٧٦٤

وما استقر هذا الرجل على كرسي ملك بولونيا حتى
خلق فيها المشاكل والاضطرابات طبقاً لرغائب كاترينا
وسهل لها التدخل في شؤونها الداخلية . فطلب عندئذ بتاريخ

الدول الثلاث ولكن العداوة بقيت طويلا بالرغم عن هذه
شديدة بينها وبين بعضها

ومن أسباب تحالف روسيا والبروسيا غير ماذكرناه
اشتراكهما في المصلحة ضد بولونيا التي كانت جمهورية وقتئذ
وفي حالة من الفوضى عظيمة. وقد كان يروق للروسيا والبروسيا
بقاء نفوذهما قويا في بولونيا والعمل على زيادة الفوضى فيها
لنتمكننا من تقسيمها والاستيلاء عليها

وكان قد عقد بين فرنسا والنمسا عام ١٧٥٦ تحالف
يضمن للنمسا مساعدة فرنسا الحربية والسياسية في كل أوروبا
ويضمن لفرنسا عدم تداخل النمسا ضدها في حالة قيام
الحرب بينها وبين انكلترا. وقد حصل وقتئذ أن (أوجست
الثالث) ملك جمهورية بولونيا توفي وأرادت روسيا بالاتفاق
مع البروسيا أن تعين بدلا عنه (ستانيسلاس أوجست
بونياتووسكي) الذي كان محبوبا عند كاترينا امبراطورة
الروسيا وعاشقا من أكبر عشاقها وكانت ترمي روسيا بهذا
التعيين الى القاء بذور الشقاق والشحناء بين البولونيين

—X— المسئلة الشرقية X—

في

﴿ القرن الثامن عشر ﴾

لقد حدثت في القرن الثامن عشر أزمة شديدة مهمة للمسئلة الشرقية هي الحرب بين الدولة العلية والروسيا التي طالت من أواخر عام ١٧٦٨ الى أوائل عام ١٧٧٥ وهذه الازمة كانت شديدة غزيرة التنازع وأصلا لتداخل أوروبا في أمور الدولة العثمانية باسم الدين

وقد كانت روسيا حليفة للبروسيا في ذلك العهد مخالفة أمضى عليها فريدريك الكبير ملك بروسيا وكاترينا امبراطورة روسيا يوم ١١ ابريل سنة ١٧٦٤ وكان أجلها ثمانى سنوات. وسبب تداخل البروسيا في المسائل الشرقية هو تجالفا مع روسيا نحو قرن . وداعية هذا التحالف هي العداوة الشديدة التي كانت بين النمسا والبروسيا في المانيا وبين النمسا والروسيا في مسائل الشرق . وقد كان يعقد أحيانا اتفاق بين تلك

طلب انكلترا قبل كل الدول . وقد قامت المانيا في الحرب
الاخيرة بواجب أوروبا كلها ضد انكلترا فتم للدولة العلية
الظفر والنصر وتم لبريطانيا الفشل والخذلان

أما واجب العثمانيين والمسلمين أمام عداوة انكلترا
للدولة العلية فينبى لا ينكره الا الخونة والخوارج والدخلاء .
فواجب العثمانيين ان يجتمعوا جميعا حول راية السلطنة السنية
وان يدافعوا عن ملك بلادهم بكل قواهم ولو تفرقوا الكثيرون
منهم فى هذا الغرض الشريف حتى يعيشوا أبدا الدهر سادة
لا عبيدا . وواجب المسلمين أن يلتفوا أجمعين حول راية الخلافة
الاسلامية المقدسة وأن يعززوها بالاموال والارواح فى
حفظها حفظ كرامتهم وشرفهم وفى بقاء مجدها ورفعهم ورفع
العقيدة الاسلامية المقدسة



يتضح جليا للقارىء مما قدمنا أن ليس للسلطنة العثمانية وبالطبع للخلافة الاسلامية فى هذه الايام عدو يجاهر بالعدوان لها ويعمل على دك أركانها وتقويض بنيانها غير انكلترا . ويمكن تعريف المسئلة الشرقية اليوم بأنها مسئلة النزاع القائم بين انكلترا وبين بقية دول أوروبا بما فيها الدولة العلية . فان معاداة انكلترا للدولة العلية هى فى الحقيقة معاداة لكل المسيحيين ولكل المسلمين أى للعالمين الغربى والشرقى وان واجب أوروبا أمام هذه الحرب السياسية حرب الدسائس والا كاذيب القائمة بها انكلترا ضد الدولة العلية واضح جلى . فمهتم عليها اذا كانت تعمل للمحافظة على السلام العام وعلى أرواح البشر أن تحبط مساعي انكلترا فى الشرق وان تتقف لها بالمرصاد . ومن العدل ان نقول ان حكومتى فرنسا والروسيا قامتتا فى المسئلة الارمنية بإبطال الدسائس الانكليزية واحباط مساعي سواس انكلترا . وأظن أنه لم يغيب عن ذهن انسان ان انكلترا عرضت رسميا على الدول الأوروبية خلع جلالة السلطان الاعظم فرفضت الروسيا وفرنسا

العقد العربي في جيد بريطانيا لافي جيد الاسلام

ويبين المستر بلانت في كتابه هذا قوة العالم الاسلامي وكيف ان المدير لاموره يكون قوياً واسع السلطة ويبين كذلك مشروع نابليون الاول وكيف انه أراد أن يكون خليفة المسلمين وان يقود قواهم - وهو يريد بذلك الفات أنظار قومه الى مشروعهم القائم به الآن ويبين المستر بلانت ايضا « أن مركز الخلافة الاسلامية يجب ان يكون مكة وان الخليفة في المستقبل يجب ان يكون رئيساً دينياً لاملكا دنويا » أي ان الامور الدنيوية تترك لانكلترا تدبر أمورها كيف تشاء ! ويعقب المستر بلانت ذلك بقوله « ان خليفة كهذا يكون بالطبع محتاجا لحليف ينصره ويساعده وما ذلك الحليف الا انكلترا ! » وبالجمله خضرة المؤلف لكتاب مستقبل الاسلام يرى - وما هو الا مترجم عن آمال أبناء جنسه - أن الاليق بالاسلام أن ينصب انكلترا دولة له ولم يبق للمستر بلانت الا أن يقول بأن الخليفة يجب أن يكون انكليزياً !!

وكما أن مشروع الاستيلاء على السودان بواسطة مصر هو من المشروعات القديمة عند الإنكليز - ويثبت ذلك ارسال غوردون وسامويل باكر الى آخر السودان بواسطة حكومة مصر التي أحسنت الظن بالإنكليز فان مشروع جعل الخلافة الإسلامية تحت وصاية الإنكليز وحمايتهم هو مشروع ابتكره الكثيرون من سواسهم منذ عهد بعيد . وقد كتب كتاب الإنكليز في هذا الموضوع ومنهم المستر بلانت المعروف في مصر . فقد كتب كتابا قبل احتلال الإنكليز لمصر في هذا المعنى سماه (مستقبل الاسلام) وأبان فيه أغراض حكومة بلاده وأمان الإنكليز في مستقبل الاسلام وقد كتب في فاتحة كتابه ما نصه

لا تقنطوا فالدر ينثر عقده

ليعود أحسن في النظام وأجملا

أى ان هدم السلطنة العثمانية لا يضر بالمسلمين بل ان هذا العقد العثماني ينثر ليعود عقدا عربيا أحسن وأجمل - ولكن ما لم يقله المستر بلانت هو ان قومه يريدون هذا

المحروسة مصر وبلاد العرب أى السلطة العامة على المسلمين
والذى يفيض الانكيز على الخصوص فى جلالة السلطان
الحالى هو ميله الشديد الى جمع كلمة المسلمين حول راية
الخلافة الاسلامية. وهو أمر يحول بينهم وبين أسمى أمانهم
أى ايجاد الشقاق بين المسلمين وبعضهم وخروج بعض المسلمين
على السلطنة العثمانية . ومن ذلك يفهم القارىء سبب اهتمام
الانكيز بالافراد القليلين الذين قاموا من المسلمين ضد
جلالة السلطان الاعظم وسبب مساعدتهم لهم بكل ما فى
وسعهم .

وانكيزا تعلم علم اليقين أنها لو استطاعت أن تجعل خليفة
المسلمين تحت وصايتها أى آلة لها يكون لها سلطة هائلة وتفوز
لاحد نه فى سائر انحاء المعمورة . فانها تستطيع عندئذ (لا قدر
الله) أن تنفذ رغائبها عند المسلمين التابعين لها وغير التابعين
بواسطة هذا الخليفة . ولذلك فهى بعملها على هدم السلطنة
العثمانية تعمل على تحقيق غرض بعيد هو أكبر أغراضها
وأمنية سياسية دونها كل الامانى

وقد علمت انكلترا أن احتلالها لمصر كان ولا يزال
ويكون مادام قائما سببا للعداوة بينها وبين الدولة العلية وان
المملكة العثمانية لا تقبل مطلقا الاتفاق مع انكلترا على بقائها
في مصر . اذ أن مسألة مصر بالنسبة لتركيا والخلافة تعد
مسألة حيوية . ولذلك رأت انكلترا أن بقاء السلطنة العثمانية
يكون عقبة أبدية في طريقها ومنشأ لاهشا كل والعقبات في
سبيل امتلاكها مصر . وان خير وسيلة تضمن لها البقاء في
مصر ووضع يدها على وادى النيل هو هدم السلطنة العثمانية
ونقل الخلافة الاسلامية الى أيدي رجل يكون تحت وصاية
الانكليز وبثابة آله في أيديهم . . ولذلك أخرج سياسة بريطانيا
مشروع الخلافة العربية مؤملين به استمالة العرب لهم وقيامهم
بالعصيان في وجه الدولة العلية . ولكن العرب وغير العرب
من المسلمين أرشد من أن يخدعهم الانكليز بعد ما امر من
الامور وما جرى من الحوادث . ولذلك أيضا كنت ترى
الانكليز ينشرون في جرائدهم أيام الحوادث الارمنية مشروع
تقسيم الدولة العلية حماها الله جاعلين لانفسهم من الاملاك

وقد علمت اليوم كل العناصر على اختلافها وجميع الامم صغيرة كانت أو كبيرة أن عدو اليونان الحقيقي ليس بتركيا التي صبرت على رذائلها طويلا بل انكلترا التي شجعته على الحرب وساعدتها في السر والجهر ومالت مقبـدونيا من الاسلحة والدناير الانكليزية مؤملة قيامها في وجه تركيا أثناء الحرب فخابت آمالها وحبطت مساعيها ورجعت مخذولة خذلانا سياسيا دونه خذلان اليونان الحربي

وقد حسب الانكليز أنهم يبلغون متمناهم من مصر ووادى النيل ويضعون بذلك أيديهم على الحجر الاساسي للخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية . ولكن مالا ريب فيه هو أن نصيبهم في مصر الفشل عاجلا أو آجلا . ولا يغرن القراء سيرهم الحالى في بلاد وادى النيل فانما هو نتيجة ضعف رجال مصر الذين سلمت اليهم مقاليد الامور . واستيلاء الانكليز على الادارات المصرية لا يؤثر مطلقا على جوهر المسئلة نفسها . وحيث فشل نابليون الاول يفشل الانكليز ولا محالة

وقد شعرت روسيا كذلك بعد حرب سنة ١٨٧٧ أنها لا تستفيد من حروبها مع تركيا ما يعوض عليها خسائرها العظيمة في هذه الحروب فقضت سياسة مسالمة الدولة على سياسة العداء . فكان هذا التاريخ مبدأ للشقاق والعداوة بين الدولة العلية وبين انكلترا . وقد ظهرت هذه العداوة بمظهرها التام الواضح بعد احتلال الانكليز لمصر . حيث رأى جلالة السلطان في هذا الاحتلال وفي خطة الانكليز فيه وفي خداعهم لجلالته ما علم منه ان الانكليز لا صديق لهم وانهم أكبر أعداء تركيا وأن صداقتهم القديمة المزعومة لم تكن الا حجاباً ستروا وراءه عداوتهم المرة وأطماعهم الشديدة ضد دولة آل عثمان

ومن ذلك الحين عملت انكلترا على دس الدسائس ضد السلطنة السنية في كل انحاء الاملاك المحروسة فهاجت الارمن والكريديين والدروز . ولكن دسائسها لم تأت بغير نتيجة واحدة . وهى اضعاف هذه العناصر التي اتخذتها انكلترا آلات لها واظهار قوة الدولة العلية أمام الملاك .

يدعون ان تركيا « عدوتهم الحالية » وصديقتهم القديمة
أوعزت الى الهنود المسلمين بالثورة فثاروا ولا يزالون ثائرين
وسواء كانت ثورتهم بايعاز من تركيا - وهو مالا أظنه لان
الثورة قائمة بها قبائل معلومة ولو كانت الدولة العلية أوعزت
بالثورة لثار مسلمو الهند جميعا - أو بايعاز من ضمايرهم
ونفوسهم . فدعواهم هذه دليل ساطع على أنهم استنادوا
كثيرا من تظاهروهم بالصدقة للدولة العلية وان اشهارهم
العداوة لتركيا لا يضر الابهام

ولقد أدركت الحكومة العثمانية من يوم أن تولى أمور
الدولة العلية جلالة السلطان الاعظم (عبد الحميد الثانى) ان
انكلترا خداعة فى ودها وانها تضر بمن تتظاهر لهم بالصدقة
أكثر مما تضر باعدائها الظاهرين . فقد أخذت من الدولة
العليه قبرص بدعوى مساعدتها ضد الروسيا فى مؤتمر برلين
ثم دخلت المؤتمر وخرجت منه بدون أن تستفيد تركيا من
هذه المودة الانكليزية الكاذبة أقل فائدة . بل ان الدولة
العليه فقدت فى هذا المؤتمر ما لم تفقده قط فى مؤتمر آخر

تكسب من هذه الصداقة الكاذبة بقدر ما كانت تخسر تركيا . فان لانكترا مصلحة عظمى دائمية في أن الروسية تحارب تركيا لتضعف قواها فلا تستطيع مطاردة الانكليز في الهند والشرق الاقصى ولتضعف تركيا فتستولى انكترا على شىء من أملاكها بحجة الدفاع عنها . وفوق ذلك فان انكترا كسبت كثيرا من صداقة تركيا لها - بقطع النظر عن المكاسب المادية والتجارية والصناعية - بما كانت تنيلها هذه الصداقة من النفوذ عند المسلمين ومن السلطة التامة على مسلمى الهند . فلقد كاد أهل الهند يطردون الانكليز من بلادهم في ثورة سيباى الشهيرة لولا صداقة تركيا لهم هذه الصداقة التى حملت المرحوم السلطان (عبد الحميد) على اصدار منشور لمسلمى الهند أمرهم فيه بالركون الى السكينة والهدو وعدم القيام باحداث الاضطرابات ضد حكومة صديقه « ملكة بريطانيا »

فاذا كان الانكليز في الهند عاشوا طويلا آمنين شر المسلمين فما الفضل فى ذلك الا للدولة العلية . وهام اليوم

واضاعتها الوقت والمال والرجال في حروبها مع الدولة العلية .
ورأت كذلك من جهة أخرى انه يستحيل عليها أن تأخذ
الاستانة وتنفذ وصية بطرس الاكبر لما تلاقيه في القيام
بهذا الامر من قبل الدولة العلية ومن دول أوروبا نفسها
وفي مقدمتها فرنسا حليفها . ولذا فضلت روسيا الاهتمام
بمسائل الشرق الاقصى ومسألة تركيا . وقد تحقق العثمانيون
من هذه المسألة في المسألة الارمنية وفي مسألة الحرب الاخيرة
وقد شهد السياسيون بانه لا يوجد في تاريخ علاقات
الدولة العلية مع روسيا للمسالمة والصداقة مثل التلغراف الذي
بعث به جلالة القيصر الى جلالة السلطان يرجوه فيه أن يصدر
أمره بايقاف الحرب مع اليونان
أما الدولة التي أصبحت في هذه السنين الاخيرة حاملة
لراية العدوان ضد الدولة العلية فهي انكلترا عدوة الاسلام
 وعدوة مصر

فلقد قضت هذه الدولة أزمانا طويلة ظهرت فيها
للدولة العلية بمظهر الصديقة الوفية وال خليفة الامينة . وكانت

بلاد البلقان يسبب مشكلة الجنس والدين
واذا بحثنا فيما اكتسبته روسيا من حروبها مع الدولة
العلية نجد انها عادت تركيا قرنا ونصف قرن وحاربها المرار
العديدة وفقدت الرجال والمال بكثرة عظيمة في كل حرب .
ولم تنل في الحقيقة من كل حروبها الا بلاد القرم والقوقاز .
وقد رأت روسيا ما لم تكن تظنه أبدا وهو ان بعض البلاد
الصغيرة التي حررتها كصربيا وبلغاريا واليونان ورومانيا
عادتها أشد العداء . ولا تزال صربيا ورومانيا واليونان سائرة
في سياسة لا ترضى روسيا . وعلى الاخص رومانيا التي
تمكن بينها وبين المانيا والنمسا والدولة العلية الصفاء والوداد
ولم تعتدل بلغاريا نفسها في سياستها مع روسيا الا في هذه
السنين الاخيرة من يوم اعتناق البرنس بوريس ولى عهد
بلغاريا للدين الارثوذكسى

وقد رأت روسيا من جهة أن حروبها مع الدولة العلية
لا تفيد غير انكاثرا التي قوى مركزها في آسيا وفى الشرق
الاقصى والتي لها أعظم مصلحة فى اضعاف قوة روسيا

باسم الجنسيات وبالا عليها . وذلك ان مبدأ الجنسيات نفسه
وجد أنصاراً كباراً في قلب المملكة النمساوية فقامت المجر
ونالت حريتها واستقلالها النوعي باسم مبدأ الجنسية المجرية .
وهاهي أمة البوهيم قائمة اليوم بالمطالبة باستقلالها النوعي باسم
مبدأ الجنسية البوهيمية . وقد أصبح من الظاهر للعيان أن دولة
النمسا تنازع نزاع الموت في الايام الحالية بفضل مبدأ الجنسية
أما روسيا فقد قامت دائماً في المسئلة الشرقية باسم
الدين الارثوذكسي فعملت لاجراج الرمانيين واليونانيين
والصربيين والبلغاريين وأهل الجبل الاسود من تحت سلطة
الدولة العلية باسم الدين الارثوذكسي . فنشأ عن ذلك مع
استقلال هذه الامم الصغيرة عداوة شديدة بينها وبين
بعضها لما وجدت في نفسها من الطمع لتوسيع دائرة أراضيها
ذلك فضلاً عن أن الكنيسة اليونانية التي هي أم الكنائس
الارثوذكسية أصبحت غير معتبرة عند البلغاريين والصربيين
والنزاع القائم بين هذه الجنسيات المختلفة في مقدونيا يبين
جيداً درجة عداوتها لبعضها ودرجة الخطر الذي صارت اليه

وهى الملة التى يجب على محبى الانسانية الصادقين فى
محبتهم العمل لمنع وقوعها ودفعها بتعضيد الدولة العلية وتقوية
سلطانها

ولقد اعتقدت الآن روسيا كما اعتقدت النمسا
- وقد كانتا العدوتين القديمتين للدولة العلية - بأن تقسيم
الدولة العلية أمر مستحيل فعملت كلتاهما على المحافظة على
السلام العام بالمحافظة على سياج الدولة العثمانية

فقد رأت النمسا أن حروبها مع الدولة العلية أضرتها
ضررا بليغا وظهرت النتائج المشؤومة لهذه الحروب . فقد
ضعفت النمسا وانتهى بها الأمر أن فقدت أملاكها
الايطالية التى تكونت منها ايطاليا الحالية وفقدت كذلك أمام
بروسيا جزءا عظيما من مقاطعاتها الالمانية

ولقد عملت النمسا فى عهد عدائها للدولة العلية على
تهييج أمم البلقان ضد السلطنة السنية باسم مبدأ الجنسيات
لأنها بصفتها دولة كاثوليكية كان لا يمكنها أن تهييج هذه الامم
الارثوذكسية باسم الدين . فكانت نتيجة تهييج النمسا لأمم البلقان

الممالك . ومرت عليها ملومات كانت تنسك لها الدول القوية
والممالك القاهرة بدون أن تمس حياتها الحقيقية بسوء بل
بقيت حية تدهش العالم بشيبتها

وقد أحس الكثيرون في أوروبا من رجال السياسة
ومن رجال الاقلام أن بقاء الدولة العلية أمر لازم للتوازن
العالم وان زوالها (لا قدر الله) يكرن مجلبة للاخطار أكبر
الاخطار ومشعلة لنيران يمتد لها بالارض شرقها وغربها
شمالها وجنوبها . وان هدم هذه المملكة القائمة بأمر الاسلام
يكون داعية لثورة عامة من المسلمين وحرب دموية لا تعد
بعدها الحروب الصليبية الا معارك صيدانية

وان الذين يدعون العمل لخير النصرانية في الشرق
يعلمون قبل كل انسان أن تقسيم الدولة العلية أو حلها يكون
الضربة القاضية على مسيحيي الشرق عموماً قبل مسلميه . فقد
أجمع العقلاء والبصيرون بعواقب الامور على أن دولة آل
عثمان لا تزول من الوجود الا ودماء المسلمين والمسيحيين
تجرى كالانهار والبحار في كل واد

فالبعض كان يريد أن يؤسس مكان الدولة العلية « الاتحاد البلقاني »
والبعض الآخر كان يريد إعادة ملك بيزانتان وكان سياسيو
الروسيا والنمسا يتباحثون في مشروع تقسيم الدولة بين دولتيهما
فكل كان يضع مشروعا والجميع كانوا متفقين على ان الدولة
قصيرة الاجل وأكثرم أملا في حياتها كان يوجد عليها في
مشروعه بعشرة من السنين أو عشرين عاما . ولو بعث اليوم
من القبور كتاب أواخر القرن الماضي وسواسه ورأوا الدولة
العية قائمة عزيزة تحارب في أواخر القرن التاسع عشر وتنتصر
وتجتاز العقبات عقبه بعد عقبه وتصرف المصائب مصيبة بعد
أخرى لكذبوا أعينهم وما صدقوا بالحقيقة

ولكن الحقيقة هي ان بقاء الدولة العلية ضرورى للنوع
البشرى وان فى بقاء سلطانها سلامة أمة الغرب وأمم الشرق
وان الله جل شأنه أراد حفظ بنى الانسان من تدمير بعضهم
البعض ومن حروب دينية طويلة بحفظ سياج الدولة العلية
وبقاء السلطنة العثمانية . فقد لاقت هذه الدولة العثمانية فى
حياتها الطويلة أخطارا هائلة كانت تكفى لتداعي بنيان أقوى

بها . فلقد رأت هذه الدولة العثمانية مالم ترد دولة من دول
الأرض القديمة والحديثة فقد كانت تتحالف معها بعض
الدول كالنمسا مثلاً وتعمل وهي متحالفة معها على الاتفاق
مع روسيا على تقسيمها . وقد كانت تتظاهر انكلترا لها
بالصداقة والوفاء وتسعى وهي متظاهرة كذلك على ضياع
أملها من يدها وسقوطها في قبضتها . وقد كانت دول
أوروبا كلها تجتمع وتتحد على ما تسميه بالمبدأ المقدس مبدأ
حماية استقلال الدولة العلية وسلامتها : ثم كانت هي بعينها
تجزئ الدولة العلية باسم هذا المبدأ المقدس نفسه .
وقد كان العاملون على تقويض أركان الدولة وحلها عديدين
أقوياء . ومع ذلك كله لا تزال الدولة العلية حماها الله قوية
ثابتة الأركان تخافها أقوى الدول ويخطب ودها امبراطور
شهد العالم كله بقوته وعظمته وبأسه

ولقد يندهش الانسان غاية الاندهاش عند ما يقرأ
ما كان يكتب من نحو مائة وعشرين سنة عن الدولة العلية . فقد
كان الكتاب والسياسيون يتناقشون في مشروعات تقسيمها

السلطة والحول كانت تقوض بنيانها وتداعت أركانها .
وان أعظم سلطان جلس على أريكة ملك آل عثمان ووجهه
عنايته لا بطل مساعي الدخلاء وتطهير الدولة من وجودهم هو
جلالة السلطان الحالى . فلقد تعلم من حرب سنة ١٨٧٧ وما
جرى فيها أن الدخلاء بلية البلايا في الدولة ومضية المصائب .
فعمل بحكمته العالية على تبديد قوتهم وتربية الرجال الذين
يرفعون شأن الدولة ويعملون لاعلاء قدرها . وقد برهنت
الحرب العثمانية اليونانية على ان للدولة اليوم رجالا من
أبنائها الصادقين يخدمونها بالامانة والوفاء ويتفانون في محبتها
وأن ليس للدخلاء من سبيل لنوال ما آربهم السيئة . فأمثال
صاحب الدولة « أدهم باشا » الذى كان مجهول الاسم عند
الكثيرين من العثمانيين قبل الحرب كثيرون في الدولة العلية
تظهرهم الحوادث وتعرفنا بهم وبقدرهم المشكلات

وان أغرب شيء فى أحوال الدولة العلية وفى تاريخها
يدهش أعداءها ويحير انكتاب الكارهين لها هو بقاؤها
حية بعد كل المصائب التى تساقطت عليها والبلايا التى نزلت

أدواؤها بل هو أكبر أدواؤها فالدخلاء في الدولة العلية داء عضال وبلية لا تعادلهما بلية . فان الذين كانوا سبباً في هزيمة الدولة في حروب مختلفة هم الدخلاء والذين ساعدوا الدسائس الاجنبية هم الدخلاء . فقد دخل في جسم الدولة العلية كثير من الاجانب نساء ورجالاً وغيروا أسماءهم بأسماء اسلامية وعملوا على الارتقاء في المناصب حتى وصل بعضهم الى أسماها وصاروا من أقرب المقربين فعرضوا بالدولة للدمار وأطلعوا أعداءها على أسرارها . وقد انتشر الدخلاء في الزمن السالف الى كل فروع الدولة العلية حتى في الجيش نفسه وصارت لهم سلطة عظيمة وتفوذ كبير وكنت تجد من وزراء الدولة العلية من يعمل لصالح روسيا مدعياً انه روسي السياسة ومن يعمل لصالح انكلترا مدعياً انه انكليزي السياسة ولكن ليس منهم من كان عثماني السياسة

ولولا أن الأمة العثمانية أمة حية قوية عظيمة الشهامة والوطنية لكانت تلاشت اليوم بدسائس الدخلاء ولو كان للدخلاء في دولة أخرى ما كان لهم في الدولة العلية من

دخيلاً في الوطن والملة والدولة . ووجب عليهم العمل ضده بكل ما في استطاعتهم قياماً بواجباتهم الوطنية . وهذا هو الشأن في أمم العالم فلو فرضنا أن فريقاً من الانكليز قام يوماً ما في انكلترا باحداث الاضطرابات والثورات تنفيذاً لاوامر دولة أجنبية كالروسيا أو المانيا أو فرنسا . فأى واجب تحتمه الوطنية عندئذ على بقية الانكليز أليس القضاء على هؤلاء الخونة المنفذين لاوامر دولة أجنبية بكل الوسائل القائمون بالثورات والاضطرابات في الدولة العلية خونة منفذون لاوامر أعداء الدولة يجب على العثمانيين الصادقين اعلان العداء لهم والانتقام منهم بكل ما في الجهد والاستطاعة

ويستحيل الوصول كما قدمنا الى الاتفاق السليم الصحيح بين المسيحيين والمسلمين في الدولة العثمانية الا باخلاص الجميع لها اخلاصاً تاماً

هذه هي الحقيقة وحدها دون غيرها
واذا كان اختلاف الدين في الدولة العلية هو داء من

على خلاف رغبتها وتنبيل أصدقاء الانكليز أى أصدقاء ألد أعدائها الراحة والسعادة والهناء؟ هل يقبل العقل البشرى ان المسيحيين المدافعة عنهم انكثرا يعادون المسلمين ثم يسألونهم معاملة لهم بالركة واللف وحسن العناية بهم؟

ان الاتفاق والوفاق بين المسلمين والمسيحيين فى الدولة العلية لا يكون نتيجة الضغط والقوة بل نتيجة الميل المتبادل وحسن النية من الحائين والاخلاص والوفاء للدولة العلية . واذا كانت دول أوروبا تريد حقيقة سعادة المسيحيين فى الشرق فأول واجب عاها هو أن تأمرهم بالامثال لاوامر الدولة والتعلق بها والاخلاص فى خدمتها . والا فالدولة أو فالدول العاملة على القاء بذور الشقاق والعداوة بين المسلمين والمسيحيين لا تجنى ويستحيل أن تجنى شيئاً آخر غير العداوة المرة والخصومة الشديدة

وغنى عن البيان ان المسلمين فى الدولة العلية متى رأوا فريقاً من أخذانهم المسيحيين يعمل بأوامر الاجنبى عدوه خائناً للوطن العثماني ناكثاً لعهد الدولة العثمانية أى عدوه

يستعملها أصحاب الدسائس والغايات وأولئك الذين يشورون
بدسائس أعداء الدولة انما يشورون ضد أنفسهم ويقضون على
حياتهم وسعادتهم بعبثهم وجنونهم واتباعهم لأوامر أعداء
الدولة المحركين لهم . فالذين ماتوا من الارمن في الحوادث
الارمنية انما ماتوا فريسة الدسائس الانكليزية . والذين ماتوا
في كريد ماتوا فريسة الدسائس الانكليزية . بل والذين ماتوا
من جنود اليونان في تساليا ماتوا فريسة الدسائس الانكليزية
نفسها ومن يعمل بنصيحة أعداء الدولة ويتبع أوامره جزاؤه
مانال الارمن واليونان

وبديهي ان دولة مثل دولة انكلترا التي تدعى محبة
المسيحيين في الشرق والعمل لراحتهم وسعادتهم لو كانت صادقة
في دعواها لرأت من الواجب عليها أن تصافي الدولة العلية
حتى تنال منها متمناها بشأن المسيحيين . والا فمن الجنون في
السياسة أن تدعي انكلترا محبة المسيحيين ثم تعادي الدولة
العية القابضة يديها على زمام أمور المسيحيين . فهل يقبل
العقل البشري ان دولة قوية كالدولة العلية تعمل في بلادها

بحجة نصرتهم لالزوم له البتة

ولو أنصفت الدول الأوروبية قليلا لاعترفت بهذه الحقيقة الواضحة وهي ان المسيحيين في الدولة العلية لا ينقصون عن المسلمين في حسن المعاملة ان لم يكونوا من الراجحين . وهام اليهود لا يشورون ولا يهيجون ولا يشتكون ولا يتألمون بل يحمدون الدولة ليلا ونهاراً في السراء والضراء ويسبحون في كل آونة بنعمها عليهم وحسن رعايتها لهم . وما ذلك الا لأنه لا يوجد في الدول الأوروبية دولة تدعى الدفاع عنهم والعمل لمصالحهم فهم ليسوا بآلات في الدولة ضد الدولة بل هم يعرفون من أنفسهم أنهم عثمانيون ممتعون بكل الحقوق العثمانية . وأما العناصر التي كالارمن تستعملها بعض الدول كإنكترافهي تتور بعوامل الدين وبدسائس دينية . وقد ثبت ذلك جليا في المسئلة الارمنية وشوهد أن الارمن الكاثوليك كانوا على سكينه تامة بينما كان البروستانت يشورون ويدبرون المكائد ضد الحكومة العثمانية

فمسئلة الدين في الدولة العلية هي الآلة القوية التي

وهى حقيقة يقررها التاريخ وينطق بها كل منصف
محب لها . ولكن من غرائب أحوال هذا الوجود أن هذه
الفضيلة السامية . وهذه المكرومة الفريدة كانت أكبر سبب
لكل مالحق الدولة العلية من الضرر والاحجاف وأصلا
لكل ماحل بها من المصائب والبلايا . فاحترامها لعقائد
المسيحيين على اختلاف أنواعهم أقام أمامها بعض دول أوروبا
بحجة المسيحيين أنفسهم وكان سبباً لحروب جمة

فمسئلة اختلاف الدين في الدولة العلية التى هى نتيجة
الاعتدال الدينى والعدل والانصاف كانت ولا تزال الداء
الدفين الذى يهدد حياة الدولة من وقت الى آخر . فتداخل
الدول الاوروية فى شؤون الدولة العلية باسم المسيحيين
المحكومين بها . ومضايقة أوروبا بالدولة باسم هؤلاء المسيحيين
واضطرابات الدولة تقوم باسم هؤلاء المسيحيين . والاندازات
التى توجه للدولة تزجه باسم هؤلاء المسيحيين بل وأغلب
الحروب التى جرت مع الدولة جرت باسم هؤلاء المسيحيين .
ويعلم الله انهم سعداء الحظ فى الدولة العلية وان تداخل أوروبا

ولم تكثف الدولة العلية حماها الله بحسن معاملة المسيحيين واحترام أديانهم وعقائدهم بل عاملتهم كأعز أبنائها المسلمين ولم تميز بين هؤلاء وبينهم وسلكت مع الكل طريق المساواة وعينت الكثيرين من المسيحيين في المناصب السامية والوظائف العلية وأتمتهم على أمورها وجعلتهم محل ثقتها وبقاء المسيحيين الى اليوم في الدولة العلية أكبر شاهد على اعتدالها الديني في الماضي وفي الحاضر بل بقاء الجنسيات المختلفة كالبلغار والصرب واليونان وغيرها دليل ساطع وبرهان قاطع على أن الدولة العلية احترمت من نفسها وبمحض ارادتها دين الذين وقعوا تحت سلطتها ولم تقهر أحداً على اعتناق الدين الاسلامي . ويعترف الكتاب والمؤرخون جميعاً بل ويعترف كل انسان في الوجود مجرد عن الغرض الاعمى ان الدولة العلية كان في قدرتها يوم كانت أقوى دول الارض أن تجبر كل المسيحيين في بلادها على اعتناق دين الاسلام أو أن تطردهم من أراضيها اذا خالفوا رغبتها . ولكنها احترمت الشرع الشريف فاحترمت الدين المسيحي وأصحابه

وعداوة لدودة . فكان ذلك السبب الاول فى الحروب
العديدة التى وجهت ضدها وأقيمت فى وجهها

ولما كانت البلاد الواقعة تحت سلطة الدولة العلية من
أجل بلاد العالم وأغناها فقد تأقت نفوس أصحاب الدول
الاوروبية لاجراج الترك من هذه البلاد وتقسيمها بينها .
فكانت هذه الدول تحارب الدولة العلية بأمل تقسيمها شيئاً
فشيئاً والاستيلاء على أجزاءها جزءاً جزءاً . وهذا هو سبب
آخر لعداوة بعض الدول الاوروبية للدولة العلية

واذا دققنا النظر فى سبب العداوة المشهور وهو مسألة
الدين وجدنا ان الدولة العلية هى الدولة الوحيدة فى دول
الارض التى عاملت رعاياها الذين يدينون بغير دينها بالتسامح
والتساهل والاعتدال . فقد اتبعت أوامر الشرع الشريف
وتركت للمسيحيين حرية دياناتهم وعوائدهم وتقاليدهم
واحترمت عقائدهم كل الاحترام فعاشوا طويلاً ممتعين بهاته
الحرية على حين ان مسيحي اسبانيا قتلوا المسلمين لانهم مسلمون
وهتكوا أعراض نسائهم وحرمة بيوتهم ومارحوا انسانا .

وأطماع مختلفة

والذى يراجع تاريخ الدولة العلية ويقلب صحائف
أمرها من أول وجودها الى اليوم يرى ان المسئلة الشرقية
نشأت مع الدولة نفسها . أى انه منذ وطأت أقدام الترك
ترى أوروبا وأسسوا دولتهم الفخمة قام بينهم وبين بعض
الدول الأوروبية النزاع الشديد ودارت الحروب العديدة .
وبالجملة فانه منذ ظهرت صولة الترك فى أوروبا أخذت بعض
الدول على عهدتها معاداة الدولة ومطاردتها والعمل على
اخراجها من هاته القارة . ولكنها أعمال حبطت وآمال خابت
اذ أصبح أمر بقاء دولة آل عثمان من أول الامور الضرورية
اللازمة لسلامة بنى الانسان

وقد وهب الله الدولة العثمانية سلطة عالية ورهبة عظيمة
حينما طويلا من الزمان فأخضعت لسلطانها الامم والدول
وأرهبت بقوتها وعظمتها كل قوى وكل عظيم ورفعت رايتها
الهلالية الجليلة على أصقاع شاسعة وأقطار واسعة . فابقت
فتوحاتها وانتصاراتها فى نفوس الامم المقهورة بغضاء كامنة

المسألة الشرقية

« ١ »

اتفق الكتاب والسياسيون على ان المسألة الشرقية
هى مسألة النزاع القائم بين بعض دول أوروبا وبين الدولة
العلية بشأن البلاد الواقعة تحت سلطانها وبعبارة أخرى هى
مسألة وجود الدولة العلية نفسها فى أوروبا . وقد قال كتاب
آخرون من الشرق ومن الغرب بأن المسألة الشرقية هى
مسألة النزاع المستمر بين النصرانية والاسلام أى مسألة
حروب صليبية متقطعة بين الدولة القائمة بأمر الاسلام وبين
دول المسيحية . الا أن هذا التعريف وان كان فيه شىء من
الحقيقة فليس بصحيح تماماً . لأن الدول التى تنازع الدولة
العلية وجودها لاتعاديها باسم الدين فقط بل فى الغالب
تعاديها طمعاً فى نوال شىء من أملاكها . وقد أرانا التاريخ
أحوالاً كثيرة لم يستعمل الدين فيها إلا سلاحاً أو وسيلة
لنوال غرض جوهرى فهو ستار تحتفى وراءه أغراض شتى

وقد أحببت أن أقدم للقراء الكرام قبل تاريخ الحرب ملخصاً عن المسئلة الشرقية التي هي موضوع اشتغال الشرقيين والغربيين . واني أسأل القراء الكرام عذراً اذا كنت اضطررت للايجاز في بيان المسئلة الشرقية فقد قضى على الوقت بذلك . وأؤمل العودة لموضوعها في فرصة أخرى مع بيان أوفى وأشفي

واني أضرع الى الله فاطر السموات والارض من فؤاد مخلص وقلب صادق أن يهب الدولة العلية القوة الابدية والنصر السرمدي ليعيش العثمانيون والمسلمون مدى الدهر في سؤدد ورفعة . وأن يحفظ للدولة العثمانية حامي حماها وللإسلام امامه وناصره جلالة السلطان الاعظم والخليفة الاكبر الغازي (عليه السلام) وأن يحفظ لمصر في ظل جلالته عزيزها المحبوب واميرها المعظم سمو الخديوى (عباس حلمي باشا الثاني) ان ربي سميع مجيب

مصر في شعبان سنة ١٣١٥ — يناير سنة ١٨٩٨

(مصطفى كامل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه خير
الانبياء والمرسلين . (وبعد) فقد شهد هذا العام فوز الدولة
العلية في حربها مع اليونان فوزا عظيما وانتصارها نصرا ميينا
ورأى العالمون بين أصدقاء للدولة وأعداء براهين حياتها
ودلائل شببيتها . فانتعشت نفوس أبنائها وأصدقائها وطمس
الله على قلوب خصومها وأعدائها حيث قضى لها بما قضى
من الفوز والنصر والسمو والرفعة

وقد طلب مني بعد انتهاء الحرب بعض أصدقاء يحسنون
الظن بشخصي الضعيف ان اكتب تاريخ هذه الحرب
الشهيرة فأجبت الطلب لا عن شعور بمقدرتي على ذلك بل
عن سرور جزيل وحبور نادر المثل بما نالت الدولة العلية
حماها الله



— ✕ — مصطفى كامل باشا ✕ —

﴿ في الرابعة والعشرين من عمره ﴾



DT

107

6

M8A3

V7-9



858140 -

المسئلة الشرقية

﴿ تأليف المرحوم ﴾

مصطفى كامل باشا

الجزء الاول

﴿ الطبعة الثانية ﴾

« حقوق الطبع والنشر والترجمة »

محفوظة للورثة

للسنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٩ م



PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

DT Mustafā Kāmil
107 Mustafā Kāmil Bāshā
 .6
M8A3
v.7-9

